منصور هائل

الكتابة في تكتكة الساعة

كتاب الندى
الخامس
سبتمبر ٢٠٢٥

جميع الحقوق محفوظة لـ «النداء» - ٢٠٢٥

اسم الكتاب: «منصور هائل.. الكتابة في تكتكة الساعة 25»
اسم الكاتب: منصور هائل

توثيق كتاباته وإسهاماته خلال فترة إصدار الصحيفة الورقية (٢٠٠٤ - ٢٠١١)

الناشر: صحيفة «النداء»

معلومات الاتصال:
موقعنا على الإنترنت: www.alndaa.net
البريد الإلكتروني: info@alndaa.net

إعداد وإخراج:
طارق السامعي

شارك في الإعداد: مروى سمير

النشر الإلكتروني: رياض الأحمدي
تدقيق لغوي: فائز عبده

الطبعة الأولى (سبتمبر ٢٠٢٥)
رقم الإيداع في دار الكتب اليمنية ( )

الغلاف: بعدسة الفنانة مي نصيري
أغسطس ٢٠٢٥

منذ صدورها قبل أكثر من 20 سنة، استلهمت صحيفة «النداء» في عملها قيمًا تحررية أساسية تمثلت في الدفاع عن حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، انطلاقًا من إيمانها العميق بدور الصحافة والمعرفة والفكر في ترجمة هذه القيم إلى شأن يومي حاضر في أذهان اليمنيات واليمنيين.

منصور هائل

النداء حس التأسيس العالي

لقد واكبت «النداء» وما تعرضت له من تنكيل، ومن قرصنة وملاحقات وقمع بوليسي من لحظة ميلادها، من قبل سلطة تضيق بالصوت المستقل والحر، المنفتح على نقاشات وآراء أصيلة، والمناوش للأقبية والدياجير، وللمسكوت عنه من الانتهاكات والارتكابات المريعة التي عصفت بالبلاد عبر عقود مديدة من الاستبداد.

وشكلت «النداء» متنفسًا لأسر ضحايا التغييب والإخفاء القسري والخطف والاغتيال، وأصاخت لأنين وحسرات وكمد تلك الأسر بجد وأصالة

ومنهجية ومثابرة، كاشفة بهتان نظام مستبد، فاسد وقائم على سفك الدماء والغدر والارتياب والعصاب.

وبعدسة مستقلة فتحت «النداء» العديد من الملفات الهامة والحساسة، وتطرقت إلى محطات ومنعرجات تاريخية حرجة، ولذلك تعرض مقرها للعدوان والقرصنة، وسرقت أجهزتها من قبل جلاوزة الأمن القومي، وتعرضت أسرة تحريرها، وبخاصة الزميل والصديق العزيز سامي غالب، للتضييق والملاحقات والمحاكمات التي لم تفلح في كتم هذا الصوت المستقل والنزيه، المنافح عن الحريات والحقوق في كافة أرجاء اليمن.

لقد كان منبر «النداء» ومازال متميزًا ومفارقًا لحالة الصحافة الرسمية والحزبية و«المستقلة» التي طالما اتسمت -غالبًا- بالرثاثة، وتخبطت في العشوائية والاعتباط، والتاثت بالفساد، وافتقرت إلى التمأسس والمؤسسية.

ومن لحظة صدورها امتلكت «النداء» سلطتها الناقدة، وكانت نقطة ارتكازها «ميثاق شرف» تضمن مفردات قواعد سلوك أمنت استقلاليتها ومصداقيتها، ونأت بها عن إصدار الأحكام والاحتكام إلى الاعتبارات والتفضيلات الأحادية في النشر، وعن التحيزات والنوازع الضيقة والابتزازية -راجع ميثاق شرف النداء- باعتماد قواعد سلوك مهنية ناظمة وضابطة لإيقاع عملها بمعايير مهنية وأخلاقية توسلت الارتقاء بالذات، وامتلاك شروط ومؤهلات التصدي للشأن العام بجدارة، ومن باب الحرص على ضرورة أن تبدأ الصحافة بإصلاح نفسها قبل أن تنبري لرفع راية الإصلاح والدعوة لمكافحة الفساد خارجها.

الحس التأسيسي

ما تقدم يؤشر بجلاء إلى أن العزيز سامي غالب يتمتع بذلك الحس التأسيسي المعزز بروح المبادرة والاقتراح، وهو حس طالما افتقرت إليه معظم النخبة اليمنية الخائبة، الطاعنة في الهرم والسادرة في «رقدة العدم».

لم تكتفِ «النداء» باعتماد معايير سلوك مهنية وأخلاقية في بلاد كانت ومازالت صحافتها هي الأسوأ مقارنة مع غيرها في المحيط العربي، بل بالمبادرة إلى فتح ملفات حساسة وخطيرة، والتغطية الفعالة والنزيهة لكل ما يغتلي ويمور في البلاد، واستيعاب التنوع والاختلاف، والانفتاح على كل الأطراف والأطياف.

وأخيرًا وليس آخرًا، ها هي «النداء» سباقة في مبادرتها لتوثيق وإصدار كتاب «النداء»، والاحتفاء بالكُتَّاب الذين واكبوا مشوارها، رغم صعوبة ظروفها ومحدودية إمكانياتها وطاقمها، وذلك هو حال من يتجرأ على الأمل في مسرح أجدب وقاحل، ويرفرف بأجنحة الخيال والحلم، ويتحلى بالصبر والمثابرة ليتجلى كمستحيل جميل، من غير قصد وبلا أي قدر من الاستعراض.

إنه شيء لا يصدق، مدهش حقًا، وجدير بالاحتفاء، وإنجاز كبير وبعيد، ولا أقول هذا لأني من بين أولئك الذين ستصدر مقالاته في كتاب، فهي خواطر وتطيرات متواضعة، وقد اكتنفت بعضها -بخاصة المقالات الأولى- حالة من التشوش والارتباك والغبش المصاحب لتكتكات «الساعة السليمانية»، وذلك ما أدركته وأنا أتصفح الصفحات الأولى من الكتاب، ولو كان الأمر بيدي

لأعملت فيها مشرط الحذف بلا رحمة.

النقطة الفاصلة

بعد إقدام السلطة على تزوير إرادة الناس ومصادرة أصواتهم واختطاف الفوز المؤكد للمهندس فيصل بن شملان، في الانتخابات الرئاسية في سبتمبر 2006، تمنهجت مقارباتي في منحى رصد وتحليل وقائع سقوط وانهيار «النظام» الذي اندفع بنزق في اتجاه مراكمة المزيد من شروط وأسباب انهياره وانفجاره على نفسه وعلى اليمن.

لقد خلصت المقاربات إلى أنه في ظل غياب نخبة سياسية وثقافية قادرة على إنتاج إدراك مشترك لهشاشة ومخاطر الوضع بعد 2006، ولتبعات تجلط وانسداد شرايين السياسة، فإن الكارثة ماثلة ولا مهرب منها.

واستعرضت مقالات ما بعد 2006، المحاولات الخارجية لإنقاذ اليمن وبالأحرى «النظام» ومؤتمرات المانحين و«أصدقاء اليمن» في لندن والرياض وبرلين، ووصول تلك الجهات التي عملت على إنقاذ النظام من نفسه، إلى قناعة بأنه لا فائدة «من نظام اعتمد على طريقة إدارة البلاد بالحروب، وأصبح عاجزًا حتى عن استيعاب الدعم المالي والقروض والمساعدات، ولم يتمكن خلال ثلاث سنوات من استيعاب أكثر من سبعة بالمائة من الدعم المالي المقدم في مؤتمر لندن 2006»... «فلا وجود ولا حيثية لهكذا نظام إلا بالفوضى».

...«وأصبح النظام غير قابل للإصلاح، فهو مضروب من ساسه إلى رأسه، وقد بلغ الساعة 25 التي يفوت معها كل إنقاذ».

ولم تنفع محاولات تذكيره بمصائر نسخ مماثلة كنسخة «أبو مصلح»، الرئيس الصومالي محمد سياد بري، الذي كان في غيبوبة حينما تنازع أنجاله وأصهاره على العرش والأموال المنهوبة، قبل أن يغادروا جميعاً في ليل 26 يناير 1991 ليتركوا مخازن السلاح مفتوحة أمام الفصائل التي اقتحمت مقديشو.

لم ينفع تذكيره بمصير الرئيس القرغيزي كرمان بيك، الذي سرق خزينة الدولة بمشاركة أنجاله وأشقائه، وانحصر كل همه في توريث نجله، وانتهى به الأمر هاربًا من العدالة.

لم تنفع محاولة لفت رأس النظام إلى اهتزاز الأرض من تحت عروش الحكام في تونس ومصر، بل ذهب في الاتجاه المعاكس لتيار التاريخ، وفي مطلع عام الحرائق 2011، خرج ليعلن عزمه إجراء تعديلات دستورية لتأبيد رئاسته وتوريث نجله.

لقد أصر على مواصلة الحرب على الشعب، وتخليف الكثير والمزيد من المظلوميات، والحرائق والمليشيات، وكما كان تنظيم القاعدة جزءًا من «النظام» وجزءًا أصيلًا من الانقسام والتناحر والتشظي، بالإضافة إلى أنه كان بمثابة التجلي المتطرف لانقسامات المجتمع والحرائق والحروب التي أشعلتها السلطة، فقد كان ذلك هو حال المليشيات الحوثية وغيرها من المليشيات التي تتناهش أوصال اليمن، وجلها خرج من الرحم المظلم لذلك النظام.

إن كل المليشيات والعصابات الإجرامية المتوحشة التي تفترس البلاد اليوم،

وتعربد في الأرجاء، هي نتاج منظومة العنف التي زرعها النظام السابق بما هو مركب عصابي كيبوقراطي: عصابة قائمة على الحرب والنهب والسرقة، وقد اعتمدت الحرب كوظيفة اقتصادية، وغنيمة مستمرة، وبذلك حملت أسباب تحللها وانهيارها في داخلها.

***

ما سبق كان عبارة عن اقتباسات وعرض خاطف لما تطرقت إليه المقاربات التي تضمنتها مقالاتي المنشورة في «النداء» بعد 2006، ويحتويها هذا الكتاب، وقد كدت أنساها، ولا أخفي أني ارتعدت وأنا أتصفح بعضها، فكيف تجرأت على دفعه للنشر، وكيف كانت «النداء» أكثر جرأة مني، وحز في نفسي إدراكي المتأخر أني كنت من المتسببين بتطاول محنة «النداء» التي استوعبت نبرة النقد الصارخة والحارقة تجاه ذلك النظام/ اللعنة.

***

أخيرًا، لا أملك إلا أن أعبر عن كل الشكر والامتنان للأحباء في «النداء»، وفي مقدمتهم صديقي الأعز سامي غالب، وكل الطاقم الجميل: طارق السامعي، فائز عبده، فاطمة، رياض، وغيرهم.

حق الدابة في استعادة دهشتها

منصور هائل

■ (إلى رئيس منتدى الجاوي الأستاذ علي الحترة)

الفشل هو المستقبل المنتظر للصحافي الذي يعمل على غرار دابة الناعورة التي تهدر طاقتها وهي تركض في حلقة متصلة، لا تمنعها من التقدم إلى الأمام فحسب وإنما تحكم عليها بالتآكل والانعدام.

وعلى مثل هذا الصحافي تشتغل طاحونة الحزب، ويتقطر حبر الصحافة الحزبية التي زجت بها متغيرات العصر في نفق الانقراض من لحظة سقوط جدار برلين، ومع مطلع تسعينيات القرن الماضي.

لقد تولى زمن (السرديات - الحكايات الكبرى)، ولفلف معه مخلفات كسوفه، وانسحبت الأرض التي كانت تقف عليها المراصد المبرمجة لتسجيل إيقاع الأنقاض، وفي مقدمتها الصحافة الحزبية المكتسية بأردية المقدس، والممتلئة بالمعنى و«فائض المعنى» كحاملة للرسالة والنبوة والشهادة، وانحسر دور تلك الصحافة في أصقاع كثيرة من العالم، ولم تعد تتوفر على أدنى قدر من الحضور إلاّ بفعل قوة عادة القصور، وفي بعض الأقطاع الأكثر تخلفاً وتكهلاً وتكهفاً وانقطاعاً عن عالم اليوم مثل اليمن، وبعض أقطاع المشرق العربي، وكأن هذ المقطع الصغير والمثير والشقي من الأرض يرفض الاستقالة عن طبعه وطبعته القديمة كمهبط للرسالات السماوية، وعن وظيفته في نشرها وتصديرها، وتوجيهها وتسويقها وعولمتها، بمعايير اقتصاد المعرفة السائد في راهن يوم الناس هذا.

فـي هـذه الأرجـاء يبدو الصحافي أعزل من الزمن، ومن نفسـه وإحساسـه وإنسـانيته لأنه تبرمج كملحق ورديف للفاعل السياسي (القائد الحزبي) المدجج بأسلحة سلطة الأب في تقرير وتدبير وتقدير ما ينشر وما يحذف، وفي حذف غير المستحب والمرغوب والممنوع والمحرم والخارج عن خط الحزب.

وإذا مـا زل القلـم بالصحافـي فإن القائد لا يتـورع في حالات كثيرة عن حذف المكتـوب والكاتب لأنه صاحب الميزان في قياس الكلمات، وصاحب الدكان الملفق بأسماء حداثية كالحزب والصحيفة... إلخ.

ولن تلوح خفقة ضوء في آخر النفق إذا لم يتدارك الصحافي نفسـه ويسـتعدها ويبذل قصارى جهده لاجتراحها وإبداعها بأفق إنساني يتوسل التحرر من أثقال الماضي وسلطته وأوامره الصادرة من المقابر والسجون، ومن أفواه الموتى الذين يشيعون موتاهم بلا انقطاع ولا كلل ولا ملل ولا وجل ولا أمل.

ولن يتأهل الصحافي للوصول إلى شـرف الأمل إلاَّ من طريق إمسـاكه بمفتاح الخروج من السـكتة العقليـة بمراجعـة دوره ووظيفته، ودور الصحافة ووظيفتها تبعـاً لمفهومها العصري الذي تبلور مع تسعينيات القرن الماضي ليشترط مرجعة دور الصحافة، وتعريتها من أردية المقدسات وتحريرها من سجن الشعارات والمقولات المغلقة.

لا شك أن المراجعة النقدية لدور هذه الصحافة تستلزم، في البدء، الإقرار بأنها لا تعكس اهتمامات القـارئ، وإنمـا تحتاج إلى عملية جراحية تنقذها من الاحتضار في غرفة الإنعاش، وإلى إعادة تأهيل وتمرين وضبط وتقنين وعقلانية للتسـيير والتدبير، وآلية محكومة بمعايير الشـفافية ومسـلكياتها، وملبية لاحتياجات القارئ المستهلك وانتظاراته.

وبما أن الانتقال من طور صناعة الوهم وصحافة الرسـالة الخلاصية و«التاريخية» إلى الصحافة كمنتج وسلعة ينبغي أن ينطرح في ميدان البيع والشراء، فإن ذلك يستوجب النظر إلى الصحافة من زاويـة المفهوم العصري، ومن موقع انتسـابها للقطاع العصـري أو ما يوصف بـ«القطاع الثالث» وهو قطاع الخدمات.

بهذا المنحى يفترض أن تتأهل الصحافة لترقى إلى مسـتوى المسـتهلك، وأن ينخرط الصحافي في فصـول محـو أميته المعرفيـة لينهض بدوره في خدمة المجتمع لحسـاب التراجع عـن دوره في خدمة الفاعل السياسي (القائد الحزبي).

لعل الصحافي هنا مدعو إلى اسـتعادة فطرة الدهشـة وروحها، وإعادة اكتشاف دوره بعد أن صار فاعلاً، وليس مراقباً أو ملاحظاً ورديفاً للفاعل السياسي «القائد الحزبي» الذي تراجع في بلاد كاليمن ليكون رديفاً فلكلورياً للصحافة والصحافي، وللمعرفة برمتها.

ذلك لأن الصحافة، وبالذات الخاصة، غدت تلعب دوراً متجاوزاً دور الأحزاب، وتمارس تأثيراً أوسع وأنفـذ مـن دور الأحزاب، وقد انسـحب هذا الأمر علـى الصحافي المعاصر الذي أصبـح فاعلاً بجدارة وامتياز، ذلك ما يحتاج إلى توسيع في قادم الأعداد والأيام.

● «النداء»، العدد ٢، الأربعاء ٢٣ مارس ٢٠٠٥

نافذة

منصور هائل

قطعة من «اللحس»*

كادت قصيدة «الانتهازي» أن تودي بحياة شاعرها والفنان التشكيلي الذي قام برسم اللوحة المصاحبة للقصيدة، وسكرتير تحرير الصحيفة ومخرجها الفني الذي وجه بتنفيذ ذلك.

وقد تدخلت الأقدار والصدفة لإنقاذ الثلاثة من «اللحس» والرحيل إلى ما وراء الشمس، بموجب تقرير التشريح السري للقصيدة، الذي تطوع لإنجازه نفر من خبراء النوايا وشرائح الخفايا الثاوية بين السطور وخلفها، والدفينة في منعرجات الخطوط، وأعطاف الفواصل.

والحكاية أن الشاعر القدير عبدالله مولى الدويلة -رحمه الله- كتب قصيدة «الانتهازي» وقدمها للنشر عقب أحداث يناير ١٩٨٦م الكارثية التي لم يكن سخام حرائقها قد انقشع من سماء عدن، وكان بالإمكان نشر القصيدة من غير لوحة تعبيرية، لولا محبة المخرج الزائدة لصاحبه الشاعر.

وقام الفنان التشكيلي بتجسيد الفكرة بصورة لوحة رجل بدا أصلع. وذهب المخرج لإمعان النظر فيه لبضع لحظات والقهقهة والتعليق: بدلاً من أن نكحلها عورناها. ألا ترى أن الصلعة ستوحي بأن المقصود بـ«الانتهازي» هو الشاعر؟! ألا تعتقد بأننا سنخسر صاحبنا بدلاً من أن نتجمل معه. عليك أن تكسو ما رسمت بالشعر الكثيف والغزير.

ونفذ الفنان الفكرة، وصدرت الصحيفة في اليوم التالي، وكانت الرسمة المصاحبة تظهر وجهاً محملاً برأس كثيف الشعر وغزيره، وكانت الأجزاء الظاهرة من صدر وكف صاحب الصورة مغطاة

بطبقـة من الشـعر الكثيف أيضاً. واغتبط الشـاعر وهو يقـرأ قصيدته ويتأمل فـي الصورة المجاورة ولكن.. و«يا فرحة ما تمت»، اقتيد الشاعر وزميلاه قبل غروب شمس ذلك اليوم إلى سجن أمن الدولة.. لقـد ذهـب الذين انهمكوا في تفسـير وشـرح اللوحة بتقريـر خطير إلى التأكيد علـى وجود «مؤامرة» تسـتهدف الرجـل الأول فـي الحـزب والدولة «القائـد الرمز» عبر نشـر صورة لرجل «مشـعر» افترض التقرير مماثلة لعلي سالم البيض.

هكذا لحسوا عقل الرجل الأول وأثاروا غضبه وصراخه: «عادنا ما استوينا على الكرسي». وللحديث مواصلة.

* اللحس: التشفير الملطف والشائع لفعل القتل بعدن في تلك الأيام.

● «النداء»، العدد ٣، الأربعاء ٣٠ مارس ٢٠٠٥

نافذة

منصور هائل

الملحوس بما قدَّس وعَبَد

ولما استجاب وزير أمن الدولة الفقيد سعيد صالح سالم لنداء فطرته السليمة، وذهب يمعن النظر في رسمة الوجه المصاحبة لقصيدة «الانتهازي» المنشورة في الصحيفة وقارنها مع صورة الأمين العام للحزب السيد علي سالم البيض ولم يعثر على ذرة شبه من ذلك الذي زعم بوجوده بعض من كتبة التقارير الهادفة إلى إقصاء زملائهم من العمل وحذفهم من الحياة، في أسوأ الأحوال، فقد وجه بوقف المهزلة وعدم التعرض للشاعر عبدالله الدويلة، والفنان التشكيلي الكاريكاتوري الذي رسم الوجه، والمخرج الفني لصحيفة «١٤ أكتوبر».

وكان على أولئك الذين نجوا برؤوسهم أن يشكروا الوزير طيب القلب، والقيادة الحكيمة على رحابة الصدر، وبُعد النظر!!

كان ذلك بعض ما يحدث في عهد التشطير البغيض الذي ما انفك يرزح على الصدور بأسوأ ما فيه وما زال يستعاد ويتكرر بأبلد وأعنف وأشد مما كان بفعل الجهل النشط والمتوقد بذاكرته الجبارة، وقوة سلطة عاداته الراسخة في القمع والمصادرة وما يرشح عنها من استلاب يشل فاعلية الرأي وصاحبه ويكبس عليه تحت سقف من طموح لا يتطلع إلى أبعد من القبول بقمع مخفف ولذيذ، وانحشار في دائرة الإذعان لمنطوق المثل القائل: «فجِّعه بالموت يرضى بالحمى».

من هنا تكاد تنعدم الفسحة التي تسمح لمن ينجو برأسه بالدعوة للتحقيق مع من ألحقوا به الضرر، أو المطالبة بتعويضه وإعادة اعتباره، ومن أين له ذلك وقد آل إلى عبد لما كان قد عَبَد، وضحية للاستيهامات والأوهام والهذيانات التي أسهم بإنتاجها وفشل في امتحان الكشف عن

ضباب بخورها.

ففي حين كان هذا الضحية يستلب ويصادر باسم «الثورة» و«الحزب» و«القائد الرمز» -جنوباً- ويقمع ويصادر وينهب باسم «الثوابت» و«المصالح العليا» و«القائد الضرورة» -شمالاً- فقد أصبح اليوم يضرب باسم ورسم «الوحدة» التي شارك بنسج أردية القداسة حولها، ومضى في غيبوبته وسط كرنفال الأوهام، وافتتانه بالزبدة الناتجة عن خلط الوحدة بالواحد، ومزج الديني بالسياسي، والانخذال والعجز المبين أمام الحاكم الواحد القهار، مالك سلطة القمع والتحريم، والأب القادر والرحيم، والمتحكم بالأعناق والأرزاق والمناصب، والذات المتعالية والعظامية التي تعتبر نفسها ظلاً لله على الأرض أو خليفة و... إلخ.

والحال أن من أسهم في إنتاج هذه التمثلات أضحى مدعواً إلى امتلاك حساسية تؤهله لنقد ذاته أولاً، وتمهد له سبيل الانخراط في ممارسة أوسع تستهدف إزالة الهالة المقدسة عن أشخاص ومؤسسات وممارسات السلطة السياسية على اعتبار أن ذلك خطوة ضرورية لأي مشروع ديمقراطي، والشرط القَبْلي لتحقيق الحداثة السياسية، ثانياً.

● «النداء»، العدد ٤، الأربعاء ٦ أبريل ٢٠٠٥

نافذة

منصور هائل

٢ تساوي ١

تبسمت في وجه الزميل «أبو بكيل» بعد انتهائي من قراءة سريعة للمقابلة الصحافية التي أجراها رئيس تحرير أسبوعية «الوسط» مع بدر الدين الحوثي -الأب لقائد «التمرد» على الحكومة في صعدة العام الماضي، والمرجعية الكبرى للزيدية في اليمن- ويقال الشيعة تبعاً لاختراع اقتضته الحاجة السياسية الاعلامية اليمنية، وغذته الاجواء التي جعلت من النجف بؤرة لاستقطاب مراكز صناعة الرأي والقرار في العالم، والمناخات التي قفزت بالشاب الشعبوي الناري مقتدى الصدر إلى قلب الصحن الحيدري، وكادت تغويه بقلب الصحن على رأس الشيعة والسياسية والعراق، وطالت بأثرها اليمن حينما استولدت النظير الشبحي لمقتدى (حسين) واستدخلت صفة الخصم في سوق التداول الكلامي السياسي والاعلامي بضرب من الاستبدال المخاتل لموقع «الأخ» في المذهب «الزيدي» بموقع «الآخر»، والعدو النازع لاختطاف النظام الجمهوري بقدر فادح من التماهي والتفاعل الكيميائي السحري مع وقائع النجف وكربلاء، وغيرها من مناطق «الهلال الشيعي» المحتمل، إستذهاناً وتوهماً، والكفيل بإثارة انتباه الامريكان إما كفزاعة أو ضالة!

ورب مقابلة صحافية فجرت حرباً، وأتت بالأب الكهل إلى موقع القيادة عوضاً عن النجل الشاب الذي اعلنت السلطات مصرعه، واحتفظ الأب بإنكاره لذلك، لأنه لم يتسلم جثة إبنه، ولم يتيقن إلى التحاقه في درب الخلود و«الشهادة»، كأنجاله الثلاثة الذين ذهبوا في ذلك الدرب حسب المقابلة.

وتبسمت في وجه صاحبي، وتكتمت خاطرة نطت إلى ذهني لحظتها لتحريضي على النظر إلى المحنة وهي منقسمة على اثنين يتنازعان مشروعية كرسي الحكم، ويذهب كل منهما لتأكيد حقوق

ملكيته «الشرعية» الاستناد لنصوص يرجع قسم منها إلى نيف و١٤ قرناً، والقسم الآخر بضعة أعوام وأربعة عقود.

واستعدت نصيحة صاحبي: اقرأ المقابلة!!

وقرأتها بعجالة ولم يلفتني أمر اندلاع الحرب عقب نشرها بأيام معدودات بقدر ما لفتني إذعان «الأب» للمواجهة كقدر لا راد له، ولفتني أكثر اندفاع كل طرف إلى المواجهة بنفي كل ما هو واقعي عن الواقع، بما في ذلك اشتراطات السياسة المعطوبة وصراع المصالح الذي لا يحول دون تقاتل أبناء المذهب الواحد، ولا يلزم الحاكم الزيدي، لانتمائه المذهبي، على خوض معركة مع «رمز» للمذهب الزيدي، برفع يافطة «الشيعة» وتكريسها إمعاناً في استثمار انجذاب الأنظار والأذهان للغليان في جنوب العراق، وتساوقاً مع انتظارات ما سيأتي من جنوب لبنان ومن إيران.

وبمنأى عن التشوش بالغبار الطالع من الخراب الكبير ومن التآكل المستفحل في البلاد على خلفية هذه الحروب والحرائق، وعن الانئسار بمنطق الثنائية القاتلة والذهنية المعتقلة بمنطق «مع» أو «ضد»، ينبغي الإنصات لصوت الشواهد الذي يقول بأن محنة الـ٢ ليست حاصل جمع ١+١، بل إنها الواحد في نواته الصلبة وهي تنفلق لتأكل نفسها بشراسة أكبر، ضمن دورة التدنصر.

.. وهي محنة الـ«تو/٢» بما هي أو هو واحد وإن نطق بلسان «الكهل» ليقول بأن ولدي هو الأطهر والأصدق والأتقى والأوثق والأنقى، أو نطق ليقول نفس المقال بلسان رئيس الجمهورية ومتعهد ثورة الدبابة والرشاش والمدفع.

وهو الواحد المنطوي على إنكار «الآخر» وإقصائه بأتكائه على امتلاك «الشرعية» والحقيقة والعصمة و«الثوابت» المقدسة والمشخصنة.

الواحد الذي يرفض ويلفظ من يزعم بأولوية الولاية لمن يتحدر من أحد «البطنين» لأنه يريدها لمن جاء من صلب ظهره كمساير لعصره.

إنه الواحد، والواحدية الطاعنة في ثقافة الما قبل: القبيلة العشيرة، المذهب، وما يتفرع عن مصفوفة الما قبل من عناوين وأفعال قتل واحتراب تغذيها العصبيات على اختلاف تلاوينها وأرديتها..

.. وأخيراً.. ربما أفضت بنا هكذا مقاربة إلى شرفة أوسع لرؤية (الآخر) فينا كنقطة انطلاق إلى (الآخر) الخارج عنا في المكان والزمان، وابتداء الحياة.

● «النداء»، العدد ٥، الأربعاء ١٣ أبريل ٢٠٠٥

نافذة

منصور هائل

يرحمكم الله!!

توحد معظم شركاء وفرقاء السياسة اليمنية على لؤم بغيض تجاه شعب العراق والكويت وشعبهم وأنفسهم!

وتجلت وحدة هؤلاء بوقوفهم مع «السيد الرئيس»!!

.. «الرئيس الرومانسي» صدام حسين الذي منح لمشائخ اليمن في القبائل والأحزاب مقاعد للدراسات الجامعية، وتحصيل الماجستيرات والدكتورات، وأموالاً لتدبير وتأليف أحزاب بعثية وانقلابات وثورات إن تيسر أو تعسر.... و..... يرحم الله (صدام) من قصره إلى أسره، مروراً بالحفرة، ويرحم الله هؤلاء الذين يزعمون بالسياسة في اليمن ويقفون مع ذلك «الرئيس الرومانسي» الذي أرسل فرقة خاصة لجلب المسودات الأخيرة من روايته «اخرج منها أيها الملعون» لينهض بواجبه في صد العدوان ويرفع الغمة عن «الأمة» من ثنايا رواية تقصد إخفاء أسلحة دماره الشامل فيها.

ويرحم الله النخبة السياسية في السلطة والمعارضة اليمنية -أغلبيتها الكاسحة طبعاً- التي مازالت تربط عروبة العراق بالنظام السابق وأتباع صدام، وترفض الاحتفاء برئيس عراقي جديد، وكردي، وتمارس النكاية والكناية والتورية والمجاز في الحديث عنه كجلال طالباني من خلال ربطه وعطفه وجره إلى ماضي الأمجاد كـ«حفيد لصلاح الدين الأيوبي».

يرحم الله هذه الحركة السياسية اليمنية في السلطة والمعارضة، من حكامها إلى رئيس مجلس الشورى في أكبر أحزاب معارضتها معارض ومعالج لـ«الإيدز» بالتعاويذ والتمتمات والتفالات وبعض من قصار السور، وإلى حزب مخنوق في «حفرة» التدبير لأمين عام كبديل عام يصر على الاستقالة، ويرفض تكرار الرحيل كقتيل أو «انقلابي» و... و... إلخ من هؤلاء المرحومين الذين لا يرحمون أنفسهم.

● «النداء»، العدد ٦، الأربعاء ٢٠ أبريل ٢٠٠٥

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

دفاعاً عـن يهـود(نـا)

يقـول الحاخـام الأكبر للطائفة اليهودية اليمنية يعيش بـن يحيى -(٧٥ عاماً)، زار إسـرائيل مرتـين، كما عاصـر هجرة اليهـود اليمنيين الكبرى إلى إسـرائيل أواخـر أربعينيات القرن الماضـي «عمليـة بسـاط الريح»- إنه بعـد عودته من آخر زيارة لإسـرائيل «اعتقلته السـلطات اليمنية لأكثر من عامين واتهمته بالتجسـس لصالح إسـرائيل ووجدت معه أجهزة ومعدات تنصت» صحيفة «النهار»، ٢٠٠٥/٤/٧م.

ويرجع يعيش أمر تجمع اليهود في ريدة إلى رغبتهم في إقامة الصلوات والأعياد والسبوت، مشيراً إلـى أن بعـض اليهود يذهبون إلى إسـرائيل لزيارة أقاربهم، وأنه هو الآخر كان سـافر إلى إسـرائيل مرتين لزيارة أقاربه «ومنهم أولادي وبناتي»، وأن إسـرائيل كلها «مريحة» عدا مسـألة «الشرف»؛ «إذ لا تسـتطيع أن تفعل شـيئاً، حتى لو رأيت زوجتك أو ابنتك تعاشـر شـخصاً آخر، وهذا يخالف تقاليدنا وطباعنا كيهود يمنيين».

عجبـي، كيـف يعتقل مثل هـذا اليمني القح والأصيـل والحريص كغيره من اليمنيـين اليهود على العودة إلى بلادهم «الأصل» اليمن.

ويكشف يعيش عن باطنية يمنية وعروبية أصيلة ومقيتة عندما يقول بأن اليهود اليمنيين يذهبون إلـى إسـرائيل عـن طريـق الأردن أو مصر مـن خلال تصريح يمنح مـن قبل السـلطات، ولا يختم على الجواز اليمني ختم دخول أو خروج لإسرائيل، وكأنما القصد من ذلك هو الحفاظ على طهارته، وعلى نقاوة القول الوارد فيه بشأن السماح لمن يحمله بالسفر إلى كافة اقطار العالم عدا إسرائيل.

وعموماً، يتضح من كلام الحاخام العائد إلى موطنه «الأصل» أنه لا يختلف عن أي يمني «أصيل» إلاَّ بحرمانه من الاكتساء برونق الأعراب من القبائل، والتمنطق بسلاح الأصالة والفحولة اليمنية المتمثلة بـ«الجنبية» لأنه من أهل الذمة ولا يصح للذمي أن يتسلح حتى بالجنبية، كما يقول العيلوم سعيد، وهو من أبناء هذا «الوطن» الديمقراطي.

اللافت أن اليهودي اليمني والمسلم اليمني يتحدان في الأصالة و«الشرف» وفي تفكيرهما وآليات اشتغاله وأوامره التي تنتهي بهما إلى تكفير بعضهما أو من يختلف معهما في الرأي حتى لو كان من نفس الدين.

إنهما واحد في التعصب الأعمى بدليل ما حدث قبل أيام عندما اتهم أربعة من يهود ريدة بإفشال اجتماع قيادات الحزب الحاكم الذي انعقد في ديوان محافظ عمران التابع للمجمع الحكومي.

وتقول «النهار» -٢١ أبريل- إنه عندما ألقى المحافظ كلمته الترحيبية برئيس فرع المؤتمر الشعبي وقيادات المؤتمر بالمحافظة، واليهود الأربعة، ومنهم العيلوم الشاب فائز الجرادي -مدير مدرسة التلمود والتوراتية- انفجرت الزوبعة وهددت أغلبية الحاضرين بمغادرة الديوان، ولم تخرسها ذريعة المحافظ عندما حاول تهدئة الموقف بالقول إن حضور اليهود لم يكن مقصوداً، وإن الأمر لا يتعدى قيامه بدعوتهم للتخزينة، مؤكداً أن صدر المؤتمر مفتوح للجميع.

وانتصرت الأغلبية وقطعت دابر الاختراق اليهودي، والمطامع الإسرائيلية في الحصول على الأسرار الخطيرة أو أفكار الدمار الشامل لدى الحزب الحاكم عن طريق جلسة «تخزينة».

وانكسرت خواطر يهودنا الأربعة، وخرجوا يجرجرون أذيال خيبة تمتد إلى قرون، وينطوون على انكسار ما كان بالإمكان جبره بمجرد «تخزينة».

وكانت «النهار» والعديد من الصحف الداخلية والخارجية تطرقت إلى شكاوى معظم الأقلية اليهودية من إهدار حقوقهم، ومن غياب الجهة التي توصل صوتهم إلى الدولة أو تتابع حقوقهم.

والخلاصة أن الوضع المزري لليهود اليمنيين مشهد على «عنصرية» ويفيد بأن إسرائيل ليست وحدها من يحتكر هذا الامتياز البغيض، ويدفعنا إلى الوقوف مع هذه الأقلية انتصاراً لقيم الحياة والديمقراطية وإخوتنا في فلسطين المحتلة ١٩٤٨م ومنهم النائب العربي عزمي بشارة الذي ما انفك يطالب إسرائيل بأن تكون دولة لكل مواطنيها من عرب ويهود، ويدعونا لمؤازرته بمطالبة اليمن أن تكون وطناً أولاً، ثم دولة لكل مواطنيها ثانياً.

● «النداء»، العدد ٧، الأربعاء ٢٧ أبريل ٢٠٠٥

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الرئيس أم السفير أم الحمير؟!

انقطعت سكرة النشوة بحديث رئيس الجمهورية أمام أساتذة وطلبة الجامعة الكورية الجنوبية، عن أهمية الاعتبار بمأثرة وحدة اليمن، والأخذ بخبرتها وما تعنيه من تقديم التنازلات المتبادلة بين الشمال والجنوب، وتغليب المصلحة العليا للشعب في الوحدة، كما فعلناه بالضبط!

وفيما كانت الفضائية اليمنية تكرر ذلك الحديث «التاريخي» بإصرار لا ينطلي على فطنة حمار، فقد فهمت الرسالة من عنوانها الموجه لتهيئة الأذهان وشحذها مع الأسماع والأبصار، تجاه الخبر العاجل الذي سوف يأتينا من كوريا كمحصلة بديهية متأتية عن سريان حديث الرئيس المفجر لمكامن هيجان وتمرد وثورة شعب كوريا على قيادته الشطرية التي انصب عليها غضب ولهب السيد الرئيس، وأطلق في وجهها مارد الوحدة، دون أن يخشى في ذلك لومة لائم، كما فعل هنا بالضبط!

وبدلاً من أن نسمع بذلك الخبر العاجل، تردد في بعض الفضائيات الكبيرة ما يشوش على الأذهان، ويحرف الأبصار، وقيل إن سفير اليمن بدمشق طلب حق اللجوء السياسي إلى لندن، وعبر عن احتجاجه على وحدة ألغت أبناء الجنوب واستباحت أراضيهم، وأقصتهم عن مجال المشاركة السياسية وعن أعمالهم وممتلكاتهم، وشردتهم في المنافي -حسب قوله- لحساب استحواذ الشماليين على مقدرات السلطة والثروة وتأثيث المجال بقصد توريثها لأبنائهم... إلخ.

ورداً على تصريح السفير، أطل علينا المصدر النفسي -يقال الرسمي- المسؤول في الخارجية ليفيد بأن ما صدر عن الرجل من إساءة للوطن والوحدة ليس بمستغرب من رجل يعاني من «اضطرابات نفسية» و... إلخ.

وما كان بميسورنا أخذ كلام هذا المصدر على محمل الجد، لأنه يتحدث باسم حكومتنا وليس عن حكومة أخرى، ونحن أعلم بحال حكومتنا هذه التي درجت على اعتماد المنصب الدبلوماسي كوصفة علاجية للاضطراب النفسي!!

كما نعلم أن سلطاتنا تعتمد هذه الوصفة لعلاج «الاضطراب النفسي» الناشئ عن عزل أحدهم من منصب سياسي وعسكري رفيع، إما بسبب من ملامسته لسقف الملهاة، أو لحظوته بما تيسر من عطف مركز التصريف السوريالي لذوي الاضطرابات: المراجع العليا.

وما كان بمقدورنا التهوين من شأن ما يحدث، والسكوت على تمادي السلطات في تسخيف العالم الخارجي وتحقيره بجرأة تبدت على هذه الشاكلة التي تسفر عن تعاطي سلطاتنا مع ذلك العالم بفائض ما تملك من اضطراب، وهي بذلك لا تتعمد إغاظة هذا العالم، كما يلوح الأمر في ظاهره، وإنما تستر طبيعتها العارية كسلطة لا تمتلك غير هذا المنتج، ولا تسوق وتحتكر غير هذا الصادر: الاضطراب.

وتبعاً لذلك، لسنا بحاجة إلى تصديق ما قال الرئيس، وتكذيب ما قال السفير، أو إلى إنكار الاضطراب، وإن كانت الوقائع الراهنة في عدن تقول بارتفاع أسعار الحمير وإيجاراتها في الأسواق العدنية، وتشهد بثقافة وفلسفة الحمير التي صارت قطعانها تقرع الشارع الرئيسي بالمعلا، لتنعش ذكريات الأيام الخوالي بموضة الكعب العالي المستعاد بإيقاع وقع خطى الحمير وهي تمضي طاعنة في المدينة والمدى وعلى ظهورها صفائح الماء الحالي الغالي الذي لم يعد يصل إلى السكان إلاَّ مرة واحدة في كل أربعة أيام بفضل مسيرة التطور الوحدوي المرهقة.

وثمة ذكريات انفصالية أخرى يمكن أن تتسرب من شقوق الذاكرة العدنية التي يمكن أن تنتعش لديها ذاكرة الجمل و«جاري جمل» التي أضحت عرضة للطمس بفعل سيادة الحمير.. فمن نصدق يا ترى، الرئيس أم السفير أم يوميات المدينة المسفوحة بأنكر الأصوات: الحمير؟

● «النداء»، العدد ٨، الأربعاء ٤ مايو ٢٠٠٥

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

تعالـوا نفكّـك أبــي «الرعــوي»!

يعلـم الله، الخالق من «الشـبه أربعين» ومن أشـباه أبي «الرعوي» ملايـين أن المصادفة قادتني قبل أمـس الاثنـين إلـى مقر نقابـة الصحافيين، وهنـاك تضامنت مع أصحابـي ضد أبي، وهتفـت مطالباً بتفكيكـه -أبـي طبعاً- وكانت نبرتـي مرتفعة دونما افتعال، لأنها نابعة عن وجع وخبرات غير سـارة تراكمـت فـي عمر شـخص جاوز «سـن النبوّة» وهو منكبس تحت سـقف الأب، ومنحبـس في الدائرة المغلقة لسلطته.

كانوا يتوارون خلف قناع غير مقنع من الحديث عن «رعوي» (آخر) وما كان لتمويههم أن يزعزع من رسوخ قناعتي وإيماني بعدم وجود «الرعوي/ الآخر» وبسيادة «الرعوي» الواحد: أبي طبعاً.

ربمـا كان المعتصمـون يراعون مقتضيات الكياسـة والدبلسـة وهم يتحصنون باسـتعارة «رعوي» آخر ليحملوك على أن تفرض -مثلاً- أنه رئيس مجلس إدارة مؤسسة الثورة ورئيس تحرير صحيفة «الثورة». وما كان لتلك الخدعة أن تنطلي على واحد مثلي، أو أي واحد «ابن أبيه»!!

وكيـف للخدعـة أن تنطلـي على من سـلخ عمره، وانسـلخ جلده، وسـفح الدم والدمـع وهو يتجرع ويتشـبع بحليـب طاعـة الأب وأوامره التي تملي عليـه بأن يقنع بالحاصل الباطل، ويمشـي بانحناء تحت الجدار المائل، وأن يمتنع عن الدفاع عن نفسه تجاه من يؤذيه إذا كان من ذوي الوجاهة والنفوذ، وأن يعتذر حتى عندما يركل ويلكم ويرجم من قبل ذوي الجاه والسلطة.

عفواً أيها الزملاء المعتصمون إن لفتكم استغرابي تجاه الزعم المنسوب للأستاذ «الرعوي» -رئيس مجلس إدارة مؤسسـة الثورة ورئيس تحرير صحيفة «الثورة»- وتكذيبي لما نقل عنه من قول بشـأن

الضرب الذي استهدف زميلين من صحيفة «الثورة» من قبل محافظ الضالع وعسكره.

والحق أن تكذيبي لما سمعت من أقوال منسوبة لرئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية مرموقة لا ينبع من خشيتي على ضياع حق ملكية أبي، وحق احتكاره لكلمات لا يمكن أن تصدر عن غيره، أطال الله عمره.

ولأني أحفظ أبي بحذافيره، فإني أعلم تماماً أنه المؤهل الوحيد لإقناع ابنه الصحفي -شخصنا مثلاً- بالذهاب لمقابلة محافظ الضالع مرة أخرى، ومباركة قراره الحكيم على ضربي، وموافقته على أن الخطأ يرجع لمروري في الوقت الخطأ والمكان الذي تبرمج كموقع لضرب صحفيين أشرار من «الأغيار» في المعارضة، وكان أن مرت «الثورة» بدلاً عن «الثوري» وجاز ضرب «الثورة» تبعاً لقرار اتُّخذ سلفاً وما كان بمقدور مراكز القرار القبول بسقوط هيبتها بالتراجع عما اتخذت من قرار.

ثم إني شممت رائحة أبي في ما سمعت، فهل يقنعكم هذا وتصدقونني أيها الزملاء إنْ قلت إن الكلام الذي سمعت ونسب لرئيس تحرير لا يمكن أن يصدر عن شخص غير أبي؟ ولا علاقة لذلك بالتخاطر -التيلباث- ولن يتجاسر الوالد على التخاطر مع رئيس تحرير صحيفة كبيرة تأخذ بآخر تقنيات ما بعد الظهر -العصر كما يقولون- وتصدر في العام الخامس من الألفية الثالثة.

ولأني من العارفين بالنار بحكم اكتوائي واشتوائي بها وفيها، فسوف أواصل إصراري وتنكري واستنكاري لما تردد من كلام أعلم أنه يمكن أن يصدر عن «رعوي» بدرجة أبي وليس عن «رعوي» بدرجة رئيس تحرير.

وأخيراً.. هلموا بنا أيها الزملاء نفكك سلطة أبي، ونزحها وننزح عنها لنتحرر ونكتشف أنفسنا ونبدعها بمنأى عن سلطة الأب المتمادية في حضورها وطغيانها وعنفها واستبدادها، وهي سلطة تصادر حرية الحركة والسير، ناهيكم عن حرية التعبير، وترسخ بذهنية قروسطية طاعنة في رعويتها!

فهلموا بنا نفكك سلطة أبي هذا وإن تلبس أو تأبلس بدرجة رئيس تحرير أو درجة وزير، أو درجة رئيس حزب، أو رئيس جمهورية. سلطة الأب وإن تمسكن وتمكَّن منا وهو في حلقه وداره ومرعاه.

● «النداء»، العدد ٩، الأربعاء ١١ مايو ٢٠٠٥

نافذة

منصور هائل

نظام القارورة

يبدو أن سؤال القارورة هو سؤال النظام الحاكم الذي يدعونا إلى البحث عن مفاتيح الجواب عليه من خلال قراءة معمقة لكتاب جغرافية المعنى لمنطقة «المفرق» الشهيرة كمنفذ لدخول الخمور المهربة إلى اليمن.

وتبعاً للقراءات المفتوحة على تجسير الفجوة بين المفارق و«المفرق» يمكن السؤال عن قارورة النظام أو نظام القارورة المخيف في سلطة تخفيه، والحاكم الغاشم في تواريه وإخماره وحجبه، وفي تغذيه على أعشاب الظل، وحطب الليل.

وحتى لا نذهب بعيداً في استقصاء نظام القارورة هذا لا بأس من الإقرار بأن القوارير ومشتقاتها -النساء وزجاجات الخمر- شكلت قسماً كبيراً من الغطاء التبريري لتصفية الرئيس إبراهيم الحمدي، صاحب المحاولة الجسورة في إقامة دولة، واجتراح وطن في اليمن.

المعلوم أن أولئك الذين تعهدوا بتصفية الرئيس الحمدي، ومحاولة الدولة، كانوا من الرموز التي اعتقد الراحل أنه عزلها بالإقصاء في «خمر» المنطقة، وكانوا الأدهى في مزج مفاعيل «خمر» المعقل القبلي بالمفعول الكيميائي للخمرة المسكرة والمخرسة لصوت الاحتجاج والشك والسؤال تجاه جريمة شنعاء اغتالت وطناً برسم واسم القوارير.

هكذا كانت القارورة كميناً ولغماً تموضع لنسف معظم محاولات إقامة دولة في اليمن، وتصفية الكثير من الخصوم في ملعب السياسة من بوابة استخدام المقدس أو استخدام خلطة المقدس بالمدنس، وعبر الاتكاء على جدار الجهل، واستثارة العصبيات التي هاجت ذات يوم لافتراس المطالبين بالدستور

لتصديقها بأنهم دعاة فجور وانحلال و... إلخ.

ولما كانت القارورة تشي وتشع بألوان الغواية والإغراء والفتنة، فقد انسكبت كحجارة لعمارة نظام أضحى يعطي نفسه الحق في بيع القوارير والحق في مصادرتها مع من يشتريها.

وتكوبست أحوال العباد في البلاد التي شيدت عمارة نظامها من نثار وهشيم زجاج القوارير، واستفحلت أزمة هذا النظام الذي ولد لينحبس في عنق زجاجة، وما كان بمقدوره الخروج من العنق خشية من عدم توفره على رمق خارجه، كما لم يعد بميسوره السقوط إلى قعر الزجاجة حيث ينتظره الانفجار بها والتناثر معها.

.. وبالنظر إلى هكذا اختناق وحشرجة أصبح نظام القارورة مفتقراً إلى ما تحتاجه حالته من اكتساء بلؤم قاطع الطريق أو حاطب الليل، وذهب لمصادرة واعتقال الزميل الكاتب عبدالرحيم محسن، الذي قدم البرهان، في ما تعرض له، على تجاور الفقر بالفضيحة، وعلى بلوغ النظام مرحلة ما بعد... الفضيحة.

● «النداء»، العدد ١٠، الأربعاء ١٨ مايو ٢٠٠٥

نـــافـذة

مـنـصـــور هـائـــل

فساد «العائلة المقدسة»

انعتق المراقب العام للدولة من «الانسطال» عندما استقال، ورفض الذهاب مع الوباء إلى الاحتفال، أو الوقوف مع صف النميمة في المنصة، ومواصلة التجوال مع الغثيان، والتصفيق للسخافة، وتمجيد التفاهة والغرق في محيط القبح والبلاهة.

وكان في تقرير استقالته أطلق صرخته: «إن الفساد السلطوي هو الخطر الأكبر على هذه الدولة».

وقد خلص إلى ذلك القول بعد ١٤ سنة من عمله كقاضٍ في المحكمة العليا لسبع سنوات، ومراقب للدولة لسبع سنوات أخرى، ما مكَّنه من الإطلال على مرتفعات الحكم، والتعرف على روائح مطابخ أفعال الحكومة، والسلوك الإشكالي للرجل الأول في الحكم وأنجاله، وجنايات مراكز القوى السلطوية والوزراء وزوجاتهم، وتحول الفساد إلى سلوك منهجي، ونظام عام.

وورد ذلك في سياق تقريره الناتج عن بحوثه المعمقة، واقتناعه بضرورة عرض مقطع من صورة تآكل الدولة بفعل استخفاف أبرز زعاماتها بالقانون، وتغذيتهم لانشطارات وانفصالات «العالم السفلي» عن القانون بإلهام من خروقات السلطات المعنية بفرض القانون للقانون.

.. وتبعاً لذلك التقرير، الزلزال، تداعت الصحافة بأقوال أحالت عيد الدولة إلى وعيد بكارثة، ونذير بخطر ساحق ماحق.

وبرز من يقول: حان الوقت للضرب على الطاولة والقول كفى.. كفى لحياة متفجرة بالروائح الكريهة للكذب والفساد والخوف، وحياة مرفهة من أموال الفقراء، ولكل شعور مترف ووقح بعدم الحياء، وعدم الخوف.

.. «فلا خوف من قانون، ولا خوف من مراقب دولة، ولا خوف من ناخب، ولا خوف من لهيب الغضب المتأجج في جوف كل إنسان نزيه من مشهد الآثام لما يحدث في أروقة السلطة، وفي مراكز القوة، وفي وعي الذاهبين بابتهاج إلى الاحتفال».

و.. «إلى متى نغض النظر إزاء ما ينشر في الصحف، عن فضيحة تتبع فضيحة، وإلى متى سنمسح عيوننا ولا نصدق ما نرى».

.. «فكروا في حال سفير يضطر إلى تسجيل المسؤولين عنه ليدرأ عن نفسه أكاذيبهم، ومدير يقوم بتسجيل وزير لكي يبتزه ويحافظ على منصبه، وزوجة وزير تحشر رأسها بشهوة هوجاء في مكائد ومؤامرات السياسة وفي التعيينات الحساسة، وفي الدسائس واستفحال الانسطال بمظاهر الحماقة والسخرية، والقوة العمياء والعجرفة».

.. «لقد استشرى عنفوان الفساد وكبر الوحش في حضننا الدافئ، وكبرت (العائلة المقدسة) للفساد ولم تعد تعرف الشبع، كما لا تقبل بكل من يتبرم من أهوائها، أو يضيق بجرائمها المنظمة والهادفة إلى توطين الإحساس في أعماق البسطاء بأنهم ببساطة: بلهاء».

كان ذلك غيضاً من فيض ما ورد في تقرير مراقب الدولة الإسرائيلية أليعزر غولدبرغ، وبعض الردود التي نشرت في الصحافة الإسرائيلية وأوردت أسماء الأبناء والزوجات في «العائلة المقدسة» لمؤسسة الفساد السلطوي.

وفي الختام كان مسك الختام هذا الكلام:

.. «التاريخ العالمي مليء بما لا يحصى من الأحداث عن نظم فاسدة، تسببت بانهيار ممالك كبيرة وقوية أكثر بأضعاف من إسرائيل».

■ **هامش:**

مراجع «هارتس» ١١ مايو و«معاريف» ١٧ مايو، والعديد من المقالات التي أعادت نشرها صحيفة «القدس العربي» مؤخراً.

● «النداء»، العدد ١١، الأربعاء ٢٥ مايو ٢٠٠٥

نـــافـذة

منـصــور هائــل

حـافــظ

لـك المحبـة الصادقـة أيها الزميل حافظ البكاري، لأنك أشـعرتني بالأمان وأنـت تتحدث بعقل بارد، وقلب حار.

لـك المحبـة لأنـك رفضت الطفو علـى الزبد المخاتل، والخـادع لأمواج الانفعـالات العارمة، ورفضت التماهي مع طبع الفراشات في التحويم الراقص على اللهب، أو الاحتراق في أتونه، ولم تقبل بإغراء الاشـتغال فـي منطقـة العواطف والأهـواء والاسـتجابة لمنطق «القوائم السـوداء» ومـا يعنيه، أو ما يترتب عليه من خفض لسـقف حرية التعبير، وخنق ما تبقى من هامش حرية الرأي تحت ضغط تيار الخواطـر الهائجـة إزاء مـا حدث مـن ارتكاب قبيح من قبـل الطارئين على مهنـة الصحافة وتقاليدها ووظيفتهـا ودورهـا، وأصحاب الثأر من حاضر حرية الرأي القليل، بغية إعادة اللحظة إلى بيت طاعة مخابئ العنكبوت، وليل الأشباح والأجهزة الأمنية الأخطبوطية الكاتمة لصوت الهواجس، والخواطر والأنفاس والأحلام.

لك المحبة لأنك تحكمت بـ«المكرفون» ولم يحكمك، ولم تذهب إلى الحتف الذي طالما استعجله الكثيرون من أولئك الذين لم يصدقوا باعتلاء المنبر، وركبهم طيش السـلطة، وبطشـت بهم فتنتها وإغواءاتها، واحترقوا بجمرتها ولهبها، وهم سكارى بإلهاب مشاعر «الجماهير» وتفجير ألغام «الدهماء»!

لـك الشـكر أيهـا العزيز لأنك أعلنـت بوضوح أن ما حدث من اسـتهداف لشـخصك وللزميلة رحمة حجيـرة، وهـي زميلتك وزوجتك، ينبغي ألاَّ يدفعنا إلى المطالبة بخفض سـقف حرية التعبير والحرية السياسية، أو إلى الخلط بين حقنا المشروع بالعمل على صياغة معايير أخلاقية تحكم الأداء الصحفي،

وبين المطالبة بضوابط تنطوي على المزيد من القيود المكبلة لحرية الصحافة، وتستثمر أجواء السخط والاحتقان الناشئة عن بداءة «البلاد» للارتكاس بالبلاد!!

شكراً يا حافظ على هذا «الدرس» الذي ما كان لوقعه أن يكون فاعلاً في تأثيره لو صدر عن غير الشخص الذي وضع في فوهة مدفع القذائف الفاسدة -شخصكم-!

والتحية لكل أولئك الذين أنصتوا من أعماقهم لصوت العقل، وكانوا عند مستوى التعقل الإيجابي لأسئلة الراهن بمداها الأخطر، الذي لا يتوقف عند استهداف زميلين بقدر ما يطال جميع الصحافة المتوسلة للحفر المعرفي والتنويري، وحفر أسئلة التنمية والحوار، والتحرر من كافة أشكال التمترس والتخندق والعصبيات الثأرية.

● «النداء»، العدد ١٢، الأربعاء ١ يونيو ٢٠٠٥

إهدار الربع الساعة الأخير

في ما يحول دون علاج اليمن في «الخارج»!

منصور هائل

إهدار الربع الساعة الأخيرة

فيما يحول دون علاج اليمن في «الخارج»!

منصور هائل

■ لم يصبنا النجاح بالدوار ولغتير النفسنا أمام مسؤولية تاريخية

■ التناقض جوهري بين مشروعنا وبين المشروع الامبراطوري الأمريكي

هؤلاء.. الداء:

هـؤلاء الذيـن يذهبون لتلقـي العلاج في الخـارج، كل يوم، وعلـى مدار السـاعة، لماذا يقفون في وجـه الوصفة العلاجية المقترحة من الخارج، لتدارك ما تبقى من الداخل، وبالأحرى مـا تبقى من اليمن في اليمن بأفـق إعادة الاعتبار للحياة وتجديدها كيما تستوي على خط الإنسانية المعاصرة؟

نعـم أولئـك (الرؤسـاء) تحديـداً وجميعـاً، لمـاذا يحجبون الرؤية والعلاج عن الداخل؟!

رئيـس الجمهوريـة، رئيـس البرلمـان، رئيـس الوزراء، ورؤساء الأحزاب والمؤسسات العسكرية والمدنية والشـركات العامـة والخاصة، وجميع أولئك الذيـن يتزاحمون على طائرات "اليمنية" التـي تكرسـت، فـي معظـم حالاتهـا ورحلاتها، كنعـوش طائـرة أو غـرف إنعـاش جويـة لا تنقصهـا غيـر تلـك التجهيـزات المماثلـة لمـا تحتويـه سـيارات الإسـعاف وغرف الطوارئ لتنجز وظيفتها (المركزية) في نقل المرضى إلى مستشـفيات العواصم العربية والغربية.

المعلوم أن جل هؤلاء يخلعون هناك أردية الخفر والحياء، ويتعرون دونما خجل أو وجل، ويذهبون

إلى منتهى الاطمئنان في تعريهم وخاصة إذا ما كانوا في حفرة (الأغيار) من الأطباء النصارى، حيث تتهاوى وتسقط الحجب والحصون، وتخضع الأجساد لمختلف الفحوص المختبرية والمجهرية، ولشتى أدوات الكشف التي تخترق "السوءة، والعورة" وتستطلع خفايا الدواخل والأحشاء الجسدية دونما اكتراث بفارق الجنس بين ذوي الشوارب من الفحول والمحصنات من النساء.

هؤلاء الذين يسلمون طوعاً بسقوط التحصينات والأسوار ومناطق المنع والتحريم المحيطة بالجسد المعادل للهوية والسيادة والوطن -خاصة جسد المرأة- لماذا ينقلبون على الأمور عند عودتهم إلى الديار، ويتحولون إلى حراس أشاوس للعورة والعار، ولا يذودون عن الأرض الآن في مستوى تماهيها واندغامها بالعرض، ولا يرفضون مشورة "الغريب" المسموعة في الديار الآن من قبيل دفع تهمة العيب عن الذات النرجسية الجريحة المتباهية بالدهاء الغبي!

والحال أن هذه الحالة تشهد على استفحال الأفول الضارب في الأرض والبشر، وتشهد أكثر على عجز الإدارة والإدارات المحلية عن وقف تداعيات قوانين التدهور والانهيار النشطة في اندفاعها لالتهام ما يلوح من احتمالات تشي بإمكانية الحياة، أو تعد باستئناف محاولة الحياة الجديرة بالإنسان.

العجيب والغريب أن هؤلاء لا يلتفتون لمغزى وثوقهم بتسليم أجسادهم وأجساد عائلاتهم "الحريم" للطبيب الغريب في الغرب الأوروبي والأمريكي، وهو الكافر "العدو" الذي يستنكفون منه ويرفعون في وجهه أسنة الرماح إذا ما تبدى فاحصاً لمواطن توليد البلاء، وإذا ما ذهب إلى أبعد من ذلك وحذر من أصل الداء والبلاء، وأشار بالبنان إلى الفساد الكبير والكثير الذي ينخر مرافق الحياة العامة، ويلوث الماء والغذاء والدواء ويشرعن استهلاك السلع المنتهية الصلاحية، وغير القابلة للاستهلاك الآدمي، سموماً وسرطنة وإخصاء للأبدان والأذهان.

ويتمادى في لا معقوليته وسوريباليته إلى ذلك المستوى الذي أضحى بموجبه التعادل بين استشراء الإصابات بالزكام والإصابات بالسرطان من الأمور المألوفة التي لا تثير الذهول ولا تحير العقول.

حتى ولو.. مناقصة

ينسحب ما تقدم على حالة المشهد السياسي اليمني الكئيب والبائس وذلك السجال العقيم بين "الداخل" و"الخارج" بعد انطراح استحقاقات الإصلاح بحيوية وإلحاح، وبعد أن تقدمت الدوائر الدولية بالعديد من المبادرات والتصورات لإصلاح أوضاع اليمن كما غيرها من بلدان المنطقة، وبعد أن أعلنت نتائج إخفاقات اليمن الرسمية في امتحان صندوق الألفية وسقطت في ١٤٨ مؤشراً من ١٦ لتحير المشاهير من الفاشلين في الدنيا، ولتبدو في منتهى الإصرار على إفشال المجتمع الدولي الذي يروم

تأهيلها لدخول عتبة نادي البلدان القابلة للتكيف مع ميول ومجريات التاريخ والعصر الراهن.

ولما كان الإصلاح السياسي يشكل البند الأول لمصفوفة الإصلاحات فقد كانت وصفات "الخارج" على درجة عالية من الدقة والوضوح والإجرائية، وما كان لنخوة "النشامى" أن تقبل بوصفات "الخارج" أو تقبل بالإصلاح من أساسه، في مبتدأ الأمر، حيث زعمت الأوساط الرسمية بأنها قد انتهجت درب الإصلاح من وقت مبكر وسابق لمبادرات واشنطن ودول الاتحاد الأوروبي، وزعمت بأنها تملك الوصفات الناجعة لإصلاح النظام الدولي الجديد، وهرولت إلى حد التنطع بامتلاك مبادرات إصلاحية فائضة عن حاجة اليمن، ولا تمانع من تصديرها والتبرع بها مجاناً.

وبدت هذه الحالة اليمنية في غاية الامتناع والاستعصاء على العلاج وما كان من الوارد أن يقبل العالم بحالة مجنون مزنر بأسطوانات الغاز والمتفجرات وأعواد الثقاب ولا ينفك عن التعابث الصبياني بتلك المواد القابلة للاشتعال والانفجار بشخصه وبمن حوله في أي لحظة.

وكأي "ملطشة" أضحى هذا الذي يسمى "النظام السياسي" في اليمن؛ عندما طرق أبواب العواصم العالمية لتسول المزيد من المساعدات والقروض ولم يعد يجد الآذان الصاغية بقدر ما غدت تنهال عليه الضربات المتتالية، وتُقلص عليه المساعدات وتمنع القروض وتربط بشروط صارمة، كانت وما برحت، تروم تأهيل مؤسسات لدولة يمكن التعاطي معها بدلاً عن الجيوب التي "تشفط" معظم الأموال التي كانت اليمن تحصل عليها، وغدا (النظام) أحوج ما يكون للترحيل إلى الخارج والإخضاع لعمليات تشريحية بمنظار علم النفس السياسي، وعلم نفس الأعماق وخاصة بعد أن صار أعجوبة فريدة في الفساد وبرهن على عدم صدقية تلك القاعدة التي تقول بأنه حتى الرذيلة عندما تصل إلى حد معين تكف عن الاستمرار.

ومؤخراً جاء انعقاد المؤتمر السابع لحزب المؤتمر الشعبي الحاكم، شخصت الأنظار نحو عدن، وخابت الآمال والتطلعات بإزاء النتائج التي كانت بمثابة المسخ الذي أتى به ذلك الرحم المظلم، وذلك ما كان، حتى عندما حاول المؤتمر إرضاء "الخارج"، وبالأحرى استغفاله بقبول بعض وصفاته المستعجلة وإخراجها من خلال تصورات قاصرة ومجذومة على غرار ما حدث في أمر تشكيل لجنة لمكافحة الفساد من قبل حزب الفساد الذي أنفق المليارات على عقد مؤتمر، وبلغت فيه قيمة وصول وحصول التاجر على عضوية اللجنة العامة عشرات الملايين.

وكمن اتخذ لنفسه زاوية شديدة الإعتام كيما لا يراه أهل البلد وهو يغمز من قناة "الخارج" ويتمادى في استبلاهه أقر المؤتمر أيضاً تشكيل لجنة للمناقصات.

والواقع أنه في يوم انعقاد المؤتمر نشرت صحيفة "الأيام" حديثاً لنائب السفير الأمريكي بصنعاء السيد نبيل خوري ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م، الذي تمنى على السلطات اليمنية أن "تستطيع إجراء ولو مناقصة عالمية واحدة كبيرة بشكل يتطابق مع المعايير الدولية، ويخلو من الفساد، ويعكس الإرادة

السياسية المعبرة عن جدية" ولأول مرة ربما يؤهل اليمن لدخول صندوق الألفية.

وقال خوري إن "هناك إجماعاً دولياً على أن المشكلة الأولى في اليمن هي الفساد وبالتالي فإن كثيراً من المشاكل الأخرى تتفرع عنها".

وإلى جانب الفساد كمشكلة كبرى وأولى، أوضح خوري أن قضية الحريات وحرية التعبير بالدرجة الأولى تحتل البند الثاني، وتأتي قضية السلاح والاتجار به، وتهديد استقرار المنطقة كمشكلة تالية، بحسب خوري.

اللافت أن المتحدث شدد غير مرة على أن الفترة القادمة حاسمة وشديدة الخطورة، وعبر عن أمله بأن "يأخذ المؤتمر الشعبي زمام المبادرة ويهيئ الظروف لانتخابات تنافسية" و"يأخذ خطوات ملموسة تلفت نظر الأسرة الدولية إلى جدية معالجة مشكلة الفساد في اليمن"، ويصحح سمعة اليمن الملطخة و"بعض الشوائب والممارسات التي أثرت في العام الماضي على سمعة اليمن في الأوساط السياسية والاقتصادية الغربية" يقصد ما حصل من انتهاكات لحرية التعبير.

لقد جاء حديث نائب السفير الأمريكي يوم انعقاد المؤتمر السابع للمؤتمر الشعبي في سياق كل تلك الأحاديث والتصورات التي صدرت عن واشنطن وغيرها من عواصم الدول الغربية، وعبرت عن حرصها على تدارك اليمن، ولكن نتائج المؤتمر بينت أن هذا "الحاكم" لا يستطيع التخلي عن هويته وموهبته وهوايته في الفشل بقدر ما يستعجل إهدار الربع الساعة الأخير من عمره التي كان من الوارد أن تطول لو أخذ بالوصفات العلاجية العاجلة المطروحة من قبل "الخارج" الأمريكي الأوروبي والمؤسسات الدولية المانحة وليس ثمة (عيب) في ذلك، خاصة وأنه كمعوق لا يملك إمكانية وصف الدواء لبلاء كان من ارتكاباته الأعظم.

● «النداء»، العدد ٣٦، الأربعاء ٢١ ديسمبر ٢٠٠٥

انقلاب اليمن على خيانة الشام

منصور هائل

ما كان للخبير في الهندسة السياسية والرئاسية أن يذهب إلى أبعد من محاولة تحريضنا على التفكير بمراجعة للذات من باب القطع مع التراث السياسي الثقيل الذي يلقي بمسؤولية كل الأزمات على الخارج ومؤامراته، والقطع مع الإعلان باشتهاء استعادة زعامة الرهان على التغييرات الدرامية (الانقلابية). فهو لم يتجاوز القراءة التي تقول بكمون الأزمة في الداخل وتوزعها إلى:

أولاً: استحواذ وتفرد بالسلطة، وتغييب للقانون، وتهميش للمؤسسات وتحويلها إلى أقنعة ديكورية، تبريرية للحاكم النزاء وقراراته.

ثانياً: قراءة خاطئة لمعطيات الداخل والمتغيرات الإقليمية والدولية، واندفاع إلى مزالق ومطبات وانهيارات تبعاً لتلك القراءة وما ينبني عليها.

ثالثاً: انحشار النظام السياسي القائم والحاكم في مخنق الفعل ورد الفعل وما يعنيه ذلك من افتقاد للرؤية، وتضبيب للأفق، وهرولة هاربة من دائرة الضغط إلى بؤرة دائرة الضغط.

رابعاً: الارتهان لـ"حلقة ضيقة" وبطانة منافقة، تطوق رأس النظام وتشتله بأزهار الشر، وتوهمه بالتميز والعظمة لتعميه عن رؤية فقراء بلاده وهم يتسابقون على بقايا الطعام في براميل القمامة،

وتصور له أخطاءه كدرر من الحكمة، ومظالمه كآيات عدل وإنصاف وفروسية وشهامة، وما إلى ذلك من رشح جوقة الإعلام الرسمي ولاعقي أحذية الحاكم.

خامساً: الارتكاز على الأجهزة القمعية البوليسية، وإقصاء دولة المدنية والمواطنية لحساب طغيان الدولة الأمنية، وتأثيث "السيادة" بصور (الرمز) بنفي المواطن والوطن.

وعوداً إلى مطلع الحديث لا بأس من القول إننا اختزلنا بعض ما استخلصنا من حديث نائب رئيس الجمهورية السوري السابق، والمهندس الأبرز للسياسة السورية، بعد المرحوم حافظ الأسد، لأزيد من ثلاثة عقود، عبدالحليم خدام.

ذلك ما كان من صدام بعد خروجه إلى باريس، وذلك ما يحدث هناك في الشام وهنا في صنعاء، ولا فرق بين من يقذف معارضيه بتهمة "الانقلاب" كما هو حال النظام هنا، أو من يرشقهم بسهام "الخيانة العظمى" كما كان الحال في الشام مع خدام.

ذلك ما يحدث، وإن كان الحال يقول: "كش ملك" أو"انتهت اللعبة" والرحمة على كل هؤلاء (الحزب الحاكم)، أو الرؤساء (الحاكم الواحد). العلامة الوحيدة على تحقق "الوحدة العربية"، وهي علامة لن تحول دون إنصاتنا لقراءة ما قال عبدالحلم خدام بأفق ما ينفع لإصلاح اليمن قبل الشام، ويعشم أن الحكام هنا كفوا عن رجم خصومهم بـ"الخيانة العظمى" واكتفوا باللعب على أوتار الوحدة، والانهيال على الخصوم باتهامات: "انفصال" و"انقلاب"، وفي هذه التهمة الأخيرة ما يدعو إلى الضحك، لأن السلطة تبدو فيها كمن يتهم المعارضة (المشترك) بالتعدي على حقوق ملكيتها، وتظلمه بلعب دور المستحيل.

● «النداء»، العدد ٣٨، الأربعاء ٤ يناير ٢٠٠٦

شيخ الليل.. أسواق صنعاء ومجتمعها

منصور هائل

صنعاء لا تنام

ستظل صنعاء محكومة بحالة الاضطراب والتوتر والقلق والأرق، ما ظلت معطوفة على "شيخ الليل" ومشفّرة ببصمته، ومستلقية تحت ظلاله الرمادية الكثيفة المحبوكة الالتفاف عليها، والثاوية في أعماقها الأحشائية بالقدر الذي يسمح لها التناوم ويسلب منها النوم، ليس لأنها تتوسد الجمر، أو لأنها تفترش الريح وتلتحف الغبار، أو لأنها أدمنت الحذر وارتقابات الخطر، ونداءات الحرب والنهب وإنذارات صفارات "شيخ الليل" فحسب، بل لأنها مفخخة بكل ذلك، ومشدودة الخناق بالشبكة المرئية والخفية المترامية لسلطة "شيخ الليل" الجامحة لصنعنة مختلف أرجاء البلاد، بعد إخضاعها. بعنت، لعمليات إعادة إنتاج، وتقميشها على مقاس "شيخ الليل".

صنعاء الأقنوم والكيان الحامل لقدر جماعي عابر للقرون برسوه على زمن أسطوري إلهي وماضٍ ذهبي وانخراطه بتاريخ مضطرب، حيث كان ومازال الاضطراب صفة ملازمة، وعلامة فارقة لصنعاء المدينة التي أثارت أطماع القبائل والمحتلين الأجانب (العثمانيين) والطامعين إلى الإمامة الزيدية والحكام اليمنيين الآخرين، وكل ما من شأنه أن يفسر ندرة أوقات السلم والاستقرار التي نعمت بها هذه المدينة،

وتواتر وتكرر عهود العنف فيها وعليها إلى اليوم. حيث تتوزع في صنعاء كل ليلة كثير من الحواجز العسكرية، الأمر الذي لا يمنع تحولها إلى ساحة لتصفية الحسابات القبلية أو السياسية وكأن حضور السلطة المركزية المترافق بالتستر، يضمن الحصانة، وذلك في تناقض ظاهري.

والحق أنه كلما ارتسمت لوحة تاريخية أنثروبولوجية لصنعاء ذات الوجود الثابت منذ القرن الأول للميلاد إلى اليوم، ولم يسبق لهذه المدينة أن حظيت بعرض لأبعادها وأحوال مجتمعها وأسواقها وحدودها التي تمتد إلى خارج أسوارها بجملة حداثية عميقة ورشيقة وحاذقة كما حصل مؤخراً في الإنجاز المبهر وبالأحرى كتاب "شيخ الليل- أسواق صنعاء ومجتمعها" للباحث الفرنسي فرانك مراميه، الذي أبحر في العوالم الداخلية لصنعاء مهتدياً بالقول: من أجل الدخول إلى قلب مدينة، من أجل الإمساك بأكثر أسرارها دقة، ينبغي العمل بأقل قدر ممكن من الحنان وكذلك بصبر يدفع أحياناً إلى فقدان الأمل. على المرء أن يلامسها من دون مراءاة، أن يداعبها من دون كثير من الأفكار المسبقة، وذلك لعدة قرون من الزمن.

ومن هذه البوابة وعبر الترجمة المتسمة بلغة رفيعة، مركبة، وأخاذة، للأستاذ القدير والخبير بالتاريخ اليمني الدكتور محمد السبيطلي يمكن القول بأن الكاتب فرانك مراميه تمكن من النفاذ إلى المدينة وكتابتها بشغف متسائل وكثافة مختزلة أثمرت نصاً بديعاً عن تاريخ المدينة وأسواقها ومراحل تطورها الاجتماعي والاقتصادي ونظامها البلدي، ووضعها في محيطها القبلي، وفي علاقتها بالدولة على المستويات المؤسساتية والسياسية وعلى المستوى الرمزي أيضاً.

وتناول الفصل الثاني علاقة التراتبية الاجتماعية بتراتبية الحرف ضمن محاولة للإحاطة بخصوصيات النموذج المديني، ودراسة التراتبية في أبعادها العقدية وتصوراتها الأسطورية وآثارها العملية في العلاقات الاجتماعية، وبعض أنماط التغيير الاجتماعي على قاعدة المنظومة التقليدية للفئات ذات الأوضاع المحددة.

وفي الفصل الأخير عرض لأسس التنظيم المهني للسوق، وللتغيرات الاقتصادية وعمليات إعادة التشكيل الاجتماعي التي حدثت في الأسواق خلال السنوات العشرين الأخيرة، وكذلك محاولات الوسط الحرفي لإعاقة بروز احتكارات تجارية جديدة بوساطة إنشاء التعاونيات.

وثمة أسئلة أخرى طاولها الكتاب ومنها:

.. هل أصبح شيخ الليل، المسؤول عن الحراسة الليلية للسوق والذي يبدو في عنوان هذا الكتاب شخصية شعارية للأسواق والمدينة، أحد آخر التحولات الرمزية لمدينة ولت؟ وإلام آلت وظيفة شيخ الليل في العهد الجمهوري وكيف حورت ووظفت؟ ولماذا خلعت على صنعاء صفة "الهجرة"؟ ولماذا ازدهرت وتوسعت صناعة صقل النصال وصناعة أغمدة الخناجر، بل وصناعة الجنابي بالدرجة الأولى في عهد الجمهورية وحتى اللحظة الراهنة لتبدو كـ"صناعة وطنية" مزدهرة أكثر من غيرها فيما

انحسرت الكثير من الصناعات والحرف؟ وماذا عن "قانون صنعاء وشيخ مشائخ أسواقها وعقالها" واليهود والبينيان الذين كانوا ضمن مكوناتها السكانية وحراكها المجتمعي، وتنازع الشرعية الدينية مع الشرعية القبلية أو تزاوجهما؟ ولماذا استعادت وظيفة "شيخ الليل" ازدهارها بعد اغتيال الرئيس إبراهيم الحمدي واستمرت إلى حرب ١٩٩٤ ومازالت تتمظهر بشخص "عاقل الحارة"؟ وكيف اثر نشوء المركز الحديث لأسواق صنعاء حول أسوار صنعاء وبالتمركز حول ميدان التحرير على المركز التقليدي لسوق صنعاء المتمركز حول الجامع الكبير؟ وما مبعث الحذر الشعبي من اقتحام القبيلة للسوق واشتغالها بالمهن المحتقرة كالتجارة وقول المثل "كفاك الله شر القبيلي إذا تمسوق"؟

وماذا عن إقصاء الفئات المهمشة: (المزاينة)، و(الأخدام) و(المرأة) واليهود وعن ممثلي الخمس وعن أرض صنعاء وعن طقوس الزواج والأنساب؟

وأخيراً: لماذا على الرغم من التغييرات التي نالت من سوق صنعاء، لا يزال هذا السوق يحتفظ بمركزية رمزية واجتماعية واقتصادية في المدينة؟

وفي الختام لا بد من توجيه التحايا الحارة المقرونة بالتقدير الكبير للمعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء على الدور المتميز والرائع الذي يقوم به في إظهار كنوز ودور التاريخ اليمني، وإنتاج معرفة جديدة وجادة خاصة بهذا التاريخ وأحوال المجتمع المدني.

وتحية للكاتب الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل إنجاز هذه الدراسة القيمة للحياة في العاصمة اليمنية صنعاء واستغرق الكثير من الوقت في قراءة مكوناتها الاجتماعية وأسواقها واقتصادها ومفرداتها.

شيخ الليل وشيخ الإسلام وشيخ الربع وشيخ القطعات وشيوخ الأرباع وصقالو العقيق والعاقل والطوائف الحرفية وأمين السوق والجابي والجنبية، وتفاصيل أخرى كثيرة تستوجب وقفة أخرى.

● «النداء»، العدد ٤٠، الأربعاء ١ فبراير ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

في مهب الحنين لـ«رأس»!!

استدعى الدكتور ياسين سعيد نعمان حكاية ثلاثة من الصيادين كانوا اتفقوا- ذات يوم- على اصطياد (وبر)، واستأجروا سيارة أقلتهم إلى سفح جبل حيث صعدوا وشرعوا في ملاحقة أول (وبر) وقعت عليه أنظارهم، لكنه استشعر خطر القنص، ولاذ بكهف جبلي.. وإلى هناك توجه أشجعهم ودس رأسه في فوهة الكهف يستطلع زاوية اختباء الوبر طويلاً في وقفته، ما أثار مزيجاً من مشاعر الاضطراب والقلق والخوف لدى رفيقيه اللذين صعدا لإنجاده بعد أن زهقا من مناداته من غير أن يلتفت نحوهما..

حينما انتزعاه من فوهة الكهف تفاجآ به وقد صار بلا رأس.

وتلاطمت بهما أمواج الحيرة والارتباك والذهول، وحملق كل منهما في الآخر وتقاذفا السؤال: قبل أن نأتي إلى هنا، وقبل أن يتقدم رفيقنا الجسور لملاحقة الوبر هل كان برأس أم بدون؟!

هرش الأول رأسه وهو يردد: الحقيقة.. الواقع أني لست متأكداً أنه كان برأسه أم لا، ولست في وارد المجازفة غير المسؤولة.

- نعم لماذا نجازف؟! وماذا سنخسر لو سألنا السائق الذي ينتظرنا عند السفح؟

كان السائق يحملق فيهما مذهولاً وهما يحملان صاحبهما، وزاد انبهاره فيهما عندما توجها إليه بسؤال رأس رفيقهما وفيما إذا كان شاهده أثناء رحلة الوصول إلى الجبل في الصباح.

أجابهما مذهولاً: إذا كنتم وأنتم رفاق دربه لا تريدون المجازفة بتأكيد واقعة امتلاك صاحبكم لرأس

من عدمه، فكيف بالله أستطيع الشهادة على وجود رأس لم يستقر في عيني وذهني، وأنا الذي كنت مشدوداً للنظر في الطريق الوعر؟!!

اتفقوا على سؤال زوجته عندما يصلون إلى منزله، وسألوها لتجيبهم وهي مبهورة: الحق أني لست متأكدة من أمر رأسه، وإن كنت أتذكر أنه كان يلبس طاقية في الأعياد.

والحكاية أن الدكتور ياسين استدعى هذه الحكاية أثناء الحديث الذي دار عن مشروع «المشترك» للإصلاح الوطني قبل بضعة أسابيع في منتدى التنمية السياسية الذي يرأسه الأستاذ القدير علي سيف حسن. ويومها أوضح الدكتور ياسين أن «القوى الوطنية، أو قوى الحداثة السياسية مدعوة لأن تتعلم الدروس من إخفاقاتها، وأن تكف عن تسليم رأسها، كما دأبت دوماً، إلى كهف القوى التقليدية»، مشيراً إلى أن القوى الحديثة كانت تفلح، في كل مرة، في أن تخسر رأسها بجدارة، وقد حان الأوان -بحسبه- لتدبر الوسائل والأدوات اللازمة للحيلولة دون إهدار هذا الرأس!!

كان لافتاً أن الدكتور ياسين يريد استدراجنا للتفكير ويتقصد تحريض رؤوسنا وبالأحرى عقولنا واستنفار قدراتها -إن وجدت- على اعتماد القراءة العقلانية النقدية للخبرات والتجارب التي صاحبت مسار فرقاء السياسة اليمنية وخلفت ملعباً سياسياً مخرباً.

كان الدكتور يقترح علينا بتواضع حكيم أن نستند إلى مثل تلك القراءة بأفق التجذر في الحاضر، وتحريره من سجن الماضي وقيوده وتحاشي الانجرار في مجرى العادة التي طالما انتهت إلى حصاد الرؤوس وافتقادها من بوابة التمترس والتخندق والسقوط لحساب رفع الأحذية الغليظة.

وكان من شأن حديث الدكتور أن يضعني في مهب الحنين لرأسي الذي افتقدت، والحاجة لرأس بديل أو إضافي كيما أتفكر في أمر «المشترك» وأتمكن من وضع رأسي -المستعاد طبعاً- على فوهة الكهف وتفحص الزاوية التي يرقد فيها الفك المفترس متحيناً الفرصة لقضم رؤوس «القوى الحديثة» التي لا نستطيع التكهن بمكان وجود رأسها أو رقوده ولا نملك جرأة المجازفة على القول بثبوت رؤيته وكأننا لم نبارح بعد جوف (الحكاية).

● «النداء»، العدد ٤٣، الأربعاء ٢٢ فبراير ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

ليس «شوروقول»

لم تعد مسألة وصول تيار الشيخ عبدالمجيد الزنداني إلى الحكم في اليمن إلا مسألة وقت، شريطة أن تجري الانتخابات بشفافية ونزاهة، وأن تحتكم جميع الأطراف لنتائج صندوق الاقتراع.

وإذا كان كاتب هذه السطور يدعو إلى تفهم هذا المعطى واحترامه، فليس ثمة ما يدعوه إلى الكذب بالقول إنه سيكون سعيداً بتلك النتيجة التي لا تفرض علينا الالتزام بها كخيار بقدر ما تحرضنا على قراءة ما يحدث، في إطار اندراجه بالتباسات غبش الديمقراطية والحداثة في اليمن، وهو غبش مؤثث كمرقد للعاصفة المتوسدة على الخرافة التي غدت بمثابة حقيقة في هذه البلاد، في ظل ما نعيش.

في هذا المنحنى يمكن قراءة الحوار الأخير لرئيس الجمهورية مع صحيفة «الحياة» حيث تبدت استجابته لمنطق التطورات في المنطقة واضحة وجلية، وتبين أنه لن يقف عقبة في وجه انسياب وتدفق تيار تداعيات الأحداث والوقائع المتتابعة على خط الشريط الانتخابي الممتد من إيران وفلسطين ولبنان مروراً بمصر والعراق، وهو شريط مفتوح لاستيعاب صعود الإسلام الراديكالي في بلدان عربية أخرى، ومنها اليمن المعروفة كحاضنة رئيسة لهذا الصنف من القوى التي تنمو وتترعرع بين جناحي الاستبداد والولاءات العصبية، وتزداد عنفواناً وعنفاً بتأثير عوامل الخارج وقواه بتلك الصور التي طالما بدت تتوسل الانفراج، أفضت في كل مرة، إلى انفجار.

وفي ضوء ما صدر عن رئيس الجمهورية الذي كان في مقدمة المباركين للقيادة الفلسطينية نجاح الانتخابات، كما تقدم غيره من الرؤساء في دعوة الفصائل الفلسطينية، وفي مقدمتها الحزب الحاكم «فتح»، إلى الأخذ بالخيار الديمقراطي.

وبالنظر إلى تأكيده بأن الديمقراطية ليست «شور وقول»، وتجديده التأكيد على التخلي عن كرسي الرئاسة التزاماً بالخيار الديمقراطي وقطعاً لدابر الملل، وتحذيره من تكرار ما حدث في الجزائر.. تبعاً لذلك.. ترى هل سيتمثل المؤتمر الشعبي منطق رئيسه؟ وهل بمقدوره أن يكون بعض «فتح»؟!

أما فيما خص الزنداني، وبمعزل عن النظر إلى احتمال صعوده، بالاستفادة من الظلال الحانية للسماحة الرئاسية أو الانحصار على موازين القوى الداخلية والواقع المتزايد بؤساً وقتامة ليزداد معه الطلب الاجتماعي على التعويض على القيامة، وعلى المثال واليوتوبيا، فلا بأس من النظر إلى افتراض ذلك الصعود على خلفية المشاركة الأمريكية النشطة للإدارة الأمريكية التي تدفع بذلك التيار إلى احتلال ملعب السياسة عبر سلسلة من المواقف والتحركات وآخرها مطالبة السلطات بتسليمه.

ذلك ما سنحاول مقاربته في الأسبوع القادم.

● «النداء»، العدد ٤٤، الأربعاء ١ مارس ٢٠٠٦

نـــافذة

منـصــور هائــل

أمـــــل

تدخلت «أمل» لتقطع خط التداعيات الخاص باحتمالات صعود تيار الشيخ الزنداني إلى الحكم من طريق الانتخابات الحرة، وتفرض علينا إرجاء التأمل في منطقة ملغومة ومتفاقمة الخطورة بدرامية لا تسمح بترف «التنظير» أو التحديق البارد في كرة لهب تتقافز بتفلت شره لالتهام الملعب وحرق المجال المتاح للنظر، خاصة بعد أن تعرض الشيخ الزنداني لمحاولة اغتيال يجب أن تدان بقوة من قبل الفعاليات السياسية والمدنية اليمنية المدعوة لإدراك التبعات الكارثية التي كان -ومازال- من الوارد أن تترتب على مثل هذا الفعل المشين الذي هدف إلى استعجال الزج باليمن في أتون الجحيم.

وتدخلت «أمل» بخبر عاجل ينتصر للحياة ويستوجب التوقف.

فتحية للأستاذة القديرة أمل الباشا، رئيسة منتدى الشقائق، الناشطة الفاعلة في مجال حقوق الإنسان والحقوق المدنية والشخصية التي ما انفكت تتأكد وتتجدد من باب الاختلاف الخلاق عن السائد العفن والمتفسخ، والاستثناء الضوئي في ليل الأشباح وفي قلب العتمة المدلهمة، والجمال في تجليه الإبداعي المهور برونق الاعتراض على القبح والبشاعة والتسبيح القيامي والجماعي بحمد الظلام.

تحية لأمل الإرادة المتوقدة لاجتراح الحياة بأمل بشوش يختزن طاقة الفعل الجسور والانطلاق على أجنحة المغامرة التي طالما دفعتها إلى سلك الدروب الوعرة والخطرة وغير المطروقة، واقتحام المسكوت عنه والممنوع والمحجوب بأردية العيب والعار والعورة والحياء المخاتل والقاتل.

ذلك ما كانت عليه وهي تنطلق إلى عمران بغيرة لا تقبل أن تداس وتذبح زهرة السوسن أمامها

وترفض أن تذعن أو تتساكن مع ما يحدث من ارتكابات تسفح براءة الطفولة، وتشهد على استفحال فحولة معطوبة وتدميرية، وارتفاع صوت البلاغة المروعة لمنطق الاغتصاب وسفك الدماء والحياء والكبرياء والكرامة وهو منطق لم يعد يكتفي بتخليف الطفولة والأنوثة ثمار اغتصاب وإنما يتمادى في إزهاق المهمش وتهميشه ومصادرة صوت وجعه وأنينه وشطبه.

.. لا شك أن بلاغة الاغتصاب هذه التي نشهد ونسمع تتغذى من مصفوفة العيب والعورة والفضيحة وإلى آخر ما في هذه المصفوفة التي طالما استغلت واستثمرت من قبل أشاوس الاغتصاب، وطالما أخلت سبيلهم طلقاء في الظلام وفي الحرام على خلفية جدار صمت المجتمع وتخاذله وتواطئه وتجريمه للضحية في أكثر الأحيان والأحوال.

.. لكن ما حدث اليوم يشير إلى مستجد لافت ومثير تدشن بفعل أمل الباشا التي كانت منظمتها (الشقائق) أول جهة مدنية تدين الجريمة وتزور الضحية وتتبنى مقاضاة المجرم الذي اغتصب سوسن ذات الثمان سنوات وهو المجاوز للستين.

وكما تستحق كافة منظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام التي استنكرت الجريمة وتفاعلت مع الحدث، كل التقدير والثناء فإن صوت الأمل الطالع بقوة، هذه المرة، كان من التأثير ليحضنا على التفاؤل بتباشير لحظة مختلفة، وغدٍ آخر ينطوي على وعد بلجم طغيان الاغتصاب الشامل للحياة والأحياء من الكائنات الآدمية رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً... إلخ.

نعم إن صوت الأمل هذ جدير بالاحتفاء.

● «النداء»، العدد ٤٥، الأربعاء ٨ مارس ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

الحفرة

أفضى استفحال التآكل البنائي لمحاولة (الدولة) اليمنية، ونظامها، ونخبتها الحاكمة، ونخب المعارضة إلى إسقاط وإحراق حزمة الهتافات والشعارات الطنانة بالوحدة والديمقراطية والثورة والجمهورية، ومختلف الأغلفة المنفوخة بأغراض استخدامية لم تفلح في حجب ذلك التآكل لـ(الدولة) بفعل تغول الفساد، واحتكار السلطة وشخصنتها، وتخصيص وتوريث مواقعها ومراتبها القيادية لـ(العيال) من الأنجال والأحفاد بمنهجية كنست خرافة (الجمهورية) ودفعت بالناس إلى عصرهم المظلم، وإلى طلب اللجوء بمناطق الأمومة الأولية: العائلة الممتدة، والمذهب والعرق وجغرافيا الميلاد: القرية، العشيرة، والقبيلة وقبو الما قبل، وما قبل العقد الاجتماعي الذي لم نبلغ عتبته ولم نبتكر طريق الوصول إليه من باب اختراع وطن والانتقال من (الوطن) المحتمل إلى الوطن المنجز.

.. وعلى عكس المأمول والمطروح في وارد ودارج الخطاب، مضت البلاد في درب التقدم المتسارع إلى الخلف، وازدهر التخلف بجدلية ضارية وناضحة بتجليات مريعة ومخاتلة كشفت عن فشل أجهزة الحكم التسلطية والاستبدادية، وأشرت إلى فشل مختلف فرقاء السياسة في تبني وبناء الدولة الحديثة، دولة الحق والقانون القائمة على موحدات مؤسسية جامعة وحاملة لشروط النمو والتطور بأفق العصر، وليس موحدات انشطارية، تمزيقية، ونشطة في مجرى استحضار (حفرة) صدام ومآلات سقوط ذلك النظام الجمهوري بانفجارية ما برحت تدهمنا لتجبرنا على إدراك متأخر للحقيقة عبر النظر في مرايا بغداد المهشمة وما كان من أمر ذلك «النظام» الذي كان، واستحال إلى «نموذج» الوعد بمستقبل وارد في بلد لا يملك عناصر جذب المحتل الأجنبي واستدراجه كاليمن المرشحة لأن تكون

أشبه بفريسة لجرذان الندم على إخفاقها في إنجاز انهيار ذكي مستعجل يحول دون تكريس سيناريو الكابوس كخيار وحيد، ويخفف -على الأقل- من نزف الجرح النرجسي لدى الحكام وهو جرح متوقع حال استئثار الصومال بموقع الطليعة على اليمن ولليمن.

والواضح أن تحاشي (الحفرة) وتجنب احتذاء الصومال، بما هي قدوة، ما برحت ماثلة كوعد عنيد، يستوجب نهوض «النخب» من الاسترخاء الآمن على سرير «وطن» تسرب من زمان كدخان، ويستلزم التحرر من براثن لغة الخشب والجعجعة بأمة وقومية واشتراكية وما إلى ذلك من ضروب الهروب عن امتلاك شروط الإقلاع وفك الاشتباك مع منطقة الاغتصاب البربري لعناوين ومفردات اللغة الحديثة التي طالما أمعنت هذه «النخب» في تشويهها وتحويلها إلى أقنعة لواقع يتنكر لمصطلحاتها وتوصيفاتها ويتغلب عليها ليكرسها كعائق ذهني وإدراكي وتعبيري كابح لحرية وتحرر الإنسان وداعم لتداخل الخراب واندماجه مع جحيم اليأس والإحباط، ولاحم لميراث الطغيان الاستبدادي بغلاف من هيمنة موازية ومتمثلة بلغة شعاراتية متسرطنة بالكذب الطاعن في السفه وهو يتبلور إلى ثقافة وقيم وصناعة تتوسل تعظيم بؤس واقع التسلط وازدواجياته وانشطاراته.

.. ولن يبرق أمل الخلاص في أفق «النخب» إلا إذا انفسح المجال للرؤى النقدية وانكسر طوق الامتناع عن استدعاء قوى الحداثة وقيمها وهندساتها السياسية والدستورية والقانونية إلى قلب حياتنا، ليس من قبيل المسايرة الإجبارية وإنما على سبيل الاستجابة لإلحاح اللحظة الفارقة التي نعيش ومقاومة الفناء الأكيد.

● «النداء»، العدد ٤٦، الأربعاء ١٥ مارس ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

في ما جمع خوري بالأحمر

استنكر بعض المنتسبين إلى (معسكر) الديمقراطية والتحديث على نائب السفير الأمريكي السيد نبيل خوري الذهاب إلى مقر الفرقة الأولى (مدرع) لمقابلة قائدها اللواء علي محسن الأحمر، والتباحث معه لبضع ساعات، في شؤون وشجون كثيرة، ما كان لها أن تكون مثيرة إلا لأنها لم تعلن، وتلك أدسم وجبة في اليمن!

نعم، إنها الوجبة المنشطة للتكهنات والتخمينات والتنجيمات التي تشتط لتقول كل شيء دون أن تخرج بشيء، وليس ثمة مخرجات من سياسة معطوبة تمتنع عن الخروج من الجمود في درجة الصفر، ولا تتحفز لمبارحة تكايا «مقايل القات»، وبالأحرى أرخبيلات جزر المقابر الجماعية للسياسة، ومنصات طقوس الرثاء لاقتصاد لم يلد في هذا البلد، ولن يلد من أمعاء (مداعة) أو حلق (شيشة) أو رحم معلفة جماعية تجتذبنا لاعتلاف أوراقها السامة بإذعان القطعان، وتؤطرنا وتهندسنا بسحرها الأخضر، وكوابيسها الأرجوانية الجنونية، في كل يوم وليلة وساعة وآن: القات، وقد سخر أستاذ جامعي عربي عمل في اليمن من الإشاعة التي تروج لاقتصاد في اليمن مشيراً إلى استحالة وجود اقتصاد بين فكي قات وجنبية، ومضيفاً أن الاطمئنان العنيد إلى ذلك الاعتقاد يفضح نزعة يمنية عدوانية لرفس منظمة التجارة العالمية (الجات) والرقص على جثتها!!

وعودا إلى أولئك الساسة الذين يستنكرون على خوري ذهابه إلى «الفرقة» ويستكثرون على اللواء علي محسن الأحمر، العسكري، القبيلي، أن يتقابل مع نائب سفير أو سفير الدولة الأعظم في العالم، لا بأس من السؤال: لماذا؟

فسر الصديق «أبو نور» ما يحدث هنا في اليمن على خط ما كان من شأن التعاطي الغربي الأمريكي مع القذافي، وألمح إلى توجه أمريكي واضح للتعامل مع الفاعلين في سوق السياسة انطلاقاً من توصيف الحالة والاعتراف بتركز وتمركز الفاعلين في قوى معينة، تملك المساحة الأكبر من سوق السياسة في اليمن، وتستحوذ على البضاعة الأساسية في السوق السياسية وهي بضاعة متمثلة في تدبير شؤون الجماعة وحيازة قسط وافر من السلطة مع حزم كبيرة من الخطب والبرامج والوعود والتبرعات والخدمات الإدارية والتوسطات وكل ما يمكن أن يقوم ببيعه هؤلاء الفاعلون.

ورداً على تعجب واستنكار العديد من الناس والأوساط لما يحدث، أشار صديقنا إلى أن الأمر لا يخلو من تأثيرات الانحباس في دائرة تصدير الأوهام أو استيراد الأوهام بالتغيير عبر التعويل على الخارج القادم برسالة خلاصية وسيان إن أطل علينا هذا «المغير» من موسكو أم من واشنطن.

سوق سياسية: ذلك آخر ما يمكن أن يخطر على بال أولئك الذين يخضعون السياسة لمعيارية أخلاقية صرفة أو ينظرون إليها من زاوية الثنائيات المانوية المتقابلة والقاتلة: خير وشر، إيمان وكفر، شرق وغرب... إلخ.

والواضح أن عدم الإقرار بسوق سياسية تحكمها المصالح لا يتبرر بغير الاتكاء على أيديولوجيا وعقيدة ورومانسية وثورية، وما إلى ذلك من الأستار والحجب المانعة لرؤية السياسة كميدان لإدارة المصالح والصراعات وتدبير شؤون الأفراد والجماعات، ومجال لتملك السلطة.

ثم إن رفض تنزيل السياسة من سماوات (المقدس) إلى ملعب المصالح والشؤون الدنيوية يختزن الكثير من العنف ويشير إلى ضحايا مؤكدين لما يسمى بقصور الأسطورة السياسية.

وأخيراً: لماذا يا ترى لا نتعاطى مع خروج (الأحمر) من أقبية الكولسة والأبلسة والتشبيح كحالة تستوجب القراءة المفتوحة على أكثر من احتمال وسيناريو مستقبلي و.. لكن من باب: السياسة؟!

● «النداء»، العدد ٤٧، الأربعاء ٢٢ مارس ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

خسر زوجته ولم يكسب «الوطن»*

كان الوقت أضيق من أن يسمح للقيادي المعتق (سلمون) بأكثر من تنفيذ قرار القائد الأعلى، الذي قضى بأن يسارع إلى تطليق زوجته من أجل الوطن!

وفي البند الثاني من القرار، الذي نقل إلى (سلمون) عبر تلميذه السابق الذي أصبح وزيراً للخارجية، كان عليه -سلمون طبعاً- إبلاغ زوجته التي صبرت عليه أيام التشرد والملاحقات والسجون، بأن مصلحة الوطن تقتضي استبدالها بأخرى صغيرة، مثقفة، تليق بمقام سفير وقع عليه الاختيار لتمثيل بلاده في الأمم المتحدة (هو). وكأنما الزوجة الأولى قد استنفدت صلاحيتها بوصول البلاد إلى عتبة الاستقلال، ودخولها مرحلة أخرى تدعوها إلى التحلي بالوطنية الكافية لاستيعاب حكمة قيادة الجمهورية، الفتية الحريصة على تهشيم الصورة النمطية التي طالما تكرست في ذهنية الرجل الغربي الأبيض حول زوجات سفراء بلدان العالم المعتم، لتفيد بأنهن لا يتخالطن بزوجات سفراء العالم المتقدم، ولا يتحدثن بلغة ذلكم العالم في المآدب وحفلات العشاء.

ولقد اعترف وزير الخارجية لقائده السابق (سلمون) بدوره السابق، وذكّره بموهبته الفذة في الخطابة، وهي موهبة تكشفت في ساحات النضال التحرري، وقد استدعت متغيرات المرحلة أن تؤخذ تلك الموهبة بالاعتبار عند ترشيحه للعمل في المنبر الدولي الأشهر.

حينما تلبَّك (سلمون) وشكا من قصر المهلة المتاحة لتحصيل الزوجة البديلة عاجله الوزير بالقول إن القيادة الساهرة على مصلحة المناضلين الكبار لا تغفل عن مثل هذه الأمور الحساسة، وقد رشحت له زوجة تتمتع بكافة المواصفات المطلوبة، وهي رفيقة تعمل سكرتيرة في المقر الحزبي الذي يتحمل

قيادته (سلمون).

وهكـذا كان عليــه أن يبرهن للقيادة بأنه صاحب قرار! وباشـر بإبلاغ زوجتــه التي أذعنت للواجب الوطني وتخلت عن ٢٧ عاماً من الخدمة، ولم تنس تذكيره بأهمية إقناع أولاده، وخاصة ابنته الكبيرة مونيكا. وأخفقت كافة محاولاته في إقناع مونيكا بما قرر حتى عندما أخبرها عن اقتناع أمها، وحتى عندما قال: إنني أفعل ذلك من أجل وطننا!

ردت عليه مونيكا، وهي المثقفة حاملة الليسانس: وطننا!؟ هل فكرة هذا «الوطن» هي أهم من البشر الذين يعيشون فيه؟ إنني أقول تباً لـ... ماذا يكون الوطن بدوننا نحن؟ قل لي!

وذهبت مونيكا إلى أبعد من ذلك عندما رمت بدبلة خطوبتها في وجه خطيبها الذي يعمل كسكرتير لرئيس الجمهورية عندما لاحظت اسـتعداده لتدليك مزاج عمه (والدها) وسـمعته يتملق صواب قراره وحكمته.

ولما كان (سـلمون) قد أخبر العائلة باسـم الزوجة البديلة التي كانت في غرة عمرها النضالي فقد ثارت ثائرة «مونيكا» على اختياره لفتاة بعمرها ولا تتميز بأي شـيء سـوى أنها كانت متخلفة عنها في الدراسـة وأنها قريبة لوزير كبير، وأنها كانت موضوعاً لإشـاعة مريبة تحدثت ذات يوم عن علاقة بـ... الوالد (سلمون)!

لقد قالت مونيكا- فيما قالت وفيما لم تقل- إن الأوطان تصبح في مهب أهواء ونزوات الحكام الذين يبطشون بالإنسان، وإن «الوطن» يصبح فرية مفخخة بالأناشيد والأغاني و(البرع) والخطب الجوفاء إذا ما استحال إلى مزرعة أو ضيعة يعبث بها حاكم نزّاء أو كتيبة إعدام لإنسانية الإنسان وفردانيته، وذلك ما يحدث في إفريقيا ويكاد يكون من علامات الزمن في اليمن.

*** ما ورد أعلاه كان بمثابة الفكرة المفصلية لمسرحية «الفرصة» للكاتب إرثور مايمان- جنوب إفريقيا، وقد نشرتها مجلة «نوافذ» السعودية مترجمة في عددها الأخير.**

● «النداء»، العدد ٤٨، الأربعاء ٢٩ مارس ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

أضغاث

تستطيع اليمن قلب الطاولة على رأس يوم الكذب العالمي بتحويله إلى يوم الصدق اليمني عبر التجسيد العملي لما ورد في الخبر الرئيسي ليومية «الثورة» الرسمية في الأول من أبريل عن لقاء الرئيس علي عبدالله صالح بقيادات الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة وتأكيده على أن «الحوار هو السبيل الصحيح والأمثل لمعالجة قضايا الوطن وإزالة أي تباينات في الرؤى بين أطراف العمل السياسي لما من شأنه خلق التفاهم، وإيجاد القاسم المشترك بين الجميع خدمة للمصلحة الوطنية العليا.. منوهاً بمبادرة أحزاب اللقاء المشترك في تقديم رؤيتها حول القضايا المتصلة بالانتخابات.. معبراً عن أسفه لعدم تلقيه حتى الآن لأي رؤية مماثلة من قيادة المؤتمر الشعبي العام».

وبهذه المناسبة لا عتب على الغريق إن هو تشبث بقشة، ولا بأس من أن تفسحوا لنا المجال لنحلم باليوم الذي نقول فيه إن الرئيس صالح استطاع إحياء الأمل والحب والسعادة، ودفع بتجديد الحياة السياسية في بلاده ونهض بها بأفق الحوار والمصالحة اعتباراً من ١ أبريل ٢٠٠٦ حيث دشن بداية الانطلاق في درب تخليص البلاد من السقوط في الحرب الأهلية الدموية، وتدارك انهيارها تحت معول الانقسامات المدمرة، ووضعها على سكة العصر في إطار دولة الحق والقانون والمدنية.

وعلى طريق هذا الحلم ليس ثمة ما يمنعنا من أن نتطرف في الأحلام، ونستحضر أسماء أولئك الكبار الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، مثل الشخصية الأهم في القرن العشرين، العملاق نيلسون مانديلا، أو العاهل المغربي محمد السادس الذي تبنى مشروع المصالحة في بلاده، وانحاز إلى المستقبل في تجربة مكاشفة النجاحات والإخفاقات والكشف عن مناطق الظل في سجل البلاد

في قضايا حقوق الإنسان، باستهداف واضح وصادق لطي ملف الانتهاكات بالتلازم مع الإمعان في قراءة كتابها المفتوح ابتداء من عام ١٩٩٨ عندما استضاف القصر الملكي في الرباط المعارض الأشهر للنظام عبدالرحمن اليوسفي ودخلت معه المغرب ربيعها في مصالحة تاريخية متحررة من الميول الأيديولوجية والأهواء السياسية، وكان ذلك إيذاناً بأن التغيير طرق أبواب المغرب بلطف من يقلع الضرس من غير وجع.

وفي مطلع هذا العام استضاف القصر ذاته أفراداً من ذوي ضحايا مرحلة الاحتقان السياسي بنوع من التعويض المعنوي (هناك تعويضات مادية) لأهالي الضحايا والضحايا عن سنوات الاعتقال في جحيم تأزمات وعذابات المعتقلات السرية، وضحايا انتهاكات حقوق الإنسان، وبذلك أفسح محمد السادس المجال لتعرية مرحلة واستنطاق عيوبها، وتنظيف الغرفة من الغبار المختفي تحت السجاد.

وحينما كان الملك يصافح الضحايا، إنما كان يقر بحقيقة أن المصالحة أكبر من أي وصفة علاجية، وذلك ما سبقه إليه العظيم مانديلا الذي توقفت الحياة وتجمد الزمن حين اعتقاله عام ١٩٦٦ بتهمة الخيانة العظمى، وكان خروجه بعد ٣٠ عاماً، أشبه بحلول الربيع في فصل الشتاء، حيث باشر في تخليص بلاده من الانهيار عبر حوار طويل، ومن خلال اعتماد السياسي لمحاولات «توفير الظروف للخصم كيما يجد منفذاً» وذهابه في طريق المصالحة إلى منتهاه، وترسيخه لمبدأ تداول السلطة بخروجه من كرسي الرئاسة بعد انتهاء فترته التي بدأت عقب فوزه في أول انتخابات شهدتها جنوب إفريقيا في ٢٧ أبريل ١٩٩٤ التي اعتزل السياسي بعد انتهاء فترتها، وقد تقطرت خلاصة خبرته بعد مغادرة المنصب الرئاسي بقوله: «إن الحرية الهائلة التي كنت أتمتع بها في السجن أكبر بكثير من الحرية التي أتيحت في كرسي الرئاسة».

وأخيراً: لماذا لا نتطرف في الأحلام أكثر، ونحلم -مثلاً- باليوم الذي لن يقتلنا فيه الخجل إذا ما تجرأنا المقارنة بين الرئيس علي عبدالله صالح ونيلسون مانديلا أو حتى بين الرئيس ومحمد السادس!!

● «النداء»، العدد ٤٩، الأربعاء ٥ أبريل ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

زفرة معتقل

ليعذرني الزملاء الأعزاء: كمال العلفي رئيس تحرير «الرأي العام» ومحمد الأسعدي رئيس تحرير «يمن أوبزرفر» وأكرم صبرة مدير تحرير «الحرية» على عدم مبادرتي إلى الوقوف مع نفسي في وجه حملة السيوف المشرعة لجز رأسي من خلال التضامن معهم بمختلف أشكال التعبير: الاعتصام، الإضراب، الامتناع عن الكتابة، الصيام عن الكلام، وتأليب واستنفار الداخل والخارج لوقف المذبحة الجامحة بشراهة لم تعد تكتفي بكتم الأفواه والأنفاس، وإغلاق الصحف، واختطاف الصحفيين وضربهم ورميهم في مقالب القمامة وفي البراري المتوحشة، بقدر ما غدت تنزع بعدوانية سافرة لشرعنة شطبهم وتصفيتهم من الوجود.

ليعذرني كمال والزملاء الذين حضروا إلى الزنازين وأقفاص الاتهام، ليحاكموا بتهمة الإساءة إلى رسول الله، و هم الذين أرادوا الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف ورسوله الكريم عبر تقديم خدمة صحفية مميزة تنحو منحى النقد والدحض للفعل المشين الصادر عن صحيفة دانمركية مغمورة، ولا تستبعد الالتفات والإشارة لبعض تلك الصور القبيحة بقصد تأمين مشاركة فعالة من قبل جمهور واسع جدير بالخدمة الصحفية الراقية التي تحترم عقله، وتحفز يقظته الواعية وتبصره بحجم الفارق بين الوطن والهاوية، وبين حدود حرية التعبير وحدود احترام الأديان والمقدسات، والشعرة الرفيعة التي لا تكاد ترى حتى تفصل وتصل بين تلك الحدود التي ينبغي أن يترك أمر تقريرها وتقديرها لـ«الجمهور» والقارئ ليحكم في ما يقرأ ويرى تبعاً لمنظار عين عقله، وبمنأى عن أية وصاية أو «فتوى» أو تفتيش في الصدور والنوايا.

ولتصفحوا عني أيها الأعزاء: كمال، محمد، وأكرم؛ لأني خذلتكم كنفر كثير وكبير من الصحفيين -كان نقيب الصحفيين المستقيل في طليعة الخذلان- ولأني لم أقم بواجب زيارتكم في السجن ولم أقم بواجب الاحترام لنفسي، ولا بواجبي المهني والأخلاقي الذي يلزمني بحضور جلسات المحكمة ومتابعة وقائع «الموت المعلن» لخرافة الديمقراطية في اليمن، والكوميديا السوداء ونقلها إلى الرأي العام ليعلم بفداحة استشراء الإرهاب (المعمم) والمدجج برؤوس «هيدرا» المتنافسة بضراوة على إنجاز القتل.

ولتكن صدوركم على رحابتها المعهودة كيما تعفوا عنا، فأنتم أكبر من أن تطالبوا ذوي الأجساد المعطوبة، المغلولة، المشلولة، والمعتقلة في داخلها ومن داخلها، بحركة أو حراك أو بانطلاق حر، وكتابة جسدية أثيرية.

فمن أين لجسد غير حر أن يمارس الاحتجاج من مبتداه إلى أقصى مداه وهو جسد أسير كما ألف واعتاد، وحبيس للزوايا والتكايا ولا تسري فيه سخونة الهمة والحماسة إلا في «المقيل» ومع «تخزينة القات»؟!

من أين لهذا الجسد المكبل أن ينهض في الصباح وأن يعتصم من مطلع الشمس الى مغربها وأنتم تعلمون أنه حتى الشعب العظيم عندما قام بهبته الكبرى وانتفض في وجه الجرعة الأخيرة في النصف الأخير من العام الماضي.. نعم حتى شعبنا العظيم كان ينتفض بأعلى درجات عنفوانه إلى أن يحين موعد الانسياب القطيعي إلى سوق «القات»، وإلى «المقيل» وينقطع الإضراب، وتتعثر المظاهرة، وينام الاعتصام ويتوقف فعل التغيير بفعل هذا النفس القصير، وبعد استنفاد الانفعالات العارمة والعواطف الهادرة.

اعذرونا أيها الأعزاء، وصدقوني بأننا، في ما نفعل، إنما نتخلى عن أنفسنا وعن شرطنا الإنساني، وحقنا في حياة حرة وكريمة.

وأخيراً.. هلموا بنا لنتضامن معكم ومعنا، ونتحرر من الاعتقال ونخرج من دائرة الخذلان والهوان والامتهان من باب تحرير الذات واستعادتها بابتكار وجهاد كبير ومتواصل ولا يعرف الانقطاع حتى عندما تدق ساعة: «قات»!

● «النداء»، العدد ٥٠، الأربعاء ١٢ أبريل ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

رسوب في الحضانة

مساء السبت الماضي انهمكنا في محاولات فك شيفرة فضائية اليمن، التي تشفرت علينا لأسباب كثيرة لم نعد نذكرها. ولم يكن الشجن هو دافعنا إلى البحث عن تلك الفضائية وإنما حكة الفضول المشتعلة في الذهن، والرغبة في التضامن مع الزميل والأستاذ عبدالباري طاهر، الذي كنت التقيته صباحاً في فناء محكمة جنوب غرب بعد خروجه من جلسة كُرِّست لمحاكمة صحيفة «الرأي العام» ورئيس تحريرها الزميل كمال العلفي، وأخبرني بتلقيه دعوة من الفضائية اليمنية للمشاركة في حوار مباشر عن أوضاع نقابة الصحفيين وأحوال الصحافة اليمنية، ولفتني بنبرة انزعاجه الطافحة على سطح حيرته تجاه عدم إبلاغه بأسماء المشتركين في «الحوار».

حينما وصلت إلى الفضائية اليمنية وتمكنت من اللحاق بالجزء الثاني من «الحوار» ابتسمت في وجه سؤال حيرة وانزعاج الأستاذ عبدالباري عن «الشركاء» في الحوار، واهتديت إلى ما أقنعني بواقع أن هذه الفضائية إذا لم تُشَفَّر فإنها كفيلة بتشفير ما تُظهر من صور، وكان ذلك ما تبدى في بعض الصور الناطقة التي أطلَّت علينا من الشاشة وهي تقدح في نقابة لم يقيض لها التمأسُس، وفي مجلس نقابة لم يتنفس الصعداء منذ وهلة إعلان انتخابه.

وفي حين كنت أخشى على الأستاذ عبدالباري من الاختناق في المحشر، فقد كان على نباهته المعهودة في صد الهراء والرد على محاولات التعريض بالنقابة، وعلى اتهام مجلس النقابة بتحويل المقر إلى موقع لممارسة «السياسة» و«الحزبية» واحتضان لقاءات منظمات المجتمع المدني، وبالأحرى اللقاء التأسيسي لائتلاف منظمات المجتمع المدني!!

إذا كان علينا التصديق بأن ذلك الكلام قد صدر عن صحفيين، فإن البداهة تدعونا إلى التسليم بحقيقة أن الطريق الملكي لرسوب اليمن في حضانة الديمقراطية سيؤنَّث بهذا الصنف من.. الصحفيين!!

نعم، هؤلاء الذين تمنى عليهم الأستاذ عبدالباري أن يقفوا إلى جانب احتضان النقابة لفعاليات منظمات المجتمع المدني، وائتلاف هذه المنظمات، وكل ما من شأنه الدفع بعجلة التنمية السياسية والديمقراطية في البلاد.. الخ.

وكان الزميل فيصل الصوفي، المشارك في «الحوار»، قد تقصد التذكير بأن مهمة نقابة الصحفيين وغيرها من منظمات المجتمع المدني تكمن في كسر احتكار السلطة، وإيجاد التوازن المطلوب في النظام السياسي.

وكان علينا تذكير «هؤلاء» بأن الصحفيين في معظم البلاد العربية أصبحوا يبحرون في محيطات أكبر، وينظمون صفوفهم للتحرك من أجل الدفاع عن حرية الصحافة وحرية الرأي والتعبير للمجتمع بأسره (مصر)، ويضربون عن العمل؛ احتجاجاً على عدم ورود نصوص صريحة في مشروع قانون المطبوعات يقضي بعدم جواز حبس الصحفي أو القبض عليه في قضايا النشر، ويبطلون تلك المادة (الأردن)، ويحرزون النجاحات عبر الحصول على قرار برلماني بحظر سجن الصحفيين (الكويت)، ويدفعون بالمراجع العليا كما كان الحال مع الرئيس الموريتاني العقيد علي ولد محمد، الذي أصدر توجيهاته مؤخراً بتحرير وسائل الإعلام الموريتانية ورفع المحظورات عن الإعلام الرسمي، والرقابة عن الإذاعة والتلفزيون.

نعم، لقد غادر الصحفيون في مصر والأردن والكويت وموريتانيا، الاستنقاع في البرك الآسنة وتحرروا من ربقة «الأجهزة» ومن عبادة الظلام والتسبيح بحمد السلطان، وما إلى ذلك من مظاهر وأشكال الفلكلور السياسي القمعي المبتذل، التي مابرحت تطل علينا برأسها في اليمن حيث ينبري بعض المحسوبين على الصحافة للدفاع عن حرية القمع وتشريع لغة التكفير والقتل وتبرير الاختطاف وضرب الصحفيين والدوس على الحريات العامة والخاصة، وخنق النقابة.

إنه لمشهد محزن وكئيب هذا الذي يقترح علينا المطالبة بقانون يحرم اختطاف الصحفيين والإفتاء بقتلهم، بدلاً من قانون نظيف من المواد التي تشرعن لحبس الصحفيين، وتقييد حرية التعبير.

● «النداء»، العدد ٥١، الأربعاء ١٩ أبريل ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

المستحيل «الأهبل»

يبدو أن اليمن الرسمية ارتقت المزيد من معارج الرشد، ولم تعد تمزح في تجديد تأكيدها على أنها لا تريد مواصلة احتكار دور البطولة في إنجاز المهام المستحيلة، بقدر ما غدت تنزع إلى الظهور بمظهر «الأخ الأكبر» المتواضع، السخي، والمقنع جيرانه الخليجيين فرصة (شراكة) في دوره. وإن كانوا لا يدركون ما ينطوي عليه الإصرار اليمني في استعجال الانخراط في عضوية مجلس التعاون الخليجي من نخوة باذخة تهبهم حق المشاركة في بطولة إنجاز المستحيل بمعية بيت الخبرة العريبة، وذوي العمق الروائي الخصب في استحضار الفارس الجوال -دونكيشوت اليمني طبعاً- الطالع من هنا وهو لا يرشح بالتسالي والطرائف التي أتحفنا بها سلفه الإسباني في القرن السادس عشر، بقدر ما ينفح بمزدوج الشهامة والجهامة على خط إجبار الجيران، الذين لا يفهمون مصلحتهم، بقبول استضافته لهم في الإقامة معه ولديه على عتبة القرن السادس عشر.

ذلك ما تشير إليه بعض الوقائع التي أوردها صديق عزيز، وهو رجل أعمال يتمتع بثقافة سياسية رفيعة، علاوة على ثقافة اقتصادية عميقة، وقراءة ثاقبة ومبدعة للمتغيرات والمستجدات في دنيا المال والأعمال، وقدرة على ترسم الاحتمالات والسيناريوهات المتوقعة في ضوء مؤشرات الحمل الثاوية في بطن تلك المتغيرات.

لقد أراد هذا الصديق اختبارنا في سؤال المسافة الزمنية بين إمارة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعدن في الجمهورية اليمنية من خلال عرضه لواقعتين/ حكايتين.

.. وبهذا المنحى حدثنا عن حكاية سيدة الأعمال البريطانية التي توجهت إلى دبي لتستثمر ٢٠٠

مليـون جنيه إسـترليني وهي على قناعة بالتوفر على فرص ذهبيـة أضحت غير متاحة في لندن، كما حدثنا عن حكاية رجل الأعمال الكويتي، الذي توجه إلى عدن لاستكشـاف فرص الاسـتثمار واصطدم بـ«استحمار» من المطار، وفي المطار، كعنوان وواجهة بددت نشوته بزيارة البلد «الشقيق» وجعلت من تلك النشوة منفذاً لافتراسه وتنظيف جيوبه، وتلقينه درساً في معنى الداهية.

.. بهـذا المعنـى كان علينـا الاستسـلام لإغراء إنجـاز المسـتحيل بالمقارنة بين عدن ودبـي، وقياس المسـافة وهو قياس متعذر بالسـنوات العادية، ووارد بالسـنوات الضوئية وبما يعادل بضعة قرون تقطع الطريق أمام أي استسهال، أو استهبال المقارنة بين من يقيم في مطلع القرن السادس عشر ومن ينافس على المراكز الأولى في صناعة وصياغة ملامح وجه عالم اليوم.

والحـال أن التنطع لإنجاح المسـتحيل، يعني الإمعان في الخـراب وليس ثمة مجال متاح للإصلاح والصلاح في هذه البلاد ما لم تنصلح وتتبدل الذهنية الحاكمة، وإدارة البلاد، وما لم يكن البشر على استعداد للصلاح، وعلى درجة عالية من الشعور المتعطش بالاحتياج للإصلاح كضرورة حياة.

● «النداء»، العدد ٥٢، الأربعاء ٢٦ أبريل ٢٠٠٦

إلى العزيز خالد إبراهيم الذي هاتفته لتبادل العزاء فبكى وتبكم

١٤ أكتوبر في عهدة عزرائيل يا.. «ويه»!

السعيد
قاسم سلام مخاطبا الرئيس: رفع نفسك وإحنا معك
الدكتور العبدلي: التطور التاريخي والعمر تقدم بجم الأفعل
14 أكتوبر في عهدة عزرائيل يا.. «ويه»!
فصل 150 عاملا وعقابا آخرين بسبب تصريحات
حكم قضائي بإخراج معسكرات من المدن
مسيرون يلتقطون بعدد من الفرج عليهم من أعضاء القاعدة
محمود الأعور يدخل حماس سيكون الفيصل

■ كتب - منصور هائل:

الرحمة على عدن، وما تبقى من عدن في عدن.

الرحمة على صحيفة «١٤ أكتوبر» وما تبقى منها من الزملاء والزوايا الحميمة والحفية والمكتومة، والأصداء الخافتة والبعيدة، وهي الصحيفة التي كانت بالنسبة لي بمثابة القماط والحضانة، المدرسة، الجامعة، الأستاذ، الأب والأم، الملاذ واللحاف، وملعب الصبا، وبزغة اللعثمة، ومستهل التعثر والارتباك والربشة، وغبش الكتابة، وخفقة ضوء الحرف، وورده الكلمة، وشمس العنوان، ومجرى العبارة، والمقطع الرومانتيكي من سفر «الثورة» وغواية النرجس المغموسة بالحلم الذي لم يشأ التنازل عن أقل من الحلم بتغيير العالم.

إيه.. أيها الزملاء الأحباء السابقون في اتقاء الهوان، واجتناب الارتهان لـ«حفلة تيس» والتواري عن عربدة البهذلة والسفه والتفاهة والعته.

.. أيها الصاعدون في الجلجلة.. ناموا كما شاء لكم السهر ببساط محفوف بالياسمين والفل، ولن نعتب عليكم الانسحاب النظيف من حلق خرائب الأفول، لأن الصدمات الفظيعة تكفلت بتعقيل أسئلتنا ولم تعد تسمح لنا بخلع صفة «انتهازي» على من مات بحدس ثاقب تجاه «صومله» قادمة كـ«مستقبل» لا راد له.

إيه أيها الأحباء: معروف حداد، محمد شرف، شكيب عوض، عصام سعيد سالم، علي فارع سالم، القرشي عبدالرحيم سلام، أحمد مفتاح، طه حيدر، عبدالله الدويلة، محمد حمزة، محمد عبدالله فارع، عبدالباسط سروري، عبدالله عبدالمجيد، فتحي باسيف، محمد البرحي، عمر عبدالجليل، عوض باحكيم، وأمي مريم، والفنان الكاريكاتوري فؤاد، ومحمود وهيب، وسليمان محمد قاسم وعمي الوالد الحبيب (...) الذي طرد من سكنه في معاشيق لأنه يقع في تخوم مضافات الرئاسة الجمهورية، وجميع أولئك الذين لا تحضرني أسماؤهم وماتوا في بحر الأسابيع والأشهر والأعوام القليلة الماضية -تحديداً بعد حرب إلغاء الوحدة في عام ١٩٩٤- ومن تبقى من الزملاء الأعزاء، بل ذلك النزر القليل النحيل، المرتاع، والمذهول الذي يقاوم الابتلاء ولا يترنح تحت ضربات فيروس الانفلونزا المغلفة باسم رئيس تحريم باستقالة الراء، ويقاوم بإباء وهو يتلقى ضربات الجلطات الدماغية والسكرية والنوبات والسكتات القلبية و.. يقاوم الابتلاء بقيادات إدارية سلطوية نخرتها بكتيريا الفساد وتعفنت إلى درجة طاعنة في الأبلسة المتمادية في التهور الذي سمح لها باختطاف وظائف «الملاك» المهيب والجليل «عزرائيل» والإلحاح عليه بأن يستقيل هرباً من حلبة منافسة غير شريفة، واستنكاراً وتبرؤاً من حزمة الارتكابات الفادحة بأفعال الازهاق والتقتيل داخل دوائر الضغط الخانقة والمدمرة، التي أسفرت عن ذلك الخسران والفقدان في إطار اسرة تحرير صحيفة «١٤ أكتوبر» فقط، ودونما احتساب لقافلة «الشهداء» من المطبعيين العباقرة على مستوى عدن واليمن والجزيرة العربية، ومعظم طاقم مطبعة ١٤ أكتوبر.

أيها الأحباء.. أية صحيفة هذه التي نرى في هذه الأثناء..! أهي الدليل إلى المقبرة أم الجنازة المهورة بتوقيع الشهداء، أم حائط المبكى..؟! أهي أصداء صوت الديك أم زفرات فأر، أم مندبة ومأتم وحفلة زار؟!

أيها الصاعدون في السماوات لعقد اجتماع هيئة التحرير في حفرة الرب.. يا من تواريتم عن أنظارنا على تلك الشاكلة من الاحتدام العنيف، المجلجل، الكثيف، المتسارع، والصارع في تراجيديته.. عليكم أن تعلموا بأننا لا نحسدكم، ولا نغبطكم، ولن نرثيكم لأننا أحوج بالرثاء منكم، ولنا الحق في العزاء كعزل في صحراء السياسة المقفرة والحرباء، ومحكومين بالإقامة في عراء متوحش بمنأى عن الامان وعدن، ومكرسين كأهداف انتهاك واختطاف و«برع» و«نصع».

إنما.. إنما.. أيها الأحباء لا بأس أن نفشيكم خبر عدم إعلان الناطق الرسمي بأنكم ذهبتم ضحايا لحرب غاشمة تديرها سلطة حاكمة و«نظام فوضى» وحرب حتى آخر قطرة حبر، وبمختلف أسلحة الدمار الشامل، والأسلحة الكيميائية وكل ما يمكن أن يجيب، بعض الشيء، على سؤال الحيرة برحيلكم على ذلك النحو من الإذهال، وخلال أعوام تقل عن أصابع اليد الواحدة، وأعمار شابة كانت تتحين فرصة اجتراح كتابة السيرة الذاتية لهذيان عدن في عهد الوحشة -يقال الوحدة- وتوحش «الدحبشة»، أو سيرة عدن وهي ساكنة إلى التسرنم -صفة لمن يسير وهو نائم- وممعنة في السرنمة،

وعـدن المنطويـة على أحزانهـا وأوجاعها، وعدن وهي بكماء متكتمة لا تجهـش بالبكاء ولا تجهر، ولا تدعو أهاليها إلى الفرجة على ولائم نشيجها في خليجها أو إلى التنصت على انفجارات كمدها على النـوارس المرتاعة والنازحة، وعلى الغربان الممعنـة في الحداد، وعلى مواكب رحيل أهاليها وأبنائها الذيـن سـكبوا وجوههم على أرصفتها، وكتبوا أجسـادهم على بحرها ومداهـا، وزرعوا أحداقهم في زوايـا حواريها وعلى جدران منازلها وفي سـفوح وقمم جبالها، وأسـلموا أهدابهـم وعيونهم لأفواه شـهقات أمواج صيرة وسـاحل أبين والغدير، ورحلوا دون أن يشـيروا إلى الأماكن التي خبأوا فيها ذاكـرة أوجاعهـم الأخيـرة، أو إلى خزائـن الوصايا التي تركوهـا لورثتهم كيما يتمكنوا من اقتسـام مصارع أحلامهم بعدالة، وتوزيع كسرات رغيف أساهم بإنصاف بدلاً عن تسقط فضلات موائد اللئام، أو المشاركة في ولائم الخسة والنذالة، أو الانهجاس باختلاس نعاس مدينة هجرها النوم واجتاحها الغيظ القارس وتعاقدت مع السرنمة.

.. هكذا يبدو أن الأغلبية الجميلة في ١٤ أكتوبر انحازت لخيار الرحيل وكأنها تقصدت بذلك إغاضة الحاكم بحرمانه من متعة إغاضتهم بالفرجة على حفلة عيد الكذبة في الحديدة، وتقصدت الإعلان بأن القنـوط مـن مجيء المسـتقبل الذي كان وعداً قـد فت فيهم، والتصريح بأن وعد الغـد لم يأت أبداً فهل يصلح الموت -على طريقة انتحارات السـاموراي- جرسـاً للإنذار بغد محتمل أو باحتمال اسـتعادة مدينة ووطن: عدن، ومن ثم اليمن.

● «النداء»، العدد ٥٣، الأربعاء ٣ مايو ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

يـا «أعبـوس».. ابترعـوا!

■ إلى القاضي القدير: النائب أحمد سيف حاشد

هـي دعـوة مبتذلة رشـحت بها ذهنية من مسـتواها لتقتـرح تدريب بعض «الأعبـوس» على رقصة البرع لكي يرفلوا بها احتفاء بوصول الكهرباء كنفحة رئاسية بمناسبة عيد ٢٢ مايو مع أن المعلومات الأكيـدة تقطـع بـأن تيار الكهرباء قد تجهز للإنارة منذ فترة ليسـت بقصيرة، ولكنهـا «حكمة» القيادة التـي انطـوت على رسـالتين يشـير عنوان الأولـى إلى سـلطة الأب الحريص على إشـاعة الفرحة في نفوس «الجهال/ العيال» بمصابيح كهربائية بدلاً عن الطماش وألعاب التسلية الأخرى. ويذهب عنوان الثانية إلى القول برشـوة انتخابية مفضوحة ومثيرة لمزيج من مشـاعر الاستهجان والسخط والرثاء والإشـفاق في أوسـاط اهالي منطقة لن يقبلوا بمرور استفزاز وصول كهرباء محفوفة بكل هذا الغباء المعطوف على سـلطة فوتت على نفسـها فرصة النجاة باللجوء إلى متحف الأشـياء الغادرة، وأوغاد آخر يمن.

هـذه الكهرباء التي تسـلحفت لردح طويـل من الزمن تنفيذاً الأوامر عليـا قضت بعقاب «الأعبوس» لمجرد أنهم تطلعوا، وتطوعوا باكراً لإشـعال مصابيح الحروف في الرؤوس من موقع تصديهم لنشـر أنـوار التعليـم في أرجاء واسـعة من البـلاد، ومن واقع كونهم أول من كتب غبـش «الثورة» بالتصدي لبنـاء مـدارس التعليـم الحديث التي ظهـرت في «الأعبوس» من قبـل «ثورة» سـبتمبر ١٩٦٢ وقبل أن

تظهر في صنعاء ومعظم مدن شمال اليمن، وهي مدارس كانت بمثابة منصات لإطلاق العشرات، بل المئات من الكفاءات العلمية في مجالات التربية والهندسة والطب والأدب والفن، وفي مجال الهندسة للأحزاب السياسية، واجتراح الثورات والانخراط في مغامرات كبرى دفعوا ثمنها غالياً في سجون صنعاء، وفي الساحات العامة في عدن وصنعاء على حد سواء، أكان في حروب التحرير من المستعمر، أم في الحروب الأهلية بين «الإخوة الأعداء» من جمهوريين وملكيين أو يسار ويمين و... إلخ.

هؤلاء «الأعبوس» الذين اندفعوا لكهربة البلاد، وبصموا على محطات التوليد الأولى في الحديدة وصنعاء وغيرهما، وتبرعوا لإنجاز مشاريع الكهرباء في أرجاء مختلفة من البلاد، وتكتموا على حرمانهم من خدمات الماء والكهرباء بفرمانات سلطانية تعاطت معهم كـ«محور شر» وكأن الابتلاء الأسوأ الذي أحاق بهم، كغيرهم من اليمنيين، يكمن في واقع أن فيهم الكثير من الأكفاء والأذكياء، وتلك محنة استدعت عليهم شتى ضروب القهر والحرمان المفعمة بوقاحة تقترح عليهم (البرع) ابتهاجاً بالكهرباء التي كان ينبغي أن تصل مشفوعة باعتذار وأسف شديدين، وعزلاء من حزب المؤتمر الحاكم وعهد التفاهة الذي ترزح البلاد تحت براثنه.

لا شك أن هؤلاء «الأعبوس» سيردون على هذه الرشوة برفض المبترعين من «المؤتمر» إذا ما جازفوا بترشيح أنفسهم ولوحوا بورقة الكهرباء التي دفع «الأعبوس» ثمنها لعشرات المرات، ودفعوا من الثمن ما كان يكفي لكهربة اليمن.

● «النداء»، العدد ٥٦، الأربعاء ٢٤ مايو ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

مصيبة أن تكون رئيساً!

سأستدعي ماركيز لأقول إن أسوأ ما يمكن أن يصيب هذه البلاد هو أن أكون رئيساً لها، لأني لا أتحدر من سلالة السحرة والحواة، ولا أنطوي على أي ذرة بطولة أو قلامة مجد، ولست بمانعة صواعق، ولن أحتمل الاختناق بطوق بطانة أو جوقة ذات طاقة تدميرية نشطة في حفر الهاويات، وتأليف الفضائح باحتفالية مبهرة!

أعتقد أن حفلة واحدة كفيلة بأن تقتلني.

ولكم أن تتخيلوا ماذا سيكون عليه حالي إذا ما أقدم القسم الاحتفالي الدائم من أتباعي -مثلاً- على استقدام فنانة عربية كبيرة وشهيرة لإقامة حفلة وسقطت صريعة على خشبة المسرح، وتبين وتأكد أن هؤلاء الأتباع لم يتحسبوا لبلوغها (الفنانة) حافة القبر، ولم يتفكروا بتداعيات الشقاق والفراق التي ستنطلق من فوهة هذه المحنة المؤلمة لتعصف بالأمة؟!

وبهذا الصدد، لن أخفي على الأعزاء القراء أن رجفة ارتياع دهمتني عندما علمت بأن «شحرورة الوادي» الفنانة اللبنانية العربية الكبيرة «صباح» كادت تلقى حتفها على خشبة المسرح بصنعاء عندما داخت بعد أدائها لأغنيتين، وكان من الوارد أن يتحفنا الإعلام الرسمي بتعليق يقول إن الفنانة الكبيرة احتفلت بـ«الوحدة» حتى الموت..

وعلى نحو متصل كانت حالة الفنان المصري «إيهاب توفيق» أفضل من حالة «صباح» فقد كاد أن يقضي كشهيد للحب الجارف على خشبة المسرح في الحديدة، لأن الجمهور المقهور والعاشق هتف لمواصلة إيهاب الغناء، وكانت الوصلة الغنائية المقررة له من قبل فضائية «روتانا» الطربية قد انتهت،

وما كان لـ«روتانا» أن تتنازل لرغبة الجمهور الذي تدفق بهياج هادر ومدمر أسفر عن تحطيم ديكورات «روتانا» وتكبيدها من الخسائر ما يعادل نصف مليون دولار.

وارتباطاً بما سبق، أقدم هؤلاء الأتباع على اختيار ساحة منهوبة من قبل أتباع وذوي نفوذ آخرين لإقامة العروض الكرنفالية والملحمية بمناسبة عيد «الوحدة».

وقد ورد في الأنباء أن الساحة التي احتضنت الأعراس الفرائحية الخلابة والمهيبة و«الخطاب التاريخي الهام» للرئيس كانت ساحة منهوبة على مستثمرين خليجيين وشريكهم اليمني المستثمر الردماني. وعلاوة على ذلك فقد توهجت تلكم الساحة ومعها مدينة الحديدة بمهرجان من أضواء مصابيح الكهرباء التي استؤجرت مولداتها من شركة بريطانية بأربعة وعشرين مليون دولار ووضعت في ميناء الحديدة -مؤقتاً- بقصد إنارة الحفلات التالية في هذا العام والعام القادم فقط.

وليس ثمة آخر لما يأتي به الأتباع من وجع دماغ، ولما تنسكب به مواهبهم الفذة والقادرة على تتويج العيد المجيد بغار الفضيحة الخالدة، وعلى إقامة العرس في المأتم، وعلى تحويل «الوحدة» الى مغنم، وعلى تأكيد اقتصاد الاحتفالات كقطاع أهم في بلاد لا يرد فيها ذكر الاقتصاد إلا من باب الاغتياب.

● «النداء»، العدد ٥٧، الأربعاء ٣١ مايو ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

على خط البيعة من ١٩٣٤ - ١٩٩٤

فيما أضحت أيلولة اتحاد الأدباء إلى «كومة دمى» تستوجب التأبين والرثاء، فقد غدت جُلّ الفعاليات السياسية اليمنية جديرة عن استحقاق بما يليق بالموتى الذين أصيبوا بالخرس ولم يتوفروا على مجرد لسان تنطق بشهادة صادقة على خط الانحدار الكارثي للبلاد اعتباراً من مايو ١٩٣٤ إلى مايو ١٩٩٤ وحتى الأنفاس الأخيرة التي لفظها مايو ٢٠٠٦، على خلفية من غياب الدولة لحساب حضور «دولة العُكْفة» وعكفة الدولة.

لقد انهزم اليمنيون في عام ١٩٩٤ بفداحة أودت بهم إلى الترسيم والتسليم مع أواخر مايو ٢٠٠٦، وكانت هزيمتهم في الحرب التي دارت رحاها عياناً بينهم ساحقة وماحقة، ولا يمكن أن تقاس أو تقارن بهزيمة جيوش الإمام يحيى حميد الدين -العكفة المختصة بالإغارة على الداخل ونهبه- أمام جيوش المملكة السعودية التي وصلت طلائعها إلى «الحديدة» لتجبر الإمام على التراجع عن تطلعاته لـ«اليمن الكبرى» ذات الحدود التي تصل إلى مكة وتلامس الركن اليماني للكعبة الشريفة، وفرضت عليه الإذعان والتوقيع على اتفاقية الطائف التي ألزمته بقبول مبدأ تأجير الأرض موضع النزاع (نجران، جيزان، وعسير) ونصت المادة الثانية والعشرون من تلك الاتفاقية على أن مدتها عشرون سنة قابلة للتمديد، وقد تم تمديد العمل بها عشرين سنة أخرى في ١٩٥٤.

وفي مارس ١٩٧٣ أصدر رئيس الوزراء آنذاك القاضي عبدالله الحجري -رحمه الله- بياناً اعتبر خط ١٩٣٤ دائماً ونهائياً. غير أنه اغتيل بعد فترة وجيزة بجريرة «الخيانة العظمى».

.. بعد حرب ١٩٩٤ تباحث الطرفان، اليمني والسعودي، في جنيف وتوصلا إلى مذكرة تفاهم

في فبراير ١٩٩٥ أكدت على أن خط الطائف دائم ونهائي، الأمر الذي شكل مكسباً كبيراً للسعودية على طريق إحراز المزيد من المكاسب وفتح الشهية للمزيد من «التوسع» من باب الاستجابة لواجب الجار تجاه جاره بمثابرة استثمارية لنتائج الحروب الداخلية التي طالما خلفت فراغات كبيرة كانت تستحث الجار الأكبر على النهوض بدوره في سد تلك الفراغات والتقدم إلى الحدود الشرقية وإلى مساحات واسعة من الأراضي الداخلية لحضرموت بالاستفادة من جيوبها في رأس النظام ومن سياستها الثابتة في نشر علامات سيادتها على البشر والأرض عبر اجتذاب القبائل إلى محيط الرعوية السعودية وتجنيسهم كما كان الحال بالنسبة لقبائل الصيعر والكرب والكثير من قبائل المهرة وأبناء حضرموت، وعلى نحو يمكن أن ينجز حضرموت والمهرة كإمارات تبعاً لنهج احتوائي ناعم ومدعوم بسياسات انفصالية مدمرة، من قبل سلطة يمنية ممعنة في ممارسة الانفصال عن الشعب والطرد للسكان والمكان.

وعوداً على بدء: أين موقف الفعاليات السياسية من هذا الذي يحدث؟

يجيب المؤرخ السعودي مشاري عبدالرحيم النعيم، في موضوع خاص عن الحدود اليمنية السعودية نشرته مجلة «أبواب» العدد ٢٠ عام ١٩٩٩، بقوله: «شكلت الوحدة اليمنية خطوة مهمة على طريق تولي صنعاء لملف الحدود، وهي تربطها بالرياض علاقة جيدة، وفي غمرة أوضاع سياسية واقتصادية مستجدة خلفتها الحرب الانفصالية وتداعياتها، فقد أدت المشكلات التنموية التي تفاقمت بعد الحرب إلى اقتناع النخبة السياسية اليمنية الحاكمة بصورة خاصة، والرأي العام بصورة عامة -كما يبدو- بإقفال الملف الحدودي».

هكذا آل الحال باليمنيين، فقد اشتد بهم الفقر وباعوا البقعة ولم يبرهنوا بذلك على سيادة ذهنية ما قبل الدولة فقط، وإنما ما قبل الوطن حيث لا ينفع استحضار الأجواء والمناخات التي كانت تجعل من أمر التفاوض على الحدود «خيانة عظمى» أو استئناف تلك المناخات التعبوية المشبعة بالذهنية الرعوية البدوية التي تقوم على المزاوجة بين الأرض والعرض وعلى تغليف موضوع الحدود بالمقدس بقصد استنفار حمية وغيرة النشامى.

الرحمة على عمر الجاوي، وعلى القاضي عبدالله الحجري، وعلى الأستاذ محمد النعمان، وغيرهم، وعلينا جميعاً، أو ليس ثمة «سيادة لوطن يذل فيه المواطن وينعدم، ولا يتوفر على مساحة أرض في عاصمة بلاده تؤويه بأمان».

● «النداء»، العدد ٥٨، الأربعاء ٧ يونيو ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

أحمر يرفض الإجماع..!!

ثمة معطيات سياسية مستجدة تستوجب القراءة المتحررة من المسبقات، ومن الاستنساب والاستزلام والزبونية.

.. قراءة مفتوحة على أفق نظيف من الغبار المستثار بتهوس البحث عن «منقذ»، والتعلق على خشبة خلاص مستعجل.

من تلك المعطيات برز مؤخراً اسم الشيخ حميد بن عبدالله بن حسين الأحمر على نحو يستحث القراءة المتعمقة في نصه وما يتضمن من رؤى وتصورات، وليس في نسبة وشخصية المعطوف على اقتصاد المكانة والوجاهة، أو في التباساته بالقبيلة والمال والأعمال والسياسة.

.. ولا شك أن هكذا معطى يحتاج إلى تفحص غير ملتاث بنوازع التسويق والترويج على غرار ما كان من بعض الأكاديميين والصحفيين، وبعض الرأي العام و«القاعدة» الحزبية بدافع من خيبة أملها بأحزاب أدركها الغسق، شاخت وعجزت عن تجديد بناها ورؤاها، وافتقدت الشروط والمؤهلات والمبادرات الضرورية لإخراج البلاد من قعر هاوية الأزمات الدورية والمركبة والاحتقان الذي شارف ذورته ليلح على استدعاء «منقذ» جاهز وناجز ومفصل على مقاس ذوي النفس القصير غير المستعدين لـ«قتل» الوقت بالإصاخة لصوت اسئلة امتحانات خبرة الصدمات والانكسارات بالقدر الكافي لتوسيع مجال النظر لجديد المعطيات في سياق تبلورها الذي يمكن أن يفسر ويبرر لعمليات الحفر فيها.

ربما انعقد رهان البعض على حديد يفل الحديد أو على منطق كسر الحجر باختها وما إلى ذلك من سخام الكلام الذي يشرب من أسن البرك ويقتات على فتات النسور.

وربما كانت المقاصد الطيبة -وما أكثرها- هي التي أذكت هذا التحفز الاحتفالي الذي سرت عدواه في أوصالي وأنا أتتبع ما يصدر عن الشيخ الشاب حميد الأحمر من أقوال وأسئلة تتخاطر مع تطلعات وانتظارات الكثيرين في هذه البلاد.

وربما.. ربما.. ولكن ما لفتني بحدة تجاه أفكار الشيخ الشاب ورجل الأعمال، تمثل في ما قاله بشأن موضوع أو فكرة الإجماع المطروحة كسقف ترتطم به الرؤوس أو جدار تنتهي إلى الاصطدام به التطلعات.

ولأن فكرة الإجماع تثار دائماً في المحطات الساخنة والمحتدمة فقد طرحت كسؤال متصل بالشأن الانتخابي وفيما إذا كان هذا الشأن سيحسم بـ«ثابت» الإجماع الكابس على الأنفاس؟!

وقد تحدث الشيخ حميد، في مقابلة نشرتها «الصحوة»، بوضوح حول أمر هذا الإجماع الذي ينطوي على إبطال مفعول الديمقراطية وإفراغها من الجدوى والمعنى، مشيراً إلى أن العملية الديمقراطية، والانتخابات واحدة من تقنياتها، غير مبررة ولا مقبولة إذا كانت لا تحتمل التباري التنافسي، ولا تنفتح على التداول والتبادل وكسر دائرة الواحدية والواحد.

بهذا المنحى يمكن الاحتفاء بمغايرة جريئة تستوجب التوسيع في وسط يعبد «أيقونة» الإجماع دونما التفات أو إدراك للنطاق الاستعمالي الواسع الذي تغطيه ظلال أيقونة الإجماع التي تستخدم كأخطر أدوات الاستبداد، بما تنطوي عليه من مصادرة على السؤال، الحوار والتعدد والتفكير والتنافس والمبادرة والإبداع.

وما أعنف الإجماع المترادف بالاتباع والطاعة والقطيعية، والمكرس كأداة فكرية ونفسية للاستبداد!. وما أخطر الاستسلام لسلطة الإجماع أو تلك الأفكار التي ترفع كمحل للإجماع لتتجاوز بخطورتها خطر استبداد الدول والحكومات!، لأن الأفكار عندما تستقر وتحاط بهالة من القداسة تكون أطول عمراً وأبقى.

وإذا كان لا بد من «إجماع» فليكن على ما هو مشترك ومحدد، وليكن بين مختلفين توافقوا واتفقوا على قواعد اللعبة وسلموا بحق «أغلبية» في إطار تصويت وليس بمنطق الغلبة وتحت سيفها المصلت.

وأخيراً تحية لفكرة مغايرة صدرت من موقع غير متوقع لتكسر «أفق التوقع» بإطلاق إشارات تعد بغد يتسع لأسئلة زلزلة «تابو» الاستبداد وخلخلة أخطر أعمدته: الإجماع طبعاً.

● «النداء»، العدد ٥٩، الأربعاء ١٤ يونيو ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

«المشترك» بين باجمال والمالكي

ما كنت في وارد المقابلة بين رئيس الوزراء اليمني عبدالقادر باجمال ورئيس الوزراء العراقي جواد المالكي بسبب من إغفالي لقاسم مشترك كبير وخطير لم أهتد إليه وأفق على فداحة بعض السهو إلاّ بعد أن استوقفتني واستدرجتني المفردات الرئيسة المطروحة امام حكومة المالكي لتقنعني بحيوية وأهمية عقد مقارنة بين المالكي المطالب بجسر ما انهدم وإعادة إعمار ما انهار في العراق وباجمال المدعو لتدارك ما ينهار في اليمن.

وبما أن الانهيار هو «القاسم المشترك الأعظم» بين هذا وذاك وهو السلطة الأطغى بسريان قوانين تداعياتها هنا وهناك، وأفضت إلى انسحاب ولجوء تجمعات وجماعات كثيرة إلى الأطر الطائفية والعشائرية والقبلية والجهوية وإلى تمحور الجماعات حول أهداف البقاء والحماية على خلفية إهدار الرصيد المتراكم في مجال التعليم والمهن والتمدن والمؤسسات المعنية بتنظيم قوى المجتمع وفق مصالحها ومهنها واحتياجاتها.

ولأن «الحال من بعضه»، وإن كانت اليمن لم تتعرض لغزو واحتلال ينتهي بـ«القائد الضرورة» و«الزعيم الرمز» إلى مجرد «فأر حفرة» ومن ثم متهم في قفص اتهام، وأن المقارنة تكتسب حيويتها كلما ذهبت إلى أبعد من الاتكاء على الرواية الشعبية الذائعة التي تحضى على أخذ العبرة والدروس مما صار، والكف عن اعتبار ما صار هناك عملاً طليعياً، لأن المقدمات التي أضفت إلى كل ذلك الخراب (العظيم) بدأت من لحظة احتكار ومصادرة السياسة، واعتقال وتأميم منظمات ومؤسسات المجتمع المدني وشخصنتها واختزالها بأنجال «الزعيم» أو بالحزب الحاكم، ما أدى، وبإذكاء من الغزو

والاحتـلال طبعـاً، إلى إطلاق مارد العصبيات الطائفية والعرقية والعشـائرية وتوطيد طابور عجيب من الزعماء الطامحين والفاسـدين، المعتاشـين على المخاوف والمتلاعبين بالأحقاد والنزعات العصبية باحتدام انتهى إلى استبدال الاستبداد الماحق بالفوضى المدمرة.

.. وتبعاً لذلك، وبالنظر إلى سيل الوقائع المتدافعة، وما كان من أمر تشكيل حكومة المالكي المحكوم بشرط المحاصصة المترجمة لانقسام عميق في العراق، وبالاستناد إلى بعض عناوين تطلعات المالكي الذي قسـر على خوض حوارات منهكة ومهلكة مع المرجعيات الدينية المعتقة، والمشـائخ وغير ذلك من عناصر الطيف التقليدي، لا بأس من التوقف عند العنوان الأبرز لتلك التطلعات وهو يقول بأن المهمة الأكثر إلحاحاً بالنسبة للمالكي وحكومته وتوجهاتها تكمن في العمل على تحرير السياسة والخروج بها من دائرة الولاء للطائفة إلى الوطن، ومن تجمعات العشائر والمذاهب والقبائل إلى تجمعات المدن والمصالح والمهن والأفكار والبرامج، ومن المليشـيات وجنرالات الحرب والنفوذ إلى مؤسسـات حماية شرعية الدولة والقانون والاستقرار و...إلخ.

وإزاء ذلك من الوارد أن ينبري من يسأل هنا: أين وجه المقارنة بين المالكي وباجمال؟

.. الحـق أن مفـردات برنامـج المالكي لا تحتاج لفطنـة عبقرية كيما تفهم هنا -فـي صنعاء نقصد- بإشاراتها الصريحة التي تقول لمراجع الحكم، وباجمال جدارنا القصير، لا تذهبوا إلى «الحفرة» عبر سـلوك ذلكم الدرب الملكي المخفور بجيوش مصادرة مؤسسـات المجتمع المدني من جمعيات ونقابات وروافـع للدولـة المدنية المرجوة.. دولة الحق والقانون والعدل والقانون... لا تذهبوا إلى «الحفرة» عبر احتـذاء حمار القرية وتكرار ارتكابات الوصاية والاحتواء للنقابات والإمعان في مسـخها إلى مخافر شرطة أو تصفيدها بقيود بوليسية تنتمي إلى عصور بادت كقانون نقابة الصحفيين مثلاً.

● «النداء»، العدد ٦٠، الأربعاء ٢١ يونيو ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائــل

ويقـال أكاديميـون وأدبـاء..!

لا عتب على الناشطة المؤتمرية التي ناشدت الرئيس العدول عن قراره في عدم الترشح، ودعته إلى أن يتقي الله في نفسه، ويواصل مشواره كزارع للحب في رؤوس الجبال وبطون الأمهات... وهات..!

ولا عتـب علـى المرأة التي طالبت الرئيس بمراجعة نفسـه، وعبرت عن شـعور «العامة» باليتم، ولم تنـس تذكيـره بواجب إرضاع الأطفال، ورعاية اليتامى، وإنزال المطـر، وتأمين اخضرار الزرع، وإدرار الضرع.

ولا عتـب علـى الشـاعر النحريـر، الغزير، والكثير الـذي تأكد كداهية وهو يقول مـا معناه أن جبل «الظفيـر» لـم ينهـد على القرية إلا من قبيل الاحتجـاج على الرئيس المطالب بسـماع تأوهات وأوجاع الجبال والصخور الساخطة على اعتزامه الرحيل وتركها نهباً لليتم والغم.

ولا عتـب علـى الإعلام الرسـمي الذي لم يصرح بنفي الاكتشـاف العلمي القائل بـأن الكرة الأرضية تدور حول الشـمس، ولكنه ذهب إلى ذلك بإلحاحه على القول بأن الأرض اليمنية تدور حول الرئيس دونما وعي منه لارتكاب «انفصال» خطير عن كوكب الأرض والعالم.

ولا عتـب علـى الرئيس إذا كان قد تجسـد كدليل على صدقيـة كارل ماركس عندما كتب ذات مرة في وصف النسـخة المشـوهة لبونابرت وأفاد بأن للتاريخ دورتين وأنه يتجلى في الأولى بصورة المأساة ويتكـرر فـي الثانيـة بوجه الملهاة. ولكم أن تسـتحضروا «الزعيم» عبدالناصر عندما أقر بمسـؤوليته عـن هزيمـة ٥ يونيـو ١٩٦٧ وخطـب في «الجماهيـر» معلناً تنحيه كمسـؤول أول عن «النكسـة» بغير مخاتلة ولا تلاعب بمشاعر «الجماهير» التي خرجت هادرة لتردعه عن قراره واختياره بقطيعية فارقة

ومدمرة.. لكم أن تستحضروا «ناصر» وهو يعلن الاستقالة في القاهرة، و«صالح» في ميدان السبعين عندما خاطب «الجماهير» لأول مرة، بمطلع مستعار من «ناصر»: أيها المواطنون..!

لا عتب على «الجماهير» هنا وهناك، وليس ثمة ما يدعونا إلى السؤال عن «الجماهير» التي خرجت قبل عام لتهتف بسقوط حكومة الحزب الحاكم وتمزق صورة الرئيس، وتحرق وتدمر وتنهب المرافق العامة والخاصة!

ليس ثمة ما يمنعنا من القول بأن «جماهير» العام الماضي استقالت أو غادرت اليمن، أو تراجعت عن قرارها الموقع بالدم لحساب تخصيب اللامعقول!

وليكن العتب إذا ما جاز اختزال ما حدث في مجرد العتب على«المثقفين» والأكاديميين ورؤساء الجامعات وعمداء الكليات وقيادات الأدباء والنقابات الذين وقعوا بالدم ليحرموا الرئيس من حقه، ويلونوا الملهاة بأصباغ الملهاة.

ليكن العتب على أولئك الكبار من رجال العمى، ويقال الأعمال، الذين يبخلون بالفتات على ذوي القربى ولا يتبرعون بالفلسات لتوصيل طريق من بضعة أمتار إلى القرية المجاورة ولا يسهمون بإنارة المنازل المجاورة لقصورهم، ولا بحفز عملية التنوير والتحديث والإعلام الحر، ولا يبرهنون على أدنى قدر من الشبه بـ«البورجوازية» التي طالما كانت رافعة للتمدن والحداثة والديمقراطية، وليست ضالعة بالمافيوية والفساد والإفساد.

وأخيراً إذا كان بمقدور بعض الأصدقاء احتمال «رنَّة» فلا بأس من الإشارة عليهم بأن القصيدة لا تخضر ولا تتفتح ولا ترفل بالفرح إلا عندما تحتفي بالاختلاف وتكتسي بالفرادة، وأن الرواية لا تكون إلا عندما تستوعب الحيوات المتعددة وألوان الطيف الباهية والباهتة والغامضة، فكيف بالله تسمحون لأنفسكم يا قيادة الأدباء.. يا جامعيون ورجال أعمال بكل هذا الهباء؟

كيف بالله تسمحون لأنفسكم باحتساب الكارثة إنجازاً، والفضيحة إعجازاً؟!

● «النداء»، العدد ٦١، الأربعاء ٢٨ يونيو ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

لوزير الداخلية.. الكهرباء

سأتحدث هذا الأسبوع إلى وزير الداخلية لأني لست في مستوى الحديث عن «المنعطف» الخطير الذي يمر به «الوطن» ولاعتقادي بأن الالتهاء بقضية تفصيلية صغيرة سيقيني شر الانسياق المعتاد وراء إغواء الانجراف مع التيار العام لهذه الأيام، وهو تيار يمكن أن يغويك بالمزيد من الكتابة التي تزيد من أكداس الكآبة، والمزيد من التحويم والطفو على سطح القضايا الكبرى، وعدم القبول بالتنازل عن أقل من مناطحة رئيس الجمهورية، أو مطارحة الماراثون التنافسي على الكرسي الرئاسي. وحسبي أن القارئ في غنى عن تكهناتي الخرافية بشأن سيناريوهات اليمن القادم من بوابة قصر الحاكم القائم أو القادم على كف يوم غائم.

ولأني أحسب بأن القارئ قد طفح من كتابة الطفو والسباحة في المجردات والتعميمات لأنها كتابة تنطوي على إعفاء الذات من التجذر في الحضور والحياة، وتصب في مجرى تعويم الفساد وتعويم المسؤولية عنه، فقد اقتنعت -كضحية إدراك متأخر مع الأسف- بأهمية مناوشة الشيطان الكامن في التفاصيل الصغيرة التي تشكل أساس وحجارة عمارة السياسة والرئاسة.

وإلى مهب التفاصيل سوف أذهب لأسأل معالي نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية اللواء الدكتور رشاد العليمي عمَّا إذا كان بإمكان «الجمهور» متابعة منافسات المونديال القادم لكأس كرة القدم في العالم بمنأى عن رهاب وإرهاب وعنف انقطاع تيار الكهرباء؟

ربما بدا السؤال سخيفاً بسبب انسلاله أو تسلله من تحت ظلال «مونديال» المانيا، أو لأنه موجه لوزير الداخلية بدلاً من وزير الكهرباء!!

ربما كان الأمر كذلك على من لا يدري كيف تدار الأمور في البلاد، وعلى من يصر ألا يدري بأن سؤال الجمرك -أي جمرك، وفي حالات كثيرة- يطرح على طاولة رئيس الجمهورية وليس على مدير الجمارك!!

إنما.. ما علينا!

ما علينا غير سؤال وزير الداخلية بالاستناد إلى شكوى وزير الكهرباء -استعرضتها «النداء» قبل أسبوعين- عن العوائق التي اعترضت تنفيذ مشروع تغذية عجز الكهرباء في صنعاء وغيرها بـ(٣٠٠ ميجا) إسعافياً، ومن أعمال القرصنة والنهب والابتزاز والاختطاف التي طالت ممتلكات وعمال وقيادة الشركة المنفذة لخطوط نقل الكهرباء من المحطة الكهربائية الغازية بمأرب إلى صنعاء؟

ولأننا نعلم بأن الدكتور العليمي يولي عناية لما ينشر ويلتفت إليه بالتشاور والتحاور أو بالمتابعة من موقع مسؤوليته وانسجاماً مع ثقافته ومؤهلاته، فقد كنا على قناعة متفائلة بأنه لن يتعاطى مع هذا السؤال بأي قدر من التسخيف والاستغباء، ولن يقول: ماذا أفعل؟ أو ما علاقتي بالكهرباء؟

ومعه ومن خلاله سوف نسأل معالي رئيس الحكومة عبدالقادر باجمال عن القصد من إهدار وقت الحكومة في الدعوة للمستثمرين المحليين والعرب والأجانب بالمجيء للاستثمار بتكرار مسرف ومقرف ومستفز وهي -أي الحكومة- لا تستطيع حماية استثماراتها!

.. نعم إذا كانت الحكومة لا تستطيع حماية استثماراتها فما هي جدوا...ها؟

وثمة سؤال تفصيلي صغير وتافه: ترى هل تحتاج الحكومة لـ«شريك» متنفذ يساعدها على تنفيذ مشاريعها ويتحصل على نسبة النصف، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يمنع من أن تدار الأمور بالوجه العاري ويكف القناع عن مراوغتنا وخداعنا ليسمح لنا بأن نتساوق مع من يقول: أيَّن حكومة؟ أيَّن طلي؟ (بالصنعاني طبعاً).

● «النداء»، العدد ٦٢، الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

زوج المرحلــة وأطياف مانديلا

وكأن «المشـترك» أخفق في اختيار الزوج المناسـب للمرحلة، ولم يرشـح الرجل الفحل القادر على شفط الهوى من قلوب الغواني، و«زغللة» عيون العذارى، وتنويم ما في اليمن من «فتن»!

ذلك ما رطنت به بعض الألسـن، وما انحدرت اليه بعض السـخافة -يقال صحافة- باستحياء لئيم يشي بـ«إثم» ناتج عن احتباس الجنسي بأكمام السياسي على خلفية من تأنيث السلطة وفرشها على مقاس صولات الفارس الذكر، المستطير شرراً، والملفع بجهامة عنتر!

إنها لضحالة وهي تنفضح على مراهقتها واضطراب أدلتها، وعلى خيال بدائي بخيل لا يملك أكثر من اسـتدعاء «عنتر» وهو شـاهر سـيفه.. ومن أين لهكذا خيال أن يتسع لاسـتضافة أطياف نيلسون مانديلا، العنوان الإنساني السياسي الأجمل والأشهر على امتداد القرن العشرين؟

ومـن أيـن لهكـذا ذهنية سـكرى بعبوديتها المختـارة، ومسـتعمرة بالأحكام والمسـلمات الصدئة، ومتوحلـة بأوسـاخ المنافـع الآنية، ومتحوصلة في نقطة الامتناع عن استشـراف اللحظة الإنسـانية المعاصرة؟!

نعم من أين لهكذا ذهنية أن تستشرف أو تستضيف مانديلا؟! المولود في عام ١٩١٨ والذي قضى في السجن ٣٠ عاماً، وخرج منه وعمره ٧١ عاماً ليواصل مشواره النضالي لتحرير شعبه من أصفاد العبوديـة واللامسـاواة، ويمـارس حضور الربيع في قلب الشـتاء، ويخلص بـلاده من خيار التمزق والشـرذمة بمخالـب حرب أهلية دموية كانت تلوح كخيار واحـد ووحيد. إلى أن جاء مانديلا لإحياء

الأمل والحب والسعادة وتجديد السياسة، وترميم تصدعات وشروخ بلاده، وتدشين عهد سياسي جديد يضع جنوب إفريقيا على عتبة الحداثة والمعاصرة، كدولة لجميع مواطنيها على إثر انتخابه كرئيس لدورة واحدة في ٢٧ أبريل ١٩٩٤، رفض بعدها ترشيح نفسه لدورة ثانية وهو الزعيم المحبوب الذي تشيدت له في القلوب قصور من حب، لم يهدمها بمغادرة سجن كرسي الرئاسة أو باعتزال السياسة وهو في الخامسة والثمانين من عمره عندما قرر الاستجابة لخياره الأخير في التفرغ لكتابة مذكراته ورعي الماشية ما أمكن.

.. والحكاية أن «المشترك» قد أفلح بانحيازه لخيار مانديلا والمستقبل بترشيح فيصل.. فهل يتعقل (العيال) لهكذا سؤال؟!

● «النداء»، العدد ٦٣، الأربعاء ١٢ يوليو ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

استمطار الصواريخ

انقسم السياسيون اليمنيون اليوم واستعاد الأمس مكانه في قلب الآن، وكأن العقل لم ينشحذ بقوة الصدمات، ولم يتعقل اسئلة نكباته وكبواته ولم يتأمل في ما يعنيه فوزه بإحراز البطولة الدائمة في الفشل!

وها هي البارحة ترتد بنا إلى مربع الانقسام الأخطر وإلى قلب كتاب «الأمس الذي كان الآن» عندما انقسم اليمنيون بين أغلبية كاسحة مؤيدة لمغامرة صدام في احتلال الكويت، وقلة محدودة ومعدودة خالفت «الإجماع» وهدير الشارع.

وفيما كانت الأكثرية مؤزرة بـ«الجماهير» التي خرجت معها وخلفها تهتف بإزالة إسرائيل بالصواريخ العملاقة والبعيدة المدى وبـ«الكيماوي يا صدام» كانت الأقلية غير مسموعة الصوت وتأجل النظر في سؤالها الاحتجاجي عن شطب الكويت أو اعتبارها فاتحة شهية لزوبعة «أم المعارك» المندفعة في اتجاه إزالة إسرائيل من الوجود.

ومع الفارق بين معطيات الأمس واليوم، ومع الأخذ في الحسبان، ظروف وملابسات حالة «حزب الله» المقاوم الملحمي لعنجهية وغطرسة دولة إسرائيل المحتلة والعدوانية، إلا أن النقطة الحساسة والخطيرة تكمن في ذلك الوعي، وبالأحرى في سيادة ذهنية استمطار غيث القوارح والصواريخ وانتظار معجزاتها وخوارقها، وإقصاء العقل وحساباته للتوازنات والموازين، وللخسائر والفوائد وللمصالح التي تقوم عليها وتتمفصل بموجبها معادلات السياسة في عالم اليوم وعلى الدوام.

والحاصل أنه فيما تتقطع أوصال لبنان بالآلة الجهنمية لجيش دولة العدوان، وفيما يتكبد لبنان أفدح الخسائر، فإنك لن تعدم من يمارس تجذير الانقسام وتشبيح حالة النخبة السياسية الهشة في الأصل تبعاً لمنطق: «من مع «حزب الله» ومن ضده»، وليذهب الجميع إلى الحفرة أو إلى المقابر الجماعية كضحايا لمشنقة هذه الثنائية القاتلة.

وبما أن المجال لا يتسع للإفاضة، فإنه لن يضيق بدعوة لإعمال العقل السياسي النقدي تجاه ما يجري، أو لإعادة اعتبار العقل، أو للاشتغال بما، وعلى ما تبقى، من هذا العقل ولو بقصد ابتكار طريق من وسط كل هذا الخراب، أو بقصد تحصيل النجاة من الصواريخ التي تنهمر على رؤوسنا ونفوسنا أكثر مما تنهمر على لبنان وأراضي فلسطين المحتلة.

● «النداء»، العدد ٦٤، الأربعاء ١٩ يوليو ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

أرق الكتابــة

يفزعنــي نـداء الكتابة هـذه الأيام، لأن ما يحدث جديـر بكتابة مغايرة لما درجنا علــى الاعتقاد بأنه كتابة.

إن مـا يحـدث أكبر من أن تسـتوعبه «كتابة» ترن وتطـن وتصدح بكلمات غنائية، شـفوية، منبرية، تخاتل القارئ بما يشي أنها مغموسة بالدم والألم والندم والنار والدخان، وطافحة بالتعاليم والمواعظ والحكـم وكل مـا ينتمـي إلى بلاغة أرشـيف اللغة المسـتعارة من زمـن تقادم وانطمـر بطبقات الصدأ والغبار، وانقطع عن اليومي والآني، والراهن الإنساني بسنوات ضوئية.

.. ويؤرقني كثيراً هذه الأيام أيضاً، أن أدعو القارئ لمشـاركتي على مائدة كتابه، أعلم مسـبقاً أنها مطبوخة على «طنجرة» الضغوط والإكراهات والحساسيات والمراقبات.

ولسـوف ينزعـج البعـض إن قلت بـأن المرء يحتاج إلـى أن يكون في المنفى كيمـا يتوفر على مناخ إنساني حر، وكيما يتحرر من الضغوط والإكراهات والمراقبات التي تملي عليه التأقلم مع «الجماعة» وتحرمـه من مناخ الشـعور بمسـؤوليته كفرد، وتمنعه مـن التعبير عن ثلاثة أرباع شـعوره في إطار تكريسـه للانشـغال بمـا يؤمن اسـتمراره في اجتـراح بطولة العيـش، والحفاظ على سـلامة الرأس. والحكاية أن ما يحدث الآن يقترح كتابة مهجوسة بالسؤال المستفز لكل ما رسب واستقر في أعماقنا من قناعات وأحكام ومسلمات.

وبما أن كاتب هذه السـطور يزعم الانتماء إلى أولئك الذين راهقوا بالسياسـة وأرهقتهم حتى قبل

أن يصلوا إلى عتبات أسئلتها الحرجة والحارقة.

وبما أنه لم يعد في العمر متسع، وكذلك في المجال ما يتسع لمزيد مراهقة فقد أضحى الراهن الملتهب بالأصداء المرتدة يحرجنا بأسئلته التي تلح علينا بضرورة الاشتغال على الفكر لتطوير ثقافتنا وإعادة الاعتبار للثقافة في حياتنا والكف عن التعويل على منطق «القوة» و«الانقلاب» أو الرهان على «المنقذ» وإن كان من فصيلة الصواريخ ابتداءً من «الظافر» و«القاهر» ومروراً بـ«العملاق» وانتهاءً بـ«رعد ٣،٢،١» وإلخ من تلك القوارح التي دمرت السياسة وصادرتها وأفرغت الساسة من كل فكر وسياسة.

● «النداء»، العدد ٦٥، الأربعاء ٢٦ يوليو ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

حـزب اللـه الشعبـي العـام

سـأتجمل مـع الحـزب الحاكم بمقتـرح متعدد فـي أغراضه البسـيطة التي يتكفل مبتداها بنسـف التخرصـات المغاليـة في الاسـترابة والغمز من قناة حاكم يقصف «شـيعة» اليمن ويتشـيع لـ«شـيعة» لبنـان، ويعلـن الحرب على السـيد «حسـين» في جبـال صعدة، والحب على «السـيد» حسـن في جبل عامـل، رغم أن جماعة «الشـباب المؤمن» بزعامة حسـين الحوثي دشـنت بداياتهـا بالوقوف على خط اللقـاء الثالـث الجامـع بينها «وحزب الله» بزعامة السـيد حسـن نصر الله من خـلال الهتاف بـ«موت إسـرائيل وأمريكا» مع فارق جلي للعيان بين سـاحتي المواجهة، واختلاف شاسع في المآرب والنوازع والدوافع المحكومة بتضاريس بيئة التكوين، وحسـابات التاريخ الماكرة، وجغرافية المعنى السياسـي والاجتماعي والفكري، وشتان بين اليمن ولبنان!

وعمومـاً كان بمقـدور النظام وأغلب الإعلام اليمني التصريح بأن «الشـيعة» في اليمن لم تكن أكثر من إشاعة مغرضة، وكان من الوارد لهذا الكلام أن يمر بسلام، خاصة وأن الكثيرين في اليمن والعالم، ومنهم كاتب هذه السـطور، لم يسـمعوا بوجود «شيعة» يمنية ذات طبعة اثنى عشرية إيرانية إلا بعد اندلاع حرب صعدة، ولكن السلطات الحاكمة فشلت في إزالة أسباب الحرب من باب الحوار والمصالحة وكل ما من شـأنه توفير المزيد من أسـانيد تأكيد الزعم بأن «الشـيعة» هنا عبارة عن إشاعة، وردم كون المحنـة، التـي مازالـت تطلق ريحـاً لافحة، تعزز مـن صدقية ما يتردد مـن أخبار عن اسـتمرار وقائع «الحـرب المفتوحـة». نعم، مفتوحة حتى عندنا، وذلك هو عنوان خـط التقاطع الرابع بين الجماعة هنا وهناك حتى الآن..!

على أن ذلك لا يعني أن النظام الحاكم في اليمن لا يملك العديد من الأوراق الرابحة إذا ما ثابر في ارتداء وشاح «المقاومة» واستظل بلافتة القضية «القومية» وغض الطرف عن الاتهامات التي تقول بهروبه من مواجهة استحقاقات الداخل المتصدع والخربان بالهروب إلى فلسطين ولبنان، أو تتهمه باستثمار الأحداث هناك لحساب مراكمة رصيده الانتخابي هنا.

وفي كل الأحوال، على الحاكم أن يتراجع عن مطالبته بحقه في الحصول على «بقعة» حدودية مع إسرائيل كيما يتنفس الصعداء وهو يرى أمنية حياته دانية القطاف بركل إسرائيل كأي حمار صغير أو بإجبارها على الرحيل من أراضينا المقدسة في أهون الأحوال.

ثم إن على هذا الحاكم أن يحسم أمره وقراره باتخاذ ساحة المواجهة مع إسرائيل وأعداء «الأمة» كمسرح للدعاية الانتخابية للانتخابات الرئاسية الوشيكة ليؤمن اختطاف شارع ملتهب العاطفة والوجدان، وتحريك ماكنة هذا الشارع التي طالما اشتغلت واشتعلت بالزيت المحرك لمنطقة انفعالاته على نحو يعميه عن رؤية الخراب المزمن في دياره، وهو خراب مجاوز لما حل في لبنان من خراب جراء قصف آلة العدوان الإسرائيلي الجهنمي، رغم أن اليمن ليست ساحة مواجهة مع إسرائيل، ولم تدخل معها في حرب إلا من باب التمني الذي لا يبرر كل ما فيها من خراب ومخلفات حروب.

وأخيراً، سنأتي على المقطع الأحلى من فاكهة المقترح (الجَمالة) مع الحزب الحاكم الذي أزعم أنه سيقدم على صرعة الموسم، وسوف يتمكن من اختطاف صناديق الاقتراع وصناديق الجماجم إذا ما قام، من قبيل مواكبة المرحلة، بتعديل بسيط وحساس على اسمه وأطل علينا باسم: حزب الله الشعبي العام.

ربما كانت الضربة القاتلة، وربما كان ما لا يخطر بحسبان، ولكن الأمر الوارد هو أن الحزب لن يكون كما هو عليه الآن ولن تعدم وسائل إعلامه وسيلة توصيف انتقاله ما يفيد أنه قفز من طور حزب الإنجاز إلى حزب الإعجاز وغير ذلك من الأقوال التي تصدُر عن الأفواه التي طالما نصحنا بأخذ الحكمة منها!

● «النداء»، العدد ٦٦، الأربعاء ٢ أغسطس ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

فــي وداع أنمــار

فيما اسـتعاد الأسـتاذ والصديق العزيز حسـن محجوب حضوره المشـاغب أمامي وأنا في غمرة الانشـغال بـ«أنمار»، كانت أصداء حديث البارحة مع الصديق الدبلوماسـي تتردد في ذهني وتمارس تشويشها بارتجاج عنيف. وما كان بمقدوري الإمساك بزمام أمري، أو حتى التعرف على نفسي كأبله أصبح يتمتم بعبارات جوفاء، ويخلط الملح بالسكَّر، والشاي بالعصير، ويخفق في محاولات التمويه على أجواء مائدة الوداع الحزينة بما يقترف من حماقات منفلتة اثارت بكاء الأطباق الخرساء.

ها هو أنمار يسـتودعنا ليرحل إلى الموصل قبل أن نتدارك تقصيرنا تجاهه كطفل عشـريني شاءت سـخرية الأقـدار أن تضيفـه إلى خيمة عنايتنا العائليـة كواحد من أفراد أسـرتنا الصغيرة في اليمن التي قدم إليها دون سـابق معرفة لأحد فيها غيرنا بناء على رسـالة توصية من خالد القاضي العراقي (بهجت) الذي كان تعرف على عمدة الأسـرة أروى عثمان عام ٢٠٠٠ في الشـارقة بمناسـبة استلامهما لجائزة الإبداع العربي في القصة.

كان المقـرر أن يمكـث أنمـار الحاصـل على الثانويـة وكبير أشـقائه، في صنعاء وتحـت رعايتنا – فرضاً– لأربع أو خمس سنوات، استجابة لرغبة أسرته التي ارتأت ابتعاثه إلى اليمن ليكمل تحصيله الجامعي، وليكون –وهذا الأهم– بمأمن من اخطار الحرب المجنونة في بلاده!

.. ما الذي طرأ في دنيا أنمار وحمله على قطع مشوار الدراسة ومفارقة الخدر الآمن؟!

وذهبـت أتحدث مع نفسـي وأبتسـم كأبله مستسـلم لأمطـار الذاكرة التي انهمرت بصـورة العزيز حسـن محجوب الذي كانت اضطرابات السـودان قد انتهت به إلى (مغترب) في اليمن وجعلته يتفرد بنحت عنوان مأسـاته بتعبير سـاخر ومرير طالما سـمعناه وهو يردده بلذاعة: «ومن عجائب آخر زمن

أن يغترب السوداني في اليمن».

وعلى غراره ذهبت أردد: «سبحان من جعل العراقي يطلب العلم والأمان في اليمن».!

وتذكرت أني في اليوم السابق، أي مساء السبت الماضي، كنت قد تعجبت من عجب صديقي الدبلوماسي العربي الذي حرص على الانفراد بشخصي كمن ينطوي على سر خطير، وهمس يستفسرني بعجب واستغراب عن خبر ورد في صحيفة (...) ليفيد بعملية انتحارية نفذها الشاب اليمني عبدالباسط علي أحمد باشيبة من عزان بمحافظة شبوة، في الموصل ولقي مصرعه ظهر يوم الثلاثاء ٢٥ يوليو... وقال: «مما له دلالته أن باشيبة غادر مدينة عزان بتاريخ ١٥ يوليو متوجهاً إلى العراق للجهاد، وأنه في الثانية والنصف من بعد ظهر الثلاثاء ٢٥ يوليو، أجرى اتصالاً بأسرته ليبلغها أنه في طريقه لتنفيذ عملية انتحارية على متن سيارة مفخخة كان يقودها في الموصل، وفي المساء اتصل أحدهم ليخبر أسرته في اليمن بأن ابنهم (استشهد) في العملية وحقق أمنية حياتية في مماته»!

ومضى الدبلوماسي: «ومما له دلالته أن أمور ترحيل هؤلاء جارية على قدم وساق، وعلى قدر بالغ من الدقة والتنظيم والفاعلية».

.. في المساء التالي كنت أقول: ومما له دلالته أن أنمار سيعود إلى الموصل! وكنت أحملق في الوجه الطافح براءة والشبيه بأي أوروبي ببياضه المتورد بالحمرة.. وذهبت أتفكر في الظرف الطارئ والقاهر الذي استدعى عودته وفيما إذا كان قد تجهز كهدف مرشح لسيارة مفخخة..الخ.

كان يحدثنا عن والده وأمه وأشقائه الصغار الذين تحركوا جميعاً لاستقباله في دمشق واصطحابه إلى الديار في الموصل.

وقال إن الوالد لم يعد قادراً على مواجهة أعباء الحرب وأهوال تداعياتها، فقد انحنى ظهره وصار أمر وقوفه في طابور انتظار الحصول على أسطوانة الغاز بمثابة محنة كبيرة وخطيرة يمكن أن تودي بحياته إذا لم يسارع ابنه الشاب أنمار لمواجهتها بكفاءة واقتدار.

كان صدر الدقائق التي قضاها أنمار بين أفراد أسرته/تنا، أضيق من أن يحتمل البوح بحرقة ألم وحريق فاجعة على أنمار الراحل إلى قلب النار، بعد إنجازه لواجب الوداع الحزين وخروجه من باب شقتنا وتلويحته الأخيرة التي لم يدرك أنها رسمت خط النار في بابنا، وفي أفق رؤانا، وفي أعماقنا المنكسرة والغائرة، وفي الغصص والدموع التي كبحناها بقمع خارق وقسوة ساحقة لأي اختلاجة يمكن أن تنبس بها كوابيس نفس أمارة برأس أنمار اليانع.

كنت على وشك تحذيره من السيارات المفخخة ومن... وتمنيت لو تعرفت على معسكر «المجاهدين» اليمنيين الذين يرحلون لينتحروا في العراق لألفت عنايتهم الكريمة بتجنب «الاستشهاد» على طوابير الناس الذين ينتظرون الحصول على الغاز في العراق، وفي الموصل تحديداً.

تمنيت لو قلت لهم: كفوا عن «الجهاد» فوق من يمارسون «الجهاد» بقصد مواصلة بطولة العيش في قلب الأخطار وأنمار!

● «النداء»، العدد ٦٧، الأربعاء ٩ أغسطس ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

السعودية (×) ولو كانت (√) .. لماذا؟

لأسباب معلومة وغامضة ومجهولة ولا يتسع المجال لذكرها، تخندق اليمنيون ضد جارتهم الكبيرة المملكة العربية السعودية لعقود طويلة ارتسمت خلالها خطوط المواجهة العنيدة على جبهات الفكر والسياسة والإعلام والأيديولوجيا بعدائية عمياء، في الغالب، وهي عدائية محكومة بنظرة العين الواحدة المحجوبة بنظارة سوداء لا ترى سوى ما تريد أن ترى!

هكذا أصبح كل ما يصدر عن السعودية لا يقبل القياس بغير مسطرة «نظرية المؤامرة» وما يتفرع عنها من عناوين الاسترابة من حقول الخفايا المزروعة بالمكائد والكمائن وغير ذلك من ضروب وأبلسة الآخر (الجار) الذي ما برحت الكثير من أطراف السياسة وتناولات الصحافة تحمله معظم أوزار تخلف اليمن وحروبها الداخلية وعثراتها ونكباتها القديمة والمحتملة والقادمة!

وفي الآونة الأخيرة كانت المملكة هدفاً لحملة ضارية لأنها وصفت ما أقدم عليه حزب الله عند اختطافه لجنديين إسرائيليين بـ«المغامرة».

المحنة أنه لم يدر بخلد واحد من أولئك الذين انهالوا على السعودية بسهام «التخوين» أن يسأل نفسه أو يتساءل عن بواعث وخلفيات الموقف السعودي.

ويعلم كاتب هذه السطور أنه سيغامر برصيده «الجماهيري» ولن يكون بمأمن من الرجم بتهمة خيانة «القضية» لمجرد اعتزامه مغايرة هذا السائد بوجهة نظر تقول إن من حق السعودية أن تتخذ موقفها إزاء الأحداث التي تمور وتغتلي بها الساحة العربية انطلاقاً من وعيها لدورها وموقعها

ومصالحها كصاحبة ثقل اقتصادي وسياسي يتجاوز حدود المنطقة العربية ولا يسمح لها بالاستقالة من التفاعل مع ما يحدث، سلباً وإيجاباً، بوصفها دولة «مركز» في العالم العربي وفي ما يتجاوزه على نحو يبرر لها تخوفها من إيران وعلاقتها بحزب الله بناءً على خبرة تاريخية غير سارة مع إيران التي «مازالت إلى اليوم تحتل أراضي عربية تابعة لدولة الإمارات وأخرى لدولة الكويت ولا ترضى حتى بمجرد النقاش حولها على أي صعيد كان».

.. ومن حق السعودية أن تخشى تداعيات اللعب الإيراني على الورقة الطائفية في العراق، والنعرات الشيعية المستثارة لدى شيعة المنطقة الشرقية في المملكة أو في البحرين أو في الكويت و... إلخ.

ومن حق السعودية أن تحشر أنفها في الشأن اللبناني بعد أن كان هذا الشأن قد انحشر في الطائف واستعاد منها بريق الحياة والمسرة، وبعد أن تنامت الاتصالات والصلات والمصالح بين البلدين على نحو صارت معه السعودية شريكة في صياغة سيناريوهات المستقبل اللبناني.

.. وإلى ذلك فإن السعودية ليست مجرد طفرة ناتجة عن خطأ جيولوجي، ولكنها تدفع ثمن ما تقول وتفعل أكثر من غيرها، وليس من حقنا مصادرة حقها في التعبير عن مصالحها إلا بما يمليه علينا نصاب الحق ومنطق الرأي الحر والمتحرر من الاضطغان الثأري والكراهية العمياء.

.. ليس من حقنا أن نتمادى في استبلاه وإنكار طبائع الأمور والإشياء، وفي التساكن مع وهم أن السعودية «رجعية» وغلطة مطبعية أو خطأ تقني يدعونا الواجب لتصحيحه!!

ليس من حقنا أن (نزايد) على السعودية بغير حق أو بالحق والباطل، وأن نتعاطى معها بوجهين وأن نمد إليها الأيدي من تحت الطاولات ونغمز من قناتها في الفضائيات والصحف والتكايا.

وليس كل ما يصدر عن السعودية خطأ، كما لا يمكن اعتبار ما يصدر عن الأسرة الحاكمة في اليمن عصارة حكمة. وليس من حق الأعور أن يعيب على الأعرج إلاَّ إذا كان في الأمر ثمة هرج و... حرب مفتوحة!

● «النداء»، العدد ٦٨، الأربعاء ١٦ أغسطس ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

قواعــد سلــوك

اسـتعاد الإعلامي السـوداني الذي شارك في ملتقى "قناة الجزيرة" حول "الإعلام في العالم العربي والآخر" الذي انعقد مطلع هذا الأسـبوع بمدينة أصيلة المغربية، ما حدث للكاتب والروائي السـوداني المعـروف الطيـب صالـح، عندما كان مديراً عاماً للإعـلام في دولة قطر التي اسـتضافت، قبل أكثر من عقدين، مؤتمراً هاماً للدول المصدرة للنفط في عاصمتها الدوحة، ووجهت الدعوة للكثير من الصحفيين المرموقين في العالم.

وكان علـى الطيـب أن يقوم بواجبه على حسـاب الدولة المضيفة في التهيئة لاسـتقبال الصحفيين وحجز الفندق الخاص بإقامتهم على حساب الدولة المضيفة. ولم يخطر على باله قط أن يلقى ممانعة قويـة مـن قبل العديـد من الصحفيين الغربيـين، خاصة، الذين اعتذروا بكياسـة وعبـروا عن رغبتهم باختيار الفنادق التي يرونها مناسبة لإقامتهم، وأصروا على دفع تكاليف ذلك من جيوبهم، من موقع التمسك بمبدأ "لا يقبل المساومة ولا (رشوة) الضيافة!".

لاشك أن ما حدث قد أضاف جديداً مفيداً إلى رصيد خبرة الكاتب الروائي السوداني اللامع، الذي اسـتوقفه الأمر وانبهر بانفجار ضوء ذلك الحدث الكاشـف لزوايا لم تكن مرئية في عينيه، وأبعاد لم يكن يدركها في مهنة الصحافة وفي طابع عمل الصحفي الحر والمتحرر من أي ارتهان لأي سلطة غير سلطة الصحافة و (جوهر) وظيفتها في خدمة الحقيقة بنزاهة وحياد.

لقد استعاد الإعلامي السوداني ما صار مع الطيب صالح في معرض تعقيبه على مداخلات سابقة لامست الإعلام العربي بالمقارنة مع الإعلام الغربي (الآخر).

وتقصد المتحدث السوداني فتح الباب للسؤال التالي: ماذا لو كان الصحفيون الضيوف من العرب؟!

وأردف أن الصحفيين العرب يدورون حول السلطة، وموائدها في أغلب أحوالهم و.. المعلوم أن أشهرهم (يقصد الأستاذ هيكل) ما كان له أن يمتلك ناصية الشهرة الضاربة في الأرجاء لو لم يكن على تماس بصانع القرار المتحكم بدولاب المعلومات والأسرار والمصائر والأرزاق والأقدار.

ولم تكن إلماحات المتحدث حول أوضاع الصحافة العربية تحتاج إلى ترجمة فصيحة تقول بمأساوية وهزلية أوضاع هذه الصحافة وإن اعتمدت في بعض الحالات على ذات المعايير المعتمدة في إعلام "الآخر".

ولما كانت حالة الصحافة اليمنية هي الأسوأ من حيث تخبطها في دياجير العشوائية والاعتباط والارتجال، ومن زاوية افتقارها للتمأسس والمؤسسية وترنحها دائرة (سوء السمعة) واتضاع المكانة؛ فإنها لن تتمكن من امتلاك سلطتها النافذة وحضورها المنتج والخلاق إذا لم تستند على نقطة ارتكاز أولية تتمثل في: قواعد سلوك مهني تعزز من استقلاليتها، وتكرس خطها المهني، وتقوي مصداقيتها، وتنأى بها عن إصدار الأحكام أو الاحتكام الى اعتبارات وتفضيلات أحادية في النشر، وعن التحيزات والنوازع الضيقة والانتفاعية والابتزازية و.. غير ذلك من المفردات التي وجدتني أستعيرها من "ميثاق شرف" داخلي أو بيان "قواعد سلوك مهنيلصحيفة "النداء" التي بادرت لضبط إيقاع عملها بمعايير مهنية وأخلاقية تتوسل الارتقاء بالذات من باب إصلاحها باضطراد وديناميكية تؤهلها لامتلاك الشروط والمبررات المقنعة والقوية للتصدي لدعوى الإصلاح الشامل في البلاد ومكافحة الفساد.. إنه نداء "النداء"، وهو يقول بأن على الصحافة، وقبل أن تنبري لحمل راية الاصطلاح، أن تصلح نفسها من الداخل أولاً قبل أن تتنطح لإصلاح الخارج، وهو نداء أتمنى على "النداء" نشره لتطل علينا بوجه السبق الصحفي.

● «النداء»، العدد ٦٩، الأربعاء ٢٣ أغسطس ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

وســواس برقصــة فــرح

إذا كانــت نقطــة ارتكاز رقصة الفرح على اثنين، فإن رقصة الموت تحتاج هي الأخرى الى اثنين، ولا تركب صفة البلاهة العقيمة إلا على من يقرر مراقصة نفسه في (الغدرة) «ويا راقصة في الظلمي ماحد يقلك ياسين!».

وإذا كانــت الأوضــاع مجنونة فــإن ذلك لا يعني الاستســلام لمنطق فوضاها «الخلاقة» أو التســليم بحكم المجانين، وكأنما صدر اليمن أصبح أضيق من أن يحتمل ترف التعقل وحسابات العقل.

إنما.. ما مناســبة هذا الكلام والبلاد على مرمى «شــخطة» قلم يمكن أن تكتب عنوان انتســابها إلى قائمة البلدان الحية في عالم اليوم.

ولما كان الاستحقاق الانتخابي الرئاسي الماثل في الأذهان قد جاء هذه المرة محفوفاً بإيقاع زحزحة خطيرة ولافتة تشير الى قبول بمبدأ تداول السلطة والمنافسة على أعلى وأغلى «كرسي» وهو الكرسي الــذي طالمــا كان الطريق الى وصوله مرصوفاً بالجماجم والأشــلاء والجثث الصرعى بقذائف القنابل والبنــادق والدبابــات والنيــران الصاهلة بحرائــق وأدخنة كانت دائمــاً تدفع بما تريد من شــظاياها لاعتلاء كرسي النار هذا، أو تلتهم من لا تريد من فحم الكرسي إياه!!

وكمــا كان هذا الاســتحقاق قــد أطل علينا بتلك الزحزحة فقد انتعــش لدينا الأمل بوطن محتمل من باب خروج مجال السياسة من شرنقة «تربيع الدائرة» حيث العبث والهزل والاستحالة، الى عتبة الجد والفاعلية في فضاء متسع لاحتضان أشواقنا برقصة فرح وأغنية للحياة..

إنما -ثانية- ما كان للمليحة أن تفرح حتى قرح القارح، وكان ما كان في اليوم الأول لتدشين الدعاية الانتخابية لمرشح المعارضة (المشترك) عندما اصطبغت اللحظة بالدم في ضوء ما كان من مواجهة عنيفة أسفرت عن مصرع رئيس اللجنة الإشرافية للانتخابت في محافظة الجوف -مشترك، ومصرع آخر، مؤتمر، وقطعت علينا دابر التأمل في أنفسنا وقد أصبحنا كما الناس في العالم المتحضر، والتأمل في مفردات أول خطاب لمرشح آخر (المشترك) المهندس فيصل بن شملان.

وقد سمعت أن عملية تمزيق صور المرشح الرئاسي للمعارضة وصور مرشح المؤتمر الرئيس علي عبدالله صالح كانت تجري بنشاط وكأنها تستعجل «دهفنا» الى خريف إنساني لم نعش ربيعه لتحرمنا من أن نعمل -ولأول مرة- على ألاّ نموت أغبياء عديمي المسؤولية.

وسمعت ناطقاً رسمياً ظريفاً يصرح بأن ما حدث يحدث في بلدان العالم وبما في ذلك امريكا نفسها، ولست في وارد مساجلة ذلك الناطق لألفته: أنت في اليمن يا غـ.. بـ.. ي!!

ثم سمعت أن بياناً صدر ليعلن جملة من المحاذير العقابية على كل من يتقصد الإساءة لأحد الرئيسين.

وجال في خاطري حال الصحافة فهي بمثابة جدار قصير يمكن أن يُستهدف بالرفس والكتم على أعتاب استحقاق انتخابي ينبغي ألا يستدعي أجواء الحرب وخطابات الرصاص والانزلاق إلى انفعالات هائجة تمزق البلاد ووحدتها الهشة والمتصدئة، أو «الوحدة اليمنية» التي لا مجال للاعتراف بها أو تعريفها إلا من خلال لحمها من طريق تجسيد مبدأ التداول السلمي للسلطة.

ووسوسني هاجس رقصة الفرح التي لن تكون بغير اثنين فلا تغلقوا علينا مجال الرقص، ولا تلعبوا بالقنابل وصناديق الاقتراع أو تذهبوا باليمن إلى حتف العراق!!

● «النداء»، العدد ٧٠، الأربعاء ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

مؤتمـر + مشتـرك = (١)

ما أصعب أن تشـبه نفسـك، وأن تكون أنت بأكثر ما تريد أن تكون عليه أناك، الأنا المبصومة بقرار فرادتها، والمهورة بتوقيع اسـتعدادها على المخاطرة باكتساء رونق الاعتراض والاختلاف والمغايرة واحتمـال تبعـات جسـامة الإقامة في مهـب الذئاب والذباب.. في قلب إعصـار، أو في عين عاصفة، أو في حلق زوبعة، أو في بلاد كاليمن المنفسـحة كميدان لسـباق فئران، ومسرح لـ«ترقيص قمل» وساحة لتزاحم قطعان نعاج الإذعان، وعجول الاتباع والإجماع.

.. وما أخطر أن تنحاز لحزب الصعاليك والأشقياء، وإن تكوِّن تجمعات، أي: عضو في حزب التجمع الوحدوي اليمني، وأن تختار فيما تختار: إما «المؤتمر» وإما «المشترك»، أو إما الموت وإما الموت.

إمـا أن تكـون مـع الطـرف المحتكر لمجال السـلطة أو الطرف المحتكـر للمعارضة، وكلاهما سـلطة، واستحواذ، واحتكار ومصادرة، وواحد.

ثم إن الأمر كان، بالنسـبة للتجمع الوحدوي اليمني، يعني: إما أن يكون ملحقاً بالمؤتمر الشـعبي العام، أو «لحقة» بـ«المشترك»، ولكنه أصر على الاحتفاظ بمروحة احتمالات أوسع وأرفع، وأكد على أن اليمن لا يمكن أن تختزل بواحد وإن كان اسمه: «مؤتمر» و«مشترك».

● «النداء»، العدد ٧١، الأربعاء ٦ سبتمبر ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

في ترجمة الحشد

ما الذي يمكن قراءته على سطح صفحات الرغوة المتكسرة لأمواج الحشود المتدافعة بالركب والمناكب، والمكتظة في الشوارع والساحات والملاعب لتهتف لمرشح الحزب الحاكم أو لمرشح أحزاب اللقاء المشترك؟

هل هم الموتى وقد خرجوا في إجازة ويقال: «الشعب»، أم أنه الشعب وقد تأهل لصياغة مطلع التغيير، ومستهل العبور إلى زمن الفعل والحضور الإنساني المبدع؟

وهل يمكن إجالة النظر إلى ما هو أبعد من الصورة المنظورة واستبطان هذا الذي يحدث بإحالته إلى اضطرام الحاجة للتنفيس عن احتقانات، وإطلاق مكبوتات، وتنخيس ضغوط وإكراهات، وخرق لجدران الرتابة والمألوف، ولأكفان وسجون العادات، وتفصيح لعثمة، وتفجير مسكوت..؟

وهل تسمح لنا تلك الحشود الهادرة بالنظر إليها من زاوية الانسياب المترقرق في مجرى كتابه أشواق «برتقالية» بقوة الاعتراض السلمي المجسد في الأفق بألوان قوس قزح، والمبلور في الميادين والأرصفة والحدائق بأطفال وشباب وصبايا ورجال وشيوخ ونساء يرقصون ويغنون للتغيير، ويرفلون برايات وشموع وفوانيس وطائرات ورقية وورد وفل وسنابل ومناجل تضع بصمتها على صوت الهتاف وتروضه بغنائية مرحه، فرحه بالحياة؟

وماذا لو غامرنا في ترجمة هذه الحشود إلى أرقام؟.. وماذا لو جاءت الترجمة بعناوين ومفردات صادمة، خاصة وأن ترجمة الحشود إلى أرقام ستفرض علينا التعامل مع منطوق معطياتها بنزاهة لا

تستبعد النظر إلى تلك الجموع المحتشدة حول (الحاكم) -مثلاً- وهي تهتف بمال عام وأموال ملغمة ومغسولة، وبعسكر ومعسكرات ومشائخ وقبائل وأبواق وطبالين وأفاكين، ومنافقين ولاعقي أحذية!

ومن الوارد أن تطالعنا الترجمة الرقمية لحشود «المشترك» بعناوين يتقابل ويتماثل بعضها مع عناوين «المؤتمر» مع فارق لافت في بعض العناوين التي تستمطر التغيير من السماء وفي القليل من العناوين التي لا تخشى الإفصاح عن رغبة عميقة، غائرة، وملتهبة بابتكار وطن ومواطن في اليمن.

وبين هذا وذاك كان لافتاً أن القبيلة تعيد إنتاج دورتها، وتستأنف حضورها بنشاط ينزع الى تمديد خطوط إنتاج الدورة الراهنة لتشمل الرقعة الكاملة للبلاد، وتشمل على بعث العروق الميتة لعصبيات قبلية سادت ثم بادت عمارتها في بعض الأصقاع.

وبين هذا وذاك لا يمكن القول بانسداد نافذة الأمل، ولسنا في وارد القطع بالقول ان ما يجري لا يكتسي من الحداثة -الديمقراطية، وتقنية الانتخابات- غير مساحيقها وعنوانها الخارجي.

وبهذا المنحى لا بأس من الإشارة إلى أن نافذة الأمل لن تكون في رسم الانسداد إذا ما تبلورت الوقائع والمعطيات التي ترجح من احتمال تغيير قواعد اللعبة، واحتمال سيادة منطق الدولة الوطنية والاعتراف بالأفراد كمواطنين، وإن كان التقاء الفرقاء في الدهليز الإقصائي المعتم لا يبشر بخير في المستوى المنظور، على الأقل، وذلك أن توحد هؤلاء الفرقاء على إقصاء المرأة من مجال المشاركة، والاحتفاظ بدور النساء كقنابل في صناديق الاقتراع سيظل مانعاً لإقلاع طائرة الديمقراطية، وللحلم بالخروج من مستنقع الدم المعمم بالجهل والقسوة، والمزدان بعمائم سوداء وبيضاء وخوذات حمراء وزرقاء وخضراء، وعباءات الاتحاد بالغيب، والاحتشاد بالقبائل والمذاهب والضجيج الذي لا يسمع غير نفسه، وكافة هؤلاء الجاهزين للرقص على انقاض دولة، والوعد بحروب أهلية طويلة ومريرة.. في حال انسداد كوة الأمل الأخيرة.

● «النداء»، العدد ٧٢، الأربعاء ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦

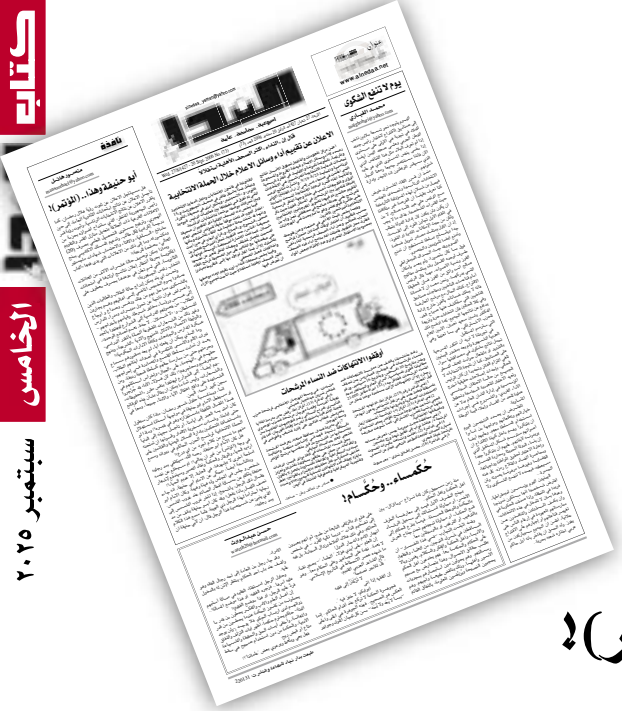

نافذة

منصور هائل

أبو حنيفة وهذا.. (المؤتمر)!

هل سيتأجل الإعلان عن ثبوت رؤية هلال رمضان، كما تأجل الإعلان عن نتائج امتحانات الثانوية العامة، إلى حين يتقرر الإعلان عن نتائج الانتخابات الرئاسية، وثبوت رؤية قمر رئيس الجمهورية المنتظر، الذي ستنداح أضواؤه بحزمة من الإعلانات الفرعية ذات العلاقة بتعديل منازل القمر والتقويم الهجري، وترفيع مستوى التحصيل العلمي بصرف ٢٠ درجة إكرامية لكل طالب، وتدعيم السلك الأكاديمي بمنح مشائخ «السلفية» والإفتاء والاحتساب شهادات ماجستير ودكتوراه، وما إلى ذلك من الإعلانات التي يرى فيها «الباب العالي» مصلحة للرعية؟!

وبماذا يمكن توصيف حالة عشرات الآلاف من العائلات المكتوية بحرقة انتظار إعلان نتائج أولادها في امتحانات الثانوية، التي لم تعلن في موعدها بحرف معطوف على انتخاب رئيس الجمهورية؟

وتحت أي بند يمكن إدراج حالة الطلاب والطالبات الذين عادوا يوم الخميس الماضي إلى أهاليهم وهم يجأرون بالشكوى مما حل بهم من هتك ورفس وصداع وأوجاع وأعراض هوان ناتجة عن تحول مديرات ومدراء المدارس إلى عسس ورؤساء مخافر شرطة، وقيامهم بإخراجهم -الطلاب- من فصولهم الدراسية إلى الشوارع ليهتفوا بالمجد للسلطان، و: «لا شملان.. لا حدة، نعم لصانع الوحدة»، وغير ذلك من الشعارات المقطوعة الصلة بالمقرر الدراسي، والوثيقة الاتصال بالإذلال الممنهج والأذية «الشرعية» وبنهج عسكرة المدارس والجامعات وكافة الإدارات الحكومية؟!

وما الذي يمكن أن يفعله آباء لم يعد بمقدورهم سماع نبرات الألم والأسى المتكسرة في أصوات أبنائهم الطلاب، بعد أن تمادت سلطة القمع والمصادرة في إحراجهم، وحرمتهم حتى من ممارسة

حقهم كسلطة قمعية رديفة، ومن حقهم في «الهنجمة» على «العيال» وإخراس أسئلتهم في حناجرهم ومحاجرهم؟! ذلك لأن هؤلاء الآباء قد جُرْجروا -هم أيضاً- إلى الشوارع ليهتفوا بنفس مقرر «المحفوظات» والشعارات، وليس ثمة ما يمكن أن يقال بشأن هذه الوقائع الشاهدة على واقع اعتقال الآباء والأبناء جميعاً، ومعاً في سجن كبير اسمه: اليمن.

إنما، وبمناسبة حلول شهر رمضان: ماذا كان سيقول أو سيفعل الإمام أبو حنيفة في مواجهة أسئلة استهلال هذا المقال الكفيلة باستفزازه وهو في قبره؟! وماذا لو كان امتد به العمر إلى أيامنا، أو تأجل مجيئه إلى الدنيا حتى أيامنا، وشاءت سخرية الأقدار وقسوتها أن تمتحنه باستضافة المتحكمين بإدارة البلاد اليمنية والقائمين على الحملة الانتخابية لمرشح الحزب الحاكم في ديوانه وسمع منهم ما نسمع من كلام أجرد من أي ورع؟!

هل كان الإمام أبو حنيفة، رحمه الله، سيكتفي بمد رجليه في وجه (المؤتمر) من غير أن يبالي؟! أم سيخلع عن نفسه أردية الحياء والوقار والحكمة ونفاد الصبر وسيندفع لإشهار أسلحة أخرى لا يشهرها، في العادة، إلا عديم الحياء؟!

وبالمناسبة أيضاً: «يحكى عن الإمام أبي حنيفة، أنه جاءه شخص وجلس في المجلس وله هيئة وهيبة. وكان الإمام أبو حنيفة يتكلم عن مسألة إفطار الصائم عند غروب الشمس. فقال ذلك الرجل: يا شيخ: إذا تأخر غروب الشمس إلى نصف الليل ماذا نفعل؟ وقد كان أبو حنيفة يأنف من مد رجليه احتراماً لهذا الرجل ذي الهيبة. فلما سمع هذا الكلام الذي ينبئ عن شخصية هذا الرجل قال: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه».

● «النداء»، العدد ٧٣، الأربعاء ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

بن شملان الفائز بحجم ما يراه

تقدم المهندس فيصل بن شملان علينا جميعاً. تقدم بن شملان في الزمن وعلى اليمن.

تقدم على نفسه، وعلى منافسيه، وعلى أنصاره ومحبيه، وانهزم أمامه مرشح المؤتمر الشعبي لرئاسة الجمهورية، وانهزمت خلفه أحزاب اللقاء المشترك التي توحدت عليه وفيه ورشحته لمنصب الرئاسة ونأى بنفسه عن مقبرة الفرص الضائعة كإشراقة مجنحة لطائر يغمره الافتتان بغياب الأفعى، ويتوهج بالتغريد بعيداً عن «عالم البلهاء وعديمي الإحساس والمهيجين» وعن السكارى الغرقى في طبقات الغبار والقذارة الطافية على سطح انعدام التغيير.. وعن المفتقرين لهمة غسل مصيرهم، وتغيير حياتهم، كما يغيرون ملابسهم، وذلك لإنقاذ الحياة وتكريس احترام النظافة – بحسب فرناندو بيسوا.

.. لقد تقدم علينا بن شملان وهو السبعيني الطالع من بين ظهرانينا بهيئة تجلت بعنوانها المفارق، من أول وهلة، لما اعتدناه وألفناه واعتلفناه في حضيرة السياسة اليمنية من وجوه وخطابات متخبطة في مجازات مراوحة الكل في واحد.

.. ولما كان بن شملان حالة مفارقة فقد كان من شأن زلة اللسان إو خيانة اللغة أن تدفع بمنافسه الرئيس إلى وصفه بـ«المرشح المستأجر».

والحال أن وقع المفارقة المباغت قد ولد مزيجاً من المشاعر والتصورات والآراء المتناقضة والمتضاربة بشأن بن شملان وهو الذي لم يهبط علينا من كوكب آخر بقدر ما جاء من زمن قادم واختلف الفرقاء حوله، بين هارب إليه ومستجير به وبأطياف مانديلا وغاندي التي قدمت معه، وبين هارب منه

ومذعور من وعد التغيير، وقد كانت ومازالت هذه النقطة جديرة بالقراءة المفتوحة على بساط القادم من الأيام والأعوام التي ستطل علينا بإعلان يقول بأن الفائز الأكبر في هذه الانتخابات كان فيصل بن شملان وإن لم تعلن عن ذلك اللجنة العليا لانتخابات!

لقد جاء بن شملان ليخترقنا كشهاب، وكان لحظة اختراق لرؤوسنا بمواكب من الأحاسيس والأفكار إلى أن دقت ساعة «الصندوق الأسود» وصندوق العجائب وبدا أن الديمقراطية «ماتت بصندوق وضاح بلا ثمن» وتركز حزن اليمن كله في لحظة، وتكثفنا بشتى التهديدات ذات الألوان المغيّبة، وارتطمنا بجدار الحقيقة القائلة بأن «الموت هو الوجه الآخر للسياسة في اليمن» وارتكسنا إلى نقطة التأسي والاتكاء على عكازة الفعل الماضي الناقص: كان.. وكان بن شملان.. وبن شملان يتقدم علينا في الزمان ولا يلتفت إلينا ونحن نتجذر في الخراب، ونجدد توقيع عقدنا مع النسيان.. النسيان بما هو استراتيجية حكيمة للعيش والخلاص من أثقال ذاكرة منهكة، ومشبعة بالعنف والموت. وتقدم بن شملان وهو يبتسم في وجه من تورثوا ما تهدم واستأنفوا شحذ الحراب ليتحاربوا على أرض الخراب، وسلطة العطن والعفن، وفي وجه من استأنفوا التسبيح بحمد خالق الظلام وتكرار ما نطقت به لسان حقب الانحطاط من حديث يقول: «من اشتدت وطأته وجبت طاعته»!

.. وكما يمر بنا الزمن ولا نمر فيه، مر في أيامنا بن شملان، وربما كان من حسن حظه ألا يخوض في الأنقاض ويمضي ولسان حاله يقول: سأمضي ببعضي.

ويردف بما قال شاعر إسباني:

«لأنني بحجم ما أراه لا بحجم قامتي»...

● «النداء»، العدد ٧٤، الأربعاء ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

التجار يناشدون الرئيس إنجاز وعده

قبل أسبوع تمنيت أن أكون الشاهد الثاني على سرقة الكاميرا لأقوم بصفع الشاهد الأول وركل السارق وإعادة الكاميرا إلى السائح.

إنه نزق الشجاعة وقد أعماني عن وطن يسرق هنا بالجملة والمفرق، وأعماني بفروسية الاندفاع لإنقاذ سمعة إيطاليا.

كان ذلك حينما قرأت ما كتب أحدهم عما رأه في نابولي بإيطاليا، فوصف لصّاً محترفاً نشل كاميرا من حقيبة معلقة على كتف أحد السياح مستبدلاً الكاميرا بحجر معادل لوزنها، ثم يتابع «ضبطني النشال وأنا أراقبه لكنه لم يهرب. بل تسمر في مكانه غامزاً بعينه وكأنه يشركني في صنيعه»!

.. وفي هذا الأسبوع قلت في نفسي: ما دهاني على ذلك التمني! وقد كان ذلك بعد أن شاءت الصدفة أن تضع في يدي رسالة تضمنت من الوقائع ما يفزع ويفجع ويجعلك تعتذر عمّا بدر منك من نية لإيذاء السارق الإيطالي الرومانسي والمراقب الثاقب النظر.

لقد تلبكت وأنا أقرأ رسالة موجهة لرئيس الجمهورية، وما كان لي أن أكتب حول ما قرأت فيها إلا بعد أن تزودت بجرعة شجاعة من الخطاب الذي افتتح به ولايته الجديدة وأعلن فيه الحرب على الفساد والمفسدين المتنفذين.

وهكذا لاحت أمامي سانحة مخاطبة الرئيس بما قرأت دونما خشية من «غمزة» سارق نابولي!

●●●

عشرون شركة ووكالة تجارية استنجدت برئيس الجمهورية وناشدته إنجاز وعده المشفوع بوعيده في محاربة الفساد والمفسدين المتنفذين.

وتسهيلاً لمهمة فخامته تضمنت رسالة الشكوى المرفوعة من قبل التجار المتضررين اسم المؤسسة المتنفذة واليانعة الرأس لقطاف موس (حلاقة) الفساد، وهي المؤسسة الاقتصادية اليمنية التي تؤهلها ممارساتها «غير القانونية» لاحتلال رأس قائمة المواقع المرشحة كأهداف مستعجلة وجاهزة لتدشين حملة الرئيس على المفسدين المتنفذين ببرهان ساطع يجسد مصداقية وجدية نهجه الإصلاحي في ولايته الجديدة التي يعقد عليها اليمنيون آمالاً عريضة في تخليص البلاد من براثن مافيا الفساد.

وقد ورد في الرسالة أن المؤسسة المذكورة ترتكب ممارساتها غير المشروعة «بالتنسيق مع بعض الوزارات الحكومية.. التي تتعمد تركيز واحتكار الأنشطة التجارية بالمؤسسة الاقتصادية اليمنية عبر الاختيار المباشر لها، لتوفير ما تحتاجه تلك الجهات من سلع ومواد، لكي تقوم المؤسسة بدورها بالاتصال المباشر بالشركات الأجنبية التي نعمل كوكلاء تجاريين معتمدين ومسجلين لها في الجمهورية اليمنية، وذلك لشراء السلع، مع ما يترافق مع ذلك من وسائل عدة، غير مشروعة للإضرار بسمعتنا لدى تلك الشركات وبمصالحنا القانونية المشروعة معها».

.. الواضح أن هذه الرسالة تقرع أجراس الخطر المنذرة بكارثة يمكن أن تلتهم ما تحقق على الصعيد السياسي بغمضة عين، إذا لم يسند بحزمة إجراءات إسعافية عاجلة تنتشل البلاد -ليس على طريقة النشال الإيطالي- من وهدة التردي والفشل الاقتصادي، وتقطع دابر الفساد والمفسدين، وفي صدارتهم تلك المؤسسات الطاردة للاستثمار والمتغولة بقرون الاستحواذ والاحتكار.

وإزاء هذا الواقع فإني أعتقد بأن الرئيس لن يسمح بانبعاث مشاعر الحنين والترحم على عهد «التأميم» والتهوين من فداحته كتأميم تم بقانون ولا مجال لقياسه أو مقارنته بما يحدث اليوم من نهب وإقصاء ونبذ للتجار الذين صاروا في مهب الإفقار والاندحار من سوق مطموسة الملامح والقسمات في بلاد يقال بأنها تعتمد اقتصاد السوق.

ثم إني أعتقد بأن الرئيس يستطيع تبديد سحب المخاوف السوداء إذا ما حزم أمره في اتجاه ترجمة وعوده إلى حيز الفعل، وإقناع ناخبيه بأن أصواتهم لن ترتد عليهم كأسواط تلهب ظهورهم، إذا ما اقتنع بأن سبيله الأمثل لترسيخ موقعه في قيادة البلاد يتمثل بالرهان على أولئك الذين منحوه أصواتهم من صعدة إلى المهرة وليس بالارتهان لشلة من المحاسيب والأزلام والأقارب، وهي شلة من ذلك الصنف الذي طالما كان السبب في سقوط عروش إمبراطوريات كبيرة، وفي مصارع أحلام حكام عظام!!

وأعتقد -أيضاً- أن الرئيس لن يقبل بحرق ورقة فوزه (الساحق) في المعترك السياسي بإخفاق ماحق على الصعيد الاقتصادي خاصة وأن ثمة خفقة ضوء تلوح في آخر النفق لتومض بفرصة متاحة أمامه لدخول التاريخ من أوسع أبواب الإصلاح وليس للخروج منه، من سرداب خراب، أو من جحر «فأر».

● «النداء»، العدد ٧٥، الأربعاء ٤ أكتوبر ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

.. والمشترك سلطة «رجعية» أيضاً!

يعود مفهوم «تكنولوجيا السلطة» إلى الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو، الذي تقوم أطروحته المركزية على رفض كل اختزال للسلطة الكثيرة في المجتمع إلى سلطة واحدة هي السلطة السياسية المتمثلة في الدولة، وبالتالي إغفاله لعدم تساوي وتكافؤ السلط المختلفة: سلطة الآباء، سلطة الأسرة، سلطة القبيلة، سلطة الإعلام.. الخ من تلك السلط التي تتشكل السلطة السياسية من جماع عصارتها.

وبما أن اختزال كل السلط بالسلطة السياسية، قد برر وسوغ لضبط زاوية توجيه سهام النقد والتشريح والتجريح إلى مرمى واحد ووحيد هو مرمى السلطة السياسية النافذة والمتنفذة، فقد كان من شأن ذلك الاختزال إعفاء بقية السلط من مسؤولية المشاركة، أكان من موقع تشابكها مع تلك السلطة أم من مكامن كمونها كسلط ثاوية، وموازية، متواريه ولها بالغ الأثر في الإنشاء، والتوجيه، وصياغة القناعات والعقول وتدبير الحياة.

من هنا تبدو سلطة أحزاب اللقاء المشترك -إن جاز التعبير- جديرة بالالتفات المتفحص لدورها بإحاطة لا تعتسف سلطة هذا «المشترك» بتصويرها كوجه آخر للسلطة الحاكمة، أو بمثابة صداها الخافت والمخاتل بنبرة لا ترتفع عن درجة «مسحوق همس» الأخ في الرضاعة!

كما لا ينبغي تفحص «المشترك» من زاوية التباسه بالسلطة السياسية النافذة أو تلبسه مقتضياتها ومتطلباتها سيكولوجيا، أو ترنحه بين طوري الاستواء والاعتلاء فقط.

ذلك لأن حالة «المشترك» تستحث على تجريده من أردية المصطلحات والخطابات التبريرية، والشعارات البراقة بما يفضي إلى تحصيل هيكله العظمي كما هو، وعلى علاته، كهيكل تقليدي بهرميته وتراتبيته وحيث الأكبر يهيمن على الأصغر ويضعه تحت إبطه أو معطفه، وبما لا يمنع الصغير الملفوف بعباءة الكبير في «المشترك» من التنطح للعب دور الكبير على من يعتقد بأنهم صغار ويقعون خارج ذلك الفلك.

.. وفي «المشترك» يتبدى الكبير بحجم حشوده و جحافله الهادرة، وبرأسه المغلظة بمزدوج «كيماوي» اسمه الشيخ.. الشيخ في منتهى أبهة التحامه وتمامه كـ :شيخ افتاء وخطيب منبر، وشيخ قبيلة وزامل وخنجر.

ويحتاج «المشترك» -أيضاً- لمقاربة نقدية تطاول موقفه بما هو سلطة أسفرت عن موقف «رجعي» من المرأة وقلصت من حجم ودور ومستوى مشاركتها، وقبلت بدورها كجسد أيديولوجي برسم الرصف بين الكتل البشرية المغلفة بالسواد، والمؤطرة بصراط الطاعة وتعضيد السلطة الذكورية، وبما لا يسمح لها باختراق سقف ذلك الدور المرسوم، لأن سلطة ذلك المشترك وكبيره ترفض وتلفظ المرأة إذا ما تطلعت بفصاحة لممارسة حقها في المشاركة السياسية، وتسنم مقاليد الوزارة والإدارة وعضوية مجلس النواب والشورى والمجلس المحلي وغيره.

أما على صعيد الموقف من الحريات فهنالك مسطرة «الثوابت» الطويلة، ومسطرة «الثوابت الاسلامية» بكل ما تستدعيه من تخريجات تستحضر أبو هريرة وابن حنبل وابن تيمية وتضع الحريات على كف عفريت -شيخ حسبة معمم.

العجيب أن بعضهم يتعجب من التقاء اليساري والقومي والاسلامي، مع أن البداهة تجيب بحكاية العصا الواحدة وكيف تكسر إذا لم تلتم مع أخواتها في عصبة واحدة لمواجهة الخصم، وتقول بأن جل هؤلاء من «أهل الجنة» ولا فرق بين من يعد أتباعه بإقامة جنة على الأرض (لك أن تسميها جنة الاشتراكية أو الوحدة العربية) وبين من يقطع لأتباعه تأشيرة دخول الجنة في الآخرة، وذلك هو الحبل السري الرابط بين «المشترك» إلى حين!

ولما كان الغريب والغائب الوحيد هو النموذج العقلاني الديمقراطي، فقد ظهرت مائدة سلطة المشترك وكأنها لا تتسع لاستضافة ذلك النموذج إلاَّ بخجل ووجل، وكانت سخية في تغليب المشروعية التقليدية على المشروعية العقلانية، المدنية والحداثية، وبذلك توفرت على جاهزية مثلى للامتلاء بهتاف «يا حنَّان.. يا منَّان» ولاجتذاب الهتيفة ودفعهم إلى الصدارة وتمكينهم من الالتصاق بمرشح المشترك، والتسابق لانتزاع المايكرفون واستهلال خطابات المرشح أو قطعها بذلك الهتاف الرباني (معروفة قصة الهتَّاف الكبير الذي كان ينطوي على داهية لا يستبعد ارتباطها بسلسلة من الدواهي الكفيلة بدفعك إلى الحنين إلى عهد الرئيس «صالح» وهو الحاضر بغزارة تفيض عن حاجة السوق المحلية).

وإزاء ذلك الضرب من الهتاف الذي يستمطر الحل الإلهي برئيس في حملة كان المأمول أن تفرش طريق دخول اليمن إلى الألفية الثالثة عبر طرق أبواب التمدن والعصر والحداثة وليس بحرق البخور والخرق والتعاويذ والتخريفات، أو بالاتكاء على اقتصادات الخلاص، واستثمار الأحاديث والآيات القرآنية بإفراط تمخض عن خلط بين حملة انتخابات رئيس جمهورية وحملة لـ«الفتح المبين».

إلى هنا ونكتفي لعدم اتساع الحيز للمزيد من الانطباعات حول برنامج المشترك، ونأمل ألا تفهم الانطباعات الأولية الآنفة وكأنها تنتقص وتبخس الجوانب الإيجابية الكبيرة التي انطوت عليها مشاركة «المشترك» في الاستحقاق الانتخابي، وحسن اختياره لمرشحه، وخوضه لحملة انتخابية حركت عجلة المسار السياسي، وزحزحت السكون وهزت «التابو»، وكل ذلك يحسب للمشترك وهو يستوجب التقدير والتأمل والبحث والتوسيع، كما يستلزم التقويم والقراءة النقدية.

● «النداء»، العدد ٧٦، الأربعاء ١١ أكتوبر ٢٠٠٦

نـــافذة

منـصــور هائــل

تخليـــق*

هكذا تكون المعارضة السياسية وإلاَّ فلا..!

فما أن وضعت الانتخابات «أوزارها» حتى هبت أطراف المعارضة المشـحوذة بأحاسـيس وحدوس يقظة تجاه الزمن لالتقاط المعطيات الناشئة عن الاستحقاق الانتخابي بإبداع يتوسل إنتاج تصورات إجرائية لتأطير الجهود في مجرى إطلاق حراك سياسـي واجتماعي يستهدف «تخليق الحياة العامة عبر الدفع بمنظمات المجتمع المدني لدور أكبر في مراقبة السلطات والإدارة والأحزاب».

والحاصل أنه على ضوء ما أُلحق بالمسلسل الانتخابي من تشويه وإخلال، فقد تنبهت هذه المعارضة لمخاطر عزوف الناس عن الانتخابات القادمة، وتقلص قاعدة المشاركة الشعبية، ولخطر انزلاق الناس إلـى دهاليـز معتمـة «وانشـغالهم بمعارك تافهـة لا تعمل الآن على تقسـيم المجتمع إلى جـزر وقبائل متناحـرة لا تعـرف إلا خطـاب العنف والإقصاء، واسـتغلال أحداث معزولة من أجـل الدفع في اتجاه إيجاد اصطفافات تعلي من الخطاب الاستئصالي الذي أثبت خطورته على أمن البلاد واستقرارها».

.. ولـم تكتـف بالتنبيه مـن المخاطر، والتحذير من اتسـاع الخرق على الراقع، علـى نحوبات يهدد مصير البلاد ووحدتها «ويرسـم معالم مسـتقبل كالح لن تنفع معه الخطابات المتخشبة ولا المؤامرات السياسوية».

فقد ذهبت هذه المعارضة إلى أبعد من ذلك بتأكيدها على ضرورة بناء أحزاب خالية من الفاسـدين علـى النحـو الذي يمكن أن يسـند تمترسـها خلف مقولات الانتقـال الديمقراطي والمشـروع الحداثي وحتى لا تصبح تلك «المقولات لغواً وكلام ليل يمحوه نهار».

وإلى التفاصيل حيث يكمن الشيطان ذهبت ونشرت التقارير الكاشفة لفساد خطر تمكن من إعطاب دواليب الدولة الهشة، وزرع الألغام في طريق الانتقال الديمقراطي، وفخخ هواجس وآمال التغيير بالمخاوف والمحاذير وتهاويل المجهول الشرس والمفترس.

وعلاوة على التقارير الكاشفة بادرت هذه المعارضة إلى تغذية حراك المجتمع المدني والسياسي بكشوفات تشتمل على أسماء الفاسدين في مختلف التيارات السياسية، وكشفت عن عناصر ومظاهر استخدام المال العام والحرام في شراء الذمم، وفضحت التزاوج بين مروجي المخدرات والمهربين ومزوري الانتخابات وناهبي المال العام، ومرتكبي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وقد كان لتلك الضغوط أن تسفر عن إحالة ١٦٦ شخصاً، من الذين كان أعلن فوزهم في الانتخابات، إلى النيابة وعلى الشرطة القضائية تمهيداً لمحاكمتهم لضلوعهم في جريمة إفساد الانتخابات عبر «الرشوة والحصول ومحاولة الحصول على صوت ناخب أو عدة ناخبين بفضل هدايا وتبرعات قصد بها التأثير على تصويتهم».

كما توجب عليها (المعارضة) أن تواجه هذه الظواهر المعششة والمتفشية في الحياة السياسية والاجتماعية بشمول يستدرج ويجتذب الكثير من الجمعيات وفعاليات المجتمع وقد انخرطت العديد من الجمعيات في تيار «تخليق الحياة العامة، وبرزت العديد من الأسماء بمساهماتها الفعالة في السهرات الرمضانية وفي الندوات والاجتماعات التي أقرت بتلك الظواهر الخطيرة وأوصت بآليات لمحاربتها».

هكذا تكون المعارضة وإلا فلا..!

ذلك ما كان، بل ما يحدث الآن في المغرب حيث دبت عملية الحراك السياسي والاجتماعي لـ«تطهير» الحياة العامة بعد فضائح فساد الانتخابات الاخيرة لمجلس المستشارين.

وذلك ما يستوجب الدرس والقراءة والاستلهام من قبل اليمنيين الذين يبدو أنهم انزلقوا إلى مهاوي الردى والاستنقاع في حفلات نهش بعضهم وتقتيل ما تبقى لديهم وفيهم من أوصال حية، وآمال تخفق بمشروع حياة سوية وتنطوي على عقل قادر على التحفز بأسئلة اللحظة وتجاوز العثرات التي تقف أمام أي مبادرة لبناء دولة القانون والمؤسسات، وكسر آلة الفساد والإفساد التي تكرس الإفقار والحرمان والانقسام والتشظي والخراب.

* راجع الأعداد الأخيرة من «القدس العربي»، خاصة عدد الجمعة ١٣ أكتوبر.

● «النداء»، العدد ٧٧، الأربعاء ١٨ أكتوبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائــل

لمحاكمــة صدَّاماتنــا!

ينطوي كاتب هذه السطور على الكثير من صدام حسين، وعلى نحو لا تخطئه العين، ويستوجب محاكمته والاقتصاص منه أسوة بالدكتاتور المذكور، وعلى قدر ما اقترف، بقطع النظر عن الظروف والملابسات والصدف والأقدار التي لم تشأ تمكينه من اختطاف حكم اليمن وهو بمعزل عن أي قدر من الحكمة والتحكم بمصائر عبادها من غير رحمة، ونهب ثرواتها بمنأى عن أي سقف يحد من حرية الإهدار والتبذير و«التوريث».

وعلى سبيل المثال فإن من يقترف هذه الكتابة يستحق المحاكمة لمجرد أنه انخطف للكتابة عن «السيد الرئيس» واستثارة ما صدر بحق صدام من حكم بالإعدام شنقاً، وكان أشبه بفراشة ملتاعة للاشتهار بانتحار في ذروة اللهب المثير.

ذلك لأن شغف الكتابة عن «السيد الرئيس» يستبطن ثقافة استبدادية تشربت وشربت هذا الكاتب -هو حضرتنا بالمناسبة- ومضغته كقطعة فلين جرداء من أي رنين، وحالت دون أن يتجرأ على كتابة حزنه وأساه وانسجامه تجاه وضع زميل سجين.

المحنة أن هذا الكاتب كان هدفاً سهلاً لابتلاع الهيجان الخارج من فوهة فضائية «الجزيرة» وشقيقاتها المتحدرات من سلالة أصوات العرب، والهادر الملعلع (أحمد سعيد).

أما المحنة الأكبر فقد تمثلت بانشغالنا مع زملاء (التكايا) ومصائد السياسة في تحليل وتفسير وتعليل الحكم الصادر بحق الدكتاتور صدام حسين.. ومن يحاكم من؟ وهل هي لعبة انتخابية

أمريكية أم فقاعة تستهدف تصريف احتقانات الشارع العربي، وصرف الأنظار عن أوطان تجذر فيها الخراب؟!

ولم نسأل أنفسنا عن: كم (صدام) فينا؟ وكم هي الصدَّامات -بتشديد الدال- الجديرة بالمحاكمة؟

ولم يسأل من يكتب هذا السطور الأسير لجمهورية الخوف في بلاده وفي غيرها من بلاد العرب، نفسه: لماذا لم يكتب عن الأستاذ ميشيل كيلو السجين في دمشق من غير ذنب أو جريمة سوى أنه كان من أصحاب الرأي ودعاة التغيير (من الداخل) والمطالبين بدولة لجميع مواطنيها.. دولة القانون، والحق والمواطنة المتساوية؟

ولم نسأل أنفسنا عن مبعث انشغالنا بصدام وهو في القصر، وصدام وهو في القفص، وصدام وهو في القبو «الحفرة»، وصدام وهو على مشارف القبر، وصدام ما بعد القبر.

ولماذا نتمحور حول «الزعيم» ونتمركز ونتركز ونتقطر لحساب إقصاء الإنسان فينا، وتغييب ثقافة حقوق الإنسان وتمثلها على النحو الذي يفتح فضاءات الوعي لالتقاط أنات وعذابات هذا الإنسان المقموع والمهمش في الأرصفة، الإنسان بما هو طفل، وامرأة، وضالة إقصاء وإلغاء لـ«السيد الرئيس» أكان في قصره أو في قفص الاتهام أو برسم الإعدام؟

● «النداء»، العدد ٧٨، الأربعاء ٨ نوفمبر ٢٠٠٦

نـــافذة

منـصــور هائـــل

الحاكـــم

الحاكم بما هو الأب وولي الأمر والراعي، والرئيس والملك والسـلطان، والزمن والكيان اللامتناهي اللاهي في ملكوته، المتباهي بجلاله وعظمته وهيبته، والمتماهي بالآلهة.

والحاكم بما هو سلطة لا حدود لشبكتها الواسعة، وعناقيد ضفائرها المرئية والمتوارية، وليس من السهل إحصاء أوامرها ونواهيها وآثارهـا وتأثيراتها وحفرياتها واصدائها.

والحاكم بما هو طيف شفيف له خفة وثقل وذَرِّيَّة (الزئبق الأحمر)، وبما هو أطياف لا تحد، وأشباح وكوابيس لا تعد ولا تصد، وكائن سحري كثير في حضوره وتلاشيه، وفي انتشاره وتفشيه، وتسلله واندساسه وتخفيه وتنكره وفخامته وبهرجته وكمونه واحتراسه وحراساته ورقابته وعقابه.

والحاكـم بما هو صورة تتناسـل إلى ما لا حصر لـه من الصور، وأنفاس وأصوات تتردد وتتناهى إلينـا مـن أعماق الشـعور البعيـد، وتلامس النظر وتهـز الأوتار السـطحية للذهن كما تـرج مغارات الطبقات السحيقة من الوجدان والوعي والذاكرة.

والحاكم بما هو سـلطة تفترش أوسـع مدى وتحجبه، وتنزرع في مروياتنا ومسـيرة أيامنا، وفي «مقايـل» الأصيل وجلسـات السـمر، وفي الأغنية والقصيـدة والتعويذة، وفي اللعنة والسـبحنة وفي القصور والمقابر، وفي قطع وأوراق النقود، وفي الأسـاور والأقمشـة والجدران، وفي الأمثال والأقوال، وفي المواويل والزوامل والمهاجل... إلخ.

والحاكـم بأبعـد ما يمكن أن يكون، وبأكثر من أن يكون مجرد شـخص مفـرد، وبأكبر من أن يختزل

بآدمي عابر حتى وإن كان رئيس الجمهورية!

ذلك الحاكم الملفوف بأهداب الأسلاف، وظلال القرون، والمتوزع إلى عشرات ومئات الصور المتوالدة عن رشح صورته المرتسمة في الذهن الشعبي البسيط والمركب والمحكوم بـ«حاكم» كثير الأسماء ومتقادم العمر بحيث ترجع بدايات تخلقه وتجليه إلى «أساطير التأسيس» ويمتد إلى اللحظة الراهنة كأسطورة تتعرش الغصن الأخضر من الذاكرة.

وأخيراً يمكن القول إن بعض هذا الحاكم أو جُلّه سيكون مجالاً للتداول والمقاربة في ندوة «صورة الحاكم في الثقافة الشعبية» التي سيعقدها بيت الموروث الشعبي بين يومي ١٩-٢٠ نوفمبر الجاري بمركز الدراسات والبحوث بصنعاء.

والحق أن فعالية فكرية كهذه جديرة بالاعتبار كونها ستعنى بتفحص سؤال الحاكم بعيداً عن الخفة والابتذال والتسطيح، وبمنأى عن الالتياث بشواغل اللحظة، أو الإصابة بطفح التسييس الأعمى؛ ما يعني أنها (أي الندوة) تعقد الرهان على زحزحة في الوعي ووخزه لحفز نشاط الخيال وتوسيع مجال النظر للحاكم من زوايا مختلفة، وذلك ما انهجست به معظم أوراق الندوة التي تشارك فيها نخبة متميزة من الأكاديميين والمثقفين اليمنيين.

فتحية لبيت الموروث الشعبي ورئيسته الزميلة أروى عثمان، التي أعلم أنها ستثور في وجه كاتب هذه السطور من منطلق قناعتها بأن شهادة أم العروسة مجروحة.

● «النداء»، العدد ٧٩، الأربعاء ٨ نوفمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

تضامنـاً مـع الزميـل نصـر

تحرجني الكتابة عن الزميل نصر طه مصطفى بما هو إنسان جميل وبديع وآسر على نحو «خطير» وإلى الدرجة التي يمكن أن تشوش على بوصلة قناعاتك الواعية والراسخة تجاه السحر كخرافة.

ولطالما ترددت، ثم أحجمت عن الإقدام على توثيق وتعميق أواصر المحبة والصداقة بـ«نصر» عن طريق مقاربة نقدية تخوض في ما يكتب في الصحافة المحلية والخارجية، وحتى في مجلة «المجلة» السعودية، حيث كدت أتخاطر معه بشأن عنوانه المتعجب من عدم احتفاء «المشترك» بنتائج الانتخابات الرئاسية، ولكني كتمت كتابة العتب على عجب تجاه «المشترك» الذي لم يفرح بهزيمته المعلنة!

وبالأمس فقط كنت أتصفح «الأيام»، ولاحت في ذهني فكرة الاستجابة لنداء المحبة بخطوة استباقية تجاه «نصر» دونما قلامة من تردد، وقررت الجهر باعتزامي التضامن مع الزميل نصر طه مصطفى إذا ما أعلن انسحابه من موقعه كرئيس للوفد الإعلامي المرافق لرئيس الجمهورية أثناء زيارته لبريطانيا، وطلب حق اللجوء السياسي في بريطانيا. وتخلى بذلك عن منصبه كرئيس لوكالة الأنباء الرسمية، وعن موقعه كنقيب للصحفيين، بانفكاك صريح عن الانسحاق بين مطرقتي الواجب الرسمي واشتراطاته، والواجب النقابي واستحقاقه.

ولسوف أقول وأكتب أنه يملك الحق، كل الحق، في ما فعل. ومن واجب الزملاء في صحافة السلطة والمعارضة ان يقدروا ويتفهموا حالة زميلهم الذي لم يتردد لحظة في الوقوف معهم، وفي ما سجَّل من مواقف تنتصر لهم كان آخرها موقفه الرافض، مع الزملاء في مجلس النقابة، للحكم الصادر بحق صحيفة «الثوري» ورئيس تحريرها الزميل خالد إبراهيم سلمان، في ١٩ سبتمبر الماضي، عندما عبر

البيان الصادر عن مجلس النقابة برئاسة الزميل نصر، عن استغرابه لمنطوق ذلك الحكم الذي تضمن عقوبة غير مسبوقة قضت بحرمان رئيس تحرير «الثوري» من رئاسة التحرير مدة عام، وحرمان الزميل الكاتب نايف حسان من الكتابة لستة أشهر، مع تغريمهما مليون ريال.

سوف أتضامن مع الزميل نصر، الذي لم يطق هذه الحالة، ولم يعد يحتمل الضغوط في قلب الأحروجة الخانقة، وليس بمقدوره أن يتصور إمكانية زحزحة أثقال جبال الأحكام الصادرة بحق الصحفيين، وليس بوسعه أن يستمر هكذا: ينام ويصحو على رنين الهاتف وانهمار الصواعق على رأسه بشأن الصحيفة الفلانية التي صارت تحاكم بـ ١٣ قضية نشر، أو غيرها..

وسأكتب أن من حق الزميل أن يمارس اختياره ومنفاه إذا ما استقر على قناعة تفيد بأن المرقد الآمن وطن.

ولن أكتب قط أن ما بدر عنه كان «تصرفاً سيئاً ومشيناً»، وأنه كان ملزماً بأخذ رخصة من «الأب» وهو الذي كان سبباً في هربه.

وسأحتج على من يقول هراء كهذا، وعلى من يذهب إلى التحقيق في «مؤامرة» هرب هذا «الابن الضال» وهو صاحب الحق في اختيار طريق خلاصه الشخصي، وفي الاختيار الحر دائماً وأبداً، كحق لكل من يملك رأسه.

● «النداء»، العدد ٨٠، الأربعاء ١٥ نوفمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائـــل

مسابقـة إعـادة تعريـف اليمـن

لماذا أضحت المسـتجدات تسـتوجب توسـيع التعريف الموروث والمتداول والمكـرر لليمن ببغاوية يتبرأ منها الصدى؟

هل لأن تعريف بلادنا بالحكمة أو بـ«يمن الإيمان» أصبح يضيق بمحتواها المتغير والمتفجر، بإلحاح على تعريف أوسع يستوعب «يمن الإيمان» في زمن جامعة الإيمان؟

نعم ورب الكعبة!

وليتنافس أصحاب اليراع في تأليف وإبداع التعريف الملائم ليمن زمن جامعة الإيمان، كيما تتشكل هيئة المعطى القائم بملامح تسـمح بالاستفسـار عن سـر انكشـاف «الرأى العام» في اليمن، كأكذوبة سـاذجة، وخدعة لم تصمد أمام أول رفسـة من رفسـات الخيول الهائجة في صحراء هذا الزمن -زمن الجامعة الآنفة الذكر!

والاستفسار عن سر الانقضاض على صحيفة «الرأي العام» ورئيس تحريرها الزميل كمال العلفي، وغيـره مـن الكتاب والأدباء، الأحياء والموتـى، الذين كانوا، وما زالوا، يرزحـون في مرابض الارتهان لصحـراء هـذا الزمن -المشـار إلى نسـبه سـابقاً- ولا يملكون الجرأة علـى النفاذ مـن إصطبلاته، أو اختراق ظلال سيوفه المسنونة بالاحتساب.

والاستفسـار عن سـر زيارة نجل قائد الجماهيرية الاشتراكية... إلخ... إلخ، المهندس سيف الإسلام القذافـي، ومعـه نجل رئيـس اليمن إلى الزمن اليمنـي يوم أمس في عقـر داره (الجامعة) ليس بقصد

اقتفاء ما تردد في الشارع بشأن هؤلاء «الأنجال» الذين زاروا زمن اليمن ليطمئنوا على المنجزات المتوالدة من كف المعجزات كنوافل ينضح بها شيخ الإعجاز، وتندرج في إطارها حكاية الطفل الليبي المريض -المعجزة أيضاً- الذي قيل بأن أمره قد حير علماء الطب في العالم، وأجبر الجماهيرية «العظمى» على الانحناء والإذعان لحكم زمن جامعة الإيمان في يمن الإيمان.

ثم إن الصورة المعطاة يمكن ان تسمح بالاستفسار عن سر اتخاذ جامعة الإيمان منصة للانطلاق في مواجهة خصوم الداخل عشية الانتخابات الرئاسية، وللإنطلاق في مخاطبة العالم الخارجي، ولإطلاق الرسائل الساخرة و«المشفرة» نحو الداخل والخارج، وعشية إعلان القيام بزيارة الخارج أو إعلان «القيامة» على الداخل.

إنه زمن جامعة الإيمان في يمن الإيمان وهو في ذروة الهيجان، ومستهل الأفول.

● «النداء»، العدد ٨١، الأربعاء ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائــل

رقــص الهاويــة

تمخضت وليمة الانتخابات الرئاسية اليمنية عن فوز الحزب الحاكم بنتيجة لم يقنع بها الحاكم، وعن خسارة أحزاب اللقاء المشترك بنتيجة لم تقبل بها، وبذلك انسدَّت شرايين السياسة وتجلطت وتجمدت من غير إعلان يفيد بذهابها إلى غرفة الانعاش، أو إلى ثلاجة الموتى.

ولم يستطع الفائز التحرر من نفس خطاب الحملة الانتخابية: السجال الاتهامي، واستمرت «الحملة» والتي كنا نحسب بأنها عبارة عن وسيلة وإذا بها غاية في حد ذاتها ولذاتها، وتلك من العلامات الفارقة الشاهدة على فوضى المفارقات السوريالية التي تزخر بها اليمن -بلد الأهرامات المقلوبة، بحسب المفكر القدير أبو بكر السقاف- حيث تكرس الوسيلة كغاية بإرادة عليا لا تعرف التراجع عن نهج «الحملة» ولا تتعرف على ذاتها إلا في إطار سياق الحملة وما يتفرع عنها من حملات ترسخ بلغة الحرب وتغلف كافة المجالات والأرجاء بظلال العسكرة.

أما على مستوى الضفة الأخرى وحيث يربض الطرف الخاسر، فيبدو أن هذا الطرف أصيب بعسر هضم «النتيجة» وتلبَّك وتعثر وتحير تحت وقع صهيل خيول الحملة المستمرة، ولم ينهض بمسؤوليته المطلوبة في مراجعة دوره وحساباته بأفق القراءة النقدية العقلانية، المفتوح على توسيع مساحات الإيجاب ومراجعة جوانب السلب التي صاحبت تجربة تحالف احزاب «المشترك» ووصلت إلى نقطة فاصلة تمثلت بإجراء الانتخابات.

وكما يحدث في الأرجاء العربية التي انسدت فيها أوردة السياسة أيضاً، وتلبدت أجواؤها سحب السوداء المنذرة والمتفجرة برعود وعواصف الحروب الأهلية.. كما يحدث في تلك الأرجاء التي لم يقبل

فيهـا فرقاء السياسـة بحصاد صناديق الاقتراع، وبالأحرى لم يقبلـوا بالهزائم الصغيرة والانكفاءات المؤقتة، وانزلقوا إلى الخيار الصفري: «إما هزيمة ساحقة وإما نصر مبين»، و بالتالي استسلموا لقدر الاختناق في قعر معادلات البؤس و«الرقص عند حافة الهاوية».

.. نعـم، علـى غـرار ما يحدث في تلك الأرجاء تكرر الحال في اليمن وتجسـمت مظاهر بؤس وقتامة هذا الحال على خلفية غياب نخبة سياسية وثقافية قادرة على إنتاج إدراك مشترك لهشاشة ومخاطر الوضع الذي تعيشـه البلاد، نخبة مؤهلة لاسـتيعاب المصلحة العامة، وتمثّل خطاب سياسـي متعافٍ من أورام الشتائم والعنف اللفظي والإرهاب الشامل.

● «النداء»، العدد ٨٢، الأربعاء ٦ ديسمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائــل

زعمـــاء اللادولـــة

كل مـرة يحرضنـي الكاتـب المتألق، فالـح عبدالجبار، على وخـز أصابع ذهني وذاكرتي بملامسـة الشـوك الطالـع من تغضنات الحالة اليمنيـة. ويدميني فيما يكتب حتى عندما يتعرض بالذكر لاسـم اليمن، بل وعندما تكون الطوائف والعشائر والقبائل والمذاهب والملل في العراق أو لبنان هي عناوين موضوعاته وحقول حراثته.

وعلـى قـدر ما يلفتني هذا الكاتب والمفكر المتجدد بإلماحاته البرقية الخاطفة والمباشـرة إلى اليمن، فإنه يشدني أكثر عندما لا يصرح باسمها، وكأنه يتمتع عن بعد بسماع انفاسي اللاهثة والمتقطعة في حومـة اسـتجلاء صورة الحالـة اليمنية، التي طالما وجدتها مبثوثة فـي ثنايا ومجرى كتابته من أول همسة وإلى آخر نفس، ومن الهمزة إلى الياء.

وفـي مسـاء الأحـد الماضي غمرني مطر الأسـئلة والذكريات بعـد أن فرغت من قـراءة ما كتب فالح عبدالجبـار بملـف تيـارات بصحيفة «الحياة» فهو لم يذكر اليمن بغير إشـارة لرئيس جمهورية «أفرغ خزائن البنك المركزي»، بقدر ما تحدث عن الفسـاد والتناحر في العراق ولبنان وفلسـطين، وعن انهيار «الدولـة القديمة» التي نشـأت عقب الاسـتقلالات من الاسـتعمار، وعن التمرغ في فتـرة انتقالية لحين نشوء الدولة الجديدة هنا وهناك.

نعم لم يذكر اليمن، ولكنه كان يقصد اليمن في جل ما قال.

وعلى سبيل المثال تطرق لأبرز صفات زعماء، أو زعيم اللادولة هذه وحددها بالتالي:

أولاً: أن المال العام والخاص لدى هذا الزعيم متداخلان: «الجيب واحد» كما يقول الكرماء. وما إن ينخلع هذا عن كرسيه حتى «يشفط الخزينة المركزية».

ثانياً: يتميز هذا الزعيم بكره مؤسسات الدولة، حتى لو كان قائدها. «فثمة دوماً رغبة في اقتطاع جزء من مؤسسة لإنشاء امتداد شخصي للزعيم. مليشيا، أو جهاز أمن خاص، وغالباً ما يزج الزعيم نجله في هذه الصروح الهادمة للدولة».

ثالثاً: يتميز هذا الزعيم بشغف لا يشبع من سحق العظام وشن الحروب، ولا نكاد نجد زعيماً يخفف من غلواء الحماسة الخطابية. وعلى رغم أننا أفشل أمم الأرض في تنظيم العنف (الجيوش، الحروب) فإن الزعماء الأكثر حديثاً عن النصر القريب أو البعيد، الأكثر شغفاً باقتناء الأسلحة.

رابعاً: أن هذا الزعيم يزدري بالقواعد القانونية، دستورية، أو سواها؛ «فالزعيم هو زعيم، ليس لأنه مفوض، بل لأنه يمثل أقانيم جرداء مثل التحرير، الوطنية، الأمة، الثورة».

والمحنة أن العزيز، فالح عبدالجبار، قد نكش في ما كتب وكر دبابير الذكريات وذلك ما سوف لن نأتي إليه في العدد القادم.

● «النداء»، العدد ٨٣، الأربعاء ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائـــل

مضـروب بمـس «الزعامـة»

تلبستني مقتضيات السلطة ومتطلباتها، وضربت بمس من روح الزعامة، عند خروجي من منتدى التنمية السياسية مساء الاثنين الماضي.

ذلك المساء أدركت هشاشة وضعف وتناهي الإنسان عندما يستحوذه الانسحار والانفتان والانبهار بالسلطة، وينتقل من طور الاستواء إلى طور الاعتلاء ويتشبه بالذات المتعالية.

والحاصل أني كنت في لقاء احتفائي بقيادة حزب التجمع الوحدوي اليمني بمنتدى التنمية السياسية الذي يرأسه الأستاذ علي سيف حسن، وهو من أولئك القلائل الذين يتمتعون بخيال سياسي مشحوذ بحس ابتكاري للأحداث والشواغل المترعة بأسئلة لذيذة، حالمة، مؤلمة، جارحة، مفرحة، وتحليقات، وتحويمات، وصبوات عشق وألق ونشوة، وتباريح أخرى قد تلزمك بزيارة الطبيب لقياس نسبة السكر (بتشديد الكاف).

عموماً، كنت ذلك اليوم بمثابة «زعيم» من الحجم الصغير، ووجدتني في موضع التعقيب على أسئلة واستفسارات وملاحظات خاصة بحزب التجمع، على اعتبار أني من قياداته الجديدة ورئيساً لتحرير صحيفته.

وقد سمعت من الإطراء ما ينفخ في الروح والجسد معاً بالونة «الزعيم».. وأحسست بفداحة المس الشيطاني لذلك النفخ وأنا في طريق الإياب إلى البيت، حيث استطعت من حسابي شراء رغيف العشاء و«الزبادي» ونسيت كتابة عمودي الأسبوعي لـ«النداء» ولم أرتطم بالجدار المسماري للحقيقة

إلا عندما وجدتني في البيت حيث لا كرامة لزعيم في بيته.

عندما ارتطمت بذلكم الجدار كنت بحاجة إلى إعادة قراءة «تكنولوجيا السلطة» لميشيل فوكو، ولكني لم أستجب لنداء تلك الحاجة بقدر ما استسلمت إلى الاسترخاء بالانتشاء السلطاني والعائلة بلا عشاء.

والحق أن قادة الأحزاب في السلطة والمعارضة، تحديداً المشترك والمؤتمر ورئيس منتدى التنمية السياسية والزملاء الذين شاركوا في الاحتفاء، قالوا في حزب التجمع ما دفعني إلى الانسياب بالسحاب، واستقطار الشهب، وتنزيل النجوم من السماء إلى طاولة المقهى المجاور لبيتنا لاستضافتها على كأس من الشاي احتفاء بـ«الزعيم»: أنا!

لقد كانوا كرماء بالفعل وبحق، وقد بلغوا من السخاء ذلك المستوى الذي جعلهم يردفون الاحتفاء بالتجمع باحتفاء آخر تلخص بدعوة صريحة لفتح أبواب الحوار من منطلق الإقرار بمشكلات وإشكاليات عويصة تنضح بأسئلة كبيرة وتستوجب حواراً منزهاً من الاستعلاء بسلطة الحكم، أو الاستعلاء بمنطق الحزب الأيديولوجي.

فشكراً لمنتدى التنمية السياسية، ورئيسه الجميل، ولجميع أولئك الأحباء الفرقاء، وشكراً لكل مسعى يتوسل ابتكار اليمن وتداركها بمحبة وحوار، بالحوار كمؤسسة، ورشة، إدارة للسياسة والحياة.

وتحية لكل حوار لا ينفخ في الذات بالونة «زعامة» زائفة ويحرم البيت من العشاء، ويؤجل عمود صحيفة «النداء» ويقطع تيار التداعيات المتخاطرة مع العزيز فالح عبدالجبار الذي كنت وعدت القراء بمواصلة الكتابة عن نصه وشخصه منذ التقيته في عدن قبل أزيد من عقدين، وليعذرني القراء على إرجاء تلك الكتابة إلى عدد قادم في هذه الغراء.

● «النداء»، العدد ٨٤، الأربعاء ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦

نـــافـذة

منـصــور هائــل

كبـــش الكتابـــة

ها هي أنفاس العيد تدهمنا وليس ثمة كبش يلوح أمام الذبيح غير الكتابة.

الكتابة كبش مَن لا كبش له، فهلموا بنا نمارس طقس سكرتنا بذبح: الكتابة.

فمادمنا نكتب بألسنتنا، وأسناننا، وضروسنا، ونرغي، نزبد، ننعق، ننهق، نطرش حبراً أسود بضرب من التعويض عن عدم امتلاكنا أو حصولنا على مكبرات صوت منابر المساجد، والساحات العامة والفضائيات مؤخراً.

ومادام الحبر يلعقنا، ويندلق على بياض الأوراق والأذهان وعلى رأس كل من يقرأنا بانصياع مدمن لا يطيب مزاجه إلا بقرعة طبل، أو قارح بندق.

وبما أن اليد قد أضحت امتداداً للفم، وليس العضو المتقدم للدماغ، كما قال (إنجلز) فقد أصبحت أقوالنا تنهمر من أصابعنا، وأصبحنا نقول كل ما لا يخطر على بال، وننضح بأقوال لا تشي بأفكار، ولا تدل على تفكير ونحسب أن ما نفعل: كتابة.

وبأقل من مستوى الدوشان، بل وبافتراق عنه وارتكاس إلى ما قبله، ذهبنا. لأن ترجمته تفيد على الأقل بأنه «ذو شأن» وذلك ما نفتقر إليه في بلاد طالما وصف فيها الصحافي بـ«الدوشان» وما أكثر أولئك الذين لا يضارعونه ثقافة وحرفية، ويحسبون أن كل من يتلطخ بالحبر يمارس فعل: الكتابة.

ونتشاجر بدلاً من أن نتحاور، ونتقابل بدلاً من أن نتجاور، ونتلاسن ونتلاعن وننبح و... لو كانت

اليد حنجرة لبحَّت هذه اليد التي سرقت وظيفة الحنجرة بلصوصية تخلو من الظرافة والأمانة، غدت لا تتورع عن سكب «الهدرة» على الصفحات البيضاء والنظيفة.

هكذا أصبح المرء لا يندهش تجاه ما توصف به الصحافة حينما يسمع من يقول إنها «هدرة.. مجرد هدرة».

ولكم أن تتفطنوا لترادف «الهدرة» بالإهدار والهدر.. الهلاك! وعليكم ألا تستغربوا أن بعض القائمين على الصحف وبعض أصحاب الصحف لا يمارسون الكتابة بقدر ما يكرعون على صفحات منشوراتهم ما تفيض به الحناجر وتنشحذ به السكاكين والخناجر ويستدعي تدخل «شيخ» وذبح ثور»!!

هكذا يدهمنا العيد ويذبح كبش الكتابة. هكذا نتكرس بالشفاهة والشفوية، ونتوحش في عالم ما قبل الكتابة، ولو كانت البلاد مزروعة بالأقلام ومحاطة ومخترقة ببحار وأنهار من حبر -مداد، فكل الشواهد والأيام تقول وتشهد بأننا نرزح في ظلام ما قبل الكتابة، ما قبل الخبر والرأي الصحفيين.

● «النداء»، العدد ٨٥، الأربعاء ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٦

نافذة

منصور هائل

بلاد أخرى

صنعاء بلاد أخرى، برانية، و«انفصالية» عن معظم سكانها الذين يغادرونها في عطلة عيد الأضحى، كما في غيره، إلى «البلاد».

وتضيف العبارة بفداحة المعنى: صنعاء بلاد أخرى. ذلك ما تنطق به الأفعال قبل الأقوال، ويتساوى فيه الوزير مع الغفير، والعامل مع العاطل، والمعلم مع صاحب المطعم، والتاجر مع صاحب البسطة على الرصيف. ومعظم الزحام والأكداس البشرية التي تتلاشى برمشة عين مخلية المجال للأشباح والنباح والقرّاح -عطفاً على الطماش والرصاص- بتصريح جريح، مؤلم، وصادم، يشير إلى انقطاع آصرة الانتماء لصنعاء بما هي «عاصمة» وطن، ومدينة مفتوحة على الفرح والاحتفاء، والسمر، والطرب، والانتشاء، أو أبسط علامة أو أمارة تحملنا على التصديق بأن صنعاء حق هذه الأيام، أو صنعاء هذه التي نشهد ونرى هي تلك، قيل عنها وفيها أنها «حوت كل فن»... إلخ.

إنما.. يا ترى، لماذا يرحل جل سكان صنعاء من صنعاء!؟ ولأن الجواب يسبق السؤال فإن صاحب السؤال سوف يبدو أبله نحن -مع الأسف- بإزاء ما تنضح به الوقائع والشواهد إلى تلك الدرجة التي لا تسمح للمرء باستنطاق البداهة القارحة من رذاذ الذهن، وطرف اللسان، ومن حمى تدافع الحشود وتقاتلها على فوز بمقعد «تاكسي» أو حافلة، وهي تهتف بنشيد يخترق إسفلت الطرقات، وصخور الجبال: «إلى البلاد».. بلادي.. بلادي.

وكأنهم فارون من مقديشو أو بغداد! وكأن صنعاء: بلاد أخرى!

والحال أن جغرافية معنى صنعاء في الأذهان، وهي خارطة ذاكرة التعاطي الثقافي والسلوكي والنفسي من قبل معظم السكان - بما هم سكان فحسب وليس مواطنين- تختلف عن جغرافية معناها المرتسمة في كتب الجغرافيا والتاريخ والأدبيات الرسمية والمراسيم الرئاسية بشهادة دامغة من كل تلك المعطيات.

ثم إن «انفصالية» صنعاء عن جل سكانها وعن نفسها لا تتبدى في استشراء مظاهر بدونتها وقبيلتها، أو بافتقارها إلى ما يشير إلى مدنية وتمدن، كمواقع الاجتماع المدني: النادي، الحديقة، السينما، المسرح، وغير ذلك من مساحات الألفة والتعارف والتأنسن والترابط والإندماج.

وحتى لا يكون في الاستطراد ما يصدم ويجرح فإن صنعاء -لا نقصد القديمة الجميلة وأهاليها الأجمل- الفسيفساء ستظل مدينة «شيخ الليل» والعسكر والمخافر واليسك (الطوارئ) إلى أن تصبح مدينة بحق، وذلك أمر لا يدعو «القيادة الحكيمة» بأن تقوم بنقل بحر عدن إلى صنعاء، بقدر ما يدعوها لأن تتمدن ولو بمشقة وعناء، حتى لا تذهب صنعاء التاريخ والحضارة هباء.

● «النداء»، العدد ٨٦، الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

مجنون بصورته - حفظه الله!

كأي ميت جوال خرج من القبر بإجازة، سارعتُ للالتحاق بطوابير زملائي الموتى الجوالين، وأقبلت على مباهج الدنيا الفانية، بنهم لا يشبع، وانغمست بالإسفلت، وتفشيت بالغبار، وسكبت وجهي على الأرصفـة كيمـا يتجدد بلياقـة الوجه المتفرع عن شـارع، ويتجلى بأناقة الحفـر والأخاديد التي تؤطر هويتي، وتنطق بتعريفي.

وتمتعتُ بارتشاف الشاي من قصعة مذحِّلة (صدئة) ضلت طريقها إلى مكب النفايات وأصبحتْ من الأكواب المفضلة لـ«أسماخ الكيف».

وارتدفـت الرفاق الموتى الملاحقين بلعنة الاسـتهلاك وجيوبهـم خاوية إلا من حفنة ريالات مطمورة بطبقات الوسخ، وفلسات مات فيها صوت اللمعة، وصمت الرنة، وهي تكفي لشراء كسرة خبز وشاي، وقليل من القات «المدعَّس» (بتشديد العين وفتحها).

وكان الأهـم مـن كل ذلـك هو أن أدخـر وأتدبر المال الكافي لشـراء صـور الرئيس (صـدام) -حفظه الله- المعروضة في الجولات والمكتبات، وأحرص على شراء (صدام) قبل الإعدام لضمان إنجاز عمارة النشـوة و«الكيف» عندما يسـري خدر القات، وأنطلق في هذيان الحملقة بتلك الصور بقصد استعادة خيلاء مغدورة، وترميم كبرياء مهشمة، وتسكين آلام يتيم أب، ومسكين أعزل من «الرئيس» الذي طالما تماهى بالأب والرب معاً.

وهكـذا غـدوت لا أكف عـن الإمعان في صورة «الرئيس الضرورة»، واسـتبطان ما فيها من رسـائل وروايـات مضمرة، مشـفرة، والإصاخة للكلام الذي قاله بعد الإعـدام؛ إذ لم يعد بالإمكان التناهي إليه

وسماعه إلا باستنطاق صورته وهو شاهر سيفه، أو وهو يحمل البندقية، أو وهو يصوب ولا يخطئ الهدف دائماً وإلى الأبد، وصورته مع الطلقة (يا إلهي! من أين لي بصورته مع الطلقة في لحظة اختراقها لطريق اللهب المقدس لفخامته)، وصورته وهو يصيب جميع الأهداف، وصورته وهو يقطع النهر سباحة بسرعة تسبق الطلقة.. وإلخ!؟

ومن يدري بأن انفعالي بصوره -حفظه الله- يمكن أن يؤهلني لاجتراح دربي كمستثمر لصور فخامته بعصامية ربما استدعت في البدء الإقلاع عن الشاي وإنقاص الطعام في سبيل حصولي على الكثير والنادر من صور «صدام» وهو بالكوفية أو بالخوذة أو بالعقال، أو وهو ينفذ حكم الإعدام بـ«الخونة» ثم يبكي عليهم بمهابة!؟

وسأشتري صوره لكي أشيع الفرح في أوساط الزملاء الذين لم يبارحوا قبورهم، وما زالوا يتمسكون بجدران اليقين والقيامة، كيما يستعيدوا رونق الكبرياء، وسموق «النشامى»، ويستطعموا ثمرة صمودهم بالكثير من السحر الثاوي في ثنايا صوره -حفظه الله.

وكغيري من الموتى الجوالين الذي قضوا في غيبة من الفضائيات وسجالاتها المحتدمة بشأن الرمق الآخر لآخر دقيقة من حياتهم، من حياتهم في موتهم، وبالأحرى تلك الحياة الكانت وقفاً على التعلق بالقيامة والانذعار تحت ظلال أهوالها.

كغيري من هؤلاء الزملاء سأقترض المال من أي مانح سخي، غبي، لأطبع وأشتري صور «السيد الرئيس» المنقذ، والأيقونة، الملهم، التعويذة، الأب والرب، والفارس الهمام ومن تتلاشى الجموع برمشة من أهدابه، أو نفشة من شواربه.

وليس ثمة ما يمنعني من الاقتراض أو يمنعني من التحلي بنزر من دهاء وخفة وجرأة حكومة اليمن في هذا المقام. ويكفيني الحصول على المال المطلوب من المانح الفريسة للانخداع بإقراض ميت متوار خلف قناع الحياة، بإحكام يمنعه من رؤية مغبة ضياع أمواله تحت بند الدَّيْن الميت، وليس ثمة مصير ينتظر الأموال التي تمنح للموتى -أمثالنا وحكومة صنعاء- غير ذلك المثوى.

كل ذلك يهون في سبيل شراء صور «صدام» أو باقة من صور «الفندم» حقنا لإشباع حاجة الزملاء والرفاق في المقابر بإكسير نخوة، وترياق كبرياء.

● «النداء»، العدد ٨٧، الأربعاء ٢٤ يناير ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

حضـر.. مـوت

يتعجـب الكثيـر مـن الأصدقـاء والزمـلاء في صنعاء كلمـا تناهى إليهـم صوت الأنـين والتأوهات والتوجعات من المكلا -مثلاً- وهي تقول بفظائع الارتكابات والتعديات والانتهاكات والنهب والسطو على الممتلكات العامة والخاصة، والمصادرة للحدائق والشواطئ، والتجريف لمزارع الأسماك والشعاب المرجانيـة، والاسـتحواذ علـى سـاحات المـدارس وملاعـب الأطفال وأرصفـة الشـوارع، وردم وكبس المتنفسـات والاسـتراحات العائلية، وانفجار التلوث وتفشـي السـرطان -اللوكيميا تحديداً- وإعدام النخيـل، ومحـو وطمـس ذاكـرة الأمكنة بهدم المواقـع الأثرية، وكتم وشـطب أنفـاس التاريخ ومعالمه وشـواهده، وكأن كل تلـك المواقـع والمعالم كانت قابعة في حضرموت فـي انتظار من يأتي ليصححها كأخطاء مطبعية اقترفتها الطبيعة.

ويتعجب هؤلاء الزملاء من سـماعهم لشـكوى المكلا من تعويم جرائم الاغتيال والاغتصاب والقتل (القتل طعناً آخر صرعة) وإحياء ما مات واندثر من عداوات وثارات منذ عقود مديدة، وإعادة إنتاج ما تبدد وفات من قيم وولاءات ومنظومات احتماء وملاذات أولية: عشائرية، قبلية... إلخ.

ولا أعجب من هؤلاء الزملاء إلا تعجبهم مما يسمعون وهم على قناعة بأن صوت شكوى المكلا هذا يأتيهـم مـن كوكـب آخر وبلغة أخرى وهو غير قابل للتصديق ولا يسـتوجب غيـر التندر، كما لا يدعو سـوى لبعـض الالتفات وبمقدار ما يشـير إلى واقـع أن اليمن لم تخلُ بعد من الكائنـات النادرة، مثل «أصحاب المكلا هؤلاء».

ولمـا كان هـؤلاء الزملاء من المثقفين والسياسـيين والصحفيين، فإن مسـتوى العنف في ما يفعلون

يبدو في أقصى درجاته حيث يتجلى بتلك اللاأبالية الفادحة واللااكتراث المصحوب باستعلاء يستبله الشكوى وصاحبها، ولا يرى فيها ما يثير الفضول، أو يستفز المشاعر والأذهان والعقول.

والمحنة أنهم لا ينظرون إلى شكوى المكلا إلا بمقدار ما هي معطوفة على ما كان من أهوال في الحديدة، ومجرورة بما حدث ويحدث في تعز والحديدة وصنعاء من مصائب وبلايا.

هكذا يتباهى هؤلاء باكتساب المناعة من الألم، والحصانة من القشعريرة والرعدة، ويتكرسون كمقابر جماعية للمشاعر والأحلام، ويتجذرون بالخراب بتوحد لا يحد، وينعمون بهذا النوع من الإقامة في القيامة في إطار من شبكة صيد تمنعهم من رؤية الفزع تجاه مرأى الجرح النازف أو الرأس المقطوع، ولا تمنعهم من النظر لجراحات وويلات المكلا باحتفاء بتأهيل الناس «هناك» ليكونوا إخوة في الخراب تحت راية «الوحدة» المعمدة بالدم، أو النظر إلى ما يحدث «هناك» من زاوية اندراجه في نطاق «البداهات» وعاديات «الوحدة» ونظامها!

وكما لو كانت محنة الناس في المكلا تكمن في عدم افتقادهم الإحساس بالألم والندم والظلم وغير ذلك من النوافل «الانفصالية» التي ينبغي عليهم الاقلاع عنها في سبيل الوحدة!

والحال أن هذا الحال يشهد على أسوأ أشكال «الانفصال» وينذر بما هو أسوأ تحت ظلال سيادة ثقافة الموت هذه التي نشهد تمظهراتها وممارساتها المتفشية في مناخات استشراء النهب والفساد والعنف والتطرف وغياب القانون ودولته لحساب طغيان حضور قانون القوة وتوحش غابته، ما يعني أن الموت هو الحاضر الأكبر في البلاد وحتى الآن -على الأقل-.

● «النداء»، العدد ٨٨، الأربعاء ٣١ يناير ٢٠٠٧

أحلام «لندية» تتبختر في دهاليز شرطة عدن!
ماذا يجري في صعدة؟
غواية كربلائية

نافذة

منصور هائل

غواية كربلائية

ما هو موقفك من الأحداث في صعدة؟

هل أنت مع الحكومة أم مع الحوثيين؟

بداية يتوجب التزام الحيطة والاحتراس من الطاقة التدميرية لكمية العنف في «السؤال» وهي كمية كافية لنسف مفعوله وتظهيره بعراء حقيقته، وبما هو رأس حربه لاستجواب بوليس «مانوي» استفزازي يستخدم لكبح الإرادة والعقل في نقطة الخيار بين موتين: إما معنا وإما ضدنا.

وكأن المسرح لا يتسع ولا يسمح بأكثر من ترقيص الأشباح وترويض الكوابيس تحت ظلال مشنقة، وذلك ما تدفع إليه فاشية هذا «السؤال» الذي يقسر المرء على الإدلاء بشهادة زور، واتخاذ موقف مزور من عراك دائر في الظلام وبين أشباح.

وإزاء هذا الإلماح الذي يستعجل قطاف المواقف والرؤوس معاً ينكمش القضاء إلى أضيق من خرم إبرة مسنود بتصميم يمنعك من تمني فرصة للنفاذ من حشر مضغوط بين شفرتي مقص مستنفر لجز أجنحة الخيال والرؤى والألسن والاختلاجات إن وشت بمغايرة.

وإذا ما تذكر المرء حقوقه في النسيان أو تذكر بأنه «إنسان» على الأقل، أو إنسان محتمل ومن حقه المطالبة بوقت للتفكير ولو في شكل الموت الذي يريد! وإذا ما طالب هذا المرء بتقريب صورة الأشباح وتجسيدها وتجسيمها بالمقدار الذي يقنعه بقول الشهادة والانخراط في المعمعة.

وإذا ما تطلع بطمع من يركبه الطيش إلى صرف الأنظار، وقال بأنه يعرف تضاريس ومنعرجات

ومتاريس ومطبات الحالة اللبنانية، أكثر مما يعرف عن صعدة المتنائية عنه والغاربة في أقاصي الظلام والاظلام، وأنه في ضوء ذلك يستطيع أن يحدد موقفه -مثلاً- مع (حزب الله) في لبنان، فهل سيفهم من ذلك أنه يقف مع «الشيعة» في اليمن؟!

وإذا ما اعتمد القياس ذاته وقال إنه يقف مع «شيعة» لبنان، ويدين «شيعة» العراق، ولا يعلم بأمر وجود شيعة في اليمن إلا من خلال ما يتردد في الإعلام هذه الأيام، بغير ما سند من كتب التاريخ المدرسية وغير المدرسية التي أجمعت على وجود زيدية هادوية وزيود في اليمن، وبموجبها استقر في ذهنه أن هذه الشيعة ليست أكثر من بدعة إعلامية، وأن الوقت لن يطول حتى يتم تصحيح خطاب الإعلام من غلطة زجت بالبلاد في أتون حرب جهنمية أسفرت عن عشرات الضحايا ومئات الجرحى والمعتقلين.

ثم إن المرء يحتاج لأن يعلق الجرس أو أن يحرق سفنه ليقول إن اليمن في غنى عن استحضار الزمن الكربلائي لأنها أضعف من أن تحتمل التخبط في عقابيله، ولأنها ليست العراق ولا لبنان، ولأنها -مع الأسف- أقل حتى من اليمن، وليس ثمة ما يبرر الاندفاع إلى داهية اللعب بالأوراق الإقليمية، دونما تحسب احتراق أوراق اللعبة اليمنية التي غدت في امسّ الاحتياج لإعادة ترتيب لن ينتظم إلا في إطار دولة القانون وفي مجرى إعمال القانون، وتجسيد مبدأ المواطنة المتساوية تلافياً للتمزق بحروب «الطوائف» وقطعاً للارتماء في أحضان النيران والغواية الكربلائية.

● «النداء»، العدد ٨٩، الأربعاء ٧ فبراير ٢٠٠٧

نـــافذة

منـصـور هائـــل

عـدن «الطيـب»

مُنقَّب صدفة لاقيته
وكيف يا قلب حبَّيته
كيف سخيت يا اسمر وحالي
وانت ذي عالم بحالي
كيف سخيت تنسى الليالي
وانت عندي أغلى غالي
يا حبيب، كنت اشوف الشمس في طلْعة جبينك
يا حبيب، كنت اشوف الزهر ناعس في جفونك
يا حبيب، كنت اشوف النجم يضوي في عيونك

ساهر يا ليل وحدي
دمعي على خدي

احبها
أحلى الليالي جنبها
ما اقدرش اعيش
إلا بها

«المَيْ (الماء) والرملة
يشهد على قلبي
ونَبْلَه على نبله
مغروسة بجنبي

●●●

كان ذلك بمنتدى «الطيب» الثقافي بمحافظة عدن، حيث تمكن المنتدى من استحضار كافة الأطياف الزاهية، حسن عطا، وإسكندر ثابت، وأحمد قاسم، وبامدهف، ومحمد سعد، والزيدي، وجميع أولئك النجوم الذين حضروا إلى المنتدى بكثافة ومرح وتوهجات تعنقد ألقها مضفوراً بعنوان عبقرية المكان: عدن.

واندلعت من أعماقي عاصفة الحنين الهوجاء، وجرفتني موجة عارمة من الشجن إلى زمن غارب، هارب، وشفيف.

الشجن إلى عدن وأنا فيها لأني لم أعثر على الكثير منها، معنى ومبنى.

والشجن إلى عدن يشبه الشجن إلى نفسي وإلى بعض أنفاسي التي تقلص خزينها وانقطع رنينها إلى أن كان ما كان في يوم الاثنين الماضي بمنتدى «الطيب»، حيث ابتلعتني شهقة «الجُنان» وضربت مجدداً بمس من فن عدن في صميم ذاكرة الأدلة التي اهتاجت واضطربت واعترمت وبالغت في الطوفان.

وكانت الضربة عنيفة ولا تحتمل بالنسبة لإنسان ضمر في أعماقه صوت الطرب وكاد يتساكن مع واقع موت الفن والثقافة وعدن.

وكانت الضربة عاصفة رغم أنها توارت خلف طبقة ناعمة تماوجت قدامي وانداحت بألحان الفنانين عزيز وأنيس، وكل ما يرج الذاكرة ويزلزل الوجدان ويستعيد ما فيك من إنسان.

يومها تحدث الأجلاء من أعضاء وأصدقاء وضيوف منتدى «الطيب» عن شؤون وشجون وهموم وآلام وأحزان.

ويومها كانوا مفارقة عملاقة وخلاقة، فرغم انغماسهم بالأوجاع ورغم انهراسهم بالقهر والغبن فقد كانوا يترنمون ويغنون. تصوروا أن مثل هذا الأمر يحدث، وأنه لا يحدث إلا في عدن!

ولسعتني عقارب الندم بسبب من ذهابي إليهم أعزل من صحفيتي -بلا كاميرا ولا مسجل- وبسبب من انذهالي بقماشة المحاضر التي تلبستني ولبستني وأفسدت طبعي وطابعي وانتهت بي إلى مجرد «فاشل» عادي في بلاد تشوشت معاييرها إلى حد أصبح معه الفشل بطولة.

واتصل الزميل سامي غالب بالصدفة وأخبرته أن موضوعاً لـ«النداء» سيكون عن المنتدى الذي كان (فيني) ولم أكن فيه إلا كممسوس فيه، ووعدته بكتابة لم أنجزها الأسبوع المنصرم، ولم أستوفها هذا اليوم وسوف تكتبني في قادم الأيام لأن ما جاء على لسان الدكتور علي عبدالكريم عن حالة الفن وعدن في ذلك المنتدى الطيب لا يمكن أن ينسى.

● «النداء»، العدد ٩١، الأربعاء ٢١ فبراير ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

مراهق المصادفات

أصبحتُ معنياً بالاحتراس من الانزلاق إلى غواية اقتراف الأحلام المستحيلة التي غدت تستوجب الحراسة والضبط، منذ لحظة إدراكي لتناسلها من رحم المصادفات، واقتناعي بأن حياتي محكومة بسلسلة متعاقبة ومتراكمة من الصدف التي حسمت مجرى حياتي من لحظة هبوطي الأول وارتطام رأسي بسطح أرض يمن «الحكمة والايمان»، وهو مكان غير مناسب، من وجهة نظري على الأقل. ولست مدعواً إلى التسبيح بحمد المصادفة الخاطئة. ولن تنفع الحسرات المتأخرة في رد امتحان الأقدار أو في قطع مسار المصادفات الخاطئة -غالباً- التي كانت العنصر المهم في تكويني وتشكيلي. لأن الأنفع هو التكيف وتمرين الذات وبأقصى حدود الصرامة على الاحتفاظ بلياقة الإقامة بمملكة الأمان المتعالية في أقاصي العتمة.

وبالنظر إلى تحدري من تلك المصادفات سوف أبوح بواقع أني طالما أحسست بأني قد عشت وقائعها في حياة سابقة غير ملموسة، ولكن أن تقولوا إنها كانت أضغاث «أحلام»، ولست في وارد مسايرتكم، لأن ما يتكرر من وقائعه صار واضحاً بفداحة تكفلت بتوطين اقتناعي بأن وقائع المصادفات التي ستتقاذفني في قادم الأيام قد حدثت سابقاً، ولن تكون مملة تماماً، لأنها لم تحظ بحقها من الأرشفة والتوثيق، ولم أندفع إلى استجلائها في كتب تفسير الأحلام حتى لا أفقد مقابلتها ثانية وأتذوق فاكهة الحنين وهي طرية، واستطعم عنفوانها عندما يوحي بأن الأمور لم تكن!

هكذا أصبحت الشخص الذي كان، وغدوت ملزماً بالتصالح مع وضعي هذا بإتقان، وأصبح هذا الحال يروقني، خاصة أني أعيش في وسط فقد حاسة اكتشاف الأشياء المستنفدة والمستعادة

بتكرار سخيف وعنيف لا يدهس غير من يقع في مهب الصدف، وفي مدارب سيولها، وتحت قصف انهماراتها.

وعلى سبيل المصادفة ذهبت بي المصادفة مطلع هذا الأسبوع إلى قناة «الجزيرة» بعد انقطاع مقصود لإراحة النفس من الحروب ومشهد الرؤوس المقطوعة. وكانت الجزيرة تبث الحوار بين غسان بن جدو ورجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي ورئيس الحزب الإسلامي الذي فاز برنامجه بتأييد الناخبين وتسلم زمام الحكم.

كنت أتابع الحوار الممتع وخطر في ذهني أنه يتزامن مع عقد حزب الإصلاح لمؤتمره العام. وتكفلت تلك الخاطرة بانزلاقي إلى اقتراف الحلم المستحيل. وجال في ذهني أن مؤتمر الإصلاح خصص جلسة لسماع الحوار واعتمدها كفاتحة شهية لمؤتمره العام بقصد الاستفادة والاعتبار -إن أمكن- من مسار تجربة الإسلاميين الترك على طريق الانخراط في الحداثة من خلال اتخاذ التدابير الكفيلة، للتكيف مع متطلبات ومؤسسات وعلوم وتكنولوجيا وقيم العصر.

وتماديت في الحلم وعشت وقائع جلسة الشهية التي شهدت حواراً حول خبر إلغاء البرلمان التركي -بطلب من الاتحاد الأوروبي- لعقوبة الإعدام، وإقرار الحق في حرية التدين، وتبني تركيا لقيم حقوق الإنسان، واتفاقية منع التمييز ضد المرأة.

وتطرفت في الانفعال الحالم عندما ذهبت إلى اقتفاء المنحى الإصلاحي الجاد في البرهنة على تكريس ثقافة التداول على قيادة الحزب، وتمكين المرأة، والانتقال من دائرة «الفتوى» إلى المؤسسة والسياسة، ومن الانحباس في ثنائية شيخ القبيلة وشيخ الفتوى، ومن التراتب إلى المساواة، ومن الحلال والحرام إلى قيم حقوق الإنسان، وكل ما من شأنه تأكيد مقدرة العقل الإسلامي في اليمن على احترام الحداثة واحتذاء النموذج التركي.

فجأة رنت أجراس الحراس -حراساتي- تستوقفني: أنت في اليمن يا هذا، فلماذا تخالف طبعك وطابعك وتتنكر لواقع انك ذلك الكائن الذي كان، وتندمج في غواية الأحلام ثم تنتهي، كالعادة، إلى الاعتذار من أحلامك وتبرر ذلك بحكم «الصدفة التي لم تعد تحتملك!!»!؟

● «النداء»، العدد ٩٢، الأربعاء ٢٨ فبراير ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

حق الحذاء برصيف الكتابة!

كيف لـ«الجزمة» أن تكتب؟ وهل تملك الأحذية الحق في حرية التعبير في عاصمة اليمن، التي تعرضت أرصفتها لأفظع حروب الإبادة، وضاقت وانكمشت وتلاشت بإحكام يشير إلى أصابع كتائب إعدام نشطة في القضاء على أرصفة طالما سمحت للمرء باختلاس ترف الاستمتاع بوقع كعب حذاء غامض وناعم النكهة، ولم تعد تتسع للأقدام الحافية، فكيف لها أن تسمح بحق الأحذية في حرية التعبير والكتابة!؟

وبما أن الصحفيين صاروا «جزمات»، كما قال الضابط المناوب على حراسة النيابة المناوبة، عندما استقبل أمين عام نقابة الصحفيين الزميل مروان دماج، ورئيس لجنة الحريات في النقابة الزميل سامي غالب، وغيرهما من الزملاء الذين تنادوا إلى النيابة بقصد التشفع للزميل علي السقاف، رئيس تحرير صحيفة «الوحدوي» الذي خفر من مقر صحيفته بالأطقم العسكرية المدججة بالعسكر وأسلحتهم المعمرة والجاهزة للإطلاق وكأنه (أي الزميل السقاف) رئيس عصابة مخدرات أو زعيم «القاعدة» في اليمن أو «الحوثي» وهو منزوع من كهفه!!

وبما أن الصحفيين صاروا أحذية تبعاً لمنطق ومسلك الناطق باسم الداخلية، وبحسب منظور و«منطوق» لغة الخطاب السياسي البوليسي، أو البوليسي الصرف، السائد و«الحاكم»؛ فقد صار من واجب الجهاز الحاكم والمتنفذ، بقضه وقضيضه، وبمرتفعاته وحضيضه، وكافة أولئك الذين يطرزون هذا الخطاب بالأحذية، أن يعيدوا لنا الأرصفة المنهوبة والهاربة، لكي نتمكن من استعادة لباقة الأحذية ونمارس حقها (حقنا طبعاً!) في الكتابة، خاصة بعد أن تلبدت السماء بسحب غروب زمن

الكتابــة في الصحافة الورقية، وتكالبت واســتكلبت نذر اعتماد لغــة الحذاء أو اللغة بالحذاء في بلاد يبدو أنها أضحت مشدودة بمربط حذاء ثقيل، ومرهونة بما يصادر الخطى، وبما لا يحتذى.

ولسوف نأتي على زمن بلا كتابة، ولن يكون بمقدورنا كتابة السيرة الذاتية للجزمة أو سيرة هذيان كعب حذاء أنثى في شارع جمال أو شارع آزال حيث رُشقت فتاة بالذخيرة الحية من سيارة (...) لمجرد أنها كانت تمارس حقها في الإياب إلى البيت كتابة بقدميها.

ولن يكون بميسورنا استعادة لحظة الكتابة في بزغة صباها وفي لحظة غرامها المشبوب (المشبوه في نظر «النظام» طبعاً) المقترن بأيام تباهي «النظام» بهامش حرية التعبير، واستثماره لذلك «الهامش» في مجرى نهب الخارج واستلاب الداخل وخنقه من خلال إطلاق العنان لـ«حرية» استباحة الصحافة واختطاف الصحفيين والصحفيات وسحلهم وسجنهم وترويعهم في مواقع عملهم وفي بيوتهم، بغزوات أشباح الليل وقراصنة المكالمات الهاتفية وفرق الألغام البارعة في زراعة أجهزة التنصت والتصوير والتسجيل في الحمامات وغرف النوم لاصطياد همسات اللوعة والفاجعة والأحزان «المارقة».

ولن نأتي بجديد لو عرضنا لسجل إنجازات «النظام» في كتم الكتابة والكتاب وحبس الأنفاس وتنكيس الرؤوس لحساب رفع الأحذية وصوتها، ومحو العقل والتوقيع على «هامش» حرية التعبير بكفن لا يليق بخرافة خرقاء لا مجال لقياسها بـ«الحرية» الأخرى المقابلة، والمقاتلة، حرية الفلتان والديدبان والقتل والعربدة والبلطجة وما يعف عن استيعابه قاموس الحذاء أو منجد «الجزمات».

وهكذا صار «الهامش» بمثابة كمين لاصطياد الأقلام والأقدام وضاقت البلاد بالكتابة الحافية، ولا صوت يعلو فوق صوت الجزمة.

● «النداء»، العدد ٩٣، الأربعاء ٧ مارس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

اعترافات راسب في الحساب

يعترف كاتب هذه السطور برسوبه في مادة الحساب السياسي لأنه استهونها واستعبطها واستخف بها وتوهم أن النجاح فيها لا يدعو لأكثر من تغطية الغباء بغلالة من المكر والدهاء ولأكثر من التلقي بمؤخرات الساسة واستلهام خلفياتهم والانذهال بمقدماتهم وصورهم والسير على خطاهم واتباع وصاياهم بلا حساب.

ويعترف أكثر أن فشله في مادة الحساب السياسي أفضى به إلى انعدام وزن ومعنى وجدوى، وزج به في أتون معارك دونكيشوتية لا حصر لها، وأورده موارد الهلاك غير مرة كما أورده في مطبات ومقالب ومصائب نجا منها لأكثر من مرة، وما زال متمسكاً بـ«المبدأ» ومصراً على المضي في (ماراثون)، أو مسابقة إحراز البطولة، في الإخفاق من غير التفات إلى أخاديد الجراحات التي انحفرت في جبينه وما برحت تنزف في أعماقه، ودونما اكتراث للارتطامات والصدمات والنكسات التي أدمت رأسه وآدميته، وشربت أيامه وأحلامه وهو سادر في غي «السياسة» من غير إفاقة ولا حساب.

ويعترف ثالثاً أن فشله في مادة الحساب السياسي لا يرجع فقط لواقع اتكائه وانمحائه بـ«الرموز» والمقولات والهتافات والشعارات، أو لانمساخه بـ«القادة» في المقايل والمنتديات والكواليس، أو لاعتقاده بأن أمر النجاح في السياسة لا يتطلب غير «البعسسة» والتمويه والمراوغة والمداهنة فحسب وفقط، وإنما لعدم اقتناعه بحقيقة أنه يقف على أرضية رخوة وعلى بلاد توزعت «بُقعها» واقتطعت ونهبت وأضحت بمثابة «بُقع» للنزاع والاحتراب والاقتتال، ولم تحصل فيها السياسة على بقعتها،

كما لم تعد -هذه البلاد- طاردة للأمان والإيمان والسكان، إلا بعد أن كانت طاردة للسياسة بامتياز وبغير حساب.

ويعترف رابعاً بأن فشله في مادة الحساب السياسي، كان يرجع لوقوفه مع الطرف الأقرب والأحب، بإمعان في التعصب، وذوبان أفقده قدرة الإحساس بحتفه السياسي ولم يشأ الالتفات إلى ساعة الحتف حينما حانت من زمان؛ لأنه استمرأ البقاء تحت منخفض «الحيوان السياسي» وارتضى الاعتلاف بملفوظات السياسة وأنفاسها الميتة في بلاد ماتت فيها السياسة قبل أن تولد.

وخامساً، ليس بمقدور كاتب هذه السطور أن يتبجح بإحراز بطولة الاخفاق أو الزعم بأحقية التسيد على عرش الفشل السياسي لأن احترامه للملكية العامة ومن ثم تربيته على حب الوطن لا يسمحان له بسرقة حق «القوى الوطنية» في بلاد كاليمن المحكومة بالإقامة في مربع العطالة السياسية، وخارج ملعب السياسة إلى حين تتهيأ لها فرصة الدخول بين اللاعبين من نافذة إعادة الاعتبار للسياسة، بما هي إدارة للحياة وتصريف لشؤونها وتدبير وتقدير عقلاني لمجرياتها وآفاقها، وانفتاح على حوار الإرادات، والقبول بالاختلاف والمغايرة، وتنظيف الملعب -اليمن نقصد- من كل العوامل الطاردة للسياسة، ومن كل هذا الذي يحدث الآن في صعدة، وفي حدة، وفي مختلف أرجاء اليمن في زمنها الراهن وعلى خلفية ما حدث في كل منعطفات «الثورات» والحروب والعنف وتجريف البلاد من السياسة التي أوصدت دونها الأبواب قبل أن تدخل وتتوطن في هذه... اليمن!

● «النداء»، العدد ٩٤، الأربعاء ١٤ مارس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

من شارع «قهوة أمريكية»

ذات مساء هربت من جنون الشارع إلى «قهوة أمريكية»، ولم أكن أعلم بمرارة مذاقها، ولم يدُر بخلدي أنها ستجعلني، بلا شفقة، إلى أشداق وحوش الكوابيس الضارية في الشارع: القنبلة، الرصاصة، القبيلة، المبولة، المزبلة، ما قبل الحضيض، والمراحيض. والمستنقع، المحرقة، التحرش، التلصص، الاغتصاب، الاختطاف، والمقبرة،... إلخ.

وفي الشارع، بل في غير شارع من شوارع صنعاء، لم يكن بمقدوري الهرب من المجانين العراة. وكنت ملزماً بالتصالح مع واقع شارع تخصَّب لاستضافة اللامعقول وتدرب على الامتناع عن استضافة عاقل واحد. ولست من البجاحة لأزعم بأني أقصد نفسي بصفة: «عاقل».

وفي مهب هذا الشارع وحيث يتجاوز الإدقاع مع الفضيحة، ويتزاوج الجنون بالقتل، عليك التعايش مع هاجس الموت في أي لحظة وفي كل لحظة. الموت برصاصة طائشة، أو قنبلة، صدفة، والموت ببرْكة موجلة أو بحفرة «بيارة» أو بعضة كلب مسعور، فالموت هو «القاعدة» أما الحياة فصدفة.

ثمة شيء واحد عليك التوجس منه وهو الصمت إذا ما حدثت مصادفة وتوقف الرصاص عن اللعلعة، وسكتت قذائف القنابل والمدافع، فإن السلامة لا تأتي من نباح الكلاب وصياح المجانين المشتجرين، لأن هؤلاء لا يقومون بأكثر من شغل الفراغ وتعبئة مقاطع الصمت اليتيمة التي سرعان ما يندلع هدير الرصاص والقذائف ليقطعها، لا يتوقف إلا ليعاود الكرة مرة أخرى وكأن «المدينة تعيش حرباً دائمة، حرباً لا نهاية لها».

وكلما وطالما استمر هدير القذائف من غير انقطاع، «فإن كل شيء على ما يرام، في هذه المدينة»!

وفي أهون الاحوال فإنك «ستصبح مجنوناً كالذي تشاهدهم عرايا، في الطرقات، وقرب إشارات المرور، وفي المقاهي، وعلى مقاعد الدراسة، وفي مكاتب الوظيفة العامة».

ولما كان هذا الشارع لا يقبل بغير المجنون الذكر، الفحل، فإنه يلفظ المرأة إلى القمامة ويبتلعها بسموم غازات السيارات القديمة، ويكرسها كضالة لـ«النَّصع» بالرصاص، والتحرش، والاغتصاب بأوسع معانيه وأعنفها أكانت في الحافلة أم في الزقاق أم في الرواق، أكانت طالبة أم ربة عائلة أم متسولة، أكانت في القصر أم في القبر.

ثم إن هذا الشارع وإن كان لا يمنحك الفرصة لأن ترى صورة قاتلك قبل انفجار الطلقة، فإنه لا يبخل عليك برفاهية الركض وأنت نصف عار تسابق المجانين والشحاذين والمشردين والضحك على الدقون والشوارب المنتوفة وأكلة شفاههم -بعد القات- وكافة النائمين على الكراتين الصغيرة في الشوارع بمن فيهم أصحاب الامتياز بالنوم بجوار مارد الثورة المنتصب في الساحة أو بحذاء الجندي المجهول.

وقد ينفسح الشارع لقصف اللهو، ولكنه يذهب في صمت القبور إذا ما حانت ساعة الجد. وقد كان أن انفسح ذات يوم لمظاهرة أسفرت عن تحطيم المتاجر والمطاعم ولوحات الإعلانات، وحرق إطارات ونهب مؤسسات، وقتل العشرات واعتقال المئات؛ ولكنها -إي المظاهرة- توقفت حينما انتهى وقت اللهو: المظاهرة، وحان وقت الجد: القات.

وما أكبر الشارع وأكثره في هذه البلاد التي تفاقمت فيها إنجازات الثورة والوحدة لتصل إلى درجة نفي الشارع والمدينة.

وأخيراً تحتاج رواية «قهوة أمريكية» التي خطفتني مساء الأحد الماضي، لأكثر من قراءة، ومن أكثر من زاوية ومستوى. وليعذرني كاتبها المتميز والمبدع الرائع أحمد زين إذا كنت قد اجتزأت مقطعاً قصيراً من شارع روايته التي برهنت على إمكان الإقلاع بصنعاء من زمن ما قبل الرواية إلى قلب الرواية، وليس ثمة رواية سابقة تميزت بذلك الالتقاط الحاذق لسينمائية وقائع صنعاء التعويضية عن غياب السينما والمسرح والمدنية في هذه المدينة.

● «النداء»، العدد ٩٥، الأربعاء ٢١ مارس ٢٠٠٧

نـــافـذة

منـصـور هائـــل

العفيـف.. عـفـواً!

قبل أكثر من شـهر قدِم البروفيسـور حبيب عبدالرب سروري من فرنسا إلى صنعاء، بزيارة خاصة جـداً للأسـتاذ الجليل أحمد جابر عفيف، الذي ألمت به وعكـة مرضية ألزمته فراش المرض ولم ينهض منهـا إلا ليقـوم بزيارة علاجية إلى ألمانيـا خضع خلالها للمزيد من الفحوصـات. وعاد بعدها ليلتزم ببرنامج نقاهة يبدو أنها ستطول، ونأمل أن يخرج منها متألقاً عملاقاً كعادته ليواصل مشوار العطاء المديـد والمتجـدد والمتفـرد في خدمة المعرفـة والتحديث والحداثة مـن موقع المـدرك المتبصر والرائي العميق للمكان المناسب لتخليق الحياة الجديدة، وامتلاك المستقبل والسيادة.

وعلى غير المألوف والمعتاد أراد العفيف تصويب خطانا، وإرشادنا إلى عتبة امتلاك السيادة بأرقى تجلياتها وأرفع مستوياتها: المعرفة.

وقـال لنـا، وإن بصورة غيـر مباشـرة، إن الطريق إلى الخـلاص والتحرر والحرية، يبـدأ بالمعرفة ويسـتمر فـي إطارهـا ويخضر فـي رحابها اللامتناهية. وأكـد لنا -أيضاً- أن نافـذة الحرية لا تنفتح إلا باحتضـان الإبـداع وتهيئـة مناخات الخلق والابتكار وذلك ما تفرد بـه وأنجزه فعلاً بترجمة نادرة واسـتثنائية للقـول فـي نطاق الفعل، وذلك ما لا يحدث في اليمن، وما يفسـر خرابهـا الذي يرجع في الأصل إلى ندرة أمثال هذا العفيف.

وعـوداً إلـى مسـتهل هذه الكتابـة لا بأس من الإشـارة إلى أن البروفيسـور حبيب سـروري، وهو المعـروف لدينـا وفـي العالم العربـي وفي الخـارج، كروائي هام، قطـع برنامجه العلمـي والتعليمي، كمحاضر وأستاذ مشرف على مجموعة من الطلاب المتقدمين لنيل رسالة الدكتوراه، وجاء إلى صنعاء

ليـزور أسـتاذه وصديقـه وحبيبه أحمد جابر عفيـف. وبرهن حبيب، بما فعل، على امتلاك حساسـية إنسانية رفيعة، وعلى وفاء وعرفان وعاطفة نبيلة يبدو أن البلاد أقفرت منها، كما أجدبت من المشاعر الإنسانية وخصال النبل والعرفان والوفاء.

وكما لو أن الحساسـية الإنسـانية الرفيعة تستوجب منا الرحيل إلى فرنسا كيما نستعيد الإنسان المهدور فينا.

وكأن ذاكرة الإحسـاس بالحرج من رسـالة حبيب هذه -مثلاً- قد أُعطبت فينا هي الأخرى، لأننا لم نقم بواجب الجوار والاعتذار من الأستاذ أحمد جابر عفيف، الذي نعلم رحابة صدره وغفرانه تجاهنا كأحيـاء موتـى، أو موتـى أحياء، ليس ثمة ما يدل على أنهم يمارسـون الحيـاة أو ما ينفي واقع أنهم موتى خارجون من المقبرة بإجازة.

قبلاتنـا ومحبتنا واعتذاراتنا الحارة للعفيف بما هو مسـتقبل نحلم بالوصول إلى مشـارفه حتى نعيد اكتشاف الإنسان فينا.

● «النداء»، العدد ٩٦، الأربعاء ٢٨ مارس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

عن صناعة الحكومة وابتكار الوزراء!

يحق للحاكم أن يستمتع بنا كلما عنَّ له أن يقتطف أزهار نشوته من مشتل غيبوبتنا ومن استمرار انكشاف تورطنا في لعبة «الاستغماية» والتفكير اللاعقلاني الذي يسوغ له الالتزام بنهج اللامعقول وتدويخنا في الدوران حول المربع المسكوت عنه في السياسة، وهو ذلك المربع عندما يعلن الحاكم عن تكليف أحدهم -مثلاً- بتشكيل وزارة جديدة وننجرف، بإملاء منطق العادة وقوة سلطتها، إلى تخمين اسماء الوزراء بضوء فانوس التوازنات الهشة، وعلى قياس ميزان الجهة والقرابة وشبكة العلاقات المتوارية عن الضوء، وعن السطح المرئي للمؤسسات الرسمية الظاهرية، المعلنة.

ويحق للحاكم أن يضحك علينا ومن انشغالنا بالتخريف والتجديف والتحويم حول مربع المسكوت عنه بانذهال يمنعنا من التقدم خطوة واحدة نحو استنطاقه وتظهره وإطلاقه إلى العراء لكي نتحرر من الانحباس في أسر الحسابات القاصرة، الباطنية، والمضمرة، ونخرج إلى منطقة الاسئلة:

كيف يتخذ القرار بتشكيل الحكومات في اليمن؟ وهل ينبغي البحث عن كيفية صناعة القرار في الإطار المؤسسي المعلن؟ أم يتوجب العبور إلى منطقة العتمة والحفر في الطبقة الأعمق حيث تقيم القوى الخفية الفاعلة والصانعة للقرار؟ وكيف يصل الفرد إلى كرسي الوزارة وينخرط في قوام نخبة الحكم/ الحاكم؟

هذه الأسئلة وما يتفرع عنها تستوجب المواجهة بدلاً من التكهن بصاحب الحظ من حضرموت، أو بحصة أصحاب تعز، أو بنصيب عدن وأبين!

وإذا ما أفضى البحث إلى نقطة اكتشاف أن السلطة لا تبحث عن الجدوى في الأداء، والكفاءة، وأن

مؤسسات القطاع العام لم تعد أكثر من إقطاعيات توهب من قبل الرئيس «الزعيم» كهدايا وعطايا، فسوف يكون من العبث الانهماك في ضبط معايير تكليف رئيس الوزراء وتنصيب الوزراء من زاوية الكفاءة ورأس المال المعرفي ورصيد الخبرة، لأن حظوظ الصعود، والهبوط أيضاً، مرتبطة بـ«الاستزلام» والقرب من صانع الحكومات والوزراء ومبتكر السياسات والمبادرات في الحوار أو في إعلان الطوارئ، والمالك المطلق لحقوق المنح والمنع، وصاحب القرارات المصيرية (التي قد تفاجئ رئيس الحكومة).

ولأن السلطة تتركز بصورة هائلة بيد الرئيس فإن مسألة الحد من الشخصانية عبر إرساء التشارك بين رئيس الدولة والحكومة ستظل قضية مفصلية، ومن غير حسمها سوف يبقى الالتباس كثيفاً في أمر حكومة اليوم والأمس، بما هي حكومة «لا تحمل صفة الحكومة البرلمانية ولا حكومة الأغلبية، إنها حكومة الرئيس هو الذي يختارها، يعفيها، يكلفها، يعزلها».

وإذا ما أصاب رئيس الحكومة فإن الفضل يرجع للرئيس. أما إذا أخطأ فهو المحاسب والمعاقب.

ولما كان النظام السياسي المعلن هو نظاماً جمهورياً تعددياً فإن واقع تجسيمه واختزاله بالرئيس ينفي طابعه المعلن، وينسحب هذا الأمر على الوحدة، إذا كانت مترادفة مع إحكام القبضة الواحدة، وما يعنيه ذلك من إسكات لأي صوت مخالف بذريعة «الخيانة» والخروج عن «المصالح العليا»: الحاكم.

وأخيراً إن الحالة تستوجب المزيد من الأسئلة والتناولات الموسعة الكاشفة لمنطقة المسكوت عنه وما فيها من عوائق تقف في طريق دولة المؤسسات.

● «النداء»، العدد ٩٧، الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

صدقت الغباري.. كالعادة!

اعتباراً من عام ١٩٩٠ حتى العام ٢٠٠٧ تعاقب على وزارة شؤون المغتربين ثمانية وزراء: السيلي، الشبيبي، العفيف، سبعة، البشاري، القباطي، د. القربي، وأخيراً الدكتور صالح سميع. وكان كل وزير يأتي بطاقمه «شُلَّته» ويقوم بإعادة صياغة الوزارة وهيكلتها تبعاً لهوى وتأثيرات الحلقة الضيقة اللصيقة به في ديوان الوزارة وفي الديوان الأكثر حميمية وحسماً في صناعة القرار (المقيل).

في البدء كنا في وزارة شؤون المغتربين. وعقب حرب ١٩٩٤ أصبحنا في الأمانة العامة لشؤون المغتربين. وقبل التشكيل الأخير أُلحقت بوزارة الخارجية ضمن قطاع المغتربين، وحكم على موظفيها بجدار عازل يفصلهم عن الطبقة الدبلوماسية الراقية المستنفرة من «الوافدين». وكان المحظوظ من «أبناء الجارية» يستطيع الوصول إلى أمين صندوق الخارجية، ويحمد الله ويشكره على تمكنه من استلام مرتبه في وقته؛ لأن وقت أمين صندوق الدبلوماسية اليمنية أثمن من أن يهدر على عد وصرف «شوالة» ضئيلة من تراب الريالات (مرتبات المغتربين) التي تبعث على القرف وتجلب الحساسية على أنامل اعتادت العزف على طبعات النقود الجديدة، اللامعة والثقيلة، وتأقلمت مع جريان الأوراق السحرية الخضراء (الدولارات).

المهم.. لقد تركبت غربتنا، وأضحت أحوالنا أسوأ بكثير من أحوال الكثيرين الذين اغتربوا في بلدان الله، بما في ذلك تلك البلدان الأشد فقراً وبؤساً من اليمن.

واستبدت بنا مشاعر القنوط والإحباط واللاجدوى وافتقاد الوزن والمعنى. وذهبنا نستغفر الله من جسامة الابتلاء بقيادات كانت تنهش بعضها وتدوس على مشاعرنا، ووكلاء ومدراء لم ينقطعوا عن

أكل لحم بعضهم بالاغتياب والتشنيع وكتابة التقارير وتوزيع المنشورات المترعة بالقبح والبذاءة.

وصار الواحد منا يخجل من تسمية جهة عمله، ومن الجهر بالانتساب إلى وزارة تحولت إلى ماكنة لإنتاج النميمة والدسائس، والتغشي بالضحالة والانعدام والاغتراب عن الزمان والمكان.

وحينما كنت أشكو لبعض الإخوة من الموظفين في وزارات أخرى عن بؤس حالتنا كانوا لا يبخلون علينا بالعزاء ويقولون إن الحال من بعضه.

وحينما لجأت لصديق حميم، بعد التشكيل الأخير، لأبثه مشاعر البرم والضيق تجاه جيوش النميمة التي سوف تستنفر قرونها وتشحذها لتستأنف نهجها المعتاد في استعراضات الخبرات والمهارات والشكوى من مظالم وأوزار العهود السابقة، في إطار خطة محكمة لاختطاف الرجل الأول عبر اعتماد هجمات متلاحقة ونشطة لا تهدأ ولن تهدأ إلا بعد أن تنجز هدفها بقطع دابر أي أمل أو رجاء بالمأسسة وبالإدارة الحديثة و... إلخ.

نعم، حينما أفشيت للزميل محمد الغباري شكواي ومخاوفي، ابتسم بما يشي بفاتحة خير، وكنت بحاجة لفسحة أمل كيما أتمكن من العودة إلى «الوطن» وأتخفف من أثقال الغربة المركبة، وصدقت، نعم، صدقت الغباري.

● «النداء»، العدد ٩٨، الأربعاء ١١ أبريل ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

الاستحمار في عنف تكرار

رغم قناعتي بأن "المثقف" ينطوي على مصيبة وينطق بلسانها، خاصة عندما يحظى بقسط من الاستهتار والذي يسمح له بأن يغدو خبيراً في كل شيء، من هندسة الاتصالات إلى الهندسة الوراثية، ومن تخصيب اليورانيوم إلى قضايا العرب والبوسنة والخصخصة والحداثة وما بعد الخباثة و... إلخ.

ورغم معرفتي بأن القدرة على التحدث في كل شيء دون تواضع ومعرفة، صارت هواية يمكن أن يستدل بها -غالباً- لتعريف "المثقفين" في بلادنا، خاصة أن هؤلاء يتنطحون لممارسة هذه الهواية بحماسة فائقة، قد أفضى، وما زال، إلى نتائج مدمرة تجلت خطورتها في الحياة العملية بتغذية شروط الاستبداد والفساد.

نعم، برغم ذلك كله فإني سأتجرأ على الخوض في موضوع الاستثمار، وأنا لست من الضالعين والمختصين فيه، ولكني لم أقو على مغالبة إلحاح اقتراح حدث الساعة وحديثها، ومسايرة "الإجماع"!

وسوف أقدم على هذه الفعلة وكلي استعداد لتحمل نصيبي من المساهمة في تزويق الخراب وتنميقه. ولن أكتم القارئ أن فضولي ما كان له أن يستثار لمطاولة موضوع الاستثمار إلا بسبب من اعتقادي بأن الحديث عن استكشاف فرص الاستثمار ينتمي إلى ضرب من الفنتازيا المعززة بالأرقام، بمخاتلة يمكن أن توحي بصلة ما يحدث بالخيال العلمي، دون أن تنفي واقع أن هذا الذي يحدث وشيج الصلة بالخيال الذي يعمي بعد أن يدوش ويعطب أسماع من كانت عقولهم في آذانهم.

وسواء قُدّرت قيمة الفرص الاستثمارية المستشفة ببضع مليارات من الريالات أو الدولارات، فإن مربط الخيل (ليس بالضرورة خيل المؤتمر) يكمن في توافر البيئة الاستثمارية الحاضنة والجاذبة والمحفزة للاستثمار، كما يكمن في إدراك "صناع القرار" أن الخدمة الأولى التي يتوجب على الحكومة أن تقدمها لمواطنيها، في عالم اليوم، هي توفير بيئة جذابة للشركات والمستثمرين الإقليميين الدوليين.

وبهذا المعنى فإن انعدام البيئة المؤهلة لاستقبال الاستثمار على خلفية غياب الحكم الصالح والحكومة الرشيدة، يجعل من الحديث عن الاستثمار محض افتراء وهراء وزعيق إعلامي تنكره الشواهد المتزاحمة، لتقطع بغياب الأمن والاستقرار، وتفاقم عوامل الطرد للتجارة والمستثمرين في الداخل ومعهم المستهلكين، واتساع نطاق انتشار الحرائق والحروب على "البُقَع" وفي منافذ صنعاء وساحاتها كما في غيرها من مدن وأرجاء البلاد، واستمرار الحرب في صعدة، وسماكة عوامل الانفجار والإضراب في أكثر من منطقة وعلى أكثر من صعيد، على نحو يفيد بأن مطر المليارات لن ينهمر على اليمن، وأن المستثمر الأجنبي أذكى من أن يُستحمر، مع الاعتذار للحمار، ويقدم على الانتحار، وأن مغامرته بالمشاركة في مؤتمر فرص الاستثمار كانت بمثابة إعلان حسن نوايا ليس أكثر، أو عبارة عن إفشاء لنداء مضمر: أقيموا دولة المؤسسات والقانون والقضاء المستقل، وحرية الصحافة، ومناخات الاستقرار والأمان، وسوف يتحول وعد المليارات إلى رعد ومطر.

● «النداء»، العدد ١٠٠، الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

فيما قذف بالقذافي إلى صعدة

كانت سحب الدخان الطالعة من مباخر الفضائيات التي أشعلت بخورها بجمر صعدة على شرف "الخبراء" من اليمنيين بالشأن الصعداوي كفيلة بلفت النظر إلى فداحة الخطر وتداعياته المتفلتة بنذر محرقة تعم البلاد.

وكانت البداهة تقترح الانجرار لمناقشة ما قاله "الخبراء" الذين أطلوا علينا عشية زيارة رئيس الجمهورية لواشنطن، ولكن حالتي الصحية ومزاجي المعتكر ألحّا باقتناص المقطع الملهاوي الفائض من سخام المأساة.

وذهبت أسأل: ما الذي قذف بـ"الزعيم" القذافي إلى قلب القذائف الملتهبة بصعدة؟

ولما كنت أعلم بأن السؤال يختزن إجابته فقد انداحت أطياف القذافي البانورامية الملونة قدامي، وتجلى بمشاهد خاطفة وهو يخوض معركة الانقلاب على العالم بدعم الهنود الحمر في أمريكا، وفي تمويل ونصرة الجيش الأحمر الإيرلندي، وفي إشعال الكثير من الحرائق في أرجاء كثيرة من العالم، والتبرع لإطفاء الكثير من الحرائق بأرجاء أخرى.

ولما كنت أعرف بأنه لا ينفك عن التوسط لحل النزاعات والمصالحة بين فرقاء الحروب من كافة الجنسيات، فقد وجدتني أصدق القصة المتداولة الشائعة التي تؤكد بأن رئيسنا هو الأذكى بالمقارنة مع أقرانه العرب، والأذكى حتى من الرئيس بوش ذاته، بإطلاق لقناعتي بأنه الرئيس الأغلظ غباء من بين كل الزعماء الذين عرفت منذ وعيت نفسي في الدنيا.

وتقول القصة التي تحكي ما صار بين الرئيس صالح والقذافي بأن صاحبنا وهو مزيج كميائي عجيب من الذكاء والدهاء، لعب على ورقة نرجسية العظمة المتضخمة لدى "الزعيم" القذافي من موقع الخبير بغرامه في التوسط وولعه بالتورط.

وتضيف أن رئيسنا ألمح للقذافي بأن حل مشاكل العالم يكمن في "الكتاب الأخضر" ولم يتوقف عن إطراء مناقبه ومبادراته "العملاقة" لحل النزاعات في معظم البلدان والقارات وبراعته، وبالأحرى صرعته في حل النزاع بمنطقة الشرق الأوسط (مشروعه لدمج الفلسطينيين بإسرائيل تحت اسم دولة إسراطين).

وبعد الديباجة التي تشيد بدوره كأكبر إطفائي للحرائق أو مشعل لها في حال عدم تمكنه من إطفائها، أشار عليه –الرئيس للقذافي– بمحنة صعدة التي يستطيع حلها بجرة قلم، وإن لم فبمهاتفة وضيافة للحوثي وزوده بتلفون الأخير، وعندما اطمأن إلى أن الطعم أصبح في حلق "الزعيم" سارع لمهاتفة الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليبلغه بتورط القذافي بما يجري في صعدة وإصراره على وضع بصمته على الحدث، ما يعني إثارة السعودية ومليكها صاحب الفطرة الطيبة والمستجيبة لهكذا إشارات كريمة تحذره من نفاذ القذافي إلى خاصرته: صعدة.

وتُضيف القصة أن الرئيس قال، من حيث لم يقل، ها هو القذافي الذي كان يريد اغتيالكم يدعم الانقلاب علينا، وها نحن نقف على خط واحد، فلماذا لا نقف وقفة رجل واحد؟

وتتوالد القصة لتشير، في نسخة أخرى، إلى أن ذلك ما حصل أيضاً بين الرئيس حقنا والرئيس الأمريكي عندما شكت بلادنا من تورط إيران في حرب "صعدة" وعزفت على وتر الثأر بين بوش ونجاد، ولوحت باسم الحوثي كمعادل لاسم مقتدى الصدر، وكذلك الحال كان مع إسرائيل عندما جرى التلويح بورقة يهود صعدة.

والخلاصة أن ما هو أدهى وأنكى من محنة صعدة يتجسم بتلك القراءة الشائعة والسائدة في اليمن لأخطر الأحداث وهي ليست قراءة مقطوعة الصلة بمناهج التحليل والبحث السوسيولجي والتاريخي والاجتماعي والسياسي فحسب وإنما تتغذى على ذهانات وهذيانات (القات) والخرافات والأساطير، وتركنُ إلى ما تشيعه مناخات القطبية البوشية الواحدة.

● «النداء»، العدد ١٠١، الأربعاء ١ مايو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

«ما إلك» إلا ساركوزي!

أفصح معظم «الخبراء» العرب بالشأن الفرنسي عن رغبة عارمة باختطاف فرنسا ومجسمات عنوان الجمهورية الأشهر في التاريخ الإنساني المعاصر: الحرية، الإخاء، المساواة.

وتبدت الضحالة الرعناء بما سمعنا من صراخ نضحت به الفضائيات، ومعظم الصحافة العربية التي ألقت باللوم على العرب والمسلمين في فرنسا لأنهم لم يكونوا «قبيلة واحدة».

إنها الذهنية الصحراوية «الواحدية» التي لا تحترم التعدد والتنوع والاختلاف، ولا تلتفت لنداء ومنطق المصالح.

ولا فرق بين من حاول تلطيف المسألة بالحديث عن ضرورة مماهاة «اللوبي اليهودي» بإنشاء وتصميم وتجهيز «اللوبي» الإسلامي والعروبي الموازي، وبين من استبطن ذات القناعة ووارب وقال بضرورة «الوحدة»: وحدة العرب والمسلمين ضد فرنسا وأنفسهم، وبين أولئك الذين يجهرون بالجهاد على رؤوس الأشهاد، ويهتفون ويرقصون لتكاثر النسل الإسلامي وفقراء الضواحي والقنابل والألغام الموقوتة و«حصان طروادة» الفاتح الماكر، على طريق إقامة دولة الخلافة والتحكم بعرشها: الأليزيه.

وإذا كانت هذه الآراء تصدر عن «خبراء» أسرى لفكر استبدادي طاعن في فساده، ومتضخم في امتلائه إلى درجة عدم إدراكه المطب لاندراجه في خانة الممارسة الوصائية والعدوانية على العرب والمسلمين في فرنسا، وعلى فرنسا، وقيم الحضارة والتنوع والاختلاف.

وإذا كان هؤلاء «الخبراء» أعمى من أن يدركوا فداحة الصلف الذي يرتكبون بانتهاكهم حق

الفرنسيين المسلمين في ممارسة مواطنتهم و اختياراتهم كمواطنين أولاً، فإن الطامة الكبرى تتجسم بصورة «الخبير» العربي المسلم الذي يقطن في فرنسا، أو غيرها من بلاد أوروبا، حينما يطل علينا وهو يقوم بتمشيط شعر رأس مقطوع ولا يلتفت لمنظر الدم المتجمد في الرقبة، ليواصل القدح بتجربة فرنسا، ويفزعنا بفقدانه لذاكرة الوجع والخروج من ديار العروبة والإسلام التي ضاقت به وأمثاله، كما ضاقت بحفاة السكان الذين لا يطالبون بـ«التداول السلمي للسلطة» بقدر ما ينشدون الأمان وعزة الكفاف!

على أن الأدهى مما نرى هو ما يتبدى من نزوع هؤلاء إلى اختطاف فرنسا وتعريبها وتأثيثها كعمارة «قصر جمهوري» في مقابل الأليزيه وما ترمز إليه، و جمهورية عسكر وقبيلة، ثم عائلة، بدلاً من جمهورية الإخاء والحرية والمساواة.

إنهم يطالبون بالمواطنة ولا يمارسونها في مسقط الرأس، ولا يريدون لمن نجا برأسه من «الوطن» أن يسترد أنفاسه، ويمارس حقه في المواطنة بفرنسا أو غيرها أولاً، وحقه في المعتقد والعبادة ثانياً. إنهم يمعنون في تطلب استبدال العلمنة بالغلمنة.

إنهم -جلهم وليس كلهم- لا يحبون ساركوزي ولا رويال، ولم ينخطفوا إلى أرقى تجليات الإبداع السياسي الفرنسي التي لم تفرز النتيجة النهائية لانتخابات الرئاسة إلا بعد أن تمكنت من إعادة تعريف وابتكار فرنسا من خلال حوار إرادات وبرامج وأفكار تسفر عن فوز سيجولان رويال، التي أحببتها وتحيزت لها بمنطق نرجسياتي الأولى وتطلعي لـ«قوامة» امرأة، ولكنها أسفرت عن فوز ساركوزي، الذي فرحت بفوزه وإن من قبيل النكد ومناكفة من لم تعجبهم النتيجة بالقول: «ما إلك إلا ساركوزي»، على غرار عنوان برنامج شهير بفضائية لبنانية «ما إلك إلا هيفا».

● «النداء»، العدد ١٠٢، الأربعاء ٩ مايو ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

المحمــول القـاتــل؟!

شـدني الخبر الذي شـاع مؤخراً ونشرته بعض الصحافة، وتداولته مجالس الساسة والمثقفين: ما يسمى «النخبة» التي رقصت طرباً بالقفزة الهائلة التي حققتها اليمن في مجال تقنية القتل.

وكان لافتاً أن القابلية والاقتناع بصحة اكتشاف واحتكار السوق اليمنية لهذه التقنية المذهلة أكبر بما لا يقاس من الشـك فيها أو سـؤال غموضها. وقد ارتفع صوت التحذير من اتسـاع نطاق مفعولها في السوق اليمنية، التي لا تشكو من نقص في أدوات القتل والقتلة والقتلى، بقدر ما تعاني من تخمة وفائض لا يخطر على بال، في هذا المجال.

إنها تقنية القتل عن طريق الهاتف المحمول، وقد غرقت السوق بطوفان من المنشورات التي حذرت مـن مهلكـة متأتية عن تلك الأرقام التي تبرق على شاشـات أجهزة التلفون بلون أحمر يشـع بموجات «عالية جداً جداً» تتسبب في تلف الدماغ وتصرع من يستقبلها.

وتلقف الشـارع ما سـمع، وكذلك «الصالونات»، وتناسلت الروايات المعززة بأسماء من قتلوا، وعدد القتلى، الذي قيل إنه ما زال دون الثلاثين، وهو قابل للزيادة. وربط البعض هذه التقنية بصلة نسـب مع «المتمردين الحوثيين».

وكان مستوى اكتساب هذ الخبر/ الشائعة، أكبر بما لا يقاس من أثر الرد الخافت بالنفي، لأن الحرب صارت «خبزنا اليومي»، ولأن مناخاتها الثقيلة كتمت الأنفاس، وهرست الناس، وشلت العقل، الذي لم يعد يشتغل إلا في نطاق الاستجابة لذبذبات صعدة وأصداء الحروب السابقة، ونذر القادمة.

وكان على من يحاول تصويب اللا معقول بتكذيب خرافة امتلاك اليمن لسلاح دمار شامل، عبر تحويل المحمول من سلعة مستخدمة للأغراض السلمية إلى سلاح مروع، أن ينحني للعاصفة، ويتساكن مع أغلبية تواطأت على استمراء الخدر بسحر المحمول المشبع بقوة الفتنة والافتتان الطاغية على صوت العقل؛ حتى إني لم أتمكن من إقناع الصغيرات في بيتي ببطلان ما يشاع، لأنهن تبرمجن على التسليم اليقيني بصحة الخبر، وكانت كل واحدة منهن تصفعني بمنشور يتضمن نماذج من الأرقام القاتلة، وتطعِّم الأمر بواقعة طرية عن قتيل لرقم فتاك في حي مجاور.

هكذا صار مجرد التفكير بقياس ومقارنة تقنيتنا هذه مع «الجمرة الخبيثة» ضرباً من السخف والسذاجة، بقطع النظر عما أشاعت من ذعر في واشنطن عواصم أوروبا التي لم تقدم الدليل الملموس عن حجم ضحايا جمرتها المزعومة.

واتضح أن الطابع السحري لجهاز المحمول، هذه الألعوبة والأداة الانفجارية التواصلية، قوي المفعول في مستوى استدعائه للأساطير والحكايات الخرافية التي تستحضر أي شخص كان من أي بقعة قريبة أو نائية، وتخترق الأمكنة والإزمنة، وتزاوج بين الإنس والجان، على نحو ما يحدث اليوم والآن، حيث انطمس الفاصل بين الهاتف المحمول والسحر، ومسخت الصفة العقلانية للمحمول باستدخاله في باب الخرافة على نحو أسقط ماهية العلم وقيمته القائمة في الأصل على مناهضة السحر.

ولما كانت استخدامات الهاتف المحمول في اليمن لا ترتبط ، في أكثر الأحوال، بتيسير الأعمال والخدمات والنشاط الاقتصادي، ولما كان نطاق استخدامها يتناظر مع استخدام إخوتنا في الصومال الذين أحرزوا قصب السبق في استخدام الهاتف الجوال على مستوى المنطقة، فقد كان من البديهي أن ينحرف عن وظيفته الخدمية الإنتاجية لمصلحة الوظيفة القتالية المشتعلة بزيت الخرافة والسحر بما يقطع بواقع أن هذه البلاد لم تقلع بعد من مدرجات الزمن الأسطوري السابق، حتى، إلى الزمن الديني.

● «النداء»، العدد ١٠٣، الأربعاء ١٦ مايو ٢٠٠٧

نـــافذة

منـصــور هائــل

هــؤلاء: الإنجــازات

(١)

"في كل مرة يتحدثون معي فيها عن الإله أشعر وكأنهم يريدون محفظتي وحياتي". بردون.
ويقول التاريخ: كلما ارتقى الإنسان وتطورت شخصيته انخلع عن الأطر الاجتماعية الضيقة.

(٢)

الحوثيون والسلفيون والباطنيون والقبوريون والوهابيون، وغير ذلك من المسميات التي أحالت إلى ما قبلها ورجعت بنا إلى الهاشميين والعلويين والقحطانيين والعدنانيين وكل ما لا يمكن أن يدخل في رصيد حساب "الوحدة" أو ينسب لإنجازاتها في عيدها السابع عشر إلا بضغط منطق الوقائع التي تشهد بأن العام ٢٠٠٧م قد اختُطِف قبل أن يطل برأسه، ومعه اختطف الساسة والسياسة والصحافة في اليمن من قبل "هؤلاء" السالف ذكرهم.

وتبعاً لما صار سقط حق الروائي السوداني الكبير الطيب صالح في السؤال: من أين جاء هؤلاء؟

ذلك لأن "هؤلاء" ليسوا غرباء، ولم يهبطوا علينا من السماء ولم يخرجوا من المقابر وإن كانوا يرضخون لسلطتها وينفذون أوامرها.

والواضح أكثر أنهم من إنجازات السلطة الحاكمة التي تستأثر بالنصيب الأوفر في إنتاج "هؤلاء" لأن الشواهد تقطع بسيطرة هذه السلطة على شبكة إنتاج المذاهب والطوائف والتلاعب بها وهندسة حروبها الدامية.

ثم إن فساد السلطة ينتج في مقابله الهوس الديني الذي يشير إلى حركة المجتمع الهابطة إلى منحدر اللاعقلانية و"الماضوية" وكل ما من شأنه نقل الهزيمة في السلطة إلى المجتمع بأسره.

إن "هؤلاء"، وآخرهم "علماء الأمة"، قد ظهروا بالتواقت مع غياب العقل والعقلانية، وانحسار مظاهر الحداثة وعناوينها.

فبعد أن كنَّا نتغنى بالتعددية، الحزب، النقابة، أطلت الطائفية برأسها لتنصب المشانق المقدسة لكافة مقولات الحداثة.

وبدلاً من الالتفات نحو الأسباب التي قفزت بـ"هؤلاء" إلى صدارة المشهد وكانوا بمثابة التعبير الجلي عن هزيمة قيم العقلانية والديمقراطية أمام قيم اللاعقلانية و"الطائفية" المستبدة، وبالأحرى الترجمة الفصيحة لصورة المجتمع المأزوم والمتجه نحو الانتحار الذاتي.

وبدلاً من الهروب إلى حقل اللاتحديد وفضاء العموميات، أصبح من الضروري تفسير "هؤلاء" بفشل بناء الدولة الذي أفضى إلى اغتراب العقل وتدميره، وأفسح المجال لتغول سلطة مستبدة فاسدة لا تجيد أكثر من إدارة البلاد بالحروب، واللعب بالورقة الدينية "الطائفية"، وإفساد الدين والدنيا.

وعلى ذلك فإن الذكرى السابعة عشرة لـ"الوحدة" تأتي هذا العام في ظل الانتقال من الحديث عن "الساعة" إلى حديث الساعة، والحض على الطاعة والامتثال لولي الأمر، وما يعنيه كل ذلك من إلقاء تحية الوداع على الدستور والمواطنة المفترضة والوطن المفترى عليه.

● «النداء»، العدد ١٠٤، الأربعاء ٢٣ مايو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

في تعالق البطالة بالبطولة

ستخضع صورة «السيد» مقتدى الصدر لإعادة صياغة وتعديل وتصغير إلى أقل من «بطل»، وليس ثمة ما يمنع الإعلام الرسمي من أبلسته ومنع ذكره وحذف صورته من حيز التداول الإعلامي بالمرة، وفي أسرع وقت.

ذلك ما جناه «السيد» مقتدى على نفسه بعد أن كان قد قفز إلى مرتبة «بطل» مرشح لأن يصبح «أيقونة» ويقتحم سوق منافسة «السيد الرئيس» صدام حسين، و«السيد» حسن نصر الله، الذي تراجعت مبيعاته في السوق لأسباب لا يعلمها «السيد» مقتدى.

المهم: لقد وقع المحذور وخسرت السوق اليمنية فرصة استثمارية كانت شبه مؤكدة وبددها الفتى مقتدى الصدر بخطبة جمعة مزمجرة تطايرت بعض شظاياها إلى وجه الحكومة اليمنية، التي اتهمها «السيد» ومعها القوات الأمريكية، بشن حرب إبادة على «الحوثيين» واستخدام «أسلحة محرمة». ولم يكتف بذلك وإنما ناشد منظمة المؤتمر الإسلامي والعالم بالتضامن مع الحوثيين ووقف العدوان الظالم عليهم!

والواضح أن الفتى مقتدى لم يكن يعلم أنه كان قد تأطر في صورة «بطل»، وأن صور الأبطال قد أصبحت تستثمر وتمتص بعض البطالة في اليمن، حيث قفزت إلى سطح السوق عمالة جوالة تقوم بتسويق وبيع صورة «البطل» ولم يعد الحبل السري، الذي يربط بين البطولة والبطالة، محكوماً بقصوره الذاتي المزمن والماثل في صورة «بطل» تشع وتتوهج ببطالة الجموع، وبالأحرى ببطالة عقلية جمعية مستريحة بالرقود على سرير اليقين بخلاص على يد البطل المنقذ، المهم، والخارق.

هكذا شاءت المستجدات والأنقاض المتراكمة في السنوات الأخيرة أن تتمخض عن أكثر من «بطل»، ولأول مرة تحققت فائدة متعينة وملموسة لهذا الصنف من الكائنات، عندما أصبح قسم من العاطلين، مهما كانت محدوديته، يشتغل بصور صدام حسين، وحسن نصر الله، بيعاً وشراءً في الأرصفة وجولات الشوارع والمكتبات العامة.

وقد تراجعت مبيعات «السيد» حسن نصر الله لأنه «شيعي». وعلى افتراض أن الحكومة تشن حرباً مقدسة على «الشيعة» في صعدة، وإذا كان ذلك ما حدث للسيد حسن فما الذي يا ترى ينتظر «السيد» مقتدى!؟

والحال أن خطبة الفتى مقتدى قد أبطلت المفعول السحري لبطولته عندما كان في مغارة الاختباء، ولن يحظى في قابل الأيام بما كان يحظى به في مائدة الإعلام الرسمي قبل أن يحشر رأسه ولسانه في الشأن اليمني، هذا إذا لم تخضع لمقص الرقيب ويتهم بالتورط في دعم «الحوثيين» مثل إيران وليبيا و... إلخ.

● «النداء»، العدد ١٠٥، الأربعاء ٣٠ مايو ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

إنــه العــرق الدســاس

شاكر العبسي.. إيه يا شاكر العبسي!

هــا أنــت تضــع الملح على الجــرح، وتثير النقــع والوجع بركوبك نهــر البارود -مع الاعتــذار للنهر البارد- وزعامتك لمنظمة ذبح الإسلام -يقال فتح الإسلام- وأين.. في لبنان يا مفتري؟

إيه يا شاكر.. ما هذا المنكر؟!

واللــه لــولا «الوحــدة المباركة» لما كان المذكور يســتحق الذكر ولا النظر، ولما كنتُ تأوهت من لســعة «العار» وعقابيل الشنار المتأتية من أفعالك الشنعاء يا.. عبسي!!

ولكنها «الوحدة» يا غبي.. نعم «الوحدة» يا داهية آخر الليل!

والحــال أن الأحــوال تقلبــت بعد «الوحــدة» حيث انتقلت من عــدن إلى صنعــاء، وفرحت بوصل ما انقطع من أواصر القربى، خاصة مع أشقائي، وكانت تلك نقطة انطلاقي للتعارف والاجتماع بأعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي وأنجالهم، وانبهرت لاكتشافي بأني أنتمي إلى عائلة كبيرة وممتدة يتصل نسبها بعنترة العبسي، ويجتمع شملها، مؤقتاً، في إطار عزلة الأعبوس بالحجرية!

وبين الحين والآخر أصبحت أسمع من يصفني أو يناديني بـ: يا عبسي!

بدايــة كان يخيــل لــي أنها أصداء ســحيقة، وكنت أتفكــه بطرافــة الفلكلور المســتعاد، ثم أصبحت أستنكف وأستنكر، وبمضي الوقت صرت أبلع ما أسمع على مضض، ولا أجهر بالاستنكار!

وشــاءت تفاعلات ما بعد الوحدة اليمنية أن تطلق العنان للجمعيات الأهلية الخيرية، التي ظهرت

كما الفطر بعد المطر، وتقدم «الأعبوس» الصفوف ليستعيدوا مجدهم الغابر بإنشاء جمعية تتلطى بشهرة «النادي العبسي» الذي اشتهر قبل الاستقلال في عدن، ولقي حتفه على يد حكومة الثورة المظفرة. وكان بعض أولئك الذين بزغت شواربهم في النادي هم أصحاب مبادرة الإجهاز عليه وإصدار وتنفيذ قرار إغلاق النوادي «القروية» التي استنفدت أغراضها في نظر اليسار، وطبقاً لتنظير اليسار العبسي بالدرجة الأولى.

عند إنشاء جمعية الأعبوس كنت في حلق الحدث كأي كائن مدفوع بتيار نهر بارد أو صفعة ثلج «وكنت لا أصدقني: ما هذا الانقلاب؟ من «يا عمال العالم اتحدوا» إلى يا أبناء الأعبوس «اوقعوا يد واحدة!!».

كنت أسمع وأرى، ووجدتني ملزماً بتصديق ما لا يقبل التصديق، وكان ضغط الوقائع والمعطيات كاسحاً ولا يعرف الانتظار!

كيف نكون جماعة، عصبة، عصبية، قبيلة «غرَّامة» لندفع عن أنفسنا الأذى والعداء ونمسح الدم بالدم؟.. وكيف نتمتع بأفضال «الوحدة» ذات «الخصوصية اليمنية» المضفورة بشوارب العسكر القبائل؟ وكيف نتجرجر بانتظام إلى مرابع ا لعتاقة والعراقة، ونتزنَّر بـ«واو» النسب؟

وعكفنا على لملمة أغصان شجرة العائلة العبسية المبددة بين القبائل وفي الشتات، ورسمنا «خارطة الطريق» إلى الأعبوس، ولم يدر بخلدنا أن تكون بعض ثمار الشجرة قد ذبلت أو فسدت أو تناثرت وتبعثرت في أقطار وأمصار شتى إلى أن أفقنا على اسم شاكر العبسي، القنبلة التي لم نعثر عليها في كشوفات عضوية الجمعية، وتفجرت في وجوهنا من وهلة سماعنا بوجود يمنيين في إطار جماعة ذبح الاسلام: إنها اللعنة... لا يفعل هذا المنكر إلا متحدر من ذات السلالة وخارج عن «الجماعة»!

هكذا هو العبسي فهو لا يجيد تعريف نفسه إلا في الأقاصي المتطرفة: إما في أقصى اليسار أو في أقصى اليسار؟

وحتى عندما انقشع الغبار وظهر بأن ذلك «العبسي» من الأردن أولاً، ومن سورية ثانياً بحكم ثرائه وامتلاكه لأغلى العقارات في أرقى الأحياء الدمشقية، فإن وخزات الألم لم تتوقف عن ضرب عرق النسب الحساس فينا. إنه في النهاية «عبسي» والعرق دساس ولكن: ما هكذا يفعل بنو عبس الكرام والفوارس؟ ولم نتعلم هذا من سيرة عنترة قبل الإسلام؟

يا إلهي بأي وجه سنقابل لبنان؟ إلهي وهل لنا وجوه في ظل هذا الحطام والانهدام والانعدام الضارب في اليمن ولبنان كما في العراق والسودان وكما كان في البلد «الطليعة»: الصومال.

● «النداء»، العدد ١٠٦، الأربعاء ٦ يونيو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

شفرة شحتور

يكتنف الغموض حالة العقيد صالح شحتور، الذي يقال إنه اقتنع بأن خيار الجبل هو الحل ومضى ليطلق شرارة «ثورة الجنوب» من جبل في مديرية المحفد بمحافظة أبين. وبدا كأنه يحتشد لشد تلابيب الزمن الغارب واستعادة مجد غابر بفعل يستنفر مخزون ذكريات حرب التحرير ضد المحتل وذاكرة الجبل وردفان حيث انطلقت الشرارة التي أحرقت سهلاً، وعصفت بمعاقل المستعمر وعجلت بغروب شمسه أو رحيله عن عدن وجنوب اليمن.

ولا تخلو المسألة من عزف على وتر كرامة مهانة، ومن هذيان لاحتقان استبد به الاحتباس وأضحى يطالعنا بتعبيرات متفلتة يمكن أن تقلب الطاولة على رأس كل منطق. فهل نحن بإزاء استدارة التاريخ وإطلالته بصورته الملهاوية؟

ذلك ما لا يقنعنا به رد الناطق الرسمي حينما أطلق صفة «المجرم» على شحتور الذي لم نتوفر على دليل يفيدنا أنه من مجانين هذه «المرحلة» التي لا تحتمل الهزل، وإن كانت تترصع بشتى ألوان الجنون.

وبقطع النظر عن سرديات الشارع التي تخوض في سيرة المذكور ويقول بعضها إنه ينتمي إلى صنف الثوار الجوالين «المغامرين» وإنه اشتهر باختطافه لطائرة إيرانية إلى عدن في عهد «التشطير» وإنه شارك في الحروب الداخلية في سبيل الثورة، وبين الثوار ومع الجنوب ضد الشمال ومع الشمال ضد الجنوب في صيف ١٩٩٤، حينما وقف مع «الشرعية» وقلبت له ظهر المجن ولم يجن وربما كانت مغامرة ركوبه الجبل من النوافل المألوفة لطبعه وسيرته!

بقطع النظر عن كل ذلك، ينبغي التعاطي مع حالة «شحتور» بتحسب ومسؤولية، وفي إطار شواهد انفجارات الاحتقان في غير مكان وفي ساحة الجنوب خصوصاً واليمن عموماً.

ذلك أن حركات التظاهر والاحتجاج التي نشهد وتتصاعد في الضالع وردفان وعدن وأبين وحضرموت وشبوة، والمصادمات المسلحة والانتهاكات والتعديات والاعتقالات والإقصاء من الوظيفة العامة من غير مسوغات قانونية، وغير ذلك من التفاعلات والتداعيات ستخرج عن إطار التحكم والسيطرة، ومن الراجح أن تزج البلاد في همروجة الحرب المستدامة على خلفية فشل وعود التنمية المستدامة وفشل الدولة في النهوض بمسؤولياتها وانحصارهم «الحزب الحاكم» في العمل على إدامة قدرته على ممارسة الاستبداد والفساد. وهو أمر يمكن أن يضمن له البقاء بعض الوقت، كما يمكن أن يفضي إلى ضياع في نفس الوقت.

● «النداء»، العدد ١٠٧، الأربعاء ١٣ يونيو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

مستوطنة الكمائن

لقد تراكمت خبرتي في التوجس من المواثيق والمعاهدات «التاريخية المجيدة» إلى المستوى الذي لم يعد يسمح لي بأكثر من زلة فرح ينضح به منطق البداهة في وهلة البلاهة الأولى.

ذلك ما كان عليه حالي يوم السبت وقد فرحت بإبرام فرقاء السياسة والحرب لحدثين «تاريخيين» في يوم واحد: توقيع على اتفاق بإنهاء الحرب في صعدة بين السلطة و«الحوثيين»، وتوقيع على وثيقة التوافق وضبط قواعد وأسس ومبادئ الحوار بين الحزب الحاكم والأحزاب الممثلة في البرلمان.

كنت أقل من أن أحتمل ما حصل، لأني لم أتأهل بالقدر الذي يكفي لاستيعاب جرعتين من ترياق الفرح، فحسب، وإنما لم أتدرب على امتصاص نصف جرعة فرح ولا أصاب بمقتل!

كانت مصلحة الوطن تدعوني لأن أرفل بالفرح ولو لبضعة أيام، على الأقل، ولكن خبرتي غير السارة نكشت أوجاع الذاكرة وارتكست بي إلى عناوين سابقة كانت تطالعنا بالقول إن الفرقاء قد اجتمعوا وخرجوا وهم «أكثر وحدة من أي وقت مضى» ولم يكد ينصرم الكثير من الأيام، وإذا بنا نسمع البيان رقم (١) وهو يعلن عن حسم المعركة لمصلحة الطرف النقي التقي وهزم الطرف الخائن والعميل... وإلخ.

وتحسست رتق الجيب، أخزاق القلب، «مزق التاريخ في حنجرتي» وأمسي الداعس على غدي، ولم أناوش بقايا عقلي، وليس في العمر بقية تكفي حتى لمجرد اعتذار مقنع لطفلتي مريم ذات السنوات الأربع حول مشاركتي في إيقاعها بصنعاء رغم علمي بأن الرب خاطب «ذوي الالباب».

وبما أني لست منهم (أصحاب الألباب) فقد قلت إن الرب لا يقصدني، وذهبت أسأل: هل سنحتاج إلى تدخل قطر مرة أخرى أم سنذهب إلى مكة؟

وبمعنى أفصح: هل سنلوذ برعاية الملك في مكة أو الأمير في الدوحة من قبيل الاستجابة لطابع المرحلة التي تمر بها المنطقة، وعلى سبيل اللحاق بالفرقاء «الأشقاء» في فلسطين ولبنان والعراق؟

هل سنفعّل الاقتداء أم الاحتذاء؟

وهل نملك الجرأة على الاعتذار عن تخلفنا على مواكبة الركب والقول بأننا لم نتأخر إلا بسبب من اتكائنا على ما ورثنا أو كوننا ورثة لشيء عزيز لا يورث في العادة واسمه: الحكمة!؟

ولن ينقطع بنا السؤال حتى يؤكد لنا «الفرقاء» بالأفعال، وليس بالأقوال، أن اختلافهم رحمة واتفاقهم لا يستبطن الحرب ولا تستوطنه الكمائن.

● «النداء»، العدد ١٠٨، الأربعاء ٢٠ يونيو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

ذبحة مؤجلة

فجأة عوى الألم وتلوى بصدري وتصببت عرقاً، ورميت بما في يدي من أوراق والقلم، ونهضت لأفتح النافذة كيما أسترد أنفاسي بهواء نسمة هاربة. وخيل لي لحظتها أن الهواء تجمد وقطع اتصاله بالنقطة التي كنت فيها، واستبدت بي الكظمة واحتد الاختناق. وبعد انقضاء دقائق، كانت بوزن دهر، استعدت أنفاسي، وغبطت نفسي على رباطة جأشي ونجاحي في عدم إفزاع العائلة التي لم تسمع دوي الوجع الفظيع وهو يعتصر صدري بجنون لم أشهده ولم أعهده من قبل.

والحق أني امتنعت عن إشاعة عدوى ألمي وسط عائلتي الصغيرة لقناعتي بأنه من الآلام التي ينبغي أن تكتم وتشفر، ولأن الظرف لا يسمح بمراجعة طبيب أو استعجال مشرحة، ولأن الجهر بالشكوى لن يكون بلا جدوى فحسب وإنما سيضيف إلينا وجع الرأس، وحالتي لا تحتمل ضربتين بالرأس والصدر وفي وقت واحد.

ومن يصدق أن هذا الوجع دهمني مساء السبت حيث شعرت به يذبحني من الصدر وكان ذلك عندما استعسر وأشكل عليَّ أمر تقطير صورة صاحبي، حينما جثم أحد العتاولة على صدره وكتم أنفاسه، بالقليل من الكلمات.

تقمصت حالة صاحبي واستمطرت الأجواء التي خيمت عليه، وكنت أتعجب منه: «كيف كان محالاً يا ترى، وهو الذي يعاني من مرض القلب، وكان قد خضع لإجراء عملية قسطرة قبل أشهر قليلة، ولم يكن قد تعافى، عندما اجتاحت شقته زوبعة شعثاء بعشرة من شياطين الظهيرة، وقفز إلى صدره أحدهم وتقرفص ليهرسه بركبته في موضع العملية الجراحية بالذات، والحنجرة؟!».

وفشلت شتى محاولاتي في تحصيل صورته بكلمات قليلة واختنقت. ومن الراجح أني تضامنت معه بذبحة تفتقر إلى المقدمات المعتبرة وإلى المنهجية القصدية، وتنتمي إلى عالم البلاء المستجيب لنداءات انفعال أهوج، وعاطفة جريحة.

وجال في خاطري أن أنشد السلامة بطرد فأر الفكرة الذي لم يتوقف عن العربدة في رأسي، ولم يشبع من التهام عصافير النوم والأحلام، ولم يخرج من رأسي إلى الدرجة التي وجدتني معها مدعواً لتكرار المحاولة الخائبة في كتابة صديقي وزميلي عبدالكريم الخيواني، الذي كنت في زيارته صباح الجمعة بسجن الاحتياط، ولمحت الخدوش والرضوض على مرفقيه، وسمعت منه بعض وقائع اقتحام جماعة العشرة التي لا يمكن تصديق أنها تمثل دولة أو «النظام السياسي».

وسمعت أنهم قذفوا بصغيرته «إباء» كخرقة مهملة بفظاظة ووحشية، وأشاعوا أجواء الذعر في أرجاء المنزل، واقتحموا غرفة نومه حيث كان مستلقيا في سريره على ظهره باسترخاء آمن، غير مشوش بتقلبات الأجواء، ونظيف من شتى العوالق والأمارات التي يبدو عليها الانقلابيون في العادة.

كنت أحتاج لتجميع أشتات الصورة والقرائن التي أقنعتني بأنه لم يكن متلبساً، حتى بالتقلب على سريره، ولم يساوره الانقلاب بأي صورة، كما لم يكن متحفزاً لاستضافة زوبعة، ولم تكن أسرته مهيأة لاستقبال قطعة من جهنم، وما كان يخطر ببال زفراد العائلة ولا أي من الناس الذين سمعوا بما حدث أنه من فعل «نظام سياسي». وبمعنى أفصح فإن التهمة التي تقول بتآمر الخيواني لقلب «النظام السياسي» غير مسنودة بوجود ذلك النظام المزعوم كحقيقة قائمة ومجسمة، لأن فعل الاقتحام العدواني الهمجي يمكن أن يشير إلى غابة أو إلى مصيبة أو عصابة ولا يشير، قط وبالمطلق، إلى نظام أو إلى سياسة. وإذا كان ثمة نظام سياسي في البلاد، فإن الدليل الوحيد الذي يمكن أن يؤكده سيتجلى في حال ردعه لتلك العصابة، ووضعها في قفص الاتهام ليقول القضاء كلمته بحقها، ويعيد للعائلة المدمرة بعض اعتبارها، ويميط اللثام عن «مؤامرة» زميلنا على النظام الافتراضي!

وغايته: لقد فشلت في تحميض الصورة.

● «النداء»، العدد ١٠٩، الأربعاء ٢٧ يونيو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

هدهد إلى ثلاثة رؤساء

كنت بصدد كتابة رسالة تحذيرية إلى الرئيس الإيطالي جيورجيو نابو ليتانو، بما هو إنسان أوروبي متحضر، ولقناعتي بأنه لن يُستفز كأي قبيلي إذا ما حشرت أنفي في خصوصياته، وتحدثت إليه عن حرمه المصون التي خرجت من قصر الرئاسة في وقت متقدم من ليل الخميس الماضي وصدمتها سيارة، وأصيبت بكسور في ساقها وذراعها... وإلخ.

ولما كنت قد تابعت حالتها بقلق، وعلمت بأن إصاباتها ليست خطيرة، فقد انشغل تفكيري بتلك الصدمة غير المبررة بالمرة. سيدة إيطاليا الأولى التي كانت تمشي وتحاول تجاوز نقطة لعبور المشاة حينها صدمتها سيارة كانت تقودها امرأة لاهية في الخرف (٧٤ سنة) أطلقت الشرطة سراحها بعد استجواب لم يستغرق بضع دقائق! وحزَّ في نفسي أن الشرطة لم تكن في مستوى المسؤولية ولم تعتقل أي مشبوه، وكذلك كان حال الإعلام الإيطالي الذي كان دون مستوى استبطان «المؤامرة» الخطيرة التي تستهدف الأمة الإيطالية من خلال سيدتها الأولى.

ووحده الشيطان يعلم أن مشاعر المحبة الصادقة تجاه إيطاليا هي التي كادت تدفعني لكتابة رسالة المواساة المشفوعة بموعظة مخلص للرئيس الإيطالي الذي لم يعجبني سماحه لزوجته بالخروج آخر الليل بلا موكب سيارات ولا حراسات ولا أطقم مدججة بالسلاح والنُّباح وكأنها «فالتو» لم تقرص في أذنها ولم تحذر بأنها ستجد الباب مغلقاً في وجهها إذا ما تمادت في الليل وإغواءاته.

وكدت أقول: ما هكذا تدار البلدان والنسوان يا مسيو جيورجيو!.. وعند وصولي إلى هذه النقطة الحساسة والفاصلة تعرضت لصدمة أعنف من تلك التي لم تهز شعرة في رأس الرئيس جيورجيو.

وانحرفتْ بوصلة الذهن والكتابة، نحو رئيس وزراء اسبانيا، خوسيه لويس ثاباتيرو، فهو الأَوْلى برسالة مواساة وومضة موعظة، لأنه مكلوم بمصرع سبعة من مواطنيه وإصابة ستة.

وتخبطت في غابة الكتابة وأدمتني أشواك الحيرة، وعجزت عن كتابة حزني بوفاة ماريا تريزا وإيزابيل ترانز وماريا إسبيلا وميجول وأنطونيو وجابرييل وماجي.

وكلما حاولت التوجه بعبارة العزاء لثاباتيرو، تشوش ذهني بصورة أشلاء ابتسامة ماريا تريزا المضرجة على أعمدة معبد الشمس. وجال في خاطري أنها تختزن تلك الابتسامة بمكر طفولي مبرمج لتأجيل المسرات إلى حين العودة إلى الديار وجمع شمل العائلة والأصدقاء على مائدة وليمة مفروشة بفواكه العجب من بلاد مأرب ومعبد الشمس.

وتلعثم القلم وتفخخت الفكرة: ماذا أقول لخوسيه؟ هل ألومه على سماحه بخروج جوليا ومارتا واستيفاد وإيفا وماريا (جميعهن مصابات) من ديارهن إلى اليمن؟ هل أعاتبه على قرار الشركات السياحية الإسبانية بمنع رحلاتها من مدريد إلى صنعاء؟ هل أذهب إلى الهدف مباشرة وأقول له إن الإسبان كانوا وراء الانفجار وانهيار السياحة والاستثمار وصناعة النفط وكل ما ينطوي عليه الوعد بيمن بلا مرتبات! ولما أوشكت على الانتهاء من كتابة رسالة ثاباتيرو، لمعت في ذهني بارقة فرصة العمر وانحرفت باتجاه الكتابة لفخامة رئيس الجمهورية اليمنية عملاً بالمثل: «يا مفرق المرق أهل بيتك أحق».

سأكتب لرئيسنا بدون مقدمات، كافة القرائن التي ستؤدي إلى القبض على منفذي تفجير السيارة المفخخة بالمعبد لأفوز بجائزة الـ٧٥ ألف دولار التي عرضها. وأعتقد أن أمر الفوز بهذه الجائزة محسوم، ولسوف أفشي الرئيس بشرط موجز: هل سيضمن لي النجاة برأسي إذا ما دللت على المجرمين؟ هل سيمنحني تأشيرة خروج لألتحق ببرنامج حماية الشهود في أمريكا؟.. إني لا أطلب أكثر من سلامة الرأس في أمريكا؟.. إني لا أطلب أكثر من سلامة الرأس من «القاعدة» والأمن وجامعة الإيمان والرئاسة يا سيدي الرئيس؟!

● «النداء»، العدد ١١٠، الأربعاء ٤ يوليو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

هذا هو «الشارع»: محكمة

مساء الأحد تلقيت مكالمة تدعوني إلى العشاء على مائدة كافكا، وسارعت لتقليب رواية «المحاكمة» وغيرها في رفوف المكتبة والذاكرة. وانقطعت الكهرباء بصورة فاضحة لتلك الأصابع التي تلعب بمركز تحكم شبكتها، خاصة وأن فعل انقطاعها جاء منساباً في مجرى الاستجابة لأوامر الكوابيس التي اندفعت وانزرعت في أرجاء الغرفة وفي رأسي وأنفاسي وخضت معها عراكاً ضارياً أسفر عن اندحارها وإفاقتي من إغماء الوغى مع تباشير الصباح.

طفشت وجهي بالماء وتلمست ما تقوض وارتض وتعضى من مفاصلي وأوصالي، وأقدمت على حركة رياضية خفيفة، كانت كافية لاستعادة لياقة حشرة زاحفة يتوجب عليها الذهاب إلى مقر المحكمة الجزائية المتخصصة.

في الطريق كنت أرزح تحت ثقل غبائي وسربال بلاهتي وخجلي: لماذا لم أستعلم عن منطوق ترجمة اسم هذه المحكمة من الزميل والصديق العزيز نائف حسان الذي هاتفني -قبل كوابيس الأمس طبعاً- ولفتني أنه عندما ذكر اسم المحكمة قالها بنبرة استغراب واسترابة!

المهم، مضيت في سبيلي «واثق الخطوة...» وعندما وصلت إلى مقر تلك المحكمة الذي تشفر في ذاكرتي تحت اسم «سفينة نوح» علمت بأني أخطأت المحكمة.

وتراجعت من مقر تلك المحكمة -سفينة نوح- التي قصدتها قبل عامين وكانت زاخرة بغرائب الكائنات وعجائب المخلوقات ونوادر المحاكمات، حيث قيض لي أن أكون شاهداً على باقة مذهلة من المحاكمات لقتلة ومهربين ومزوري عملات وتجار خمور ومخدرات ومتلبسين بروائح خمور وغيرهم من المتهمين بالجرائم الجسيمة، وآخرهم، بل وفي ذيلهم الصحفيين.

وتذكرت أني يومها تعجبت من محاكمة الصحفيين بعد عتاولة الجنايات الجسيمة. ولكزني صديق: اسكت، أنت في اليمن!

عموماً، لقد أخطأت طريقي إلى المحكمة، واستعلمت عن المحكمة التي كنت أقصدها قبل أمس وعلمت أنها تقع في الحي المجاور، وهرولت نحو الوجهة المعلومة. وأعتقد أن ثمة ابتسامة تقدير طفحت على وجهي عندما جال في خاطري أن الحكومة لا تخلو من الحكمة، بدلالة أنها غيرت مكان المحكمة واختصت الصحفيين بمحكمة مميزة لأصحاب الرأي.

وعندما وصلت إلى بوابة المحكمة الجزائية، كان الزميل نائف حسان رئيس تحرير صحيفة «الشارع» والزميل سامي غالب رئيس تحرير «النداء»» هو الآخر كان ماثلاً أمام النيابة يوم أمس في قضية أخرى. بضعة زملاء يخضعون للتفتيش.

ومن حسن حظي أن الزميل علي الضبيبي مُنع من الدخول كما حدث معي لأننا لا نحمل بطاقة الهوية، وكان علينا أن نقف في الناحية المقابلة للبوابة المدججة بالعسكر والأطقم المسلحة والمستنفرة.

لحظتها تعرفت على المحامي القدير، المداني، واستوضحت منه معنى اللافتة المقابلة، فقال إنها محكمة خاصة بقضايا أمن الدولة والإرهاب.

في تلك الأثناء وصل الزميل العزيز نبيل سبيع متأخراً كعادته، وكان عليه أن ينتظر لحين خروج سجناء «القاعدة» وغيرهم من الإرهابيين لكي يدخل ويخضع للاستجواب مع زميله نائف.

خرج السجناء بعربات كبيرة خاصة، وكانوا يهتفون: الله أكبر و... ودارت سينما الواقع برأسي وكانت أصواتهم هادرة. كان الشارع بلا شارع، وأجرد حتى من المارة وعيون الفضول.

وهجست أن الكثير من الزملاء لم يصلوا لأنهم على معرفة بترجمة اسم المحكمة!

كانت الأصوات الهادرة بليغة في إفصاحها عن شحن وتوتير وتفخيخ الأجواء، وأكثر بلاغة في توصيلها رسالة ترويع مقصودة لزملائنا في «الشارع» وللصحفيين جميعاً.

ولم أستوثق فحوى التهمة لأنها لن تقل عن زعزعة أمن البلاد والإرهاب والمساس بالأقداس.

وراعني أن يكون الصحفي في هذه البلاد في قفص الاتهام، على مر الأيام وعلى الدوام، أكان في الشارع أم في مقر المحكمة الجزائية، أم كان في مستهل محاولة اختراع الشارع.

وروعني أكثر أن تكون «الشارع» بلا شارع، وأن ترتسم على هذا النحو الفاجع صورتنا وبإسناد فاعل منا ومن «ثقافة المحاكمة» السائدة والطاغية إلى الدرجة التي تجعل الصحفي أعزل من شارعه ومن الزملاء في «قبيلة الصحافة» ومن نفسه وقلمه و... دمه!

● «النداء»، العدد ١١١، الأربعاء ١١ يوليو ٢٠٠٧

نـــافـذة

منـصــور هائــل

عـدن بمـا هـي مجنـون يبيـع بيتـه وهـو ميـت!

رجعت يوم الثلاثاء الماضي من عدن إلى صنعاء، ووجدتني على موعد مع سؤال الأحوال في عدن. ولأول مرة شـعرت أن سـؤال عدن اليوم لم يعد يحتمل الاسـتخفاف والاسـتهانة، ولم يعد بميسـوري الالتفـاف عليـه ومراوغته بكلمات فضفاضة وعمومية، جرت العادة أن نلجأ إليها لنبدو كمن يقول كل شيء وهو لا يقول أي شيء.

وبالنظر إلى علاقتي الخاصة بعدن الحاضنة لجذع العمر ونرجس صباه، وأزاهير ربيعه، فقد عدت منها هذه المرة حزيناً مكلوماً متوجعاً من اجترار زجاج التفاصيل القاطعة، الجارحة للذهن والأمعاء، ولـم أقدر على الاندلاق بجواب مسـتعجل، لأني تزاحمت بانطباعـات وصور وروايات بوزن دهر ثقيل رغـم أن زيارتـي لمدينتـي الذبيحـة لم تزد عـن يومين، وعجزت عـن تظهير مقطع صـورة واحدة بتلك الطزاجة اللاسـعة التي عشـتها، لأن ضراوة التشوش أضرمت حرائقها في دمي وكياني وأدمعي، ولم أعد أسمع و لا أرى ولا أعي. فكيف بالله يا ترى سأقارب سؤال الأحوال في عدن؟ ومن أين أبدأ؟

وقلـت: لتكـن واقعة مجنون حارة الخسـاف بمدينة كريتـر، وإقدامه على بيع بيتـه وهو ميت، هي مفتاح الإجابة على سؤال أحوال عدن التي أضحت وقائعها لا تقبل التنازل عن حقها في السبق على الخيال.

والحـال أن مـا حدث لمجنون الخسـاف وعائلته يعطي أكثر من إشـارة عن حالـة عدن التي أضحت

مفهومة لأي شخص غير حليم.

والحكاية أن جميع أهالي الحارة يعرفون مجنونهم الذي أكلت وجهه الارصفة وشرب التسكع أيام عمره منذ فترة تزيد على عقد ونصف، ويعلمون أنه كان ينقطع عن زوجته وأطفاله لأيام وأسابيع، يرجع بعدها لينام ليلة أو أقل ثم يرحل في متاهات تشرده الطويلة.

ويقول شهود عيان من الأهالي إن مجنونهم انقطع عن زيارة أهله منذ فترة لمدة شهر وكان ذلك بعد أن تفضل بعض «أهل الخير» بمصاحبته واصطحابه في سيارتهم ولم يعيدوه إلا وهو جثة هامدة وقد حرصوا على توصيل جثمانه بسيارة إسعاف إلى مقر عمل زوجته التي امتصت صدمة كانت تهيأت لها وشكرت «أهل الخير» و«أبناء الأصول» على صنيعهم، وذهبت لتواري جثمان شريكها وأحزانها.

وفي اليوم التالي ظهر طقم عسكري بمعية الجماعة إياهم، وكانوا في هذه المرة، أشبه بأبالسة الظهيرة حينما شرعوا في «التخبط» وطلبوا من الزوجة وأطفالها إخلاء البيت بزعم أن المرحوم باعه لهم، ووقع وبصم. وقد عرضوا واستعرضوا ورقة مبايعة لم تنطل عليها وعلى جميع أهالي الحارة الذين هبوا بوجه هؤلاء «الطارئين»، كإعصار: «ارحلوا أيها اللصوص. مسكين المجنون لم يفعلها وهو حي يرزق، فكيف يفعلها وهو ميت؟ حتى المجانين لم يسلموا من الفيد»!

المحنة أن «هؤلاء» ما زالوا يشكلون لعنة تطارد العائلة وكابوسا يلاحق الأم في صحوها ومنامها.

والمفارقة أن مجنون حارة الخساف يشير اليوم إلى حالات عدة، ويفسر بعض ما يغتلي ويمور في ساحة المحافظات الجنوبية، كما يؤشر إلى الوجه المجنون للوضع الذي أعاده ملف «القضية الجنوبية» إلى الواجهة.

● «النداء»، العدد ١١٣، الأربعاء ٢٥ يوليو ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

الجريك ٧٢ صباحك سعيد

على قدر ما تهجرنا الكلمات التي تحتفي بالحياة ويتلاشى حيزها، فإن اتساع المساحة التي تشغرها المراثي يضطرد بعنفوان مجنون إلى الدرجة التي صارت فيها جل الصحافة اليمنية عبارة عن مقابر مطبوعة على الورق، ونعوش محمولة، وأكفان تحت الطلب.

وكأننا لا نبرع ولا نبدع إلا بالتزاحم على الاشتغال في منجم لغة الأخشاب التي تصنع منها التوابيت وما ترشح بها من عبارات الرثاء والتأبين والنعي على النحو الذي يجوز معه التصريح بأن أرقى أشكال الترابط بين الصحفيين تتجلى في موتهم. وحينما يموت أحدهم ستراهم ينخرطون في منافسات طوعية محمومة لاستعراض مهاراتهم في مندبة تشييع الراحل وذكر مناقبه ومآثره وأساطيره، وكأنه لم يكن ذلك الذي كان.

وحتى لا أستطرد في المناحة والقتامة، وأذهب إلى التلويح بأن ما نسب للنبي أشعياء عن «الموتى الذين يشيعون موتاهم»، لا يقصد به غير الصحفيين في هذه البلاد، سأكاشف القارئ بأن أمر الاحتفاء بحياة زميل قدير وأستاذ عزيز قد أشكل عليَّ واستعصى، وذلك هو السبب في استدعائي للخواطر السالفة.

والخلاصة: أني عشت يوم أمس صباحاً مرحاً، مبهجاً، ذكياً بمدينة التواهي عندما كنت برفقة وضيافة الشخص الجميل الذي أخبرنا بغبطة -كنت مع زوجتي الزميلة أروى عثمان، والزميل أحمد الحاج- أنه سيحتفي غدا أو بعد غد بعيد ميلاده (٧٢)، ومن وهلة سماعي لذلك اعتزمت مشاركته في إشعال الشمعة الثانية بعد السبعين.

كدت أبكي عجزي وأكتب بكائي وأفسد حفلة عيد ميلاد صاحبي الذي ورد ذكره في حديثه كفاصلة وليس كإعلان بحفلة.

كنت بحاجة إلى باقة كلمات تنضح بالحياة لتفي بقليل من حق رجل تعرض لأكثر من خمسين اعتقالاً، وبضعة محاولات اغتيال، وأغلقت الصحيفة التي أسسها وترأس تحريرها (٣٦) مرة.

واعتاص أمر كتابة الأستاذ الجميل سعيد الجريك صاحب صحيفة «الصباح» التي أصدرها عام ١٩٦٦ من عدن.

كيف أكتب هذا: الرواية المذهلة، الراجلة في أرصفة التواهي ومقاهيها!؟ أو من أين لي القدرة على احتواء بعض تفاصيل تلك الذاكرة المشهدية المبهرة في استحضار الأزمنة الملونة بحذاقة بانورامية تتقافز من ثناياها صور رؤساء قطفت رؤوسهم ورؤساء أحياء، وبسطاء أشقياء ومشائخ وشعراء وعسس ومجانين وحيوات وأمكنة غزيرة في لندن والحديدة وعدن والتواهي، التي خبِر تصفح دفاترها الخفية، واشتهر بفك شفرة عوالمها المتوارية.

هل أهديه ٧٢ وردة/ شمعة، أم أبارك له استعادة الصباح/ الصحيفة إشراقتها المتجددة في الأيام القادمة؟

هل أهديه بعض العرفان تجاه تفضله بإعادة اختراع التواهي في عيوننا، وتوسيع مدار نظرنا إلى اليمن بنضارة وحيوية كما تلك التي يكتسي بها ويرفل ويحتفل؟

كل ذلك لن يكفي ولن يفي بحقك.. أيها العم سعيد.. فصباحك ورد وسعيد، أيها الإنسان الرائع والاستاذ البارع في التأسيس لصحافة الاعتراض.

● «النداء»، العدد ١١٤، الأربعاء ١ أغسطس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

عدن بلا ميناء (١-٢)

يؤسفني الإقرار بألفة قديمة مع النحس، وتحالف عريق وقسري مع الدبور، إلى المستوى الذي لم تعد فيه أية بارقة انفراج تخدعني؛ لأني أعلم أنها ستتبدد بعد أول بزغة.

وقد رسخت قناعتي بذلك على خلفية من تجارب كثيرة مريرة، كان آخرها ما حصل معي عندما التقيت برجل أعمال متفتح على مستجدات المعرفة والصحافة، ومبهج في توليده لتصورات وفضاءات مرحة، وفي اختراعه لأوطان بديلة إذا ما لحظ أن اللاجئ إليه قد جف من «حب الوطن» وكف عن الغرام بالنشيد والعلم ولما كان رجل الأعمال، صاحبي، يملك شركة ملاحة، ويشتغل، إلى جانب أعمال أخرى، بالملاحة فقد اعتزمت مكاشفته بحبي للبحر والنوارس وحتى لأسماك القرش البحرية. وانتويت مباشرته باستعدادي للعمل في المجال الملاحي والبحري على ظهر قارب أو في المرسى والمرفأ، لأن هيامي بالبحر سيحملني على تقبل العمل في كل الظروف وأسوأها. كان بشوشاً كعادته، ولما سألته عن أحوال العمل شكا إحباطه وصرح بأنه يفكر جدياً بالرحيل إلى الخارج. لأن أبواب العمل مفتوحة أمامه في دبي ولندن، ولديه الخبرة واللغة والمال، علاوة على أن العروض المغرية لانخراطه في الاستثمار في لندن أو دبي لم تنقطع عنه رغم رفضه لبعضها، وتواصله مع معطياتها.

وذهبت ألح عليه بضرورة الصمود في «سبيل الوطن». وأجاب بأن حركة الملاحة راكدة ومعطلة، والميناء في حالة اضطراب وخراب. وزاد: «أصبحت بلا بحر أيضا». وقال: «لن يرجع الميناء إلى سابق حاله؛ ألا تعلم بأن الميناء تمزق بأنياب الضباع، وتوزع إلى مربعات بين مراكز النفوذ الأمني

والتجاري بتزكية من صنعاء!؟».

وقال: «أتصور أن أمر تخليص وضع الميناء من حالته يستدعي عودة حكم الاشتراكي بهذيانه البروليتاري الذي يسمح له باتخاذ قرار تأميم الميناء، وذلك ما كنا نستهجنه كمتضررين من الاشتراكي، وأصبحنا نتمناه، وإن لبعض الوقت، من أجل عدن».

– كيف؟

– سأخبرك كيف صارت عدن بلا ميناء، ولن أتكهن بها وهي بلا بحر.

● «النداء»، العدد ١١٥، الأربعاء ١٥ أغسطس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

عدن بلا ميناء (٢-٢)

لقد تعجبت من رجل الأعمال الذي ينتمي لبيت خبرة في مجال العمل الملاحي وكانت محلات عائلته مغلقة او مؤممة في العهد الاشتراكي، وقد استعادتها بعد عام ١٩٩٠، وأصبح اليوم يرى، فيما يرى، أن عودة الاشتراكي الى الحكم يمكن أن تشكل مخرجاً لتخليص ميناء عدن من الخراب، ولملمة أوصاله الممزقة بين أنياب الضباع واستعادة تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذهباً أشاع الرخاء والازدهار، في عدن وكافة أرجاء اليمن.

واندهشت أكثر من قوله: ربما كان هذا الوضع المجنون يحتاج الى حلول من صنفه وصفته.. فليأتي الاشتراكي ليحكم ويؤمم الميناء، وبعد ذلك يمكن أن تترتب أوراق اللعبة بما يستجيب لمعطيات واشتراطات المحيطين: الإقليمي والدولي.

وألقمته سؤالاً: وإذا افترضنا أن الاشتراكي قد تعقل أو عقل من صدق، وبالفعل وليس بحسب ما تقول برامجه التي تغيرت كما تعلم؟!

في هذه المرة لن نسامحه.. إنها مصيبة كبيرة إذا ما استمر الحال كما هو عليه. والرحمة على الميناء الذي لم يعد يستقبل أكثر من ثلاث سفن في الشهر.

وزاد: من المحال أن يستمر هذا الحال، وإذا ما صرفنا النظر عن مظاهر الشلل والعطالة التي أصابت الميناء، وعن خراب البيوت واحتلاب الجيوب من قبل الأشاوس الذين نتعامل معهم في بوابات الميناء ومنافذه، فإن الإفلاس سيضطرنا للرحيل أو إلى الالتحاق المتأخر بحزب «خليك في

البيت» ما يعني التسلم بالانهيار، وانتظار الانفجار كقدر لا راد له. واستطرد: تصور أن الصيادين -٢٠٠ صياد وأكثر- الذين كانوا يعملون على قوارب بدائية بمجاديف يدوية، وكانوا في العهد الاشتراكي نجا من افتراس وحش التأميم افترسوا في العهد الراهن ومنعوا من مزاولة الاصطياد؛ وقطعت بذلك أرزاق أكثر من مائتي عائلة.

وزاد: وإذا ما عرف السبب بطل العجب، كما يقال، ولسوف تدهمك المصيبة الأعظم عندما تعلم بأن الاستراتيجية أو الخطة أو ما شئت، هي التي قضت بلفظ هؤلاء الصيادين كنفايات آدميه الى أرصفة التبطل والتشرد والجوع والعنف.

وقال إن أكثر من مصدر أمني صديق أسرَّه بالاكتشاف المذهل الذي وصلت إليه أجهزة الأمن حول القوارب البدائية أو الهواري (عزك الله).

وكان عليه أن يقنع بما سمع حول تلك القوارب التي يمكن أن تصبح منصات لإطلاق الصواريخ على الطائرات المدنية أو العسكرية أو حتى تفجير السفن، وليس ثمة نهاية لقائمة أخطار «الهوري»!.

وخلص: إنهم يغلِّبون الأمن على الأمان، ويطوحون بالاثنين معاً.. ذلك هو النهج المعتمد من قبل الخبراء الأمنيين المتخصصين بحماية الموانئ والسواحل والمستقدمين من صنعاء الى عدن. ولكن.. إنما هل لديك فكرة عن كيفية تدبير وادارة الموانئ بصنعاء!.. تصور أن الذاكرة أصبحت معطوبة، ولم أعد أعلم حتى بأي بحر ترتبط صنعاء؟.. بالأسود أم بالميت؟

وإذا كانت الطامة ماثلة في واقع أن صنعاء بلا بحر، وأن مقضيات الوحدة تستدعي إلغاء ميناء عدن، وشطب بحرها و.. لله في خلقه شؤون!

● «النداء»، العدد ١١٦، الأربعاء ٢٢ أغسطس ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

والجنــون ليــس هكــذا!!

... وإذا مـا اعترفنا باسـتنفادنا لكافة سـبل وحيـل ومحاولات كفكفت ذهولنـا إزاء ما يحدث، فهل سـيرضى الفاعلون بهذا الإقرار، الذي يفيد بفشـلنا عن مجاراتهم، ويشهد بأنهم الأبرع والأشطر وأن الشـيطان ذاته سـيهرب مـن طريقهم لأنه أعقـل من أن يغامر بسـمعته، ويهدر رصيـده التاريخي في التباري معهم!؟

وإذا ما اعترفنا بأن الإنهاك اسـتفحلنا، ولم يعد بمقدورنا الإجهاش بأتفه وسـواس أو هاجس أو حتـى غمـزة ضوء واهنة، كما لم يعد يهمنا أي شـيء غير الحفاظ على هيئة شـبحية محكومة بإقامة مترنحة على الخيط الرفيع الفاصل بين الإنهاك والهلاك، فهل سيقنعهم ذلك!؟

أعتقد أن أخلاق الفروسـية لا تسـمح باختطاف أشـباح، ولا تنزل إلى مسـتوى الدوس على شبح! وأعتقد أن رغبات صناع ما نشـهد من «أحداث» مجلجلة سـوف تشـبع عندما تسـمع هكذا اعترافات تقطع برسوخنا في الانتكاس على دواخلنا.

ولسوف نذهب إلى أبعد مما يمكن أن يخطر على بال، وليس ثمة ما يمنعنا من الإعلان أننا سنكف عن مزاولة الصحافة، وسـنوفر على النافذين عبء تبرير هذا الإعلان أمام العالم الخارجي بالقول إن البلاد لم تتأهل بعد لإنتاج المادة الرئيسـية التي يمكن أن تشـتغل عليها الصحافة، وتحرك ماكنتها، وتغذيها بالطاقة المتجددة.

وبهـذا المنحـى سـنتذرع بانتماء الأخبـار المتداولة في السـوق اليمنية إلى عالم مـا قبل الصناعة والسياسة، ولن نتورط في التلاغط مع نافذين لا يعقلون، وحاشا لله أن نتهمهم بالجنون لأن الجنون فنـون، وله إيقاعاته وتنويعاته الرومانسـية وفلتاته العبقريـة، ولأن «هؤلاء» من ذلك الصنف الخفيف

-كزئبـق أحمـر- الذي يرفـض أن يرزح تحت أثقال العقل وتعقيدات التفكير فـي البعيد. ولك أن تقول إنه ابن يومه، يلتهم ما يراه قدَّامه بضرب من البراجماتية الخلاقة، أو من المسايرة لتقليص الفوضى الخلاقة. وإن كان الإنصاف يلزمنا الإقرار بأن اليمن كانت السباقة في اعتماد نظام الفوضى الخلاقة وغير الخلاقة.. الفوضى بكافة الأشكال وبالمستوى الذي يعصف بحقل الاحتمالات، ويشل قدرته على إنتاج أي احتمال بشأن ما سيكون عليه الحال في اليمن بعد ساعة وليس في المساء، أما التكهن بما ستكون عليها الأحوال في اليوم التالي فهو يندرج في باب الخوارق والمعجزات؛ فمن يضمن أن تكون يمن اليوم هي يمن بكرة أو حتى أن تكون هنالك حاجة اسمها يمن بعد بكرة.

... وحتـى لا نخـرج مـن الموضـوع؛ سـنقترح على كافـة الفرقـاء أن يتوافقوا على نقطـة الكف عن الصحافة وخاصة عن الأخبار، وما يعنيه ذلك من التزام وإلزام الجميع بمنع تداولها وإشاعتها حفظاً «للسلام الاجتماعي» و«المصالح الوطنية العليا».. و«الوحدة»... إلخ.

وإذا شئتم الحق فإن هذه السخافة -الصحافة كما يقال- مجلبة للضرر، ويتوجب ضبطها بمسطرة «الثوابـت» التـي تحظر منع تداول ونشـر أخبار الاختطـاف والتفجيرات والثـأر والتطرف والإرهاب و«الحوثيـين»، والمتقاعديـن، وغيـر ذلـك مـن الأخبار التي تسـيء لسـمعة اليمن في المحافـل الدولية وتحرمها من المنح والمساعدات.

وإذا ما علمنا بأن القيادة قد شـكلت لجنة واسـعة، جامعة، مانعة، قاطعة لمعالجة مختلف القضايا الملتهبة والحساسـة والمزمنة والراهنة، فإن ذلك يعني بأن الأمور محسـومة، وليس ثمة ما يسـتدعي وجود صحافة أو حتى حكومة.

.. وأخيـراً، وفـي ضـوء اعترافاتنا الآنفة وهـي مترادفة بحزمة التزامات وغير مشـفوعة بأي طلب -كطلب تشـكيل لجنة خاصة بالخيواني- ترى هل بمقدور النافذين الصناع للأحداث التي نشـهد، أن يركنوا إلى الهدوء ويقبلوا بالهدنة ويعبروا عن حسن نيتهم بالكف -مثلاً وليس حصراً- عن ملاحقة الزميل عبدالكريم الخيواني لأن المهام الماثلة أمام مراجع الحكم تدعوهم الى الإقلاع عن عادة التواضع هذه التي لا تمنعهم من وضع رؤوسهم في مقابل رأس الخيواني، وبهذا الصدد لن يعتب عليهم أحد، وما عليهم إلا يشمروا عن سواعدهم لمواجهة الأمور الجسيمة!

أعتقد أن قلب السـلطة ليس من حجر، ومن الوارد أن تشـملنا برداء رحمتها، وتتوقف عن تصعيد موضوع الخيواني، وتكريسه كحدث وقضية ملتهبة، ما انفكت الاجهزة تلقمها بالزيت وأعواد الثقاب، وتعاظمهـا بنقـلات دراماتيكية تصعيدية مباغتة لم نعد نقوى علـى احتمالها أو تجنبها؛ فقد تدمرت حقـول الاحتمـالات فـي أذهاننـا. فهلا أشـفقتم علينا وعلى أنفسـكم، وهل تفكرتم في معنى انشـغال مراجع الحكم والأجهزة الأمنية بصحفي أعزل إلا من قلمه؟ وهل تعلمون أنكم أصبحتم تدفعوننا إلى غوايـة مجاراتكـم في ضرب الخيواني حتى نقف على سـر تمسـككم بنهج ضرب الخيواني وتكسـير أضلاعه وأصابعه كنهج مبدئي ومن «الثوابت»؟!

● «النداء»، العدد ١١٧، الأربعاء ٢٩ أغسطس ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

دونالد «دحباش» من تكساس

تمنيت مقابلة المدير الأمريكي لشركة «أوكسيدنتال بتروليم يمن» السيد دونالد بلينسكي العاملة في القطاع ٥١ شبوة لأستوثق من واقعة أنه جاء من أمريكا بالفعل وأن الإدارة الرئيسية للشركة في تكساس قررت انتدابه إلى اليمن لأنه يمتلك المزايا والمواصفات التي تنتمي إلى عالم ما بعد «الدحبشة»!

والحاصل أن ما سمعت أقنعني بأن تصرفات المذكور تنطق بتلك الرائحة التي نعرفها وتعرفنا وتلتف على أعناقنا وأيامنا وتتلفنا، وهي رائحة تعبر عن أحوال دنيانا بأصالة قارحة، وتشير إلى أن صاحبنا هذا منتدب من «المركز» في صنعاء. وإن كان من الدهاء بذلك المستوى الذي مكنه من أن يتغلف بجلد أبيض، ويتلفق بلسان أنجلو ساكسوني، ويتزوق بعيون زرقاء. غير أن كل تلك الحيل لم تصمد في الميدان وأسقطتها تصرفاته وأفعاله التي لا يمكن أن تصدر إلا عن منتدب من الدهاليز السوداء لحكومة صنعاء.

وقد شاءت الظروف -ربما- أن يكون من أصحاب الخطوة والحظ وأن يتخرج من الأكاديمية «الدحباشية». العليا التي تطلق علينا هذا الصنف من الخريجين الذين يعتمدون الكذب منهجاً للحياة، والابتزاز طريقة للإدارة والتحكم بإيقاع العمل والعمال، والمغالطة الممزوجة بالاستعلاء «شطارة» و... إلخ.

وكنت في وارد تذكير العمال في الشركة بحقهم في المطالبة بإخضاع هذا المدير لفحص جهاز كشف الكذب أو فحص الحامض النووي DNA ولكني تراجعت عن قصدي لثقتي بأن «أهل مكة أدرى

بشعابها»، وأن أولئك العمال الأبطال ونقابتهم المتمرسة لا يحتاجون لمن يتكرم عليهم باقتراح خيري لأنهم يستطيعون الدفاع عن مصالحهم بجدارة ومسؤولية.

ثم إني لم أشك بـ«هوية» السيد بلينسكي إلا بعد أن استوقفتني جملة من التصرفات التي جعلتني ألتقطه في حالة تلبس واشتباه فهو، ويا للعجب! يشبه حكومتنا عندما تكون في أسوأ حالات تخبطها، بإقدامه على ارتكابات لا تجرؤ على فعلها جهة أخرى غير حكومتنا.

ولكم أن تقرأوا حالة هذا المدير كما هي عندما يحتال على سنوات الخدمة السابقة للعمال ويستدرجهم للتوقيع على التزامات تضر بمصالحهم، ويغويهم بوعود زيادة المرتبات، وتعويضهم عن الحرمان من حقهم في التأمين الصحي أو التوفر على شروط السلامة، وحقهم في علاوات العمل الليلي أو العمل في الإجازات وتمضي أكثر من عامين على عهده الميمون من غير أن ينجز أي وعد أو عهد.

ولكم أن تنظروا وتقدروا إقدام هكذا مدير على فصل أعضاء اللجنة التي تمثل العمال (٨)، بعد اجتماعهم بوكيل وزارة النفط وبالمدير إياه.

ثمة علامة وحيدة ويتيمة تشير إلى أنه أمريكي (ولاياتي) وهي تلك التي ينطق بها تعاطيه مع وكيل الوزارة عندما طلب منه المجيء الى مكتبه في الوزارة ورد عليه بأنه سيرسل إليه سائقه وسيارته ليأتي إليه ويجتمع به في إدارة الشركة.

الحق أن هذا التصرف لا يأتي إلا من أمريكا، وما أكثر الشواهد والوقائع التي طالعتنا بأخبار مدراء شركات أمريكية صغار وهم يشدون الحكومة من ذيلها، والحكومة تهرع إليهم في منازلهم ومكاتبهم متى ما أرادوا وأمروا!

وبصدد هذه العلامة وبالأحرى الماركة الأمريكية، يمكن القول إنها لا تنفي واقع أن السيد دونالد بلينسكي «دحباش» بامتياز، ومن الجائز القول إن «الدحبشة» كانت وما زالت في الأصل اختراع وتقنية يمنية، وأن حالة المذكور تميط اللثام عن ارتياد واشنطن لآفاق ما بعد «الدحبشة». على غرار ارتيادها لآفاق ما بعد الحداثة، بأسبقية مشهودة.

● «النداء»، العدد ١١٨، الأربعاء ٥ سبتمبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

«جنة عدن».. حرام لذيذ

كنت بصدد «خيانة القضية» بانحراف مؤقت لم أجد بداً من اقترافه لأسباب شخصية محضة دفعتني للانهماك في تدبير الاعتذار المناسب لأصحابي في «المقيل» ومنهم شخصيات معروفة بانتسابها لنخبة البلاد التي أعلم أنها لا تساوم ولا ترحم من يختلج بأوهى انحراف، فما بالكم بمن يعتزم الإقدام عليه وفعله وينسى أنه، بذلك، يحكم على نفسه بالانعدام في رصيف المهملات بمقتضى قرار هذه النخبة التي ستوصد دونه باب الدخول الى ناديها لأنها لا تقبل في صفوفها من يهدر وقته بالتفاهات، وينغمس في الملذات والوله من غير حساب لجسامة المرحلة، وحراجة المنعطف، وحساسية الموقف، ودقة الظرف و.. كافة مصفوفة هذه العناوين المعروفة والمرصوفة بإحكام من أجل الحفاظ على «الأمة» وفي سبيل تأمين درجة حرارة مرتفعة لهمم وعزائم أولادها!

وكمن انطوى على إثم مبهم، وتسربل بحرام لذيذ غادرت «المقيل» فرحاً بقدرتي على تمويه انسحابي بمهمة تندرج في إطار خدمة «القضية».

كنت على ثقة بأن الصدفة ستكون رحيمة كعادتها وأني لن أجد أياً منهم في المكان الذي أقصده، فتلك مسألة «مبدأ» بالنسبة لهؤلاء!

لم أتحسر كثيراً على المواد الإضافية التي ستنطرح على مائدة «المقيل» خاصة بعد أن شاركت في تعاطي مقتطفات الوجبة الرئيسية، وكانت على قدر كبير من الدسامة، وقد أتينا عليها كما في كل يوم وعلى الدوام، ولا جديد في محتويات المائدة غير المزيد من أشلاء وجثث القتلى، في صعدة، حضرموت، الضالع، غزة، كربلاء، الأوراس... إلخ.

ولسعني عقرب تأنيب الضمير بدعابة وأنا أضحك من نفسي وعليهم وكيف استطعت اقتطاع ساعة ونصف من الزمن الثمين الذي ينبغي أن يصرف من أجل «الأمة» وفي الاستغراق بالقضايا و«السرديات الكبرى»، وكيف غامرت بالذهاب الى حفلة رقص وطرب.. يا للعجب!

كنت مبتهجاً بنجاتي من سخرياتهم وتقريعاتهم اللاسعة واللاذعة، وشكرت لساني التي لم تزل بكلمة رقص أو حفلة، وباركت قدرتي على انتقاء قلة من أصدقاء المروق والشراكة في الخيانة.

... المؤلم أننا لم ننخرط في الطقس الاحتفالي لأن أصفاد السنين كانت تكبل أجسادنا، كما أننا لم نسكر بغير مقاطع ضئيلة من الفاكهة، ومن مقتبسات الفن المختارة من واحة البوح الواسعة والوارفة التي كانت تشكل حياة الأجداد والآباء والناس في المدينة عندما كان في الزمن واليمن متسع للمدينة، وكانت: عدن.

اغتسلنا وتطهرنا وحلقنا في الأجواء بخفة الفراشات، وحملقنا في بعضنا وأنفسنا مذهولين بأجنحة ملونة كثيرة انزرعت فينا كيما نطير ولا نكف عن تجاذب التحليق بلغة لا تقال ولا تكتب لأنها أكبر وأكثر من هذا وذاك.

... كان ذلك في مساء الأحد الماضي ٩ سبتمبر عندما احتضن بيت الثقافة بصنعاء باقة رائعة من مقتطفات الرقص والغناء العدني التتويجية لفعالية «فلكلوريات عدن» التي أقامها بيت الموروث الشعبي. فشكراً لأولئك الذين يقترحون علينا مجاراتهم في الأطلال من النافذة العكس كيما نرى أنفسنا على غير ما عهدنا أن نراها، وكيما نحاول استعادة الحياة من الأحلام المهدورة والمغدورة، ونحاول الإصاخة لوتر صوت الطرب فينا.. هذا إذا لم ينقطع أصلاً.

فلتكن محاولة لممارسة الحياة إن أمكن، فهل نملك القدرة والجدارة على ذلك.

● «النداء»، العدد ١١٩، الأربعاء ١٢ سبتمبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

أبعد من «كوجاك»

كان تشاوشيسكو ديكتاتوراً رومانياً مولعاً بالتلفزيون، ولم ينقطع عن متابعة المسلسل البوليسي الأمريكي «كوجاك». ولكن، ورغم الساعات الطويلة التي كان يقضيها أمام الشاشة، لم يدرك التأثير العاصف لتلك الآلة الثورية السحرية، وقد دفع حياته ثمناً لذلك في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٧٩.

في تلك الليلة تحول الاستديو رقم ٤ في تلفزيون رومانيا الحرة الى مركز للثورة، فقد سيطر عليه الثوار ووضعوا حداً لإراقة الدماء في الشوارع عندما قاموا بعرض محاكمة الدكتاتور وصورة جثته، وإلى جانبها جثة زوجته، على الشاشة الفضية التي أدمنها.

وبعد ذلك بقليل كتبت الصحافة الأمريكية تقول إنه تم استبدال الديكتاتورية في رومانيا بـ«فيديوقراطية».

المعلوم أن استخدام المدافع والبنادق والقنابل المسيلة للدموع لم يحدث إلا في رومانيا. وكان مرد ذلك هو أن الديكتاتور عديم الإدراك وأعجز عن أن يرى ما يحدث حوله أو أن يحس بالارتجاج تحت قدميه. والثابت انه كان طاعناً في خريفه إلى درجة الامتناع عن النظر إلى مآل الأنظمة الاشتراكية في أوروبا الشرقية عندما تساقطت في خريف ذلك العام.

والحال أن الانسداد الذي تعيشه بلادنا هو أكثر قتامة -بالقياس الى شقيقاتها- والاحتقانات التي تتفجر بين الحين والآخر والأزمات المتراكمة والمستفحلة والمشتعلة بالمستوى الذي لم يعد بالإمكان معالجتها في إطار المؤسسات القائمة، وانكشاف «النظام» ومعه القائد كأسير لـ«نظام» أمعن في

خريفـه وتخريفـه وطفحت عليه كل تلك الأعراض التي اسـتدعت صورة ديكتاتـور رومانيا، هي التي تدفعنـا للإقـرار بـأن هذا النظام يقـع في مهب الإعصار وحلـق الكارثة وعليه ألا يسـتغرق طويلاً في متابعة مسلسل «كوجاك»، وأن يدرك أنه مدعو إلى أن ينظر إلى أبعد، خاصة وأن الاضطرابات الراهنة ليسـت قابلة للاحتواء واللجم بالأسـاليب القديمة، ولا بالرصاص، ولا بالحيل والأساليب الميكيافيلية التي لم تعد اكثر من ألاعيب أطفال.

وبمـا أننـا نعلم أن العاصفة سـتنقض علـى الجميع وأن الحمقـى وحدهم مؤهلون لشـغل الفراغ المتفجـر، فإننـا لن نكف عن مناشـدة المراجع العليا في السـلطة الإنصات لصـوت العقل، والإقلاع عن عـادة الارتهـان لأدوات القمع والبطش، واعتماد سـلطة القمع والمنع كأسـطوانة ضاغطة وقادرة على محو الاختلافات والاضطرابات والتصدعات التي غدت تسـتحث درجة عالية من الاسـتجابة العاجلة والفورية بمعالجات مبتكرة وجسورة لأن بارقة آخر فرصة يمكن أن تتبدد في أي لحظة ويتبدد معها الحلم بيمن موحد ومستقر وآمن أو الحلم باليمن الذي كان.

● «النداء»، العدد ١٢٠، الأربعاء ١٩ سبتمبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

يعلم بما تخفي الجيوب!

انعقد قران الفلكلوري بالكاريكاتوري عصر يوم الاثنين الماضي بدار رئاسة الجمهورية وقد أطلقت عليه جوقه الإعلام السلطانية صفة لقاء الرئيس بأحزاب المعارضة مع أن شارع السياسة الماكر في هذه البلاد يحفظ حذافير حكاية أحزاب الأنابيب أو تلك الحزمة من المسميات المفرخة ويطلق عليها اسم أحزاب «آدم».

وبعد الاعتذار لكل من: حزب رابطة أبناء اليمن وحزب التجمع الوحدوي اللذين شاركا في اللقاء لا بأس من الإشارة إلى الملمح السينمائي الفلك- كاتوري الذي تبدَّى في اللقاء وانعكس في أحاديث بعض تلك الكائنات المتحفية المبرمجة بمقاييس زمن ما قبل الكمبيوتر بدلالة أنها ذهبت تطلق نيران ذخيرتها الفاسدة على الأحزاب الأخرى ومنها الحزب الاشتراكي، مثلاً. وكانت تغرف من منجم الخرداوات صفات مثل: «الماركسي»، «الملحد»، «الشيوعي»... إلخ.

وحدثني صديق حضر الجلسة أن قيادات الحزب الحاكم التي كانت حاضرة، من الأمين العام إلى مساعديه، بدت وكأنها «الحمائم» بالقياس الى أولئك «المعارضين» الذين طالبوا بمحاكمة الأحزاب المؤيدة لاعتصمات واحتجاجات المتقاعدين في المحافظات الجنوبية ومحاكمة حركة الاحتجاجات برمتها لأنها، بحسبهم، «خيانة عظمى». وبالمختصر كانوا يطالبون بمحاكمة واعتقال بلد بكامله كان اسمه جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

حتى عندما سمعوا الرئيس يتحدث ويقر بمشكلات حقيقية تحتاج الى حوار، أنكروا عليه ذلك واستنكروا تواضعه وزهده بمنجزاته التي غدت تضاهي أكبر المنجزات في دول العالم المتقدم.

ولما كان الرئيس هو الأخبر بأحزابه وأصحابه فقد نجا من براثنهم عندما مرق من بينهم بخفة غزال في اللحظة التي وضع فيها اللقاء أوزاره.

والحق، ولا بد من قول كلمة حق، أن الرئيس وبعد مراس طويل وذكي، صار يعلم بما تخفي الجيوب*، ولم يعد ينطلي عليه الكلام المعسول ولو كان عن منجزاته!

وبما أن معظم تلك الكائنات غير معروفة لدى صديقي الذي سمع الكثير مما لم يتيسر لنا سماعه؛ فقد خرج من اللقاء وهو يقول: «لقد عرفت الآن لماذا لا تقبل أحزاب اللقاء المشترك بحوار محفوف بحفلة زار؟!».

* تخفي الجيوب: يعني العرائض المطلبية بمساعدات أو سيارات أو خلاف ذلك!

● «النداء»، العدد ١٢١، الأربعاء ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٧

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

والحق أني أستحق الحرمان من الوحدة المباركة ونعمتها!!

اكتُـبْ عـن أي شـيء وفي كل شـيء ولكن إياك أن تمـس بالوحدة وتنجرف مع مشـاريع الانفصال، فالوضع جد خطير.

... شـكرت صديقي الذي طالما أشـعرني بحرصه على حياتي ومسـتقبلي عندما همسـني بالقرصة الآنفـة -النصيحـة إن شـئتم- وقلت: أسـتطيع طمأنتك بأني سـأعمل بموجب قرصتك فلسـت مؤهلاً للانخـراط في مشـروع انفصالي كبيـر ويرجع الفضل في ذلك للوحدة المباركـة وعهدها الميمون الذي تكفل ببعثرتي وتبديدي بانفصالات صغيرة، كثيرة، خطيرة ومدمرة.

فبعـد إطلالـة هـذا العهد بفتـرة وجيزة انفصلت عـن العائلة التـي يرجع ارتباطي بهـا إلى العهد الشـطري البغيـض، ثـم انفصلت عـن الأهل والأقـارب والكثير مـن الأصدقاء والأحبـاب لأن تداعيات الوحـدة كانـت ثقيلة وحالت دون اتصالي بهم خاصة أني لا أتوفـر على جرأة مقابلتهم بيد مقطوعة، ولا أستطيع القيام بواجبي تجاه وحدات هذه العائلة الممتدة.

وانفصلت عن عبثية المثل العليا!

... ثـم انفصلت عن الذاكرة واعتمدت اسـتراتيجية النسـيان لأتدبر العيـش، وانفصلت عن الواقع لأتمتع بالطفو في اللاواقع، وعن الماضي لأسـتغرق في الحنين إلى المسـتقبل الذي لن أندم عليه سلفاً ولست أخاف منه حتى أتملقه كأني جبان يتمسح بقادم أقوى ولكني أتصوره -أي المستقبل- شاخصاً أمامي بجاذبية «قمر الجنوب» الذي لم يبارح موضعه.

وطمأنت صاحبي بأني لا أحقد على الوحدة المباركة رغم خبرتي المؤلمة معها من يوم الإعلان عن جمهوريتها في ٢٢ مايو ١٩٩٠. فبعد أن كنت مديراً لتحرير صحيفة «١٤ أكتوبر» في عدن بدرجة (ق-١) وهي تعادل درجة وكيل وزارة في صنعاء، أصبحت أقل من مدير إدارة، وبعد أن كان راتبي يعادل ٧٥٠ دولاراً بحسم العلاوات الأخرى صار يعادل ١٠٠ دولار خاضعة للاستقطاع العشوائي، وبعد أن كنت ومن معي من المنتقلين إلى صنعاء نشكل نصف قوام الوزارة أصبحت وحيداً مثل يهودي تائه انقطعت صلته بزملائه الأشباح -بقية المنقولين بعدد أصابع اليد- ممن لم يعد بالإمكان التقاطهم بالعين المجردة، كما صار من المتعذر لمسهم أو التناهي إلى همسهم.

وكمن ينتظر ذلك الذي لا يأتي أبداً كنت أطالع اسمي في كشف المرتبات وأكتم سروري باحتلال المركز الرابع بين الخمسة الأوائل، بعد الوكيل الأسبق للوزارة الأستاذ محمد مطهر أطال الله عمره، وانقطع السرور المكتوم عندما جاء اليوم الذي انزلق فيه اسمي درجات كثيرة إلى الأسفل، ولم يكن ذلك بسبب استقبال الوزارة لكفاءات عالية التأهيل والخبرة وإنما بفعل حطابي ليل، وكانت دحرجة الاسم إلى الأسفل تتلازم مع صعود أشبال الوحدة إلى مراتب عليا وحصولهم على مرتبات أكبر، وجلهم توظفوا في العهد الميمون.

يبدو أنهم أسقطوا خدمتي السابقة على ذمة التشطير والانفصال.

وبالعودة الى محنة المنقولين فإن المدير المنتقل من عدن إلى صنعاء يحصل على ٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ ريال كبدل سكن فيما يعامل المنتقل من صنعاء إلى عدن كخبير -يلقبونه بمستر جون- ويحصل على أي مبلغ بالتوافق مع صاحب العقار، ويصل بدل سكنه إلى ضعف مرتب المنتقل من عدن إلى صنعاء. كما أنه بميسوره امتلاك شقة من حق الدولة، أمَّا الحصول على قطعة أرض تابعة للدولة فإنه يندرج في عداد النوافل والتوابل التي يحصل عليها الخبير- التفاصيل في عدد قادم.

إني لا أكره الوحدة ولكني أمقت أن تمارس باسمها أقسى وأعنف أشكال التمييز التي يستنكرها ويدينها الدستور والقوانين والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان واتفاقية مناهضة التمييز.

وبما أني غير مؤهل لمشروع انفصالي كبير فإن ذلك لا يعني بالضرورة أني سأعض بالنواجذ على وحدة أضرت بمصالحي ودمرت حياتي ولم أتقدم معها وبها إلا بقفزة بهلوانية عالية إلى ذرى الهرم، وحرمت من التدرج في النضج والانتقال إلى كهولة محفوفة بالوقار، وصولاً إلى هرم يتوهج بالحكمة ويقطر بحكايا وذكريات المسرَّات.

وكأنها (الهة المحق). هذه الوحدة الفورية التي أحيطت بالقداسة واعتنقت كـ«أيديولوجيا» وعقيدة.

■ نسخة مع التحية لوزير تحسين الأجور.

● «النداء»، العدد ١٢٣، الأربعاء ١٠ أكتوبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

لمن كل هذي البراميل؟

■ إلى الصديق والأستاذ القدير/ عبده سالم

نفذت براميل كرش والشريجة هجمتها المرتدة وسجلت هدفاً قاتلاً في شباك الوحدة من غير بيان أو إعلان أو خبر يذكر في صحافة السلطة أو المعارضة لأن معظم الوعي السائد لدى هؤلاء ممنوع من الانذهال بانفصال مؤكد ميدانياً، لحساب احتفاظه بأحزمة أمان منسوجة من خيوط الوهم بالتوحد، ومن ذوائب الهذيان بالوحدة.

وما أتعس مصير المحكوم بتصديق ما يسمع، وتكذيب ما يرى على غرار ذاك الذي لم يشأ تصديق عيونه على أم عياله!!

حتى لو كان الانفصال هو ما وقع على نحو افجع وأوجع بين كرش والشريجة، وتكرس كحقيقة (ثابتة) مؤيدة بالشواهد والوقائع فإنه -أي ذاك الذي- سيرد عليك بسؤال الدليل: أين البراميل؟ وسيرميك بحقيقة جامعة، مانعة، قاطعة، فهو لم يسمع البيان الرئاسي أو الإعلامي؟!

ذلك هو حال من يتركز مصيره وقراره وعقله في أذنيه!.. ثم إنها محنة التغني بالمقطع الوحيد المقرر من سردية البراميل التراجيدية وهو ذلك المقطع الطافح برغوة براميل السياسة وبالأحرى الزعامات السياسية البرميلية وابواقها التي تفاخرت بإزالة براميل الحديد بما هي شواهد مادية على انفصال كان قائماً بين شمال اليمن وجنوبها!

والمحنة في هذه المحنة أنها أسقطت من الحساب أن البراميل التي أزيلت بموجب البيانات والخطابات الرسمية توارت عن النظر وانزاحت لتنغرز أكثر في أعماق الأذهان والعقول وكان مفعولها قوياً بشهادة من أحوال أيامنا الراهنة التي تفيد بأن اليمنيين شطحوا في الانفعال، وقفزوا الى المجهول والعدم لأسباب كثيرة ومنها استخفافهم بعناد البراميل وعدم إدراكهم أنها كانت ولا زالت تطوي معها طائفة واسعة من الحيوات والحكايات، والعلامات والإشارات والرسائل التي لم تفك شفرتها ولم تأخذ حقها من القراءة الجادة والمفتوحة على افق تجاوز محنتها بإبداع إنساني خلاق يتوسل تحرير الوجدان والوعي من أثقال صدأ البراميل الراسب والمتكدس في الأعماق.

وما كان أجدرنا بقراءة رواية كرش والشريجة بكافة فصولها حتى نستقر على قناعة راسخة، وتستقر معنا الأجيال التي لا تعلم ما تعنيه براميل كرش والشريجة، على قناعة بأن تلك المنطقة بشقيها المذكورين تستحق رد الاعتبار والاعتذار من مجانين الحروب والوحدة في الشطرين، ومن كافة الأحزاب والفعاليات التي يلزمها الواجب الأخلاقي والإنساني ناهيك عن الوطني، على الانحناء أمام تلك المنطقة وأهاليها الذين عانوا الأمرين من ويلات الحروب وفظاعاتها ومن كوابيس أشباح الليل والمغامرات المجنونة، والتفجيرات المروعة التي طالما هزت كرش والشريجة إلى أن أعلنت جمهورية ٢٢ مايو ١٩٩٠.

والمحزن أنه بعد أن كانت تلك المنطقة ساحة للالتحام والاضطرام، والاتصال والانفصال، والسكون والاحتدام، ومرصداً لقياس حالة العلاقة بين صنعاء وعدن والعكس، غرقت في الظلام بالمعنى الفيزيائي، وبأوسع المعاني، وتحوصلت على الخراب والموات، وتوحدت بالظلم المشترك والمعاناة الأليمة.

وحينما تنادى أهالي كرش والشريجة لإنشاء جمعية تطالب بالخدمات وتسعى لتوصيل الكهرباء استجابت السلطات في المركز، ولكنها أوصلت خدمة الكهرباء الى الشريجة وحجبتها عن كرش، وانفرط عقد الجمعية! وانفصلت كرش.

ترى من يمارس الانفصال؟ ومن يزرع البراميل في الرؤوس والنفوس؟ ومن يردع هذه البراميل؟

● «النداء»، العدد ١٢٤، الأربعاء ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

اليمن.. فيديو بلال

التقيت بصديق متقاعد، ظريف، غادر عدن قبل أكثر من عام لتلقي العلاج في القاهرة، واستطاب له البقاء والتسكع بين مقهى «زهرة الميدان» في وسط البلد وغرفته المكركبة على سطح عمارة غير بعيدة من المقهى، وأصبح يتذرع بمعوقات شتى حالت دون رجوعه السريع إلى أحضان عائلته، وبالأخص زوجته التي كنت أعلم أنه لم ينقطع عنها أكثر من شهر منذ اقترانهما قبل أزيد من ثلاثة عقود.

سألني عن أحوال اليمن وسألته عن أحواله. وقال إن الحال من بعضه، وغمز، وأردف أنه يعرفني كشخص حليم وينبغي أن أفهم أن تحسن حالته يتوقف على تحسن أحوال البلاد والعكس، وأنه لم يبق في القاهرة عبثاً أو من أجل اللهو والطرب وأنه... وأنه... ينطوي على مشروع كبير، خطير، سيأتي وقته؟!

استعجلني الجواب عن حالة اليمن بإلحاح، في مقابل أن يكشف لي عن سر العمر والفرصة التي لم أحلم بها قط.

وأجبته: سأصارحك أن حالة اليمن اليوم لا تختلف بالمرة عن حالة جهاز الفيديو حق بلال فضل، وهي محفوفة بمصير فيديو بلال في كل الأحوال: الانهيار.

اشتط وتبرم لاعتقاده أني أتمسخر؛ ما أجبرني على أن أحكي قصة الصحفي المصري المتعدد المواهب واللاذع بلال فضل (بالمناسبة هو من أب يمني).

تحدث بلال عن انهيار جهاز الفيديو الذي اشتراه منذ عشر سنوات وهو مستخدم وبعد أن كان مر على أكثر من خمسة عشر نادي فيديو، وشاهد عليه عدداً مهولاً من أشرطة الفيديو، ودفع للأندية

غرامـات تأخيـر قيمتهـا أكثر مما دفع أهلـه على تربيته، ورحل صديقـه -أي الفيديو- بعد أن تعرض لإهانات لم يتعرض لها مواطن في لجنة.. يكفي أنه كان يعمل في أيام البطالة أكثر من ١٦ ساعة دون توقف، ويجبر على شـرب أفلام منحطة وخربانة، ويضرب ويركل ويخضع للإصلاح من قبل أناس لا علاقة لهم بالهندسة، وتُستخدم لإصلاحه أساليب وأدوات بدائية فجة أفضت في النهاية إلى الإجهاز عليه تماماً.

يقـول بلال: «سأسـمع منكـم: طيب كيف تدعي أنه انهار فجأة بينما تعتـرف بكل هذه المرمطة التي تعرض لها في خدمتك. ولهذا الذكي سأقول إنني كأي مواطن مصري صالح لا بد أن يصف أي وكسة يتعـرض لهـا أنها حصلت له فجأة حتى لـو كانت علاماتها تتعاظم أمام عينيـه يوماً بعد يوم. تُغرق الميـاه العمـارة على مدى سـنوات دون أن يتحرك أحـد لوقف ذلك وعندما تنهـار يولول الجميع لأنها سقطت فجأة».

وهكذا يضرب بلال الأمثال بعبدالناصر والسادات ومبارك، وقلت: هذه هي اليمن يا صاحبي.. هي الفيديو حق بلال، أو تلك العمارة المنهارة وطالما أننا ندرك أنها تنهار ولا نفعل شيئاً لتدارك الانهيار، فليس من حقنا الولولة وتقمص دور من نزلت عليه مفاجأة صاعقة.

اطمأن صاحبي لما سـمع مني وأخبرني بأني أسـير على خطه، وأنه سـيجهر بسـره الخطير الذي حرص على كتمه طويلا إلى أن التقاني وقال إنه يمتلك قدرات باراسـيكولوجية خارقة تمكن من رؤية ما سيأتي من أهوال بدقة فوتوغرافية، ولو كانت ستأتي بعد عام أو أكثر.

وزاد: إنـه لـم يشـأ توظيـف قدراتـه فـي النزاعـات والحـروب الداخليـة، أو لخدمة مـآرب أنانية وزعامية.

ثم زاد: إن الحساسية الاستشعارية للأسماك تستوطن أعماقه، وأنه التقط ذبذبة الزلازل والبراكين التي ستجتاح اليمن قبل ستة أشهر، وقد صبر الكثير ولم يبق سوى القليل، وسوف ينتظر لأن البلاد سـتحتاج لمـن يلملم أشـتاتها وشـتاتها، ومن الراجـح أن عناية الأقـدار قد تأتي بـ«المنقـذ» بعيداً عن الطوفان.

كان كريماً، متواضعاً، ولم ينبس باسم «المنقذ»، وتمتم: أعوذ بالله من كلمة أنا.. وختم كلامه: أعتقد أنك فطنت لسبب عدم رجوعي إلى أحضان البلاد والأحباء حتى الآن.

وافقته: نعم.. إنه فيديو بلال فضل.

● «النداء»، العدد ١٣١، الأربعاء ١٢ ديسمبر ٢٠٠٧

نافذة

منصور هائل

ما قبل الحدأ وبعد شرعب

لا يحضرني اسم الخبير الأجنبي الذي وصف اليمن بقوله إنها ذلك الماضي الذي لا يمكن التنبؤ به، وإن كان وصفه يحرضني بقوة على تصديقه، بدلالة الأحداث والوقائع التي شهدتها البلاد في عام ٢٠٠٧، وارتكست بنا إلى ما قبل القرن السابع عشر، كما حملت في ثناياها وتغضناتها الكثير من الرسائل والإشارات التي تفيد بأن العام ٢٠٠٨ سيرتد بنا إلى ما قبل الإسلام.

وما أقسى أن نذعن لحرماننا من ترف الخوض في ما ابتعد في المابعديات، واتسم بطغيان الماقبل وهو يتبدى ويتجلى بأعرض وأغلظ العناوين: القبيلة. في هذا المنحى لن أتكهن بيمن ما بعد قبائل الحدأ وشرعب، لأن الأمر يستوجب الغياب في الإياب إلى ما قبل القرن السابع عشر وعهد الإمامة القاسمية التي ارتكزت هيمنتها على تفسيق وتكفير المخالفين سياسياً واستباحة دمائهم وأراضيهم، واعتمدت على قبائل بكيل وحاشد كأذرع طولى في حروب الضم والإلحاق، وأجبرت القبائل الأخرى على الانحناء، وكانت الحدأ في الصدارة حينما استجابت لفطرتها البدوية وتحولت من الشافعية إلى الزيدية وصارت من الأدوات الضارية لفرض الجزية ونهب واستباحة أراضي الشوافع في «اليمن الأسفل» (الإكليل، مارس ٢٠٠٦).

وأعتقد أن وقت القارئ لا يتسع للإستغراق في صفحات المستقبل القادم من دهاليز أئمة آل القاسم عندما اعتمدوا على قبائل الحدأ -مثلاً- الحديثة العهد بالمذهب الزيدي كيدٍ طولى لنهب بلاد «اليمن الأسفل»، وآنس وما حواليها، ثم يافع وحضرموت، إلى أن ارتبط الاستيلاء على أكثر الأراضي والأموال نهباً وغصباً بالحدأ -حسب المصدر السابق-.

ويشير بعض المؤرخين إلى أن الحدأ تحولت، بفعل الاستقواء، إلى حزب محارب تابع للإمام، وكانت من العلامات الفارقة المجسدة لعمق ارتباط المؤسسة الإمامية بالمؤسسة القبلية.

المعلوم أن ذلك الحال أفضى إلى «الخروج» أو «الثورة» إن شئتم. وقد سقطت تجربة وحدة الضم والإلحاق الإمامية القاسمية وسقطت معها أوراق الرهان على المحاربين الناهبين ومعهم الأسر المتنفذة المتنازعة على السلطة والثروة و«النظام» المؤزر بفتوى هدر الدماء واستباحة ممتلكات «الرعية».

كان ذلك في القرن السابع عشر وليس في العام ٢٠٠٧. وبما أن الزمن لا يكشف عن قدميه بسهولة، فإني لا أستطيع القول إن العام ٢٠٠٨ يساورني بأشياء لا تستحق الندم وآفاق لا يمكن أن تشعل المزيد من الحرائق في الرأس.

ولن أتكهن بانتفاضة ولا ثورة ولا دولة نظام وقانون ولا صوملة، لأني من نزلاء سجن الإذعان لقيادة قطيع ماضوي يختزل الوجود في سلطة الأب، الشيخ، القبيلة، الواحد، وتحول دون اقترابنا من أسس الاجتماع السياسي المدني والعقد القائم على المواطنة والاختلاف.

ولست بصدد إفشاء هواجسي ووساوسي وتطيراتي وعبثي وهذياني وزلات لساني بكتابة ما سيأتي، لاعتقادي بأن دولة (العكفي) خنقت نفسها خلال نصف قرن، بابتلاع ما عجز (الإمام) عن ابتلاعه خلال ألف عام.

وسأختم بأن مقارنة سؤال ما بعد الحدأ وشرعب لن تضعنا أمام سؤال حدث الساعة، وربما كانت تستوجب الاحتراس بالقدر الذي يحول دون الهرولة إلى حلق الساعة.

● «النداء»، العدد ١٣٢، الأربعاء ٢ يناير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

اليمن حينما تعرف بقدميها وليس بقدامتها!

انكمشت الاحتمالات والخيارات والفضاءات في اليمن إلى ما دون الصفر.

وبإزاء يمن تحت الصفر. يمن بلا امرأة ولا حركة مدنية أو يسارية تبدو الحالة شنيعة ومريعة.

إزاء يمن متدافعة إلى أقاصي اليمين، يمن بلا تمدن ولا مدنية ولا مدينة لا ينفسح المجال على أكثر من الانحباس في الحيز المتاح لاحتمال انهمار أمطار التوقعات السوداء على أرض مهيأة لتخصيب «الزعيم» الواحد الأحد على شاكلة الملا محمد عمر المتمنع عن الصرف والتصوير والتجسيم، إذا ما تكرم باتخاذ اليمن كنقطة ارتكازية لاستئناف الإمارة الطالبانية وتعويمها وعولمتها. والواضح، بل الراجح أن عناصر ومظاهر الجغرافيا الطبيعية والسياسية والثقافية والذهنية، خاصة في المرتفعات القبلية الشمالية الشاهقة البداوة، تتحالف وتتناغم مع الملا محمد عمر كما مع صدام حسين وغيرهما، بما يوطن القابلية لتأبيد الاستعباد، ويؤشر إلى أن اليمن لن تبارح موضعها الرابض في المهب الطالباني إلا عندما تتخلف الشروط المنتجة لمناخات الانتقال من دويلة «الزعيم» والعائلة والعشائر، القبائل، الأقوام، الجماعات، والعصبيات إلى دولة النظام والقانون القائمة على عقد المواطنة والعدل والحرية.

والحال أن هذه الخواطر دهمتني وأنا أتفكر في ما لم يقل عالم الاجتماع العراقي والإنساني المرموق، المصدوم الأستاذ فالح عبدالجبار من انطباعات عاجلة متصلة بأهوال وأحوال اليمن الراهن.

فهو زار صنعاء مطلع هذا الأسبوع لأول مرة، بعد أن كان زار عدن قبل أكثر من عشرين عاماً إبان حكم الحزب الاشتراكي وتعرفت عليه في تلك الأثناء.

وفي هذه المرة هاله مستوى تقدم اليمن إلى الخلف وانحدارها واستنقاعها في أسن الهاويات.

وبما أني لن أفي بحق هذا المثقف الرائي والمتفتح على قراءة ما سيأتي انطلاقاً من حيازته لمكانة اللحظة الإبداعية الممتدة لأشهر عالمي اجتماع في المشرق العربي: ابن خلدون، وعلي الوردي، فسوف أعتذر من العزيز فالح والقراء الأعزاء لإيجازي وبخسي ومسخي لما قال.

فهو قال إنه صدم وتمزق في حومة اضطراره لإعمال فكره وأحاسيسه وحدوسه في التدرب على ألعاب ذهنية مرهقة وشاقة تفضي به إلى إحراز انقلاب ناجح على عادة التعرف على الإنسان إذا ما كان أنثى، من قدميه عوضاً عن الحملقة في لوحة مفاتيحه المجسمة في الوجه أو المتمركزة في الرأس.

وقال إن صدمته بالأشباح المصنفة في قائمة النساء بجامعة صنعاء لا توصف، وقال إنه اضطر إلى الاعتماد على ذاكرة الخرافة وحدوس التكهن والتخمين كيما يتعرف على العاملات في إطار سكرتارية مؤتمر علماء الاجتماع عبر النظر في ذوائب ألوان السراويل (الجينز)، والأحذية.

ولم يختلج بأوهى متعة عن النظر في ذات الحذاء الوردي أو ذات البنطلون القرمزي والارض الجرداء من رنة الخلخال، وفاكهة الخيال.

ولما كان يتوفر على صورة ذهنية مسبقة تقنعه بأننا من حركة اليسار عندما زارنا وتحدث معنا في منتدى الجاوي الثقافي، اقترح علينا، في ما اقترح، أن نتدارس تشكيل لجنة تعنى بالدفاع عن السافرات من النساء بقصد الحيلولة دون الاستحكام المطبق للثلاثية القيامية الزاعقة باسم: يمن بلا ماء، ولا خضرة، ولا وجه حسن.

وربما لم يخطر على بال فالح أن فعاليات السياسة في السلطة والمعارضة، والمجتمع متلبسة في ماراثون التنافس المحموم على الفوز بجائزة الإجهاز على ما تبقى من سافرات يساروني الشك أن جهلن مسترجلات وذكور مزوقة بمسحة أنثوية. ولن أنزلق إلى درجة الاتكاء على توصيف الأقحاح للكائن الـ(...) لا ذكر ولا أنثى. وسأختم بتحية الرفيق القدير فالح عبدالجبار، الجدير بتناولة أوسع يضيق عنها الحيز المتاح في «النداء» الغراء.

● «النداء»، العدد ١٣٣، الأربعاء ٩ يناير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

الامتداد الكارثي لـ١٣يناير

غير مرة نجوت من مصرع محقق في ١٣ يناير ١٩٨٦. نجوت من ١٣ يناير بعد شهر، وبعد عام، وبعد انقضاء أعوام.

ومع حلول ١٣ يناير من كل عام يستبد بي الغم ويتقلص زهوي بنجاة رأسي.

فما الجدوى من نجاة رأس لا يتحسب لجدوى نجاته، ولا يتفكر بما تهيأ له من عمر إضافي بفانوس الضوء الخافت، الباهت، المتأتي من الأتون الخامد ليناير. واستمرت لعنة يناير تلاحقني، تحاصرني، تتقيأني، وكلما حل يوم ١٣ يناير تحسست رأسي وقهقهت: ما دهاني إلى التقاطه من غير نفق وزقاق ورصيف، وإعادة توضيبه في مكانه والتباهي به كما الناس.

وانشغلت، منذ أعوام، بسردية يناير، لعل في الداء دواء.

والمزعج أني توعدت أقرب وأحب الناس بكتابة السردية ليناير ووعدتهم بنفض غبار بؤسي ونحسي وكوابيسي وأشيائي، والتخفف من ضجر التاريخ، وملل القضية، والهذيانات الكافكاوية.

وتكدست بالوثائق والصور والشهادات والمشاهدات، وأعلنت حالة الطوارئ في البيت، وأعدت ضبط ساعتي البيولوجية وحساباتي التاريخية وتقديراتي السياسية والفلكية على الساعة العاشرة والعشرين دقيقة. وكتمت أنفاسي وحواسي وجوارحي وأعماقي بأسمنت وروائح وأدخنة رماد يناير ١٩٨٦ حتى أوشكت على الانفجار والتطاير بشرر يناير متناثر توهمت أنه سيطهرني من أثقال ذكرى طاحنة.

في وقت متأخر من ليل ١٢ يناير ٢٠٠٨ اختنقت برائحة البارود، تعرقت، ذبحت، وجثم على صدري ذلك العجوز الذي كان شدني من ياقة قميصي في ظهيرة ١٣ يناير ١٩٨٦ ليتجاوزني وينجو برأسه، وسقط قدامي مضرجاً بدمه في ذات اللحظة التي حاول فيها المروق من أمامي.

أعتقد أن الرصاصة كانت من نصيبي ولكنها ثقبت جبينه وفارق الحياة ذلك العجوز الذي يناهز عمر أبي.

كان شاخصاً نحوي، وما يزال يطاردني، ويضاعف من حجم إحساسي بالمسؤولية عن قتله.

وفي الحادية عشرة والنصف صباحاً من يوم ١٣ يناير ٢٠٠٨، أفقت على رنين متواصل للهاتف وأجبت على زميل من عدن يخبرني بانفجار الوضع هناك. فزعت من انفراط تلابيب سردية ١٣ يناير التي طالما انهمكت في الاشتغال عليها بفعل تدخل الكائنات الينايرية المجنونة، المتسنمة لمقاليد الحكم في صنعاء، وفزعت أكثر من اندلاع فصول مستجدة لـ١٣ يناير التي غدت أكبر من أن تبرأ وتحصر بعد الذي صار قبل أيام.

● «النداء»، العدد ١٣٤، الأربعاء ١٦ يناير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

إنه تشميل الجنوب والمجد للحمار!

أحبطت قوات الأمن وسلطات المطار بجزيرة سقطرى مؤامرة خطيرة كادت تنحرف بالجزيرة عن مسار «الوحدة» و«ثوابت الأمة» وتضعها في مهب الانفصال والصومال، وبرهنت أجهزة الأمن أنها تتمتع بقرون استشعار عالية الالتقاط، وقد تمكنت من التقاط خيوط مؤامرة الجزيرة المتصلة بمؤامرة كبيرة يلتف قوسها حول كل من حضرموت والمهرة، وسقطرى وما لم يفصح عنه المصدر المسؤول!

وقد حق للأجهزة الأمنية أن تتعجب من مس المؤامرة وهو يضرب هذه الجزيرة التي لا تملك أي حق لدى أجهزة الدولة حتى تتنطح للمطالبة باستعادته، فهي خالية من المتقاعدين المدنيين والعسكريين، وكانت الحكومة من الحكمة بحيث لم تستوعب أياً من شباب الجزيرة المتعلمين، على قلتهم، في سلك الوظيفة العامة ومراتبها العليا، ما حرم أهالي الجزيرة من أوهى ذريعة للقيام بحركة اعتصامات واحتجاجات سلمية تطالب بحقوق منهوبة.

وأحكم أصحاب القرار بحصرهم لوظيفة سقطرى في نطاق الواجبات فقط. ثم إن صفات الورع والدعة والتسامح والاستكانة والمسالمة كانت كفيلة بأن تنأى بسقطرى عن العدوى بما يحدث في المحافظات الجنوبية، وركنت واطمأنت مراجع الحكم العليا لهذه الجزيرة وكتمت مسرتها بها كنموذج طالما استبعدت سماع كلمة «أخ» من أهلها، ناهيك عن احتمال إقدامهم على التظاهر السلمي للمطالبة بوقف عمليات إبادة جزيرتهم ونهب ثرواتها، وتقطيع أوصال أراضيها وأشجارها وحيواتها وحيواناتها البرية والبحرية النادرة، الثمينة، الخلابة لأنظار العالمين.

وفجأة جاءت المؤامرة من الباب الذي لا تحسب له السلطة أدنى حساب، ومن يصدق أن القات سيكون الشماعة، وأن المجلس المحلي لسقطرى سيخرج بقرار يمنع تناول القات ودخوله إلى الجزيرة

بزعـم أن معظم سـكانها يرفضون تعاطي هـذه الآفة، وتحمل مترتبات التلف والخـراب الناجم عنها. وبمعنى أفصح يرفضون: «الوحدة» وأهم معالمها.

ويتمسك سكان الجزيرة؛ بقرارهم. ووقفت، وما زالت، قوى الأمن وسلطات المطار تقف لهم بالمرصاد، كمـا تقف بوجه الدعوات المشـابهة فـي كل من المهرة والمكلا، وتحبط مؤامـرات أولئك الذين يطالبون بتحديد تعاطي القات بيومي الخميس والجمعة، وإخراج أسواق القات من المدن إلى مواقع تبعد ٦٠ إلى ٧٠ كيلومتراً خارج المدن.

ولـم تنطـل مؤامـرة «الانفصـال» تحـت شـماعة القـات، ومـا كان لهـا أن تمـر حتى لو جـاءت من سقطرى.

وتبين للمرة الألف أن مراجع السـلطة الحاكمة في صنعاء لا تريد من الجنوب أي شـيء آخر أكثر من أن يكون شـمالاً. فما ذنبها إذا أخطأ بعض الجنوبيين أو جلهم في قراءة المسـألة؟ وما ذنبها إذا أخطأ أولئك الذين اعتقدوا أنها تعتمد على نهج الضم والإلحاق مع أن أفعالها لا تفيد بضم ولا إلحاق ولا عنـاق، وتقطـع بأنها بريئة مـن مرض «الحب التركي» ولا تملك تـرف مراوغة فعل الخنق بمداعبة العنق؟!

وهي -أي السلطة- سعيدة جداً بتخبط الجنوبيين في دوامة القراءة الخاطئة ووقوعهم في فخ رد الفعل على الإصرار «الشمالي» المتعنت والغبي بإنكار وجود شمال، بحسب بيان أدباء عدن التضامني مـع القضيـة الجنوبيـة، ٢٣ ينايـر ٢٠٠٨. والعجيب في الأمر أنها أهدرت الكثيـر من الوقت والمال في مختبرات الهندسـة الوراثية لنسـخ مشـايخ، وفي تلفيق واسـتحداث مشـايخ، ثم شـرائهم بالأموال والسيارات، وفي خوض المعارك، مع أنه كان بمقدورها أن تكسب الكثير من الوقت والجهد، وأن تكسب نفسـها، على الأقل، لو اسـتجابت لمنطق فطرتها. ولكنها لم تشـأ تبسـيط موضوع تشـميل الجنوب، وجنحت إلى تعقيد الأمور باسـتدعاء خرافات وأسـاطير وتواريخ تتحدث عن وحدة غابرة، وأفرطت في الاتكاء على المقدس والفتاوى، وتطرفت في الكذب حتى استنفرت معظم الجنوبيين ودفعت بهم إلى الانشغال باختراع الجنوب النقي والمنزه من أي شمال كان في هذا الكون؛ نكاية بشمال اليمن.

واحتدم السـجال حول هوية وماهية الجنوب: أهو الجنوب العربي، أم أنه جنوب اليمن، أم اليمن الجنوبي؟

وما كان للبقر أن تتشابه في العيون إلا بفعل انفساح المجال لطغيان أنكر الأصوات، وفي مقدمتها أبـواق الإعـلام الرسـمي (بعد الحمـار طبعاً) التي تقتـرف من المنكـرات الكثير دونمـا التفات لحجم الأضرار المتأتية عن ارتكاباتها أو عن عبث اندفاعها في حمى المنافسـة الضارية لانتزاع لقب صاحب الصوت «الأنكر» الذي حسم أمر الفوز به إلهياً. والمجد والإكبار والاعتذار للسيد الحمار.

● «النداء»، العدد ١٣٥، الأربعاء ٢٣ يناير ٢٠٠٨

نـــافذة

منـصـور هائـــل

فـي مديـح العطالـة

عشـية انطلاقه إلى إسـبانيا صرح رئيس الجمهورية أنه سـيكرس جهوده لممارسة الضغوط على أوروبا كيما تمارس، هي الأخرى، ضغوطها على إسـرائيل لترفع الحصار عن الشـعب الفلسطيني في غزة والأراضي المحتلة.

ورغم انشـغال فخامته بقضية العرب الكبرى إلا أنه حرص على تهدئة خواطر أبناء شـعبه، وأعلن أن موجة الغلاء لن تمتد إلى أكثر من سـتة أشـهر، وسـوف تلفظ أنفاسـها في يوليو القادم، وبعدها سترجع الأمور إلى سابق عهدها.

وكأي مستمع فطن وجدتني أحسب المسألة في ضوء الإجهاز على الغلاء منتصف العام، والقضاء علـى البطالـة والفقر فـي البلاد مع أواخر العـام، تنفيذا لبرنامج الرئيس الانتخابـي الذي تقوم على تنفيذه كوكبة من الخبراء المهرة في التقاط كل شاردة وواردة.

وطربت لاكتشافي معجزة نفاذ اليمن من عنق زجاجة المحن إلى رياض البحبوحة بانسيابية ناعمة قيض لها أن تتحرك بهدوء رومانسي مع يوليو لتنطلق مع مطلع ٢٠٠٩، بسرعتها الصاروخية، وذلك ما يمكن أن تعنيه «يمن بلا غلاء ولا بطالة ولا فقر».

وهجسـت بخاطر عجـزي عن المزاوجة بين مطارحـة القضايا الكبرى وتفاصيـل العيش والمعيش، وكيـف أنـي لم أنشـغل بالكتابة عن غلاء الأسـعار وفسـاد الغذاء والـدواء وألعاب الأطفـال الصينية الضـارة بموادهـا الملونة على الأطفال -اعترفت الجهات الصينية بذلـك- والصناعة الغذائية الملوثة، المغشوشة، وغير الخاضعة لمواصفات الجودة التي لا تلتزم بها البيوتات التجارية الكبيرة والشهيرة

في الداخل، وفيما إذا كان المستهدف بها هو المستهلك المحلي، بينما تعمل ألف حساب وحساباً إذا ما كانت الأسواق الخارجية هي المستهدفة بمنتجاتها.

والأنكى أني أرجأت الكتابة غير مرة، عن بقالة تعود ملكيتها لمجموعة تجارية كبيرة، ولا يعبأ المشرف عليها باحتجاج المشتري المصدوم بسلع استنفدت صلاحيتها، أو شارفت على الانتهاء؛ ما يسيء إلى ذلك البيت التجاري، ويلحق بالغ الضرر بالمستهلكين.

واعترفت أنه ليس بمقدوري إصابة القضية الكبرى والتفاصيل الصغرى بضربة واحدة؛ فليس بميسور كل إنسان امتلاك تلك المقدرة الخارقة، فما بالكم إذا كان من أولئك الذين أزهقوا جل أعمارهم في مديح العطالة، واستغرقتهم كتابة المراوحة في السياسة والقضايا الكبرى وشؤون الأيديولوجيا وحقوق الإنسان وكبت الحرية.

والحال أنه العضال الذي شل قدرتنا على تطوير مواقف تنطلق من حساسية أخلاقية تجاه اليومي وتفاصيله من استهلاك وبيئة وتجارة وتعليم وصحة وغيرها.

وهو عضال حال دون المبادرات الجماعية والفردية الخدمية للمجتمع، وأعطب الخيال الفكري والسياسي المستشرف للتوقعات السوداء ومنها ما يشير إلى تفاقم أزمة الغذاء وتثير مخاوف الدول الراسخة بما تملك من مخزون احتياطي ومن تدابير حمائية للسكان. ولا مجال لمقارنة اليمن بتلك الدول هي لا تملك ما يفي بحاجتها من الطعام لبضعة أيام وليس أشهر.

وهكذا أصبحت البلاد تترنح في دوختها بين نخب معارضة لم يترسخ لديها تقليد الاهتمام بالأوضاع الإنسانية والأخلاقية، وحزب حاكم يختزل برئيس يتطح لمقارعة إسرائيل، وينافح عن غزة، ويكافح غلاء الأسعار ويتألق في الإخفاق -فالكمال لله وحده- على النحو الذي يتأكد فيه الإخفاق كعلامة يتوحد بها «الجميع» في لحظة حرجة تضعهم في أتون المحرقة وتجعل من المرور بهذا العام مهمة مستحيلة في ظل غياب القدرة على اجتراح الحياة والاقتراب من فضاءات الأنسنة، والتفاصيل التشكيلية للمعيش.

● «النداء»، العدد ١٣٦، الأربعاء ٣٠ يناير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

سياسة تحت درجة الصفر

يختنق حيز السياسة وينعدم بالمرة عندما تبلغ حدة الاستقطاب الثنائي نقطة اللاعودة.

ومعلوم أن حرب صيف ١٩٩٤ اندلعت على خلفية مصادرة المنطقة الوسطى حيث يتنفس حيز السياسة على أرض الحوار المفتوحة لاحتضان التعايش والتداول والتبادل.

كذلك كان الحال في ١٣ يناير ١٩٨٦ في عدن، وفي أغسطس ١٩٦٨ بصنعاء، وفي كل محطات و«منعطفات» الاحتدام وانتكاس الرؤوس وارتفاع النعال ولعلعة انفجارات القنابل والرصاص والألغام والقبائل في مجرى تعويم الخراب وتمكين معطياته وعلاماته ورموزه وجنرالاته من التحكم بمقدرات البلاد والعباد.

وفي كل مرة كنا نسمع الإعلان عن وقف إطلاق النار، وإسدال الستار على المعركة و«غلق ملفات الماضي» ولكن الحرب لم تتوقف قط، ولم تنقطع خيوطها وحبالها ولم تكف عن ابتداع المزيد من الملاعب والألاعيب وفتح الجديد من القنوات، واستئناف دورات عنفها الدموية الضاربة والدافعة إلى المزيد من الإهدار، والانحدار، والحضيضية، والارتماء في حظائر مخيمات الاحتماء البدائية: العشيرة، القبيلة، الطائفة... إلخ.

وحتى يأتي الثامن من فبراير هذا العام، ليوافق الذكرى اليوبيلية الرابعة لحصار السبعين يوماً في صنعاء عام ١٩٦٨، فإن كاتب هذه السطور يتصور أن الذهاب إلى ميدان السبعين للاحتفاء بانتصار الجمهوريين على الملكيين سينطوي على تعويم رصيد التفاهة وتمجيد زعامتها لحطب

المرحلة الراهنة، وقود الحرب المستدامة و: «لاصوت يعلو فوق صوت البندقية»، التي ارتدت دوماً إلى صدورنا.

ربما كان من الأجدر بكل ذي عقل أن يسارع إلى خلع ضرس العقل والاحتفاء باستعادة دهشة البراءة الدرداء. بدلاً من الاحتفاء بالأشلاء والدماء، وتغذية طاحونة الاستثمار بالدماء والحروب.

وبدلاً من الاحتفاء بتقاتل الجمهوريين والملكيين الذي تمخض عن مسخ لا هو بالجمهورية ولا بالملكية. وعوضاً عن الاستثمار في منجم الحروب المأساوية الكارثية السابقة، سيكون من الأفضل الإمعان في مخلفات الحروب الكثيرة المدمرة -المستمرة- بين الجمهوريين والملكيين واليمين واليسار، والشمال والجنوب، والشوافع والزيود، وحتى آخر رمق وعرق وقطرة دم.

سيكون من الأفضل أن نمعن في مخلفات حروبنا... فينا يا هؤلاء؛ فكفوا عن الرقص فوق الأشلاء والسكر بالدماء.

● «النداء»، العدد ١٣٧، الأربعاء ٦ فبراير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

مع «الأيام»

يحتفظ الزملاء والأصدقاء الأعزاء في المكلا بحق السبق في التقاط ونشر الأخبار المتصلة بآخر التطورات والأحداث الجارية في صنعاء. وقد خبرت هذا الأمر عديد مرات كان آخرها ظهر يوم أمس حينما تلقيت مكالمة من هناك تستفسر عن صحة خبر محاولة اغتيال الزميل الأستاذ هشام باشراحيل -رئيس تحرير «الأيام»-، وما دار من اقتتال في محيط منزله بصنعاء.

صدمت بالخبر الفاجعة وحملقت في الأصدقاء الذين كانوا معي، وسرعان ما تجرَّست الهواتف الجوالة وتضاربت المكالمات حول الحدث، وسارع أحد الزملاء للبحث في المواقع الإلكترونية ولم يجد في المواقع التي تبث من صنعاء أي خبر، وحينما عرج على موقع في المكلا قرأ علينا أن «مجموعة مسلحة شنت هجوماً شرساً على منزل الأستاذ هشام باشراحيل -رئيس تحرير «الأيام»- بصنعاء في محاولة لاقتحام المنزل وقد تصدت لها الحراسة الشخصية للزميل هشام وتبادلت معها إطلاق النار ما أسفر عن مقتل شخص وإصابة آخر بحسب مصادر غير مؤكدة»، و... تحدث التقرير الإخباري عن ردود فعل أبناء قبائل باكازم والعوالق وشبوة والضالع ويافع ومحبي «الأيام» من كافة المحافظات الجنوبية المتواجدين في صنعاء والذين سارعوا بالتوجه إلى منزل الزميل هشام باشراحيل لصد أي هجوم آخر محتمل... إلخ.

وورد: «إن قبائل باكازم التي ينتمي لها الحرس الشخصي للزميل هشام، قامت بقطع الخط العام بين شبوة وعدن في منطقة بيو، ورفضوا فتح الخط إلا بعد القبض على الجناة المعتدين على منزل رئيس تحرير «الأيام» وتقديمهم للمحاكمة العاجلة».

واتسع نطاق التداعيات واستشرى على خلفية ما تردد بشأن هوية المجموعة المسلحة ورئيسها ولقبه الذي ينتمي إلى صلة نسب بصنعاء ويحيل إليها.

وفي حومة التهويمات والتعليقات العاجلة على الحدث كدت أصرح بأني تنبأت بأن ما حدث سيحدث عندما تصفحت بعض العناوين الرئيسية للصحف الصادرة صباح أمس، وفي الأيام القليلة الماضية وجميعها تحض وتحرض على سفك دماء آل باشراحيل وفي مقدتهم رئيس التحرير.

وراجعت ما صدر من بيانات تضامنية عن المهرجانات الجماهيرية الاحتفائية بمناسبة يوم الشهداء الموافق ١٢ فبراير في المحافظات الجنوبية، وكان جميعها يتحسس الخطر المحيق بـ«الأيام» وأعلنت تضامنها مع أسرة تحريرها.

وتعجبت من حملة الإعلام الرسمي على «المحتقنين» وعدم إدراكها لحقيقة أنها أحوج ما تكون لمنبر تنفيس عن تلك الاحتقانات وليس ثمة منبر أحسن من «الأيام» الفائزة بثقة الناس وحبهم والجديرة بتصريف احتقانات الضخب الجنوبي في مجرى سلمي مدني، بدلاً من أن تتفجر على نحو مدمر في حال عدم التوفر على وسائل تعبيرية في مستوى «الأيام» خاصة وأن معظم وسائل الإعلام الرسمي وتلك التي تدور في فلكها تستفز المشاعر وتثير هياج الحشود وتستدرج ردود الفعل العنيفة على نحو لن تحمد عواقبه.

والحاصل أني أعتقد بأن السلطة لن تلعب دور شمشون إلى نهاية المشوار، ولن تهدم المعبد على رأسها ورأس الجميع لأن حجم مصالحها يدعوها إلى تدارك الانهيار التام والعام وإن باتخاذ الإجراءات العاجلة على المعتدين الذين استهدفوا «الأيام» ومحاكمتهم فوراً للحيلولة دون استعار أوار الاحتراب في مساحة فجوة الشمال والجنوب وتآكل البلاد إلى أشطار.

وسأختم بتمني السلامة للأستاذ القدير هشام باشراحيل وكافة أفراد أسرته وأسرة تحرير الغراء «الأيام».

● «النداء»، العدد ١٣٨، الأربعاء ١٣ فبراير ٢٠٠٨

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

أبـين ضفيـرة طوفـان

بلغ الفلتان في أبين ذروة البهتان باختطاف سيارة مزرعة رئيس الجمهورية المشير علي عبدالله صالح -وليس سالمين أو أي رئيس سابق من أبين- الكائنة غرب مدينة زنجبار، عاصمة المحافظة، وبلغ البهتان مستوى الشيطان بدلالة أننا أصبحنا نتداول خبر مزرعة الرئيس بغير ما تمحص لسؤال المزرعة؟

هل جاءت المزرعة إليه أم ذهب إليها؟ أين تقع المزرعة في زنجبار أم في سنحان؟ وإذا كان في طفولته من ذوي الشبه بالأنبياء؛ تبعاً لما تردد في سيرة يفاعته وامتهانه لرعي الأغنام، فهل يعني ذلك أنه لم يزاول الفلاحة، أو الزراعة، ويضعف شرعيته في امتلاك مزرعة في أي مكان كان من يمن الحكمة والإيمان!!

وعوداً إلى اختطاف سيارة مزرعة الرئيس: هل يمكن التكهن بعقابيل جدلية الخطف الضاربة، العارية بهذا القدر من السفور الذي يعوي بصوت المخطوف وهو يثور على الخاطف ويطلق عليه برقية حارقة «نابالم» من خلال اختطاف سيارته -مزرعته إن جازت- من الطريق العام الذي يربط أبين بعدن، وتحت نظر الأمن العام.

وكما لو أنه كسر لدائرة احتكار الخطف ومركزيته، وكأنها حرية الخطف والخطف الآخر، بعد زوال خرافة الرأي والرأي الآخر.

وربما كانت تمخضات اختطاف الشأن العام، المال العام، الحيز العام، السلطة، الوطن، اليمن.

ويبقى كل شيء مقبولاً الآن: اختطاف سيارة مزرعة الرئيس فهو اختطاف يشير إلى أن قبائل آل باكازم -إن صح خبر اختطافهم للسيارة من قبيل ممارسة حقهم في التعبير- لا تعلم بأن المزرعة لن تبقى في يد الرئيس إلى الأبد، وبدت كأنها لم تسمع أن الرئيس قد برم بمزارع سابقة وتبرع- مثلاً- بمزرعته في محافظة حجة لجمعية الصالح الاجتماعية الخيرية.

الصالح يتبرع للصالح، وليس نابليون بونابرت. وفي أبين «بلاد الحاس والحسحاس والظلم الشديد» تعطلت الخدمات برمتها، وتمادى الفلتان في فلتان، ولم يتمكن وكيل المحافظة الجديد من تسلم مهامه لعدم حصوله على مكتب في ديوان المحافظة منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

وهنالك سيارات يتردد أنها مختطفة وما زالت في قبضة الإمارة الشحتورية بالمحفد، وهنالك قاطرات غاز، وقاطرات سلع غذائية، وغيرها سبق أن اختطفت.

وهنالك مساحات شاسعة من أراضي الدولة والمواطنين اختطفت ونهبت، وهي من أخصب الأراضي وأغناها.

.. وهنالك من يدفع ويسرع بتضفير رأس الطوفان، وتشفير اليمن على ذات الكود والعنوان: أبين.

فهي كانت «الطليعة» في حروب التحرير، في القومية، والماركسية، والنضال، و«الجهاد»، وهي مفتاح عدن على مر الأزمان، وشفرة اليمن اليوم والآن فاحذروا ما لا يبان خلف المزرعة.

● «النداء»، العدد ١٣٩، الأربعاء ٢٠ فبراير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

١- صحافة الجنازة

تكبر مساحات النعي والعزاء والرثاء في صحافتنا أكبر من أي شيء آخر، وتترامي مساحة الخلاء الموحش، وينهمر مطر الموت من كل الجهات ويغمر الأرجاء وتنسد ممرات الحياة ويتعاظم حجم الفراغ والجحيم والكلمات الصامتة الصماء.

وتهرب المدينة من المدينة، وتنعدم الأرصفة، وتغيب الشوارع وتقفر إلا من النعوش والمواكب الجنائزية ومن منتج وحيد وسيد هو منتج الحكايا والخرافات وأخبار الحرائق والحروب والدماء والاغتيالات، وتهليلات المأتم.

وهنا بدت الصحافة ممهورة بتوقيع كابوس ومضبوطة على ذبذباته وصارت شبحية، مخيفة بفعل اختطافها لمهنة الندابات واكتسابها لشهية النسور الجائعة.

وانسحب الحال على مدننا المزعومة المتوارية خلف أردية الغفلة والنسيان والغبار والرماد، والسادرة في الانطفاء والعواء وتبادل إطلاق النيران والطعنات والتفجيرات والحموضة والرطوبة والعفن.

وكمن ارتبط بعقد دائم مع ثقافة الانتحار والاحتضار، صارت الصحافة عاجزة عن إدراك حجم الفزع الذي تثيره والجحيم الذي تديره ويلتحفها، وضربتها حمى السباق المجنون على تسقط أخبار الحفرة، والتنويع على إيقاع المقبرة، وعلى خطى المسيرة الجنائزية والتسابق على إحصاء القتلى، والاستغراق في المتاهة السديمية، ومداهنة صمت الجريمة الصارخ، وظلمة المسالك المتوحشة.

واللافت أنها عندما لا تتوافر على جثة ومادة للرثاء، فإنها تقوم بوظيفة حفاري القبور وتنضغط تحت سقف سلطة ذاكرة القتلى في الحروب والحصارات السابقة واللاحقة وحتى آخر رمق.

وتستعر الحروب وتتهيج البذاءات والخيانات وتتهشم المرايا، كما تستخدم للمغالطة والتزويق، ويهرب المرء من مطالعة صورته في المرآة كي لا يرى علامات هيكل انهياره المنتظر: المستقبل الوشيك والقادم من نفق المجهول المغلف بجلد الخديعة.

● «النداء»، العدد ١٤٠، الأربعاء ٢٧ فبراير ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

«العربية» حدث

اعتبرت فضائية «العربية» حديث رئيس الجمهورية بمهرجان الجمال بالحسينية حدثاً، لمجرد أنه قال: إن المعارضة هي «البديل الأسوأ»، وأن كيس الحب (يقصد القمح) سيصل الى عشرين ألف ريال في عهد البديل المذكور بدلاً عن سبعة آلاف في عهده.

وكأنها -(«أي العربية»)- أرادت إشهار اعتراف السيئ بسوئه ووعده ووعيده للشعب بـ«البديل الأسوأ». وفي أفضل الأحوال لوحت لنا «العربية» بخيارين كلاهما موت: إما الطاعون وإما الكوليرا.

وكررت ما ورد في حديث الرئيس الذي حذر من الإرهاب: «احذروا الإرهاب»!

وقوله: «هل تريدون أن نكون مثل أفغانستان أو العراق أو الصومال أو السودان؟!».

ولم تغفل القناة جملة الرئيس المفتوحة بالتلميح الى أنه قال في ما لم يقل: «أنا وإلا الطوفان». ولأن «العربية» تعمل بالأصول فقد قامت باستضافة الخبراء وأحرجتنا بصديقين عزيزين، أحدهما يقيم بدولة الإمارات، د. عمر عبدالعزيز، والآخر بصنعاء، الأستاذ علي سيف حسن. واكتملت أركان الفكاهة عندما سمعنا بأن التصريحات النارية للرئيس ضد المعارضة تندرج في إطار المألوف في اليمن، وتشير الى ارتفاع سقف الديمقراطية اليمنية و«خصوصيتها» ولا ينبغي الالتفات إليها بعين الجد، لأنها حينما تقول باحتدام الأزمة بين الفرقاء، فإنها تفيد بحوار كواليس حميم وخفي و«مؤكد» وتقطع بتوافقات تطبخ على نار خامدة.. وكأنهم يلعبون علينا!!

وسامح الله الوزير علي سيف حسن الذي قال كل شيء ولم يقل أي شيء، وكان ظريفاً عندما أشار

على الأحزاب والقوى السياسية في العالم العربي والإسلامي بأن تأخذ بتجربة اللقاء «المشترك» في اليمن. ولما لم يقل، فهو ليس أقل من فخامته حينما وجه الألمان باحتذاء «تجربة الوحدة في اليمن».

ويبدو أن الصديق عمر عبدالعزيز تعرض للقمع من «العربية» حينما كاد يتكلم عن التباس أحزاب «المشترك» وإسفنجية المؤتمر الشعبي العام. ولم نسمع جديداً ولا مفيداً، لا من علي ولا من عمر.

وقد علق أحدهم على «بانوراما» «العربية» في مساء الأحد الماضي بقوله: «لو استضافت خبراء أجانب لكان الأمر أفيد وأفضل»، واستشهد بالسفير الأمريكي الذي أثار هياج السلطات مؤخراً حينما صرح بأن اليمن لن تقلع الى بر الأمان إذا لم تحسم التالي: ضبط الجانب الأمني، تهيئة المجال لأحزاب سياسية فعالة، إعلام مستقل، قضاء مستقل، وبنية انتخابية أساسية تكفل نزاهة الانتخابات وشفافيتها. والخلاصة أنه يقترح بناء مشروع الدولة.

ولكم بدا هذا الأمريكي أكثر من يمني. على عكسه بدا اليمنيان ذاويين في الغربة.

اللهم أعدهما الى الديار.. آمين.

● «النداء»، العدد ١٤٢، الأربعاء ١٢ مارس ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

إشارة المحمدي.. أبعد من «أصابع إسرائيل»

تقمصت دور المحامي لمجرد أني كنت في الطريق إلى محكمة جنوب غرب أمانة العاصمة صباح أمس، وذهبت أسأل المعارض السياسي البارز الذي أشار إلى تورط أصابع إسرائيل في تحريك «الحراك» في المحافظات الجنوبية عن لائحة الأسانيد والأدلة التي يمتلكها، أو حتى عن امتلاكه لصورة بصمات أصابع لإسرائيل، ليؤكد ضلوعها في تحريك «الحراك»؟

لم أكن في وارد الانشغال بمساءلة معارض سياسي كبير، لو لم أكن في الطريق إلى المحكمة أولاً، ولو لم أفتتح صباحي بتصفح أسبوعية «الغد» التي تعودتها مع قهوة صباح كل ثلاثاء.

وفي عدد الأمس تقصدت «الغد» لفت الأنظار إلى المقابلة الضافية التي أجرتها مع الناطق الرسمي باسم أحزاب اللقاء «المشترك» بإبراز عنوان مثير يشير إلى تورط أصابع إسرائيل في الجنوب.

اكتفيت بتصفح عناوين الصحيفة وأرجأت قراءة المقابلة إلى حين الانتهاء من جلسة المحاكمة التي اعتزمت حضورها بقصد إسقاط واجب التضامن مع الصديق والزميل العزيز سامي غالب رئيس تحرير «النداء».

والحال أني سعدت بعد انفراط الجلسة وخرجت من جلسة محاكمة «النداء» بدرس جديد ومفيد لفتني إليه المحامي البارع الأستاذ نبيل المحمدي الذي تحيرت، في البدء، من أمر انشغاله بتأمين سلامة إجراءات المحاكمة وضبط بعض الجوانب الفنية التقنية التي لم يخطر بحسباني أن مسار

القضيـة سـوف يتقـرر تبعاً لمسـتوى التعاطي مع تلك الأسـئلة التي طرحها بشـأن صحيفـة الاتهام المرفوعـة مـن قبل النيابة علـى الصحيفة. فهو طالب بتحديد وضبط التهمـة الموجهة للصحيفة: أهي تهمة السب أم الإهانة؟

وشـدد علـى ضرورة تحديـد هوية الشـاكي المجني عليه المزعـوم بصورة لا تحتمـل اللبس وتفيد بوضوح فيما إذا كان جهة اعتبارية أو شخصية.

وزاد أن تهمـة السـب تفـرق عن تهمة الإهانة، كما يفترق الاتهـام المرفوع من قبل جهة اعتبارية عن الاتهام المرفوع من قبل أشخاص.

وانتهز سماحة القاضي السانحة وكان في منتهى السماحة عندما أفسح المجال لممثل النيابة بإعادة قراءة وصياغة صحيفة الاتهام المرفوعة ضد «النداء» وضبطها وتدقيقها بأفق الإجابة الواضحة على أسئلة المحامي المحمدي!!

ولأنـي مـن ضحايـا الإدراك المتأخر لإشـارات الخبـرة والمعرفة والـذكاء؛ فقد أدركـت، بعد انقضاء ساعات على رفع الجلسة، أني وغيري من الصحفيين وقبلنا الساسة «الرموز» في المعارضة والسلطة، نحتاج بشدة للمداومة على قاعات المحاكم لكي نكبح اندفاعنا لإطلاق الاتهامات جزافاً وخبط عشواء- ولن أقول على غرار النيابة و«ناطق المشترك».

واقتنعـت أكثـر بـأن المداومـة على جلسـات المحاكـم والإمعان في صحائـف الاتهـام وخاصة تلك المرفوعة على الصحفيين والصحف والمعارضين والإنصات لمرافعات الدفاع التي تغوص في الشـعاب والمنعرجـات الشـوكية لغابـة القوانين الأخطبوطيـة اليمنية، وخاصة مرافعات أمثـال المحمدي الذي أسرني وسرَّني سماعه صباح أمس.

واقتنعت أيضاً بأن المداومة على قاعات الدرس -المحاكم أقصد- ستشحذ لدى المرء حاسة الاحتراس اليقظ، وسـوف تحمله على التفكير قبل الكلام والتفكير ألف مرة قبل رفع أصابع الاتهام في وجه أي كان أو أي مـكان... التفكيـر فـي أن الأصابع لم تخلـق لتكون «أصابع اتهام» فقـط وحصرياً، كما أنها ليست الفتنة ولا الشر المستطير فهي أدوات للتفكير والتدبير وأعضاء متقدمة للدماغ، ولا يجوز بالمرة إلحاقها بأسـاطير دولة إسـرائيل التي يتوهم بعضهم أن أصابعها وراء كل حركة وتحرُّك كل «حراك» وكأنها تحتكر حق تحريك كل تلك الأشياء والأمور التي لا نستطيع تعقل أسئلتها.

● «النداء»، العدد ١٤٣، الأربعاء ١٩ مارس ٢٠٠٨

نـــافذة

منـصـور هائـــل

كلُّـه مـن عبـده!

أضحكني صديق ينتمي إلى التيار المرح في حزب المؤتمر (الحاكم) بنكتة تقول إن أحدهم كان ذهب لشـراء قرص رغيف (روتي) وحينما فوجئ بارتفاع سـعره من عشرة إلى عشرين ريالاً تضرع إلى الله بالدعاء.

الله يصيبك يا عبده!

وفـي المرة الثانية ذعر صاحبنا هذا من ارتفاع سـعر البطاطـس إلى ٢٠٠ ريال بدلاً من مائة، وجأر بالشكوى إلى ربه:

- الله يقصف عمرك يا عبده!

وفي المرة الثالثة لم يتمكن من شـراء علبة حليب لأطفاله لأن سـعر الحليب تضاعف هو الآخر، وما كان منه إلا استمطار لعنات السماء بساخط الدعاء:

- عليك اللعنة يا عبده.

وختـم عضـو التيار المرح في الحزب الحاكم النكتة بقوله إن اسـتجارات ولعنات المواطن المسـكين تناهـت إلـى عيون وأنوف وآذان الأشـاوس في أجهزة الأمن السياسـي والأمن القومي وسـارعوا من فورهم إلى اعتقاله لأنه حتى لا يعرف اسم الرئيس!

وجالـت فـي خاطري حكاية مشـابهة تلزمني دواعـي القربى كتم بطلها، فهو عمـي الأكبر والأرجح عقلاً في عائلتنا الممتدة.

وأتذكر أنه قبل أكثر من عامين ضرب الزلزال مدينة إيرانية وانهار معظم أحيائها ومساكنها على من فيها. ويومها كنت أتابع وقائع الكارثة على الشاشة الصغيرة، وكان عمي قد فرغ من صلاة المغرب وانهمك في المتابعة معي. وذهلت منه، وهو الذي يتحاشى الخوض في السياسة، عندما ابتهل إلى الرب بأن يزلزل عبده صالح.

قلت: ولكن.. ما حدث كان في إيران؟!

قال: ولو كان في إيران.. كله منه.. كله من عبده!

ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد وقفت قبل أيام على ما يفيد بأن المواطن الإيراني لا يقل كراهية لقيادته عن اليمن وإن كانت جدارته في خوض منافسة مع أخيه اليمني في الإسلام موضع شك فاليمني لا يضارع في هذا المضمار!

والحاصل أن الصحيفة الإسرائيلية «يديعوت أحرونوت» حرصت على استهلال مقالها التحليلي عن الأوضاع الإيرانية ٢٠٠٨/٣/١٤ بنكتة نقلتها عن موقع إنترنت إيراني «ففاند» وهي تقول: توقفت حركة المرور في طريق سريعة فجأة في جنوب طهران. أحد السائقين توجه لأحد المارة وسأله عن سبب الانسداد المروري. العابر رد عليه بأن إرهابيين قد اختطفوا أحمدي نجاد ورفسنجاني في أسفل الطريق وهم يطالبون بمائة مليون دولار فدية لإطلاق سراحهما وإلا فإنهم سيسكبون البنزين عليهما ويشعلون النار فيهما: «نحن الآن ننتقل من سيارة إلى أخرى ونطلب التبرعات من أجلهما». «وكم يتبرع كل واحد بالمتوسط» سأل السائق.. كل واحد يتبرع بلتر بنزين في الوقت الحاضر رد عليه.

ووفقاً للنكتة فالجمهور الإيراني وصل إلى منتهى القرف من قيادته بشقيها المعتدل والراديكالي، فما بالكم بالجمهور اليمني المحكوم بتجرع علقم اللون الواحد والطقم الواحد: عبده.

وما بالكم لو كان اسم المستجير الأسير: عبده وعمي.. حتى عمي يا هؤلاء اسمه: عبده!

وكأنما صدق من قال لك: كله من عبده!

● «النداء»، العدد ١٤٤، الأربعاء ٢٦ مارس ٢٠٠٨

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

طـريــق الإجـمـاع مـقـطـوع

وصلت فجر يوم أمس إلى عدن من طريق الضالع وتشهد بذلك تذكرة السفر على حافلة «الرويشان» وصديــق كان برفقتــي وراكب تعرفت عليه وتبادلت معه الحديث إلى الدرجة التي تسـمح لي باللجوء إليه كشاهد إثبات على وصولي عن طريق الضالع- ردفان -العند... عدن.

وبعـد وصولــي بوقـت وجيـز ذهبت أتسـكع في الأرصفـة التي شـربت وجهي وأكلت ربيـع العمر وزهرات الصبا والشباب، وتقابلت مع أصدقاء أحباء أخبروني بأن الطريق الذي يصل عدن بصنعاء مقطوع من الضالع، ودحضت أقاويلهم بواقعة وصولي من ذات الطريق فكذبوني.

وتحيرت عندما لحظت أن بعضهم صدقوني على سـبيل المجاملة وأصروا على التمسـك بقناعتهم أن الطريق مقطوع.

ثم سمعت أن خط اللهب امتد من الضالع إلى ردفان وطاول منطقة «كرش»، اعتباراً من يوم السبت، وأن احتقانات الناس تفجرت واندفعوا لإحراق السيارات وتكسير وتحطيم مقرات البلدية والاتصالات والأمن وبعض المحلات التجارية، وداهموا البنك الأهلي، وهشموا الزجاج أمام العديد من المنشآت.

وسـمعت عن حملة اعتقالات واسـعة طاولت العديد من الناشـطين السياسـيين في عدن والضالع وردفـان، وبعـض الأكاديميـين في لحج وعـدن، ولازالت مسـتمرة وكان «الإجماع» يقطع بـأن الطريق مقطوع.

كنت أتعجب من نفسـي وكيف نجوت بجلدي ورأسـي، وكان معظم الأصدقاء الأحباء يتعجبون من

تصديقي لما أقول بما ينطوي على دحض وإنكار لأحداث اللهب والشغب.

ولمست أن «الإجماع» يطالبني بكتم شهادة لا تساير أحداث الساعة.

والحق، إن شئتم الحق، شعرت بالذعر تجاه ذلك «الإجماع»، وحزنت كثيراً على انكسار أفق توقعات الزميل سامي غالب الذي ارتسم على قياس منظوره الغاندي ومخياله الماندلاوي- من نيلسون مانديلا. فهو، أي العزيز سامي، تقصد غير مرة التذكير بملمح وعنصر قوة حركة الاحتجاجات التي شهدتها المحافظات الجنوبية، وتكرر تذكيره وتأكيده على نجاعة الطابع السلمي لتلكم الحركة، وعَقَدَ الرهان على ذلك الطابع في هزم سلطة الاستبداد والفساد التي تغتذي من كافة أشكال التفلت والعنف والعشوائية والاعتباط والفوضى الساحقة.

وحزنت أكثر بأن يحدث ما حدث -إذا صَدَق حدوثه- ليوظف في مجرى حرق ما تحقق من إنجاز رائع تجلى في معطيات وإشارات ورسائل الحركة السلمية المدنية الاحتجاجية التي شهدتها المحافظات الجنوبية وفتحت المجال واسعاً لتحليق الأحلام والرؤى والتصورات اللذيذة بشأن عمارة جديدة للسياسة، وعتبة رحبة لحياة جديرة بأن تحيا.

● «النداء»، العدد ١٤٥، الأربعاء ٢ أبريل ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

استنقاع

يبدو أن الحمقى والمجانين سيتكفلون، وحدهم وقبل غيرهم، بشغل الفراغ المروع الناتج عن تراجع وفشل الساسة، وانحسار وإقصاء وغياب السياسة. ومن الوارد والراجح، مع شديد وبالغ الأسف، أن تتجزأ وتتصومل وتتمزق البلاد، بجنوبها وشمالها وجميع جهاتها الأربع إلى إرب يتناهشها أمراء وجنرالات حرب بضراوة لا ترحم، ولا يستبعد أن يتشوش أمامنا مجال رؤية صورتنا في المرايا المنكسرة، وأن يستعصي علينا التكهن بشكل الماضي الذي سنأتي عليه وبالأحرى سيأتي علينا بعد أن صار من المحال، ومن شطح الخيال، الحديث عن «مستقبل أفضل» في بلاد يحفها ويلتحفها الماضي المنتظر بجهامة من يأتي وهو أمضى مما كان عليه في غابر الأيام والأزمان.

والحاصل أن هذا الكلام لا يصدر عن مصاب باضطراب الأدلة وانعدام الوزن والمعنى بقدر ما يصدر عن شاهد عيان يتوسل التقاط بعض أصداء وشظايا الأحداث المتفجرة والمنذرة بخرق يتسع إلى المستوى الذي لن تنفع معه كل محاولات الرتق والترقيع لأن أحداث الأيام الأخيرة تقطع بانحدار إلى قعر الاستنقاع في برك الدم.

ولست في وارد التحذير من الاندفاع إلى المجاهل المرة والمهاوي المدمرة، لأن ما يحدث يشير إلى وقوع الفأس على الرأس، وينبغي أن يُقرأ كما هو عليه في الواقع وليس كما نشتهي ونتمنى.

ثم لا بأس من أن نعترف بأن انفجار الأحداث الدامية في بحر الأيام الممتد إلى لحظة هذه الكتابة قد حصل بفعل جملة من العوامل التي أستطيع القول بأن الجوع كان في صدارتها.

والجوع هو ما دفع إلى انفجار الشباب العاطلين الذين كانوا ذهبوا من الضالع وردفان إلى

معسكر الاستقبال في يريم وأوصدت في وجوههم فرص التجنيد على غرار ما حصل للشباب في كرش والصبيحة الذين أغلقت أمامهم فرصة التجنيد بمعسكر الاستقبال في الجند تعز، وما كان من أمر آلاف الشباب الذين حرموا من ذات الفرصة في أبين.

إن انكسار الآلاف من الشباب العاطلين عن العمل وتفاقم شعورهم بالغبن والتهميش والإقصاء كان بمثابة الشرارة التي أشعلت السهل وامتد خط لهبها من عدن إلى الغيضة. وقد تغلف ما حصل بعناوين وشعارات شتى، ولكنه لم ينف الواقع الفاقع بحقيقة أن الجوع كافر، وأنه سوف يحرق اليابس والأخضر، ولا يمكن تزويق الكارثة بحصر دائرتها في مربع صراع «الحرامية والعسكر».

● «النداء»، العدد ١٤٦، الأربعاء ٩ أبريل ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

جعار الإمارة
أم المستقبل/ المقتل؟ (١-٢)

كما يطالعنا المشهد الراهن في مدينة جعار، التي لا تنام على لعلعة الرصاص والمفرقعات، بعلامة فارقة وصادمة من علامات الانهيار وتحلل الرابط الجامع للسكان تحت مسمى "الدولة" في اليمن، فهو يطالعنا بهيئة رثة، مفزعة، للمستقبل/ المقتل، الذي لن نقوى على الإفلات منه بالمخاتلة والتسويف، وليس بمقدورنا تحاشيه بركوب بحر سبقنا إليه إخوتنا الصومال، وليس من حقنا أن نستكثر عليهم ذكاء الغبش، أو أن نغبطهم على إحراز حق السبق والنفاذ من منافذ البحار، أو على حتوفهم السينمائية المذهلة في الشواطئ وأشداق أسماك القرش والحيتان الشاردة.

وتتضافر شواهد جعار، وهي أكبر مدينة في أبين، لتشهد على أثرٍ لمدينة سادت إلى عهد قريب جدا، ثم بادت وآلت إلى مدينة أشباح تعطلت فيها حركة الحياة والتجارة والعمارة، ومسخت إلى أكثر من إمارة، وخرجت عن نطاق سيطرة "الدولة"، وتناثرت إلى مربعات متناحرة، تتوزعها أربع مليشيات، على الأقل حتى الآن، وإلى مناطق نفوذ تتنازعها تلك الميليشيات التي تحاصر وتضرب مراكز الشرطة والأمن والمرافق العامة، وتعتدي على الممتلكات الخاصة، وتصول وتجول بأسلحتها وذخائرها من دون رادع.

ولم تنزل الدبابات والأطقم العسكرية وقوات مكافحة الشعب (ويقال: الشغب) إلى الشوارع للدفاع عن هيبة "الدولة" ومراكز الشرطة والأمن والسجون والأندية الرياضية ودار السينما الوحيدة التي

نُهبت من قبل هؤلاء "المجاهدين".

وبدا واضحا أن السلطة فقدت ذاكرة شرطها الوجودي ومبررها، لا لأنها لم تعد قادرة على توفير الأمن والأمان للسكان فحسب، بل ولأنها صارت مجلبة للأذية والإهدار؛ بدليل أنها كانت هي الساحر الذي تعهد باحتضان كل هذه الشظايا المستطيرة، وكانت صاحبة التمويل والشريك مع الطلائع الأولى لـ"الجهاد"، قبل أن تتعهد بتفقيسها في جبال حطاط والمراقشة وغير ذلك من المعسكرات في شمال البلاد وجنوبها.

وتكشَّف أكثر أن الدبابات مختصة بمواجهة الشباب العاطل عن العمل، والحفاة، والجياع، وكافة أولئك الذين يطالبون سلميا بحقهم في العمل ولقمة العيش وحقهم في مواصلة مغامرة الحياة.

ولما كان الحيز لا يتسع لسبر بعض أغوار إمارة جعار المنفصلة عن اليمن، إلى أجل غير مسمى، فإن الواجب يدعونا إلى إطلالة أخرى في العدد القادم.

● «النداء»، العدد ١٤٧، الأربعاء ١٦ أبريل ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

جعار الإمارة
أم المستقبل/ المقتل؟ (٢-٢)

انسجاماً مع التعريف الحرفي المباشر الذي يقول إن الواقع هو ما يقع، أو بالأحرى ما يسقط من فوق إلى تحت، أو من الأعلى إلى الأسفل، فإن «الواقع» اليمني سيمتنع على التعريف إذا لم ينظر إليه في انحداره وبما هو «ساقط» بامتياز.

وعلى ذلك يغدو الإقرار بأن مدينة جعار هي اليمن، واليمن هي جعار، ضرباً من الاستجابة لمنطق واقع «الوحدة» القائمة على الشقاء والإلغاء.

إنه الواقع. وتبعاً لذلك لا بأس من الإقرار -أيضاً- بأن المليشيات التي تتوزع مدينة جعار كمناطق نفوذ وتتنازعها كمربعات تناحر واغتنام وانتهاب، بترجمة عارية لاقتصاد المافيات والإتاوات ومنزهة من صفات القداسة و«الجهاد»، ليست خصوصية جعارية.

فهي (أي تلك المليشيات) لم تأت من كوكب آخر، ولا يمكن اختزالها بالإحالة على «المجاهدين» ومشتقات الجهاد، وعلى العائدين من أفغانستان أو الخارجين من معطف الفرقة الأولى مدرع، أو العائدين من العراق.

وسيكون من قبيل الخفة والابتذال تأويل حالة جعار، المليشياوية، تحت ضغط التصور القائل بأجيال جهادية متنوعة ومتصارعة، أو بأجيال داجنة مستوعبة في أجهزة السلطة ومراكز القوى، وأخرى مقيمة في منطقة المراوحة المريحة، التي تسمح لها تارة بمنازلة السلطة وأخرى بمؤازرتها،

وثالثة راديكالية قتالية تنتمي لموجة العائدين من بلاد الرافدين، وتقنيات الجهاد في العراق.

ربما كان ذلك جزءاً من «الواقع» أو علامة تشير إلى أن مدينة جعار كانت منصة تصديرية كبرى للمجاهدين الذين رحلوا إلى العراق. ولكن ذلك لا يعطي معظم مساحة «الواقع». وبمعنى أن تغوينا حالتها المليشياوية السافرة بفصلها عن معظم أرجاء البلاد التي ترزح تحت القبضة إياها وإن على تفاوت.

ذلك لأن الذهنية المليشياوية هي السائدة والمتفاقمة، وهي «النظام»، بشتى مظاهرها وعناصرها، وهي مدعومة بشواهد التفكك والعنف المتفلت وغير العقلاني، ومدعومة بالطابع المليشياوي الذي يحكم ممارسات السياسة والساسة والأجهزة، ويحكم النظر إلى «الدولة» كموضوع للاغتنام والسرقة وكذا النظر إلى ممتلكات «الدولة» وإلى الوظيفة العامة والثروات الوطنية. وتتفشى المليشياوية تحت الضوء المعتم للذهنية العشائرية القبلية الطائفية «الجهادية» التي تنتمي لعالم ما قبل العصر والدولة.

من هنا كانت جعار هي اليمن واليمن معطوفة على جعار. وربما كنا مليشيا، من غير أن نقصد أو أن نعي.

● «النداء»، العدد ١٤٨، الأربعاء ٢٣ أبريل ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

نثرية متوحشة

أصبحت الأوضاع الراهنة في اليمن مطبوعة بنثرية فوضوية، متوحشة، مركبة يتخالط فيها الفلكلوري بالكاريكاتوري، والأسود بالأحمر. ومن المستبعد احتواء كل هذا النثر الوحشي الوعر بحساسية نقدية معطوبة ومحكومة بـ«الثقافة السياسية» السائدة البائدة معاً.

ربما كانت هذه الأوضاع تستلزم مراجعة نقدية شاملة و«جذرية» تتغذى من خيال سياسي طازج ومفارق للعادات التأويلية التي طالما قسرتنا على رؤية الآخر بلون أمزجتنا وقناعاتنا الخاصة.

ربما كانت تحتاج لمراجعات كثيفة، كثيرة، موجعة، صادمة، متنوعة، مجاوزة لما هو قائم بالمرة على مستوى السلطة والمعارضة وشتى فعاليات وأطياف المجتمع السياسي والمدني.

ذلك أنه صار من المحال استمرار هذا الحال، ولم يعد بالإمكان الحفاظ على الوضع القائم بقوة النار والحديد، كما صار من المحال استعادة اللحظة التاريخية، الاجتماعية، السياسية السابقة.

ولسوف تكون الكارثة ماحقة إذا ما استمر التعاطي مع قضايا اليوم بمواد وأدوات استنفدت صلاحيتها وأكلها الصدأ كشيء اسمه الجمهورية العربية اليمنية التي أصبح الإصرار على التمسك بمقاييسها وعلى إعادة إنتاج الأوضاع بمعاييرها وأدواتها يجعل الأبواب مشرعة للحرب ولتوالد الحروب، وتفجير اليمن إلى أرخبيلات من جزر متقاتلة من صعدة إلى طور الباحة.

وفي السياق ذاته أصبح الحلم باستعادة اللحظة التاريخية السابقة لـ٢٢ مايو ١٩٩٠ وتحصيل صورة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، كما كانت عليه، يستبطن الاندفاع للحرث في حقل

المستحيل والتعطش المحموم للعزف على أوتار «اليوتوبيا» الشجية تحت ظلال التوقعات والأحلام المتكسرة على أيقونة «الوحدة».

ولما كان هذا وذاك يتوحدان من غير قصد أو وعي، في مستوى النزوع إلى استعادة لحظة ماضية، أو الحفاظ على لحظة ماضوية ممتدة، فإن ما يحدث لا يختلف عن صراع «الأصوليات» والسلفيات.

والحال أنه لم يعد بالإمكان تعريف سير الأحداث في ظل هذه المناخات التعبوية المنهكة، ولم يعد بمقدور القبضة الحديدية الواحدة التحكم بسير ومجرى الأحداث، ولم يتهيأ المجال لتخليق قبضة حريرية، سحرية تجترح «معجزة» تخليص هذه البلاد من الاشتواء بالمزيد من جزر الأرخبيلات النارية المتفجرة والمتوالدة كالفطر السام.

ولن نختم إلا بالعودة إلى البدء والتذكير بأن هذه النثرية المتوحشة، رغم أنها تمكنت من تدويخنا، تستلزم منا الإفاقة للنهوض بمسؤولية مقاربة الأسئلة الجارحة، من باب تدوير زوايا القراءة المنتجة لاحتمالات فتح كوة ضوء لأمل بتعقيل كل هذا الخراب، وأمل بشق طريق لحياة محتملة وجديدة وسط هذا الخراب وليس في أي مكان آخر ذهني، أو متخيل.

● «النداء»، العدد ١٥٠، الأربعاء ٧ مايو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

ديمقراطية بالتجزئة

ستظل معظم المعارضة اليمنية غير ديمقراطية إلى أن تبرهن، بالأفعال وليس بالأقوال فقط، على أنها ديمقراطية خطاباً وممارسة، ومن غيرما تقسيط أو تجزئة.

وينطبق المأثور القائل بأن «الظل لا يستقيم والعود أعوج» على حالة معظم هذه المعارضة التي كانت، ومازالت أشبه بمن يطلق الرصاص على قدميه.

ذلك بالضبط ما حدث حينما كانت ترفع شعارات مكافحة الاستبداد والديكتاتورية في صنعاء وخرجت إلى الشوارع في الوقت ذاته واليوم تهتف بأمجاد ديكتاتور بغداد عشية غزوه لدولة الكويت، ولغيره من الديكتاتوريين الجاثمين على أنفاس «الجملكيات» المشرقة.

والمحنة أنها لم تتزحزح عن مواقفها، ولم تتقدم خطوة واحدة جادة في منحى نقد الهزل الأسود الذي أمعنت فيه وأدمنت تعاطيه، حيث تبدو كمن يخشى أن ينكسر عنقه إذا ما التفت إلى الخلف وتفحص في مخلفاته وخيباته.

فهي بواقة بشكل لا نظير له في مستوى ما ترفع من شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة وحرية التعبير بخاصة وتتعامى عن ارتكابات الديكتاتوريات الشقيقة والفاشيات الطليقة.

وهي تطالب بسيادة دولة النظام والقانون وترفض المظاهر المسلحة والمليشيات الخارجة على سيادة القانون والدولة في اليمن، وتؤيدها تلك المظاهر المليشية في البلدان الأخرى مثل لبنان وغيرها.

وفي حين تناهض شتى مظاهر استهداف وسائل الإعلام في الداخل فإنها تسكت، إن لم تؤيد، استهداف الكتاب والمثقفين والناشطين المعارضين في العواصم الشقيقة والرفيقة المصنفة في إطار «الخط القومي».

وكما تبدو هذه المعارضة عصية على التعريف والتوصيف فإن قياس المسافة التي تفصل بينها والديمقراطية سيغدو ضرباً من تربيع الدائرة.

ذلك أن الذي يرفض أن يلجم أو يكتم ويقف مع كتم وإلغاء «الآخر» وكسر الأقلام ومع سيادة اللون الواحد في الأقطار والأمصار العربية الأخرى يدخل في قوام «كتائب الإعدام» والضالعين في الانتهاكات الصارخة بحق الحريات والأحرار، ولا خطر على الديمقراطية أكبر من ممارستها بالتجزئة أو الادعاء بها وفعل ما ينقضها ويقوضها ويجعل منها أكذوبة هزلية ومسخرة.

● «النداء»، العدد ١٥١، الأربعاء ١٤ مايو ٢٠٠٨

نـــافـذة

منـصــور هائــل

خــارج نطــاق التغطيــة

عشـية انعقـاد اجتماع فرقاء المحنـة اللبنانية في الدوحة خرج «السـيد» يحيى الحوثي عن صمته لأول مرة، وأعلن عن شـهادة وفاة اتفاق الدوحة الذي كان قد أبرمه نيابة عن جماعته (الحوثيين) مع وفد رفيع المستوى من السلطة في صنعاء.

كان لافتـاً أنـه قصـد مـا يقول في اختيـاره لتوقيت إصـدار البيـان، وإن كان لا يعلم بـأن الصوت المتناهي من اليمن يكون، في الغالب، خارج نطاق التغطية!

وهو حذر السـلطة من عواقب عدم مسـارعتها لتنفيذ اتفاق الدوحة، وإغلاق ملف صعدة، وتوعدها بعدم مشـاركته «في أي حوار مسـتقبلي معها، أو أية مصالحة، وبعدم التدخل لدى إخواني المقاتلين فـي البلاد أينما كانوا لإيقافهم، أبداً، وسـترى هذه السـلطة المتفلتة مـن كل القيم والمواثيق، كم كانت فرص السلام سانحة لها! وكم كان الأولى بها أن تقبل بالسلام»!

وقال: «إنني على يقين أنها -يقصد السلطة- ستندم حين لا ينفع الندم حين يحول الشباب الأشداء، والرجال المتمرسـون على فنون القتال والمتشـوقون إلى مواجهة أعداء الله، وأعداء الشـعب، نهارها إلى ليل أليل، وحين يصبح الطاقم الحاكم وأعوانه، أهداف المنايا ومرمى الشـهب الثاقبة والأعاصير النارية الحارقة الماحقة»... إلخ.

في هذه الأثناء كان تنظيم «القاعدة» في جنوب جزيرة العرب (جناح اليمن) هدد بشن هجمات ضد الأجانب «الكفار» من سفراء وخبراء وسياح وصحفيين و... إلخ.

وحذر (القاعدة) «كل من أدخل كافراً أو رافقه في سفر أو أدخله بيته، وكان في جماعته، فإن مصيره مصير الكافر المحارب تبعاً لا قصداً»، حسب البيان. وكما كفَّر البيان القاعدي الأجانب الكفار والمجتمع الذي يتصل بهم ويتواصل ويتعامل معهم، فقد توعد الحاكم بالشطب من الحياة.

وفي السياق ذاته تداولت الصحافة خبر إنشاء هيئة وطنية لحماية الفضيلة والتصدي للمنكرات.

وتردد أن رئيس الجمهورية وافق على إنشاء الهيئة المذكورة لتكون معنية بحراسة الأخلاق والآداب والفضيلة ومراقبة الأماكن المشبوهة ومحاربة المفاسد الأخلاقية... وإلخ.

وعلى صعيد متصل تدهورت العلاقة بين «الحاكم» وأحزاب المعارضة الرئيسية في البلاد ووصلت إلى درجة القطيعة.

هكذا تطالعنا جمع الشواهد والعناوين السالفة بأن اليمن أحوج من لبنان إلى دوحة وإن لم تكن دوحة قطر التي تجرعت خبرة غير سارة في التعاطي مع الشأن اليمني تصل مرارتها إلى حد لا يحتمله بشر.

كما تطالعنا الشواهد السالفة بأن علاقات كافة الفرقاء في اليمن محكومة بالاحتراب والقطيعة والانفصال، وأن اليمن بحاجة إلى أن تخترع كوطن ودولة لجميع مواطنيها على خلفية من الإقرار بأنها محكومة، أيضاً، بتجاذب الجهات والاتجاهات من شمال إلى جنوب وصعدة وتضاريس سياسية وتاريخية وثقافية أكثر قسوة ووعورة من التضاريس اللبنانية.

● «النداء»، العدد ١٥٢، الأربعاء ٢١ مايو ٢٠٠٨

أنثى الضحك

ضحكة المقالح وصرخة يا عوم

نافذة

منصور هائل

معنى أن نتنفس صعدة

ما معنى أن يكون المرء من «جيل الثورة» والانقلاب والمارش والعلم والنشيد الوطني، إذا أزهق عمره من غير أن يعرف الهدوء والراحة.

وما الذي يفرق بين «جيل الوحدة» والسابق المشار إليه في الفقرة السابقة! وهو جيل ينتمي إليه كاتب هذه السطور ويعترف أنه تشوش برضاعة حليب الثورة وراح ضحية فقدانه ذاكرة طعم حليب الأم.

ما الفرق بين جيل تشوش واغتش وارتبش، وجيل لم ينخدع بإمبريالية المقولات، وسراب السرديات الكبرى، ولم تنطل عليه الجمهورية والثورة والوحدة، وغير ذلك من المقولات التي لا تشبع عصافير جوعه ولا تستجيب لندائها أصابعه!؟

ثم لماذا التجييل في بلاد يشيب أطفالها عند الفجر، بحسب رائد الرواية والقصة القصيرة اليمنية الحديثة الراحل محمد عبدالولي.

ودونما استغراق في التساؤلات سأبوح بحاجتي إلى استراحة قصيرة وإن بمسافة لا تزيد عن غمضة أو ومضة لكي أتدرب على العيش والتفكير بمنأى عن احتقانات الأذهان والأبدان، وعن الأجواء المعتكرة بالاضطرابات والحروب المستدامة.

سأخون المبدأ وطبعي وطبيعتي لأعلن تعبي وحاجتي الملحة لتنفس الصعداء ورفضي الصريح لتنفس صعدة بقسر وإجبار وانتحار.

ثم ما الذي يعنيه أن تقول «تنفس الصعداء إذا كان المعلوم والمقدر والمقسوم يجبرك على الانحناء وتنفس صعدة فحسب وحصراً».

وكم هي صعدة هذه التي تلفحنا وتعصف بنا على مدار الساعة، وفي كل آن، برياحها وروائحها اللاهبة، السامة، الحارقة!!

تلفحنا و«تشفط» ما تبقى فينا من رمق الحلم. فهي كانت معقل الزيدية العالمة، ومعقل الإمامة، ومعقل الملكية، وقاعدة مواجهة الجمهورية في صنعاء، ومواطن المرجعية الفقهية الزيدية، والشباب المؤمن، والسلفية، والوهابية، والشيعية -إن شئتم- في اللحظة الراهنة.

ولكنها -أي صعدة- لم تهبط على اليمن من سماء أخرى، وليست مفارقة لأرض هذه البلاد.

وبمعنى أفصح تظل صعدة التي تدور فيها وفي محيطها وحتى تخوم صنعاء أشرس المعارك، وتدفع إلى إشاعة حالة الطوارئ في صنعاء وغيرها من الأرجاء، من علامات الأفول والانحدار والاندحار والانتحار لليمن عموماً، ولمشروع الدولة المرتجى خصوصاً. وتظل صعدة علامة استكلاب سادة الخراب، وأمراء الطوائف، وجنرالات وأمراء الحروب، وكافة الضالعين في استثمار الكارثة، والتعيش على اقتصاد الجثث والجيف و«الحرب على الإرهاب» بإرهاب لا تحتويه صفة ولا تعريف.

● «النداء»، العدد ١٥٣، الأربعاء ٢٨ مايو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

مشروع الرجل OPEL

أهدرنا الكثير من الوقت والجهد والأحلام والكلام والحبر في التحويم حول بواعث إخفاقنا في إنجاز مشروع الدولة المسنودة بسيادة المواطن الفرد ولم يخطر على البال أن المعطيات والوقائع ستحملنا قسراً على النظر في بواعث الاندفاع نحو تبني مشروع المواطن الـ OPEL وبالأحرى الرجل الـOPEL.

OPEL هي تلك السيارة التي تربض في مفارق الطرق وتكمن في تجاويف الجروف والتلال، وتحت ظلال الأشجار، وترمز إلى عين الرقابة الساهرة، الثاقبة، واليد الطولى، والقبضة الخانقة، والملاحقة والدهم، والجاهزية المستنفرة على الدوام لاصطياد الخارجين على الخطوط الحمراء وخاصة تلك المشتعلة في المصابيح الذهنية لمن يقف وراء مقودها وعلى مقاعدها.

وقد اشتهرت الـ OPEL، رغم أن الجهات المعنية استوردت سيارات أخرى حديثة مزودة بآخر صرعات التقنيات الاستكشافية والرقابية والعقابية. ورغم كل هذه الماكنة الجهنمية، إلا أن «جماعة» ما، لم تر في ذلك كفاية، وتفتقت قريحتها البوليسية الإبليسية عن صيغة لهيئة تستهدف تحويل كل مواطن إلى OPEL ينشغل بملاحقة وتعقب ورصد جاره وأهل بيته، وينهمك في الملاحقة والرقابة بغيرما انقطاع وإلى الدرجة التي تكفل إدمانه لهذه الوظيفة المقرفة ولا تمنعه من استبطان الريبة في نفسه والإنصات لوساوسه وهواجسه وكتابة اختلاجاته ومضمراته في تقارير تخدم مصلحة وطن «الحكمة والإيمان».

وثمة أشياء لم تخطر على بال جورج أوريل صاحب رواية «حديقة الحيوانات» وغيرها من الروايات

التـي صورت التشـوهات الذهنية والنفسـية الداخلية، وخراب إنسـانية الإنسـان جـراء الارتكابات البوليسية والفاشية.

والحـال أن تلك الأشـياء التي لـم تدر بخلد أو خيال جورج أوريل الروائـي الذائع الصيت بتقصي دياجيـر النفسـيات والعقليات التدميرية، أصبحت اليوم وفـي العام الثامن من الألفية الثالثة تمارس بواقعية فجة، وتقال بسوريالية تمحق من غير أن تصدق.

ذلـك أقـل ما يمكـن أن يقال في وصف مشـروع «هيئة حماية الفضيلة والتصـدي للمنكرات: الرجل OPEL».

● «النداء»، العدد ١٥٤، الأربعاء ٤ يونيو ٢٠٠٨

نـــافـذة

منـصـور هائـــل

كتابـة فـي أفـق الانتظـار

أسـقمني الملل التاريخي وانسـدت شـهيتي فـي التباهي بركـوب بغلة الكتابة بـذات الطريق التي درجـت عليهـا، وغـدوت أشـعر بحرج شـديد ومؤلـم من نفسـي فيما لو كتبـت من جديد عـن حراجة المرحلـة وخطورتها، وعن المنعطف «التاريخي» والظرف الدقيق والحسـاس والتعقيدات والصعوبات والتحديات الكبيرة، الجمة، الضخمة، والمؤامرات الخارجية المتكالبة على البلاد والأمة! والمقرف أني وصلـت متأخـراً إلى إدراك حقيقـة احترافي لكتابة مقرفة من غير انقطاع كانـت على الدوام مقصورة ومحصورة على ما أسمع وما أقول، وبما يعني أني لم أكتب قط ولم أتجرأ بعد على كتابة تخالف ما أقترفت بجرأة من لا يخشى الجهر بأنه قادر على أن يبدأ من «درجة الصفر».

وترنحـت وتخبطـت كثيراً في محاولة ممارسـة كتابة مغايرة تمكنني من اسـتعادة بعض جأشـي ونفسي كيما أكف عن القرف.

وبالمناسـبة لسـت أملك غير ذرف دموع الامتنان الغزيرة لقراء صبورين احتملوا عقوبة متابعة ما أكتب بصبر بطولي إغريقي.

وفي الآونة الأخيرة أصبحت فريسة نهش جرذان الشعور بالندم والخسران والخذلان كلما استعدت شـريط خيباتـي في مشـوار الكتابـة -إن جـاز اعتبارها كتابة- مذ وعيت نفسـي -إن جـاز لي الزعم بوعي- لأني تشوشـت بالتخالط بين ما أسـمع وأقول وأكتب وأغماني التشـوش الدامغ لكائن شفوي بامتياز وأوجعني إحساسي بشطب عقدين وأكثر من عمري في «كتابة» شفوية، وتكشف لي أني كنت أكتـب ما سـمعت، وكانت الأقوال والمقولات والأمثولات تكتبني ولـم أحس بغلاظة وعدوانية ما فعلت

تجاه الناس ونفسي بالدرجة الأولى، وأنا أكرر وأتكرر في القول إن المرحلة خطيرة والظرف حساس وتاريخي وغير مسبوق. ولم ألتفت إلى أن هذه الثيمة كانت نقطة انطلاقي واستمرت معي في تألقي وأحاقت بإخفاقي! وكأني واحد من أقراني واصلت كتابة ما أسمع وما أقول ويقال، ولم أتجاوز شرط الكائن الشفوي البائس والمنتمي لعالم ما قبل الكتابة، وغير المتجذر بكتابة تنضفر جديلتها بالتفكر والتفكير والسؤال والدهشة والاكتشاف والنسبية والشك والاحتمال والخيال.

وكأي متلاسن أو متلاغط، توهمت ممارسة الكتابة بضرب من التعويض عن افتقادي لأمنية تأكيد سلطة الذات الشفوية من خلال «منبر» آخر، ولا فرق بين منبر الجامع أو الساحة أو المنبر السياسي والرئاسي، وليس ثمة ما يصدر عن «المنبر» غير الكلام الخطابي البلاغي الأجوف.

مؤخراً بدأت أقرأ بطريقة مغايرة لما كنت أقرأ، وتوسلت بقراءة منتجة منزهة عن التلهي بالمطالعة وفي أفق نشدان ابتكار الذات بكتابة منتجة، واستوقفتني حزمة مذهلة ومتناثرة من الوقائع والمشاهد التي حملتني غصباً على الاعتراف بصعوبة وحراجة وخطورة المرحلة!

ووجدتني أسأل: من سيصدقني! وكيف لي أن أصدقني رغم إدراكي العميق بأن البلاد -هذه المرة- تقع في الهاوية، وفي الداهية، والقيامة.

واستعذت بالرب من أن أكون من خبراء «الداهية» أو من المبشرين بـ«القيامة» أو من أن أقدم على كتابة ترسم في الأفق القيامي وتسهم في صياغة بيان الآخرة.

وهجست: ربما تعيد الأوضاع صياغة نفسها لتسمح لنا بمفتتح آخر وكتابة أخرى.

● «النداء»، العدد ١٥٦، الأربعاء ١٨ يونيو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (١)

كانت صدمتي بالجيران أكبر من صدمتي باكتشافي لواقعة أن المخابرات الإسرائيلية نفذت إلى محيطي العائلي الصغير وبيتي، وضربتني في كتفي التي توجعني عندما تمكنت من اجتذاب طفلتي مريم التي مازالت دون الخامسة بخمسة أشهر.

ولم تتخفف الصدمة بأثر ما نشر في بعض الصحافة وأفاد بأننا لم نكن عرضة لاختراق المخابرات الإسرائيلية وحدها وإنما لمخابرات دولة أخرى تمثل رأس حربة الدول المارقة المصنفة في ما يسمى بـ«محور الشر».

وتضاعفت صدمتي بالجيران الذين ذهبوا بعيداً في إنكار معرفتهم بجارهم، وتطرفوا في تبرئة أنفسهم من معرفته، وتبرعوا بالتصديق على أية تهمة لجارهم الذي كان قريباً وأليفاً إلى قبل التاسعة من ليل الجمعة الماضية وبعد ذلك تحول إلى غريب ومريب وشر مستطير!

ولم يتعجب أي منهم كيف كان من عناصر «المخابرات الإسرائيلية الإيرانية» حتى بالقول: سبحان من يجمع النقائض والمتناقضات.

ولم يستبعد أحدهم -الجيران طبعاً- أن تكون أصابع واشنطن وراء تل أبيب وطهران، وأن الإمكانيات المتواضعة لدى أجهزتنا الأمنية لا تسمح لها بسبر كل الأصابع المتآمرة على بلادنا.

والصادم أكثر أنهم لم يتوقفوا عند حد الاكتفاء بمباركة ما سمعوا ولكنهم تطوعوا بحماسة لتسويغ التهمة وتمريرها وتزويقها وتبريرها.

وأسهموا بمثابرة في محاصرة بيت الرجل، وأهل بيته وزوجته الطيبة وابنته التي ولدت في اليمن أواسط الثمانينيات وكانت في ذلك المساء تتهيأ لأول الامتحانات النهائية في كلية الطب بجامعة صنعاء صباح اليوم التالي.

وتكشف هؤلاء -الجيران وليس غيرهم- أنهم تأهلوا بإتقان ليكونوا عند مستوى وعلى مقاس الذبذبة الأمنية التي استجابوا لاشتراطاتها وأوامرها المعلنة، المرئية والخفية، بمهارة من تدرب على شتى فنون المخاتلة والخنوع والإذعان والحرباوية، وتخرج من أكاديمية الرياء، وتدجن على الملق والبهتان من وهلة الرضاعة إلى هزيع الأفول.

فهم انجرفوا مع تيار الهمهمة والغمغمة بتوزيع وتنويع التهم المتفرعة عن التهمة الجذعية الأولى: الخلية الحوثية، الخطيرة التي كانت أول ما تبادر إلى أذهانهم عندما اقتحمت القوات الأمنية محيطهم وداهمت شقة جارهم الإيراني، وسارعوا إلى تراشق النظرات حول «فتنة» تقيم بين ظهرانيهم، والهمسات حول المغزى من إدارتهم لظهورهم لتلك «الفتنة» بإلهام إلهي، وقبل أن تعلم بذلك أجهزة الأمن.

ولما تبدلت الأخبار والقصص وتبدلوا وأضافوا إلى ما استجد الكثير من المعلومات المختلقة واختلط حابل التكهنات بنابل الاستيهامات والتوهمات.

والحال أن هؤلاء يستحقون الكشف والتعرية بلا رحمة، ولن نستثني منهم غير نساء معدودات تجرأن على زيارة النساء المصدومات والذاهلات.

وبما أن المجال لا يتسع لعرض الأصداء والإشارات والتداعيات والمرويات التي مازال طوفانها يغرق ويستغرق محيط السكن والسكان، فلا بأس من إرجاء قصة ما حدث ليل الجمعة، وما كان من اختراق واستحواذ على أذهان وعقول أطفالنا من قبل «المخابرات الإسرائيلية الإيرانية»، إلى العدد القادم، وذلك أقل ما يستحق أولئك الجيران.

● «النداء»، العدد ١٥٧، الأربعاء ٢٥ يونيو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (٢)

كيف يتحول الجار إلى كمين وفخ وقبر؟

وما الذي حوَّل الجيران إلى قبور تتحرك بطاقة احتراق زيت الشائعات التي يطلقونها اليوم على جارهم الغائب بغرابة باعثة على الذهول والخبول معاً، وسوف يطلقونها غداً على أي جار آخر إن توارى عنهم بشكل مباغت، معتم رمادي، صادم، و«غير طبيعي» لمجرد أن أماراته كضحية غامت عليهم وتلاطمت وتشوشت في النقطة الفاصلة التي حسمت أمر انتزاعه من محيطهم.

وليس ثمة ما يفرق بين مستوى تلقيهم وانفعالهم وتفاعلهم مع حدث اعتقال جارهم الإيراني، وما يمكن أن يكون عليه مستوى تلقيهم لحدث الاعتقال الفجائي فيما لو طال يمنياً من أبناء جلدتهم.

الراجح أن الفارق لن يمس «الجوهر» ولا النوع وإنما الدرجة التي لا يمكن القياس على مؤشرها أو اعتمادها كمعيار.

ذلك بالضبط ما يستوجب النبش عميقاً في «المقبرة» لاستكناه مكونات هذه المستحاثات الآدمية المتحركة، ويستوجب البحث في سيكولوجيا الإنسان المذعور، والتوسل بأدوات الأنثروبولوجيا بقصد الاهتداء إلى تفسير لهذه الكائنات المهيأة للتكدس فوق بعضها لكي تكتسب خواص سلالم الصعود، وجسور العبور المتاحة لمرور وامتطاء أي مغامر متعطش للسلطة، ومهووس بكرسي الرئاسة، ومتهور في الاندفاع إلى ارتكابات عنيفة عابرة لتخوم التوقعات والاحتمالات والأخيلة، وغير مقيدة باية ضوابط تمنعه من استمزاج فكرة دهس «الجماهير» وإخصاعها لغسيل دماغ جمعي

وتحويلها إلى قطعان مطوقة بقفص حديدي يلتف عليها ويحشرها في دائرة تسمى «بلاد» ليست فيها علامة جغرافية مائزة تعين على تعريفها غير علامة وحيدة تفيد بأنها، أي هذه البلاد، تقع في تخوم كلمة الحضيض.

وإذا كانت الأحوال المتردية في البلاد تقطع بأننا لم نحرز «التقدم» إلا بالقفز خطوات واسعة إلى الخلف، ونحو مضاعفة ويلات الفقر والجهل والمرض والفساد والاستبداد والفوضى، وتقطع أيضاً بخسوف قمر الحلم بدولة وقانون ومواطنة، وتفاقم مظاهر وعناصر التآكل والانقسام وشيوع مناخات الخرافات المشفوعة بالعنف والجنون والهلوسة والهذيان.

إذا كانت هذه الأحوال تفسر بعض «خيانة» هؤلاء الجيران لوصية الرسول الأعظم محمد (ص) بالجار، وخيانتهم لقيم وأخلاقيات وقواعد الجيرة، فينبغي ألا -أي هذه الأحوال- شماعة تبريرية لإقناعنا بسهولة أيلولة الجار إلى كمين أو فخ أو قبر أو إلى ذئب بجلد فأر.

وعلى العكس من ذلك ينبغي أن تكون هذه الأحوال محفزة للقراءة اليقظة وللالتفات إلى تجارب الشعوب التي نُخرت وتدمرت بفيروسات الخنوع والذعر إلى أن محقتها الكوارث على نحو ما كان حينما صعد هتلر إلى الرايخ الثالث وما انتهى إليه أمره وألمانيا معه، وما كان في حال صدام، وفي الهزيع الأخير لـ«خريف البطريك» سياد بري و... إلخ.

ولن نأتي بجديد إذا ما أعدنا التذكير بحقيقة أن دورة الخراب في تلك البلدان لم تنعطف إلى طور الاستذئاب إلا حينما أصبح الجار ينهش جاره، والأبناء يتخابرون على الآباء والعكس.. حينما صار الإنسان يستبطن الريبة في ذاته ويتجسس على نفسه إذا ما اختلجت بمروق على «الزعيم».

وعلى ذلك فإن حالة هؤلاء «الجيران/ الصدمة» تستوجب القراءة المتحررة من ضغط اللحظة الكابوسية السوداء التي كشف عنها اعتقال جارنا الإيراني ليل الجمعة قبل الماضية، وهنالك تفاصيل مازالت خامتها تتراكم، وقد أرجأنا الكتابة عن أصداء وتداعيات ما حدث إلى تناولة أخيرة نأمل إنجازها في العدد القادم.

● «النداء»، العدد ١٥٨، الأربعاء ٢ يوليو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (٣)

توجست كثيراً من الاشتباك مع شيطان التفاصيل المتعلق بعملية دهم بيوت مجموعة من الإيرانيين المقيمين في اليمن لاعتبارات كثيرة، معقدة، متلابسة، متشابكة، يتصدرها الاعتبار الخاص بحساسية وضع العائلات الإيرانية المنهوشة بأنياب الوساوس القهرية، ومشاعر الكمد والغبن والسخط المكتومة بفظاعة فضحتها، مؤخراً، سحنات وهيئات زوجات وبنات أولئك الذين اعتقلوا ومنعت عليهم الزيارات العائلية ولم يسمح للمحامين، المفوضين من قبل شركاتهم وأسرهم للدفاع عنهم، بحقهم القانوني في مقابلتهم.

والمصيبة أن النساء والفتيات الإيرانيات اللواتي تحولن إلى أشباح هزيلة، شاحبة، تائهة أصبحن لا يستنكفن من التعاطي مع أية التفاتة تضامنية فحسب، وإنما ينظرن إلى ذلك بحذر الفئران، وتكشيرة الجنادب، لأن خبرتهن المرة مع الجيران المحليين في يوم المحنة، وما تلاها، لم تكن سارة بالمرة.

ورسخ في أذهانهن الاعتقاد بأن أي تعاطف من قبل الجار اليمني سينطوي على أحد أمرين: إما على كيد فلاحي أو على (فيد) قبيلي.

وجاء ذلك في ضوء تزاحم اليوميات الروائية البوليسية اعتباراً من ١٩ يونيو بعد التاسعة من ليل تلك الجمعة، حينما صعق الناس بنفير (ونانات) سيارات الشرطة التي تقدمت الأطقم العسكرية لتنفيذ الاقتحامات والاعتقالات.

ذلك المساء وقبل أن يعلم الجيران من هو المستهدف، كانوا يكتفون بترداد تمتمة مبهمة: «خير اللهم اجعله خير».

بعد الحادية عشرة تكشف أن المداهمة استهدفت العائلة الإيرانية، وذهب هؤلاء (الجيران) يتبادلون نظرات ذات مغزى قديم، بل وقدم من تاريخ «الفتنة»: «مش قا قلتولك».. وهمهموا بـ«مؤامر خطيرة» سبق لهم أن اكتشفوها عندما أدركوا أن طيبة هؤلاء «الإيرانيين» لم تأت من فراغ.

في اليوم التالي ذهبوا يتخاطفون الأخبار التي نشرتها بعض الصحافة وينسجون على منوالها ويتعجبون من دهاء الأجهزة الأمنية التي كشفت عن شبكة استخبارية إيرانية إسرائيلية.

وفي اليوم الذي بعده انضافت إلى قصة الشبكة الاستخبارية حكاية جديدة تفيد بأن تلك الشبكة تعتبر «خلية حوثية» تمكنت السلطات الأمنية من القبض عليها في الوقت المناسب.

وفي اليوم الرابع أصبحوا يتحدثون عن «الشبكة» و«الخلية» ويسبحون بحمد الخالق الذي ألهم الأجهزة الأمنية ومكنها من السيطرة على سيارة مفخخة كادت تنسف الحي بما ومن فيه.

وبعد الشبكة والخلية والسيارة المفخخة تخصب الفضاء الهوليوودي.

وفي اليوم السابع قالوا بأن الجماعة كانوا من «الكفار»، وتعجبوا إزاء هذا الاكتشاف، وتفاخر أحدهم بأنه كان قد أهدى العائلة إياها نسخة من القرآن الكريم.

وتعجبوا أكثر من انطلاء خدعة طيبة العائلة الإيرانية عليهم، وكيف بدت ذات طيبة مثالية عندما كانت تقدم لهم الخدمات وتتعامل بصورة جاذبة استحوذت على قلوب وأذهان الصغار والكبار.

وبلغت الروايات درجة الأبهة عندما وصلوا إلى توافق عجيب حول اكتشاف أدهى: فـ«الجماعة» من البهائية... إنهم بهائيون.

فما هي قصة هؤلاء «البهائيين» في اليمن، و«البهائية» اليمنية.

■ يتبع

● «النداء»، العدد ١٥٩، الأربعاء ٩ يوليو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

الخراطيش

ما أكثر الروايات التي تحتاج لمن يرويها أو لمن يكتبها كما هي، خامة، نيئة، وغير مطبوخة بأدوات الواقعية السحرية لماركيز، أو الواقعية الرومانتيكية لنجيب محفوظ.

ومن الروايات الأكثر طراوة وسخونة، والمطروحة في السوق بكامل أبهتها المتحدية، والمستفزة لأي كاتب مبتدئ، والجاهزة حتى بعنوانها رواية: الخراطيش.

ولم يتهندس هذا العنوان بقصد أن يكون على وزن رواية «الحرافيش» لنجيب محفوظ، بقدر ما طرحته واقترحته الوقائع الميدانية. ويمكن الجزم بأن (الخراطيش) تختزل المرحلة التي نعيشها، وتشفرها بالكامل، وتؤشر بجلاء إلى الناظم المحوري لـ«الثوابت الوطنية».

والحال أنه صار من المتعذر، بل والمحال قراءة (المسألة اليمنية) وتظهير زواياها وخفاياها المعتمة والمهمة في حالة عدم التوفر على الأدوات المطلوبة لفك شفرة «الخراطيش».

وتبدأ الحكاية من ارتفاع سعر خرطوش قذيفة الدبابة الذي أصبح يباع بسبعة آلاف ريال لتجار النحاس الذين يتجولون بأمان في ميادين القتال الدائر بين الجيش والحوثيين.

وورد في بعض المواقع الإلكترونية أن «كل موقع عسكري لا يخلو من ثلاثة أفراد مفرغين لتجميع ورصف قذائف الدبابات»، وورد أن الأوامر بالتحرك والانتقال لا تصدر إلا بعد تجهيز شاحنة تحمل غنائم الحرب للجنود الغلبانين: الخراطيش.

ويحكى أنه في أحد المواقع العسكرية المكونة من أربعين فرداً تمكنوا من جمع ٢٥٠ خرطوشاً، وكانت صفقة مضمونة للبيع بمليون و٧٥٠ ألف ريال، وقد صدرت الأوامر بالتحرك، وارتبكوا وتركوا خراطيشهم، وتقدم الحوثيون وسيطروا على موقع الخراطيش، وفي الأثناء جن جنون أفراد

الموقع واستداروا لقتال الحوثيين وتحرير الخراطيش، واستعادوا الموقع وانقطعت عن الخطوط وحوصروا؟!.

وأصبحت الاستراتيجية القتالية للحوثيين تنبني على القاعدة المعلوماتية الخاصة بالخراطيش، فكلما تجمعت لديهم معلومات عن كمية الخراطيش عند أفراد أي موقع يكون القتال بالنسبة لهم أكثر متعة وبسالة وضراوة.

وحدهم تجار النحاس يتجولون بسلام في مواقع القتال ويشترون من الجيش والحوثيين ويستقبلون من القادة والأفراد بترحاب وكأنهم تجار «محبة وسلام». ويقول شهود عيان إنهم سمعوا ذات مرة أحد التجار يسأل طاقم دبابة عن خراطيش فاضية فاستمهلوه بعض الوقت، وقاموا بإرسال عشر قذائف إلى الجبل المقابل وقالوا له «اقطب سبعين ألف ريال».

من هنا يتفسر انكماش المجال ورفضه لاستقبال منظمات الإغاثة والمساعدات الإنسانية والإعلاميين، بل ومنعهم من دخول صعدة.

ثم إن عنوان «الخراطيش» يضعنا على عتبات أوسع لقراءة ما يحدث في هذه البلاد التي غربت عن سمائها شعارات كثيرة وفي مقدمتها شعار «التنمية المستدامة» الذي لم يُفعَّل في نطاق الممارسة الميدانية والإنجاز، وعوضا عنه، ولم تعد البلاد تدار بالأزمات، كما يتوهم بعض الطيبين، بل صارت تدار بالحروب على كافة الجبهات والمستويات والمجالات.

حروب العصبيات والطوائف والمذاهب، والحروب على الوكالات التجارية والثروات والمناصب، وعلى «البقع» و... إلخ.

وعلى خط هذه الحمى المستعرة، المستمرة، المتفاقمة والمتناغمة خطاباً وممارسة تدافعت ألسنة نيران هذه الحرب والتهمت أركان السلم الاجتماعي، وأكلت الأذهان والمضاجع، والساحات العامة وجولات الشوارع في الصحافة والسياسة، وعجنت النفسيات والذهنيات وأعادت صياغتها ومعها اللغة والحسابات والتصورات، واستراتيجيات العيش وتدبيرات المعيش تبعاً لمزاجها، وأشاعت مناخاتها وتفريخاتها وانزياحاتها ومفرداتها وأطرها في كافة أرجاء البلاد.

هكذا تطاولت سلطة (الخراطيش) وانكبس الزمن في اليمن بقالب خرطوش نحاسي وتكهرب بأنفاسه، وتدولب بحكم نفسيته.

إنها نفسية الخرطوش يا هذا!

● استجابة لطلب ورجاء بعض الضحايا من العائلات الإيرانية أرجأنا نشر الحلقة الأخيرة من مقالة «الجيران: صدمة المستقبل»، فهناك من صوّر لهم أن كتاباتنا هي التي أعاقت إطلاق سراح المعتقلين.

● «النداء»، العدد ١٦٠، الأربعاء ١٦ يوليو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

ما كل مرة تسلم القبيلة!

يتجدد ميلاد القبيلة في اليمن كل يوم، وهي لا تعيد إنتاج نفسها، بل تكبر وتكثر وتزدهر وتنتشر وتتأسطر بتوقيع «ميدوزا» ذات الرؤوس المتعددة.

بدلاً من الاستغراق في ترف التنظير وعلك المقولات الصماء بشأن براعة القبيلة في إعادة إنتاج نفسها، يجدر بنا متابعة نشرات الأخبار الرسمية اليومية حق هذه الأيام بانتظام ودقة، والاشتغال على تفاصيلها المتعلقة بتنصيب «الأقيال الجدد» في الدوائر والمؤسسات والشركات الرسمية والإيرادية العامة.

وفي السياق لا ينبغي التهوين بما يتردد من أخبار عن مؤتمرات قبلية، وعن جيش شعبي- قبلي- وعن «مجلس تضامن وطني» وهو قبلي (مركزي) ومؤسس بهيئات قيادية ومجلس شورى.

ولئن تصور أصحاب «الذاكرة» أنها أصداء الماضي ترتد إلينا، فإن ذلك لا يبرر الاستهانة بهذه الاستدارة المستجدة والطاغية.

والمؤكد أن المؤسسة القبلية النافذة والمتحكمة بالمفاصل الرئيسية للحكم أصبحت اليوم مكرسة أكثر من أي وقت مضى، وهي الرابح الأكبر من كافة الحروب الأهلية المستمرة والمستدامة من سبتمبر ١٩٦٢ إلى هذا اليوم الأغبر.

وقد كانت، ولازالت، هذه المؤسسة تفرض بَصْمتَها على المجال السياسي العام وتختطف السياسة وتخسف بالمدنية والمواطنة.

ذلـك أنـه بعد كل حرب كانت المؤسسـة القبلية تخرج أقوى وأغنى وأحسـن تسـليحاً وأكثر نفوذاً، وتلازم ازدهارها في ظل الحروب ومع انعدام الاستقرار السياسي.

ولأن هذه المؤسسـة «ترى في قيام دولة القانون والنظام وبناء دولة حديثة تحدياً لها» -بحسـب د. أبو بكر السقاف- فإنها تعتمد الحرب كقاعدة وحيدة لتكريس دورها، وفرض سطوتها وسلطتها.

من هنا لا غرابة أن نسـمع اليوم عن مؤتمرات قبلية تسـتحضر مؤتمر عمران في ١٩٦٣، وغيره من المؤتمرات، وعن مجلس شورى قبلي وجيش شعبي وكل ما من شأنه «تزويد المؤسسة القبلية بسلطة تشريعية وجيش»، وما يعنيه ذلك عبر «استخدام الشورى بدلاً من الديمقراطية»، ونزع الصفة المدنية عن السياسة لحساب توطين «السياسة» التي لا تعترف بغير القبيلة وعلى رأسها الشيخ، ونفي وجود المواطن الذي تنظر إليه في أحسن الأحوال باعتباره «رعوياً» -المصدر السابق.

ولا غرابـة أيضـاً أن ينعقـد التحالـف وبالأحرى الـزواج الكاثوليكي بين المؤسسـة القبلية والتيار السـلفي تحت مظلة سـلطة الفسـاد والاسـتبداد التي تستمد شـرط البقاء من الاتكاء على العصبيات واعتماد مبدأ «فرق تسد» وإدارة البلاد بـ«الفتنة» والحرب.

ليـس ثمـة جديد يلوح في الأفق غير عاصفة الحركة الدائرية التي ترجع بنا إلى الصفر، ويمكن أن تأتي على الأخضر واليابس و... «ما كل مرة تسلم الجرة».

● «النداء»، العدد ١٦٢، الأربعاء ٣٠ يوليو ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

وقفت النار.. أوقفوا الحرب

يمارس التاريخ ألاعيبه الماكرة علينا بدهاء لا ينكر، وتترصع مقولاته في أذهاننا بزهو أيقوني يمتنع على المساءلة والنقد والتفكر، ومن مفارقات التاريخ وكتابه أن تلصق بصعدة صفة مدينة السلام منذ عهد بعيد، وكذلك وصفت العاصمة العراقية بغداد بأنها عاصمة السلام.. يا سلام.!

وكأننا لا نسمع ولا نرى هذا التاريخ المصبوغ بالدماء وهو يصفع العيون والأذهان منذ الأمس الغابر حتى الآن، وهو تاريخ يقول بتذابح على «الهوية»، وقد كان الأشنع على الإطلاق، كما كان تذابحاً تحت ظلال سيف سلطة الشخصنة الطاغية، والحيثيات الشخصية التي تحيل إلى المذهب، وصلات النسب، والأصول والفصول وما إلى ذلك من ترهات غبراء يتبرأ منها الغبار.

وفيما خص صعدة التي دخلت مؤخراً في «هدنة» -حسب التعبير المنحوت من صلح الحديبية وتفريعاته- يجدر أن نسأل عن إمكانية تطوير هذه «الهدنة» إلى سياسة عقلانية تفتح فضاء للعيش المشترك، وتنزع الألغام من الأرض والأذهان، ومن المعاهد المتطرفة المتقابلة والمتقاتلة والمتخندقة، جميعاً، في مدينة السلام.!

هل يمكن توسيع فكرة «الهدنة» وتطويعها بالمعنى الذي يفتح للناس طريقاً في خضم الأشلاء والأنقاض والأطلال.

ذلك لأن صعدة لم ترتبط بعقد مؤبد مع الحروب والحرائق، وأهلها جديرون بقسمتهم في العيش الآمن والكريم على ظهر هذه البلاد.

ثم إن هذا السؤال عن سبيل إخراج صعدة كما غيرها من المناطق الملسوعة بأعلى درجات حرارة التوتر والاحتقان، سيفضي إلى أفق أرحب يكتنف اليمن بهمومها.

وما كان لهذا السؤال أن ينطرح إلا لأن الالتباس والغموض اكتنفا قرار وقف إطلاق النار، ولأن الإعلان عن وقف النار لا يفيد بأن الحرب انتهت، فالحرب ليست نيراناً فقط، ومن الراجح أن تتجدد وتستأنف إذا لم تزل أسبابها وعواملها ومناخاتها.

ثم إن الضحايا والقتلى وعائلاتهم من الجانبين يحتاجون إلى ما هو أكثر من مجرد اعتبارهم «شهداء»، لأن ذلك من شؤون يوم الحساب عند الخالق وليس من شأن الفضائية اليمنية أو دار الرئاسة.

وبمنأى عن حسابات الأهواء، والأحقاد، والمشاعر الانتقامية يفترض تدوير زوايا قراءة صور الضحايا من كافة الجهات والاتجاهات والأعمار، وصور الدمار الذي حاق بآلاف المنازل والخراب الذي طال كافة مرافق البنية التحتية -إذا كانت هناك بنية تحتية أخرى منافسة للمقابر والقبور.

ولا بأس أن تكون القراءة شفافة لأن الأمر يتعلق بأكثر من ١٠٠ ألف نازح و٢٠ ألف أرملة، وآلاف الجرحى وألف منزل مدمر بحرف سفيان، وآلاف أخرى في معظم مديريات محافظة صعدة، والحديث يدور حالياً عن عودة بضعة آلاف من المقاتلين «الحوثيين» إلى منازلهم، وعن بقاء بضعة آلاف في مواقعهم إلى جانب قائدهم الميداني عبدالملك الحوثي (راجع الأسبوعين الأخيرين للغد).

كل ذلك يكشف بأن ما خفي أكبر وأعظم، وبمعنى أفصح؛ فالمسألة ليست «شرذمة» ولا «زمرة» ولا «طغمة» وما إلى ذلك من ملفوظات الإعدام السياسي للخصوم وذبحهم.

كل ذلك يلح على الدعوة إلى ردم باب المحرقة، وقطع أسباب الحرب، من باب المصالحة الوطنية اليمنية العامة التي تستوعب «الحوثيين» على قدم المساواة مع غيرهم وتخرج من دائرة التجزئة والتقسيط، لأن الزمن لا يسمح باستعادة مصالحة ١٩٧٠ بين «القبائل الجمهوريين والملكيين» من الزيود وحدهم، ولأنه بغير المصالحة العامة سنرتطم بالكثير من الحيثيات «الحوثية».

ولأن الأوان يدعونا للإمعان كثيراً في سؤال: «لماذا فعل الموت أيسر وأرخص من فعل الحياة»!.

● «النداء»، العدد ١٦٣، الأربعاء ٦ أغسطس ٢٠٠٨

نـــافذة

منـصـور هائـــل

مـش معقـول!

تمجيداً لفخامة البلاهة سنظل أسرى لما نقول إزاء ما يحدث وما نشهد ونعيش: مش معقول!

اعتقال الزميل محمد المقالح من قاعة المحكمة لمجرد أنه ضحك بسبب فيزيولوجي ومحض لم يمكنه من كبح سرعة استجابته للمثيرات التي ضربت على مفتاح الضحك في دماغه في حين قامت بتشغيل قرص البكاء المضغوط لدى غيره من الحاضرين في القاعة.

مش معقول!

اعتقال الزميل عبدالكريم الخيواني على ذمة تهمة لم توجه إليه، وإيداعه السجن المركزي دون سند من قانون، ثم الحكم بسجنه لستة أعوام بناء على منطوق حكم لم يشتمل على وصف النفاذ المعجل بشهادات جموع الحاضرين في قاعة المحكمة بكاميراتهم ومسجلاتهم وقواهم العقلية التي توافقت على أن الحكم كان من ست عشرة فقرة.

مش معقول!

قيام النيابة العامة، بعد انقضاء أسبوعين من النطق بالحكم في جلسة علنية، بإبلاغ هيئة الدفاع عن الخيواني «بأن الحكم مشمول بالنفاذ المعجل»، ما يعني أن الأمر انطوى على إضافة فقرة، وصار منطوق الحكم من سبع عشرة فقرة بدلاً من (١٦)، وكأن الفقرات تتوالد وتتكاثر في «الغدرة»!.

وإذا كانت المحكمة وقاعتها هي المسرح الذي احتدمت فيه الوقائع التراجيدكوميدية بالنسبة للزميلين الخيواني والمقالح، فقد كان من المأمول أن تعمل السلطات على ضبط مجال اشتغال اللامعقول أو التحكم بتنويعاته، وهي قادرة على ذلك من واقع خبراتها الطويلة والعتيدة في الاعتباط والعشوائية.

ولكن، وعلى العكس من المأمول، تأكد للعيان أن اللامعقول حالة مستحكمة وحاكمة، بل نهج ثابت من البهلوانية والاعتباط والخصوبة والعربدة القاصفة في المنحى الذي يبدو معه كل شيء: مش معقول.

اعتقال خبير القانون الدولي المحامي المعروف والناشط البارز في مجال الدفاع عن الحريات وحقوق الانسان د. محمد علي السقاف، من مطار صنعاء، وبالأحرى من الحافلة الخاصة بنقل الركاب إلى سلم الطائرة، ومنهم الدكتور السقاف وزوجته، واقتياده إلى سجن البحث الجنائي!

مش معقول!

اعتقال المحامي الذي اختارته قيادات الحراك الجنوبي التي ترزح في معتقلات صنعاء وبالتحديد القيادي الأبرز حسن باعوم، وما يطلق هذا الاعتقال من إشارات ورسائل للمعتقلين في السجون وفي نكايا السياسة بصنعاء وفي الداخل والخارج.

مش معقول!

أن تجد سلطة مستعدة للتطويح بالكرة الأرضية في سبيل البقاء، بينما تقدم على أفعال وارتكابات «نموذجية» لا يقدم عليها إلا من يصر على إقناع العالم بأنه لا يستحق البقاء.

وليس ثمة ما يفرق بين هذه السلطة وسلطة دعونا لها، وعدم مقدرتنا على الإمساك بالخيط الرفيع الفاصل الذي يشير بالقطع إلى أن صاحب هذا القلم وأضرابه منخرطون حتى الثمالة في الـ: مش معقول.

ما هو المعقول إذن؟ ما هو المعقول إذا كانت كل هذه الوقائع المتدافعة غير معقولة؟ هل هي حالتنا الذهنية وحدها معقولة أو ما استقر ووقر فيها من خلال المقرر في الفصل الرئاسي والكتاب والدفتر؟

ولكم أن تقولوا إنها حالة «المعلم» الذي تملكته سلطة عادة إنكار ما يرى والتعامي عن القمامة والقماءة والعفن والانحطاط، لأن المقرر في «المنهج» الذي يقوم بتدريسه لطلابه يقنعه بأننا الأفضل والأنقى في هذه الدنيا، وأن هذه الفظاعات والبشاعات والكوارث التي تحف بنا وتلتحفنا وتستقبلنا، وتستدبرنا ليست أكثر من «سحابة صيف»، وهي: مش معقول!

والواضح من كل ذلك الـ«مش» أننا بلا عقول وأن المسافة التي تفصلنا عن عتبات التعقل والعقلانية، بل التدبر السياسي العقلاني للأمور لازالت شاسعة شاهقة، ومن هنا كان كل هذا التخريف والتجديف وما إلى ذلك من علامات التلبّك المصاحبة لمجتمعات ما قبل الحداثة والدولة واللامعقول.

● «النداء»، العدد ١٦٤، الأربعاء ٢٠ أغسطس ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

بو تفليقة يمنياً

استحوذتني صورة الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة وطفت على سطح ذهني منذ أسبوع ولم تغرق أو تحرق على غرار ملايين الصور التي طالما برقت في الرأس واحترقت في ذات الثانية. وأصبحت أنام وأصحو وأتمشى وأفطر وأتعشى على صورة بوتفليقة وهو يتصفح كتاب «الجامع» الذي حصل عليه عندما زار صنعاء قبل أعوام كهدية من الهيئة العامة للكتاب لرئيس دولة شقيقة.

أصبحت أراه كما ارتسم في ذهني يوم سمعت من شاهد عيان وبالأحرى مسؤول يمني كبير، كيف كان عبدالعزيز عندما وقع «الجامع» في يده.

أراه وهو يحملق ويبحلق مبهوراً باللقية «اللقطة» النادرة، فرحاً بتوفره على شجرة العائلة والأنساب من البلاد الموصوفة بـ«أصل العروبة»- ليس على وزن أصل الإنسان!

والحاصل أن صورة الرئيس بوتفليقة علقت في ذهني باستحكام قوي لأني انفعلت وتأثرت بوقائع تقيم الدليل القاطع على يمنية بوتفليقة.. بالأفعال وليس بالأقوال، حتى إني أزعم أنه إذا لم يكن بوتفليقة يمنياً فسوف يكون من الصعب تعريفه. وفي ضوء هذا الاكتشاف، أزعم أيضاً أني تجاوزت ما ورد من إشارات في هوامش «الجامع».. وعلى من لا يصدق أن يتبعني.

●●●

تطرقت بعض الصحافة العربية الصادرة في لندن قبل أيام إلى المحن القاسية المحيقة بثمانٍ وخمسين أستاذة وأستاذاً منهم (٣٨) معلمة نفذن إضراباً عن الطعام منذ شهر وعشرة أيام ولم تستجب السلطات لمطالبهن بإعادتهن إلى أعمالهن، وتركتهن لمواجهة مصير مجهول قد ينتهي بالموت

في أسوأ الأحوال، خاصة وأن المصادر الطبية تفيد بأنهن فقدن نسبة ستين في المائة من أوزانهن وانخفضت حرارة أجسامهمن إلى ست درجات وأصيب أغلبهن بتشنج العضلات وانخفاض حاد في ضغط الدم، وانكمشت المسافة بينهن وبين الموت إلى أيام معدودات.

ويقول الكاتب الجزائري سليمان بوصوفة المقيم في لندن بأن الإضراب أثار انتباه الرأي العام المحلي والدولي إلا أنه لم يحرك سواكن السلطة، ويلمح إلى أن الإضراب يعبر عن ممارسة حضارية يمكن أن تؤتي ثمارها في أية دولة تحترم مواطنيها، وليس في دولة لا تقيم وزناً لمواطنيها، ويعتبر «الإقدام على مثل هذه المغامرة ضرباً من الانتحار»! الفاجع أن بعض المضربات تركن أزواجهن وأطفالهن الرضع وانضممن إلى الشقة التي يعتصم فيها الأساتذة.. فما ذنب الأطفال؟!

واللافت أن الرئيس الجزائري بوتفليقة أقر في آخر خطاباته بمحنة البطالة وغيرها من الخطايا، واعترف بأن «تسع سنوات من حكمه لم تكن كافية لاكتشاف هذه الخطايا» مغازلاً الجزائريين المساكين أنه سيشرع في تصويب الأخطاء مستقبلاً. بمعنى أنه يحتاج إلى خمس سنوات أخرى في كرسي الرئاسة ليقضي على الفساد والبطالة، وقد هيأ لذلك بتعديل دستوري. ويقارن بوصوفة بين وضعية هؤلاء الأساتذة الذين لجأوا إلى الأسلوب الحضاري في الاحتجاج وبين من يسمون بـ«الإرهابيين التائبين» الذين عفت عنهم السلطات وتناست الجرائم التي ارتكبوها بحق الشعب ثم عوضتهم مادياً عن سنوات لجوئهم إلى الجبال ووفرت لهم منحاً مالية كتلك التي يستفيد منها الفدائيون والشهداء في سبيل الثورة.

وختم بوصوفة: «هذه الإجراءات تبعث برسالة واحدة إلى المواطن الصالح، وهي أن السبيل الوحيدة للحصول على الحقوق هو استعمال العنف والقوة واختراق القوانين وأن الجزائر لا ترحم المساكين والمغفلين والصالحين. لكن التاريخ يعلمنا بأن الأمم المتحضرة لا تبنى بالعنف بل بالمواطن الإيجابية وهي تعني توفير الحقوق في مقابل الالتزام بالواجبات» (راجع القدس العربي ١٩ أغسطس).

وبدلاً من التعليق على بوصوفة سأكتفي بالتوكيد على أن ما تقدم كانت الجزائر هي مسرحه وليس اليمن، ما يقطع بأن بوتفليقة يمني من زمان وحتى الآن وبشهادة ومنطوق الوقائع وليس بإشارات وغمزات هوامش «الجامع».

● «النداء»، العدد ١٦٥، الأربعاء ٢٧ أغسطس ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

في مآلات إبرام عقد الزواج بين رجلين!

في حين يتردد ذكر بعض الأسماء وتشتهر ولا تنسى، لأنها استطاعت دخول التاريخ من باب المغامرة والإنجاز المشهود، فهنالك أسماء تذكر وتشتهر هي الأخرى، لمجرد أنها خرجت من التاريخ بفرقعة مدوية لا تنسى، أو بـ«منكر» لا يغتفر، إذا ما استعرنا من لغة الفقهاء.

ويستبعد كاتب هذه السطور أن يكون وزير العدل الحالي الدكتور غازي الأغبري من الصنف المتهافت على تحصيل شهرة لن تأتيه بعوائد أكثر من تلك التي حصدها أحد أسلافه، وهو وزير سابق للعدل اشتهر بـ«فتوى» إباحة دماء أهالي عدن وغيرها من المحافظات الجنوبية عشية اندلاع حرب ١٩٩٤ وذاعت شهرته من ذلك اليوم، وأصبح اسمه يذكر بمنكر تلك الحرب الكارثية، وصار من علاماتها الفارقة واللصيقة، ولم يعد بالإمكان فصل أحدهما عن الآخر، فهو الحرب والحرب هو، ولا فرق، ولا يتسع المجال لأكثر من الإفصاح عن الحرف الأول من اسمه: الدكتور عبدالوهاب الديلمي.

لم نكن في وارد عقد هذه المقارنة بين الوزيرين. ولسنا بصدد الذهاب مع غوايتها إلى أبعد مما يحتمل المقام والمقال، وإن كان الواجب يدعونا إلى لفت قيادة وزارة العدل ووزيرها نحو كارثة طارئة لا تقل من حيث خطرها وأثرها عن كارثة حرب ١٩٩٤ التي استهدفت «الجنوب»، كون الكارثة الطارئة والجديدة تستهدف إلغاء الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الشرط الوجودي والإنساني والسيادي لليمن، كما تستهدف هدم جسر التواصل واللقاء مع الإنسانية المعاصرة.

ذلك ما تعنيه آخر وأخطر الضربات التصفوية للمرأة، من المجالين العام والخاص، وهي الضربة التي تمثلت بحذف المساحة الخاصة بتوقيع المرأة، الزوجة، على عقد الزواج، بوصفها طرفاً في

العقد، واستبدالها بمساحة لتوقيع ولي الزوجة، ما يعني حذفها فيزيائياً، وجودياً، إنسانياً... الخ. ولما كانت هذه الضربة بالغة العنف، بعيدة المدى، فقد صار من الوارد أن تجرجرنا إلى المربع الصفري لنتخبط بالبداهات ونتحوصل في سؤال العقد: وكيف يكون؟

عقد الزواج الذي يقضي بتصنم العلاقة بين شريكين من جنسين مختلفين، وبالأفصح رجل وامرأة، هل يجوز أن يبرم بين رجل وآخر؟!

وبما أن شطب المساحة الخاصة بتوقيع المرأة على عقد الزواج ينسف العقد من أساسه ويستبطن تصغيرها وتحقيرها وشطبها، في مخالفة فجة لمنطق البداهات الحقوقية والحضارية والفلسفية التي أصلت وأسست وأطرت لعملية اندراج البشرية ضمن أفق الرشد العقلاني الحداثي المحكوم بـ«العقد الاجتماعي» ومتوالية العقود الأخرى الناظمة لشتى مجالات الحياة؛ فإن ذلك «الشطب» يفصح عن رجعة إلى ما قبل السياسة، والوطن وإحصاء الأمة بنزع الشدة المنصوبة من فوق الميم واستبضاع النساء كجواري وإماء... إلخ.

ولأن المجال أضيق من أن يتسع للتحديق في مآلات هذا «الشطب» فقد كان لا بد من تسجيل ملاحظة سريعة خاصة بملابسات هذ الضربة التي تشير إلى أن من أعدوا لها كانوا من ذوي الاختصاص والخبرة بهندسة الوصفات الناجعة للكوارث، ولذلك حرصوا على أن تكون مباغتة وقد ورد في أسبوعية «الميثاق» الصادرة عن الحزب الحاكم أن الأمناء الشرعيين والمخولين بكتابة وتوثيق العقود الشرعية فوجئوا بنزول نموذج لعقود الزواج صادر عن الإدارة العامة للتوثيق والتسجيل بوزارة العدل تخلو من مساحة لتوقيع ولي الزوجة.. في الوقت الذي يعلم الجميع أنه ليس كل النساء اللواتي يتزوجن يكون أولياء أمورهن آباءهن، كما ليس كل النساء يتزوجن أبكاراً، حتى تلغى توقيعاتهن، ويكتفى بتوقيعات أولياء أمورهن «الميثاق، ١ رمضان/ سبتمبر».

وهنالك أشياء لم تخطر على بال «الميثاق» ولا تخطر على بال أي أحد حتى الآن. ومن الراجح أن ينسحب هذا «الشطب» على مجالات وشؤون كثيرة، وأن يلقي بظلاله على مساحات أكبر، ويخنق هوامش حركة المرأة وحقها في التعليم، والسفر، والمشاركة في الشأن العام وغير ذلك!

من الراجح، أيضاً، أن تستدع الخبرات الطالبانية لتقدم التفسيرات والإجابات المصاحبة لهذا «الشطب» الذي يستلزم إعادة توصيف اليمن بما يستوعب طبيعة توطنها في ما قبل «العقد الاجتماعي» ورجعتها إلى ما دون «العقد البدائي». إلى هنا ومازالت جملة «الشطب» تحتاج إلى المزيد من الحفر والتوسيع.

● «النداء»، العدد ١٦٦، الأربعاء ٣ سبتمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

الإسلام المذعور من لمسة «نور»!

ما زالت البلاد العربية مسرحاً لقصف تداعيات المسلسل التركي «نور» ولم تنقطع أخبار خراب البيوت والعائلات، والاضطرابات والفوضى التي ضربت أركان السكينة الزوجية في أكثر من بادية ومدينة، وأسفرت عن تطليق زوجات لمجرد أنهن ضربن بمس من «نور»، على غرار تلك الجزائرية التي أفشت في أذن جارتها أنها تحلم بمسامرة ومجالسة الممثل التركي «مهند».

وتتغذى هذه النيران بكيروسين الفتاوى التي تتصدرها، كالعادة، فتوى مفتي الديار السعودية بتحريم المسلسل وإنزال عقوبات الرجم والجلد والإعدام بمن شاهدوه وأنتجوه ومثلوه.!

وكما أحدث المسلسل رجة في الأعماق، على افتراض أن للقشة أعماقاً، وأفضى إلى خراب بيوت وانفراط زيجات، فقد تفجرت مفاعيله، ومفعولاته في الفضائيات ووسائط الصحافة والإعلام على شكل سجالات محتدمة تندب حظ «الأمة» وكسوفها، وتحرث في حقل السياسية (إذا كان ثمة سياسة)، واهتزت كيانات حكومية وأصبحت مصائر بعض الوزراء والوزيرات في مجرى الإعصار.

ذلك ما حدث في الأردن، مثلاً، عندما ألح أحد النواب على مقابلة رئيس الوزراء بأسرع وقت ولم يفصح عن السر الخطير والمصيري الذي أراد أن يختص به رئيس الحكومة الذي لم يجد بدا من الاستجابة للطلب العاجل لأنه لم يكن يعلم بأن عقل النائب يقع في طرف لحيته وأن هذا النائب سيتذرع بالغيرة على مصير الشعب والأمة من أجل شيء تافه.!

وعند المقابلة انكمش رئيس الوزراء الأردني وبهت وهو يسمع شكوى النائب البرلماني (لدينا منه

الكثير) بوزيرة الثقافة نانسي باكير لأنها قابلت وصافحت الممثل التركي أكيفانس «مهند».

وكان النائب يعيد ويكرر تذكير رئيس الوزراء! بمنطوق فتوى منع المسلسل وحكمها برجم بطلاته وإعدام من يسمح بعرضه.

ويقال إن الوزيرة صرخت فيما بعد أنها قابلت الممثل التركي بالصدفة عندما حضرت حفل عشاء في مقر السفارة التركية بناء على دعوة السفير.

وقد نشرت بعض الصحافة حينها وبعدها أن الوزيرة لم تكن تقصد مقابلة الممثل ولم تلمس تفاحة الغواية ولم تكن تعلم بوجودها. وكما لو كان على الوزيرة المدعوة إلى المنافحة عن إشاعة ثقافة الحوار والتسامح والتنوير إلى تبرير مقابلتها للممثل واتخاذ موقف الدفاع المذعور لاتقاء هجمة خفاش.

إنه العقل العربي، إذا ما كان للقشة عقل، وهي الهشاشة التي بلغت بهذه «الأمة» ذروة لم تعد معها تحتمل لمسة «نور» فما بالكم باحتمال غزوات الغزاة المدججين بآخر صرعات الأسلحة النووية والنورانية.

ولكم أن تقولوا إن مصائرنا أصبحت محكومة بنفسية وذهنية ذلك الكائن الذي يهتاج كالمسعور من أية وشاية بنور وهو: الخفاش، سيد الموقف.

● «النداء»، العدد ١٦٧، الأربعاء ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

رمضان كريم

كيف يمكن احتواء تداعيات انهيار الاستثمار واقتصاد البلاد ومكانتها بسبب مقتل مطربة، ووفقاً للشبهات التي تحوم حول رجل أعمال مرتبط بمطبخ السياسة وصناعة القرارات في النظام الحاكم والحزب الحاكم؟

كيف يمكن إنجاز المهمة بتعليق خفيف، كثيف، يستوعب تلابيب جريمة فتحت أبواب الخيال على آخرها بدراماتيكية رشحتها لأن تكون أكثر إثارة وجاذبية من المسلسلات التلفزيونية الرمضانية؟

وبما أن الجريمة خرجت من جلباب النظام أو الحزب الحاكم فمن الواجب أن ينظر لهذا الحاكم بوصفه صاحب دور البطولة في اختراع رجال أعمال طارئين اجتمعت في أيديهم عناصر المال والجاه والسلطان -مثلث الخطايا- وصار عليه أن يتهيأ لاستقبال الضربات المرتدة الكفيلة بزعزعة أساساته ونزع أنفاسه.

وليس ثمة شيء آخر ينتظر من هؤلاء الطارئين المتحصنين بمراكز النفوذ العليا، والذين لا يتورعون عن خرق القانون والدستور بخفة واستهتار كما لا يتورعون عن سحق كل من يعترض سبيلهم ومن لا يستجيب لرغباتهم وشهواتهم الماجنة.

وحتى لا يلتبس الأمر يتوجب التنويه بأن اليمن بنظامها وحزبها الحاكم ليست هي المقصودة بهذا التعليق رغم التقاء القاهرة مع صنعاء على خط عدم الاستواء في أشياء كثيرة تتصدرها كوارث (الحاكم) هنا وهناك.

ولـن نأتـي بجديـد عن مقتـل الفنانة اللبنانية سـوزان تميم بشـقتها في مدينة دبـي أواخر يوليو الماضي وعن ملابسات نهايتها الفاجعة التي تحولت إلى قضية رأي عام في مصر.

واللافـت أن قـرار النائب العام فـي مصر بالتحفظ على قيادي كبير في الحزب الحاكم ورجل أعمال من العيار الثقيل -إمبراطور العقارات- وحبسه بعد رفع الحصانة عنه في سجن مزرعة طرة الخاص برجال الأعمال وغيرهم من عناصر نخبة الفسـاد، وفر مادة خصبة للصحافة المصرية والعربية التي فتحت نيرانها على أولئك الذين صعدوا خلسة إلى مراكز الحكم والتحكم واستغلوا المناخ الذي أتاح الفـرص لمـن يجيـد أقتناصها، وتربوا في أحضان السـلطة، والتصقوا بحاشـية صناعة السياسـات والقرارات، وانفتحت أمامهم خزائن البنوك ومنحت لهم العطايا المجانية والمليارات السلهة، والقروض الميسـرة، وصـاروا مـن «أمراء مصر الجدد»، ومن شـركاء الدولـة الذين يعملون «بدرجـة رجل أعمال» ويستفيدون من زواج الثروة بالسلطة، ويكسبون المليارات بسهولة شديدة دون أي مجهود حقيقي.

وانكشف المطبخ وتعرى، وصارت أسرار وخلفيات مصرع الفنانة سوزان تميم فاكهة الأيام والأماسي الرمضانية المصرية، وملح النكتة المتجددة والمتوالدة بكثرة في الصحافة المطبوعة والمرئية، القومية والمعارضة، حتى إن مجلة روز اليوسـف نشـرت كاريكاتور تظهر فيه قضية سـوزان تميم على شاشة التلفزيون، وقضيتها وهي مسموعة من الراديو، ثم وهي تقرأ في الصحيفة وفي وقت واحد، ما جعل القارئ الذي كان يتصفح الجريدة في الشارع يردد: رمضان تميـ... قصدي كريم!

في ذات المنحى قال آخر: صدقني، أنا عايز ربنا يفك حبسه علشان يخلصنا من بقية المطربات.

وعلق ثالث: أهو الحزب الوطني بقى ما يقدرش في حكاية المطربة يقول بناء على توجيهات السيد الرئيس.

وقال رابع: لما يعرفوا مين اللي قتل المطربة أسـمهان من سـبعين سـنة يبقوا يعرفوا مين اللي قتل المطربة سوزان تميم من سبعين ساعة.

وعلق حانوتي: المطربة ح تدفن في مصر.

وقال مدير تحرير «الأحرار»: قال شيخ الأزهر عن سوزان تميم إنه من مات بهذه الطريقة فهو شهيد، ومازال البعض يشكك في استشهاد من يقومون بعمليات انتحارية.

وإلى هنا سنختم بالقول: اللهم لا شماتة، فالحال من بعضه، ورمضان تمـ.... أقصد: كريم.

● «النداء»، العدد ١٦٨، الأربعاء ١٧ سبتمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

لمراجعة وصفة الكارثة

يبدو أن اتجاهات قراءة الإدارة الأمريكية للعلاقة الخاصة بين تنظيم «القاعدة» و«النظام» الحاكم في صنعاء تحتاج إلى مراجعة شاملة وعاجلة تتلمس وتلتقط الخيط الرفيع الذي يميز صنعاء عن بغداد وإسلام أباد.

والواضح أن اتجاهات القراءة المعلنة من قبل واشنطن لعلاقة «التنظيم» بـ«النظام» لا تنطلق من تعريف واضح لكل طرف، ولا تريد أن تقر باستعصاء إمكانية التعريف الواضح لملامح الشبح. وليس ثمة ما يشبه الشبح في امتناعه على التعريف الدقيق غير شيئين اثنين، هما: تنظيم «القاعدة»، و«النظام» الحاكم في صنعاء. وثالثهما -خاصرة إن شئتم- الإرهاب، الذي احتار واعتاص العالم في تعريفه!

وبمعنى أفصح فإن واشنطن اليوم كما في كامل حقبة بوش الأصولية المتطرفة خصوصاً، تتعاطى مع الحالة اليمنية بالاستناد إلى قراءة خاطئة وكارثية، لأن اتجاهات تلك القراءة لا تحيط بمسار وملابسات وتقاطعات وتناقضات علاقة «القاعدة» بالنظام الحاكم، ولا تلامس الخيط الفاصل الذي تتميز به اليمن وترتسم بموجبه بما هي «خاصرة رخوة» تكمن خطورتها في رخاوتها ولن تحتمل الضغوط الأمريكية العنيفة والابتزازية التي طالما أفضت إلى مصارع الجنرالات ورؤساء الجمهوريات في تلك الأرجاء.

والمصيبة أن هنالك الكثير من الرسائل والإشارات التي درجت الإدارة الأمريكية على توجيهها لأركان الحكم في باكستان أدخلتها مؤخراً في نطاق الاستخدام اليومي والاستراتيجي على مستوى التخاطب والتعاطي مع نظام الحكم في صنعاء.

وتبعاً لتلك الرسائل اندرجت اليمن ضمن عناصر القوس الملتهب، المكون من أفغانستان وباكستان والصومال واليمن.

وتطالعنا التصريحات الصادرة عن المسؤولين، والمنشورة في الصحافة الأمريكية، بما يؤكد ذلك، خاصة بعد عملية الهجوم التفجيري التي استهدفت السفارة الأمريكية يوم الإربعاء الماضي، حيث توافق الخبراء والمحللون الامريكيون على عدم الرضا عن طريقة صنعاء في التعامل مع ملف التشدد الإسلامي.

ولاحظت بعض الصحافة الأمريكية أن العلاقات بين واشنطن وصنعاء توترت مجدداً وعادت إلى نقطة احتدامها عشية إخلاء سبيل جمال البدوي الذي تطالب به واشنطن لضلوعه في تدمير «كول» عام ٢٠٠٠.

واستعادت الصحافة الأمريكية كامل شريط عمليات «القاعدة» مع أخبار هروب قياداتها من السجون، ومع الإشارات المتكررة لاختراق متبادل بين الأجهزة الأمنية و«القاعدة»، ومع التذكير بأن الحكومة اليمنية غير مسؤولة في تعاطيها حتى مع ملف اليمنيين المعتقلين في جوانتانامو وعددهم هو الأكبر بين المعتقلين المسجونين على «القاعدة».

وورد في صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» أن اليمن هي المكان الذي يمكن لـ«القاعدة» أن يجد فيه ملجأ آمناً، لأن الحكومة ضعيفة، ولوجود صلات بين المسؤولين و«القاعدة».

ووردت إشارات إلى جيل ثالث من «القاعدة»، وبالأحرى «المجاهدين» العائدين من العراق، وهو جيل لا يعترف بالمعاهدات بين الجيل الأول والسلطات الحاكمة، وتفيد الأخبار بأن العمليات الأخيرة في صنعاء وحضرموت من صنعه.

وثمة إشارات خفيفة إلى أزمة اقتصادية خانقة تقف على خلفية الانفجارات والتفجيرات المنسوبة إلى «القاعدة».

والمحنة أن كل تلك الرسائل والإشارات لا تفيد بأكثر من إصرار واشنطن على التمسك بوصفة الكارثة التي تستعجل دفع اليمن إليها وتستعجل معها ارتماء اليمن في أحضان وحدة فورية مع الصومال بما هي عليه.

إن اليمن يا هؤلاء تحتاج إلى تأهيل يزحزحها ويخلصها من الانحباس في خط «القاعدة»، وهي لن تتخطاه إلا بامتلاك شروط الإقلاع الثقافي والتعليمي والاقتصادي والسياسي عن الوضع الذي كان ومازال منتجاً لـ«القاعدة» ومشتقاته، بدعم من واشنطن وحلفائها الإقليميين وكافة الأطراف التي راهنت على تراكم عناصر خلل الداخل إلى أن أصبح النظام في اليمن قاعدة لـ«القاعدة»، وأي قاعدة أحسن من بلاد تتخبط في العشوائية والاضطراب والفوضى وغياب الدولة والقانون، وتفشي أحزمة النار وأرخبيلات الجزر المتفجرة والعصبيات المتقاتلة!

● «النداء»، العدد ١٦٩، الأربعاء ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

اليمن: كم الساعة؟

يحرجني جداً أن يكون شأن اليمن اليوم كشأن غبي المثل الصيني الذي «يشار له بالإصبع إلى القمر، فيتطلع إلى الإصبع ويهمل القمر، فيقصر عملية المشاهدة على تفصيل من تفاصيلها نافل أو جزئي لا يعتد به، عديم الجدوى، والدلالة» بحسب صالح بشير («الحياة» ١٢ أكتوبر).

والمحرج أكثر أن تتكرس اليمن كشيء يدعو إلى التندر على قدميه اضطربت أدلتها، والضحك على حداثة مستضافة من قبل القيامة.

المزعج أيضاً أن تتكرس اليمن كشيء مثير للضحك و«ملطشة» يستخف بها الناس في الداخل والخارج، ويجتمع عليها الفرقاء تصغيراً وتحقيراً وعلى خط الاكتفاء بتقديرها في حدود ما تستحق أية مستحاثة حضورية ومتحف ينبغي أن يعترف العالم بأنه تأخر كثيراً في تداركه بسور يليق بمقام محتوياته من الكائنات النادرة، الغريبة، والقادرة على المزاوجة بين حمار وهاتف «سيار» ورقصة حرب «البرع» وديسكو، بإقامة معتبرة بشتى المفارقات في أرشيف منحوت برأس رمح القبيلة، العصابة، ومؤثث بحيثيات «جنبية»: خنجر راجل! ولن ننزلق إلى السؤال عن أسلوب عيش هذا الخنجر المتحرك: اليماني.

ذاك لأن المحرج والمزعج، بل والمؤرق، يكمن في أن صورة اليمن تنمذجت بتصورات وأحكام قطعت بانتمائها إلى عالم الكذبة والخرافة.

فهي (أي اليمن الرسمية خصوصاً) تصرح بمعاناتها من اختراق شبكات استخبارية إسرائيلية،

رد عليها المصدر الإسرائيلي باستخفاف دون أن يردف: أين تقع اليمن؟ وكم ساعتها؟

وهي (اليمن طبعاً) تحاكم الشبكة الإسرائيلية، والشبكة الإيرانية، والشبكات السعودية على افتراض أن تنظيم «القاعدة» ومشتقاته من الصادرات السعودية.. وتتحول إلى محكمة شاسعة، مقنعة بأنها لا تستطيع مبارحة موقع محكمة التفتيش ودولة السلطة القامعة، الأمنية، المرتاعة والهذيانية.

المهم أن دولة السلطة في اليمن والناطق الرسمي المتحدث باسمها أكان أمنياً، سياسياً، أم أكاديمياً، من الداخلية أم من المالية، ينبغي أن يكف عن إحراج وإزعاج وقتل السكان في هذه البلاد من الخجل نيابة عن سلطة لا تقصد ما تقول، وتلوك كلمات: الجمهورية والوحدة والتعددية والديمقراطية، وهي منغمسة في العكس تماماً، ولا تبارح موقعها في الاغتذاء على الانقسام، والتعيش على «شعب يمني» متشرذم إلى أقوام، جماعات، قبائل، عشائر، متقابلة، متقاتلة لا يجمع بينها سوى الاقتتال والانفصال، ويقال إنها (الوحدة) لمنفعة الحاكم وعائلة الحكم.

والمؤكد أن «النظام» الحاكم لم ينجز غير «الفضيحة» إلى الدرجة التي لم يعد فيها وكيل وزارة المالية وهو أكاديمي، قادراً على تلافي اعتباطه عندما قال إن اليمن لن تتأثر من الإعصار الذي ضرب الاقتصاد الأمريكي، وانداحت تداعياته لتعصف بأوروبا الغربية واليابان، والعالم بأسره.

وكأن اليمن تقع في كوكب آخر، أو جماد لا يؤثر ولا يتأثر إذا ما جاز التصديق بالتوصيفات القرآنية والكيانية، وكأن هذا الذي يحكم اليمن يستلذ بالإقامة في الأصبع ولا يرى إلى أبعد منه لمجرد أن الرؤية البعيدة تشوشه وتربشه.

وكأن ما يحدث تنقصه السينما وما بعدها ويحتاج إلى المزيد من الدعاء للسماء بأن تصيب المصدر الرسمي بالخرس وتكف عنا أوزار الحياء، بعد أن أتلفتنا أوزار الفساد والفوضى والاستبداد ولم يعد بمقدورنا تحمل الاستفزاز العدواني لتصريحات الاستيلاء والاستغناء والحمق الفائض.

● «النداء»، العدد ١٧٠، الأربعاء ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

فرقاء «الورطة»

كما يتوجب على حزب المؤتمر الشعبي العام أن يكف عن التوهم بأنه لا يحتاج لأكثر من عملية شد وجه- جراحة تجميل- فإن أحزاب اللقاء المشترك مدعوة إلى الإقرار بأنها تحتاج إلى عملية تظهير وجه وإلى ماهو أكثر من ذلك.

ومن الأنسب للطرفين الاستجابة لنداء اللقاء في منتصف الطريق وعلى مائدة مستديرة تعين كل طرف على التقاط وجهه، أو الاهتداء إليه في مرآة صاحبه، أو الانبهار برؤية وجهه على رأس صاحبه في الطرف المقابل.

ذلك لأنه لم يعد المجال يتسع للرقص في الظلام، وصفقات الكواليس والمراوحات وألاعيب القطط والفئران وحرق الأعصاب. فليس بمقدور المؤتمر ترميم وجه أتلفه الدهر وعمليات الشد والرتق واللصق، أصابه التلف كما أصاب المفاصل والدواخل.!

وليس بمقدور المشترك الاتكاء على جدران المراوحة إلى ما لانهاية والاعتماد على تدخل المصادفة، والتلويح بالشيء ونقيضه و... إلخ.

ولم يعد في الوجه متسع لوجه كما لم يعد في الوقت ما يتسع للقول بالشيء ونقيضه: مع الانتخابات ورفضها، مع (الكوتا) النسائية وضدها، ومع القائمة النسبية وعليها، ومع توصيات الاتحاد الأوروبي وضدها و... إلخ.

ولما كانت المعطيات والوقائع والشواهد تقطع برزوح هؤلاء الفرقاء تحت دائرة ضغط الاحتباس السياسي الخانق والمنذر بانفجار طوفان يلتهم الأخضر واليابس والحجر والبشر، وبما لا يقاس مع ذلك الفيضان الذي اجتاح حضرموت والمهرة ودفع بالمراجع العليا إلى إعلانها مناطق منكوبة.

ولما كان هذا الاحتباس يستوجب الاعتراف به كخطوة أولى في طريق التخفف من كوابحه فإن الخطوة التالية المطلوبة بإلحاح تكمن في اجتماع هؤلاء الفرقاء على كلمة سواء- كما يقال- وفي توافقهم واتفاقهم على تأجيل الانتخابات بإعلان صريح، وما أوفر وأكثر الذرائع المقنعة والمفجعة الداعمة للتأجيل.

والراجح أنهم سوف يخرجون بإعلان رنان طنان عن تأجيل الانتخابات يقول بأن «المصالح العليا» كشعب ومقتضيات الحفاظ على «المسار الديمقراطي»، وغيرها تستوجب تأجيل الانتخابات. ويمكن تضمين الإعلان التأكيد على أهمية تسوية أرضية الملعب والتي تحتاج إلى خبراء في نزع الألغام، وردم الحفر، وإزالة المطبات والمخلفات حتى تتأهل لممارسة اللعبة السياسية ومن ثم الانتخابية بالحد الأدنى من النظافة.

وبدلاً من أن تستمر لعبة القط والفأر ويعتقد كل طرف أن بمقدوره «توريط» الآخر بدفعه إلى طلب تأجيل الانتخابات لاصطياده بتهم التراجع عن المسار والانقلاب على «المصالح العليا»! بدلاً من ذلك سيكون من الأسلم للطرفين أن يجتمعا على حقيقة أنهما في «الورطة» سواء، وليس من حق الأعرج التباهي على الأعور، كما ليس من حق هذا أو ذاك أن يسقط عاهته على العالم بالإصرار على وضعه بين فكي: إما، أو.

وإذا كانت الرغبة في تسهيل الأمور مطلوبة من الجميع فما عليهم إلا الابتهال إلى الرب الذي أنعم عليهم بالأمطار والسيول وكارثة الفيضان، وهي كارثة تلهم الكسالى قبل ذوي الهمة بما يعزز إعلان تأجيل الانتخابات بحيثية النكبة.

وقد كان لإعلان المحافظات التي اجتاحها الفيضان كمناطق منكوبة نعمة من السماء (لعردان) أعمى.

ثم إن ملاحقة رئيس الجمهورية والمؤتمر للكارثة من المهرة إلى الحديدة ساعدت على تخصيب مادة الإعلان وانفسح المجال للقول بأن الكارثة عمت اليمن من أقصى الغرب إلى أقاصي المشرق وكانت «وحدوية» جارفة، ما يعني أن الانتخابات في أرض منكوبة لن تكون سوى ألعوبة وضحك على الدقون.

وإذا ما أردتم تعزيز المبررات فيمكن الاتكاء على واقع أن محافظة صعدة -مثلاً- منكوبة بالحرب، وأن الحراك الجنوبي الذي تنقطع أنفاسه إلى حين، بسبب الفيضان يستوجب التماطي بشيء آخر غير الانتخابات. وأن تدهور الأحوال المعيشية والأمنية والاقتصادية يجعل من قضية الإصلاح الشامل لأوضاع البلاد بأفق بناء دولة النظام والقانون، تحتل مرتبة الأولوية، وليست الانتخابات سوى جزئية ينبغي أن تندرج في إطار عملية هذا الإصلاح المنشود، فليس من شأن الإصرار على إجرائها بموعدها غير الإمضاء إلى عملية شد وجه «نظام» اتسع خرقه على كل راقع.

● «النداء»، العدد ١٧٣، الأربعاء ٥ نوفمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

من يجرؤ على السؤال؟!

مرة أخرى اشتعلت أسئلة التوريث مصحوبة بأسئلة الطوائف والمذاهب والمناطق والقبائل والعشائر والعائلات، التي يتحدر منها رؤساء الجملكيات العربية- جمهوريات برسم التوريث.

ولوحت بعض الأقلام في الصحافة المصرية إلى الأسرة «المباركية»، وإلى محافظة «المنوفية»، وغمزت بعض الصحافة اليمنية من قناة سنحان وبيت الأحمر والعصبية الزيدية، وبالتساوق والتزامن والتقاطع مع الموجة إياها، ألمحت بعض الأقلام السورية والعربية في الصحافة العربية اللندنية إلى آل الأسد والطائفة العلوية وجرى استحضار صدام حسين وأنجاله وآل المجيد وتكريت، ولم ينقطع التحويم حول صاحب الخيمة الأشهر والمعمر الأكبر والأسبق في احتلال منصب رئاسة جمهورية، بين أقرانه الحاليين، معمر القذافي وأنجاله.

وكأنما جاء فوز باراك أوباما ليشعل موجة عارمة من التلميحات والتلويحات والتهويمات والغمزات التي لا تذهب إلى أبعد من التنفيس عن جملة من الهواجس والاختلاجات المحبوسة بحرارة انفعالية نخطية لا ترقى إلى مستوى تشكيل السؤال العقلاني القلق المستفز لخمول العقول، والمحرض لفضولها باتجاه التحديق في ما وراء الغبار المستثار بحوافر الذهول والانبهار بما صار في أمريكا.

وتبعاً لهذا الانفعال كان اندراج القول بأن باراك حسين أوباما «معجزة» في إطار المألوفات، لأن قياس الأمور بذبذبة المشاعر والعواطف يفتح المجال لكافة اشكال التخريف والهذيان والتفسيرات المسنودة بشبكة القراءة الأسطورية التي تميل على الدوام إلى «مؤامرة» أو إلى تدخل الخوارق،

وتمتنع عن ممارسة القراءة العقلانية التي تتوسل ابتكار أوباما بنسخته اليمنية -مثلاً-.

أوباما النسخة اليمنية المخترقة للقبائل والعشائر والطوائف والمناطق باتجاه مواطنة ودولة يسود فيها القانون ويحترم فيها حق الاختلاف والشراكة والقبول بالمهمش الأسود/ الخادم والمرأة و«المولد» ابن المهاجر اليمني والإسماعيلي واليهودي والشافعي والزيدي و... إلخ، على سواد أوباما النسخة اليمنية التي تغوينا بأن نجرؤ على السؤال: ترى هل بمقدورنا ممارسة لعبة الخيال والتطلع إلى يمن تزدهي بكافة مواطنيها وإلى دولة القانون وليس إلى دولة السلطة.. السلطنة، الطائفة، العصابة والعصبية؟!

ترى هل بمقدورنا القول بحلم يمني، ولا ضير من التماهي بالأحلام وبالحلم الأمريكي الذي تراءى كمنجز ملهم ولاح في الأفق وهو ينجز كحالة إنسانية كونية تنعقد على التغيير.

● «النداء»، العدد ١٧٤، الأربعاء ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

صفر على الشمال!

ذات مساء جمعتني الصدفة بشاب يمني لطيف في ردهة فندق الشيراتون بدولة الكويت الشقيقة، وأخبرني أنه يعمل هناك إماماً لمسجد، وأنه ضمن مجموعة من اليمنيين المؤذنين والأئمة في مساجد الكويت، تقل عن ٢٠٠، جرى تصديرها إلى الكويت بموجب اتفاق بين وزارتي الأوقاف في البلدين.

سعدت كثيراً بالتعرف إليه وسماعه، وفرحت أكثر بنجاح اليمنيين الذين ذهبوا في إطار المهمة المذكورة، وتمتعوا بإقامة طيبة محفوفة باحترام ومحبة الكويتيين.

وحرصت قدر ما استطعت على كتم ضحكة كادت تنفلت مني حينما كنت أتابعه بشغف لا يوصف، ووحده الرب يعلم أني في صباح ذلك اليوم قرأت في صحيفة كويتية يومية لقطة طريفة وخفيفة الظل حول جواز الاستجابة لنداء الصلاة (الأذان) إذا ما كان بصوت مؤذن بنغالي تخرج حروف التكبير والشهادة من لسانه وهي مخرومة، مثلومة، من غير أن يقصد ذلك، وبما لا يسمح لأي كان في التشكيك بنواياه وإيمانه، أو الانتقاص من حقه في كسب فرصة العمل والرزق كمؤذن.

في ذلك المساء التقيت بالزميل العزيز يحيى الحدي الذي سلخ جل عمره في الكويت. وتضاعفت مسرتي بسماعه وهو يطري تجربة العمالة اليمنية في المجال المذكور، ما لفتني إلى احتواء اليمن على إمكانيات واعدة في مجالات غير منظورة، وقد لا تخطر على بال.

وهجست باحتمال ازدهار سوق الخدمات الدينية في اليمن، وقدرتها على تصدير العمالة (الناعمة) في هذا المجال وبأفق التنافس وليس على حساب إخوتنا في الإسلام من البنغال والهند وسريلانكا و... إلخ.

ولم أكن كالباحث عن عزاء عبر الاستغراق في هذا الهاجس التعويضي عن فشل اليمن في إقامة سوق للأوراق للمالية، أو سوق وطنية متكاملة، وإخفاقها في تأهيل أو إعادة تأهيل منتجها وصادرها الأزلي الوحيد، ومواردها العتيد الذي تمثل منذ أبد الدهر بتصدير اليد العاملة المهاجرة.

ولست بصدد تقليب مروحة الاحتمالات المستحيلة، وإفساد فاكهة الفكرة (الواقعية) الطرية: فكرة سوق الخدمات الدينية مع التشديد على «الناعمة» (غير المقاتلين أو المحرضين على القتل).

ويلوح لي أن اليمن قادرة على التعاطي مع متغيرات واحتياجات محيطها الإقليمي، ومن الراجح أن تتفاعل بكيميائية خارقة مع المستجدات المتسارعة في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي.

في هذا المنحى أستطيع القول، وبالفم المليان، إن اليمن مؤهلة -في ظل قيادتها الحالية الحكيمة خصوصاً- على الانخراط في صناعة القرصنة وتنمية اقتصادها، وبوسعها أن تجعل من الصومال: «صفر على الشمال»!

ذلك ما هو متاح ومحتمل و«واقعي» جدا، وبإسناد من الوقائع والشواهد التي تحتشد وتنعقد لتشكيل ضفيرة فرصة ذهبية متاحة لأن تستثمر بمنهجية يمكن أن تقفز باليمن إلى المستوى الذي لا يمكن قياسه بألاعيب العيال من القراصنة الصومال.

أعتقد أن الفرصة لن تذهب هباء، وإن ذهبت اليمن إلى وراء الشمس.

● «النداء»، العدد ١٧٥، الأربعاء ١٩ نوفمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

فخ القرصنة

يحتاج المؤرخون لمراجعة إبداعية فاحصة لما كانوا أجمعوا عليه حينما توافقوا، بالأمس، على الربط بين أفول حقبة القرصنة وظهور حقبة النفط وما تلاها من انطلاق حركة صناعة وتجارة النفط عبر البحار والمحيطات والقارات، في ضوء ما يحدث اليوم ويشير بقوة إلى أن حقبة صناعة وتجارة النفط -في منطقتنا على الأقل- اصبحت دانية الأفول بعد أن بلغت أوج ازدهارها مع أواخر العام المنفرط ومعظم العام الحالي.

وهي دانية الأفول بفضل وفعل ضربات القرصنة وقراصنة الألفية الثالثة من إخوتنا في الدين والدم والنسب وأبناء جلدتنا.

وليس ثمة ما يبهر ويذهل في قرصنة هذه الأيام التي لا تفترق عن قرصنة الأعوام والأيام الخوالي بأي شيء غير مشهديتها الأخاذة، المروعة، العابرة للأساطير والروايات والدراما والسينما.

ثم إن قرصنة هذه الأيام تمكنت بوقت قياسي من استعادة دورة الحياة والإنتاج بإيقاع متسارع، واندفاع جامح على خلفية تحلل رابط الدولة التقليدية الهشة أو دولة الوحدة التي تهاوت وانهارت وانقسمت إلى شمال وجنوب، ومناطق وقبائل وجهات يتنازعها أمراء وجنرالات حرب ومليشيات متقاتلة، وتجار مخدرات عضوية وذهنية... إلخ.

والواضح أن هذه القرصنة المستأنفة بل المتجددة، أطلت برأسها وهي مكتسية بحيوية متفلتة، وعشوائية عبقرية، ضاربة في الرمل والماء، ومستفيدة من سياق العصر وتقنياته وبما لا يعني قط

أنهـا لـم تخرج من ذات الرحم المظلم.. رحـم التفلت والاضطراب والفوضـى والتعصب وكراهية دولة المؤسسات وتمجيد «الفيد» والنهب، وتفريخ العنف واللاقانون واللامعقول.

وسوف تقع النخب الحاكمة والمحكومة في اليمن، كما في الصومال ودول الجوار الإفريقي والعالم، فـي فـخ القرصنـة إذا ما اكتفـت بالحملقة في ما يحـدث من عمليـات القرصنة المتسـارعة والمفجعة، فـي خليـج عدن والبحر الأحمر وشـواطئ الصومال وفي أرخبيلات جزر اختباء سـفن وزوارق وفرق القرصنة التابعة لليمن والصومال بالدرجة الأولى.

سـوف يقـع هؤلاء في فـخ القرصنة إذا ما توهموا أن السـبيل الناجع لاحتـواء القرصنة وضربها يكمن في السيطرة على المضائق والبحار.

ذلـك لأن فعل القرصنة يصدر من اليابسـة ويرتد إليها.. اليابسـة الجرداء مـن الدفء والاخضرار والأنسنة والعقل والمدنية والقانون.

اليابسة بما هي عقل لا يرشح بغير فعل الاختطاف والنهب والقرصنة.

وهنـاك خبـراء يقولون بأن الصومال تحتاج إلى اسـتعادة حالة الدولـة وحكم القانون والمصالحة والتوافق.

وهنالـك خبـراء يشـيرون إلى أن اليمن تحتاج إلى سـيادة دولة القانون والمواطنة والمسـاوة كيما تخرج من عنق زجاجة التشظي والانقسام، ومن ربقة المليشيات -كما في جعار- ومن مناخات الحرب -كما في صعدة- ومن غابة التفلت المتوحش: كما في عموم اليمن.

ويبقـى مـن المفيد التأكيد على أن الصومال في حاجة ماسـة للإنجاد من فـك القرصنة، واليمن في أحوج ما تكون للخروج من فخ القرصنة، والجار بالجار يذكر.

● «النداء»، العدد ١٧٦، الأربعاء ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨

طبيب مشهور يشل حركة امرأة مازمبية

فكري قاسم: انتحال اسمي بداية جديدة لضرب سمعة المحافظة والمحافظين

الشارع ليس حلا

عيد أضحى مبارك

نافذة

تدويل عدن؟!

نـــافذة

منـصـور هائـــل

تـدويـــل عـــدن؟!

مـن غير المسـتبعد أن تكون عدن في قبضة الاحتلال أو التدويـل، المعلن أو المبطن، مع حلول ذكرى جلاء الاستعمار البريطاني، في ٣٠ نوفمبر من العام القادم بالحد الأقصى.

ومـن المسـتبعد أن يأتـي ذلك اسـتجابة لحنـين العدنيين مـن الذين قتلوا أنفسـهم هياماً وغراماً ببريطانيـا، أو الذين قاتلوها بضراوة وفازوا بالاسـتقلال وتصرمت بهم الأيام والأعوام وانتهوا إلى مجرد أيتام في موائد اللئام، ورهائن في قبضة «الاحتلال الداخلي» والمحتلين الأجلاف من بدو وقبائل الجنوب والشمال.

ومن المستبعد أن يعود الخلفاء الراشدون ودولة الخلافة، أو أن ترجع أيام بريطانيا، لأن تصاريف التاريـخ لا تسـتجيب للتمنيـات والرغبـات السـاذجة، ولأن طبع السياسـة لا يعرف تقـديم الوجبات المجانية.

وعليـه، فمـن غيـر المسـتبعد أن يجري تدويـل واحتلال عدن بمسـوغ القرصنة التـي كانت مدخلاً لاحتـلال عدن في يناير ١٨٣٩ كما في رواية السـفينة البريطانيـة «داريا دولت» التي قالت إن قراصنة مـن الصيادين والأهالي اعتدوا عليها ثم لاذوا بأسـوار عدن بعـد أن أهانوا علم الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، واستدعوا، بما فعلوه، الاحتلال على عدن، وكان أن تقرصنت مدينة مقابل سفينة تعرضت لقرصنة محض ذهنية تفتق عنها الخيال الاستعماري الروائي حينها.

ولـن تكـون روايـة تدويـل عدن هذه المرة، كمـا كانت عليه في زمـن الكابتن هينـس، لأن التدويل أو الاحتلال الوشـيك لعدن سـوف يأتي من باب تلبية نداء الحاجة الملحة لكبح فائض القرصنة الداخلية التـي تعدت الحدود وافترسـت عـدن بخاصة واليمن عموماً، وهي قرصنة تمثلـت باختطاف الأرض

والثروة والثورة والسلطة والجمهورية والحجر والشجر والبشر.. إلى أن فاضت وتجاوزت حدود البلاد، وأصبحت خطرة على دول الجوار وسلامة وأمن المضائق والبحار، وجعلت من خليج عدن منطقة أكثر خطورة على حركة الملاحة الدولية، والتجارة الدولية، والاقتصاد العالمي.

والمعلوم أن جنرالات وأمراء القرصنة في الصومال وطبقة القراصنة الفاحشة الثراء كانت تتغذى وتتقوى، على مدى ١٧ سنة، بمدد من اليمن التي كانت صاحبة النصيب الأكبر في عمليات تهريب البشر، والتقت مع القرصنة في الصومال على خط واحد تجسم بتوحد العناصر والقوى «المارقة» الشغالة بتهريب البشر والسلاح والخمور والوقود والمخدرات هنا وهناك، وبقطع النظر عن تواري المارقين في اليمن خلف مسمى «الدولة» ذات السيادة.

ولن نصرح باكتشاف خطير لو قلنا إن تلك القوى القرصانية، في حالة اليمن، هي صاحبة السلطة النافذة والأخطبوطية، وذلك ما تفيد به الصحافة الرسمية والمعارضة والأهلية والمستقلة، وبمقدور القارئ أن يعود إلى ملفات كثيرة وخطيرة نشرت حول تهريب الوقود والسلاح.

وبما أن المجتمع الدولي يتجه بعزم وحسم نحو ضرب القرصنة في اليابسة وفي ما وراء شواطئ الصومال وخليج عدن، فمن الأولى بأصحاب العقول اليابسة أن يسارعوا بالالتفات لحقيقة أن الجهد الدولي لمجابهة القرصنة لن يتجزأ وسوف تكون عدن والصومال «عيال سوق واحد» -حسب تعبير الدكتاتوري السيئ الصيت محمد سياد بري لدى استقباله للرئيسي الجنوبي الراحل سالمين في أول زيارة لمقديشو مطلع سبعينيات القرن الماضي. والواضح أن الجهد الدولي يمضي بإيقاع متسارع ولا يتستر على مقاصده، كما لا يجهر بمكاشفة عارية لصنعاء التي يبدو أنها تنتظر من يقول: ارفعوا أيديكم وأرجلكم عن خليج عدن وعدن.

ولعل الزيارات المكوكية المتلاحقة للوفود العسكرية والأمنية، وآخرها زيارة قائد القوات الأمريكية إلى المنطقة، لا تحتاج إلى ترجمة، فهي تصب في مجرى تأكيد الإصرار على حقيقة أن الموقف الغربي من اليمن لن يتغير، والإصرار على أن تكون عدن مركزاً رئيساً لمواجهة أعمال القرصنة والإرهاب، وليس لتفريخ وتصدير الإرهاب والقرصنة.

ثم إن التحركات البريطانية والأمريكية والغربية عموماً تحتاج هي الأخرى إلى ترجمة، فهي تلتقي على الاهتمام الاستثنائي بعدن، وليس بالنظام الحاكم، وذلك ما يعزز احتمالات التعاطي مع عدن بمعزل عن اليمن وفي السياق الذي يفرضه منطق المصالح والمنافع ومتطلبات الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم.

ولعلها خلطة السياسة بالاستراتيجيا والمصالح وكل ما يستدعيه احتواء فائض القرصنة في اليمن.

● «النداء»، العدد ١٧٧، الأربعاء ٣ ديسمبر ٢٠٠٨

نافذة

منصور هائل

حق الشباب في الانتحار والاختطاف والانفجار

جماعات شبابية مسلحة كانت وراء عمليات دهم واحتلال ونهب المرافق والمؤسسات العامة وسط مدينة جعار، وأحرقت بعض المباني، وخربت مقر الحزب الحاكم واستمرت في عمليات النهب من الظهر إلى وقت غروب شمس يوم ٢٠ ديسمبر. وقد ألفت هذه المدينة المخنوقة بقبضة المليشيات المسلحة ظاهرة خفوت أصوات القذائف، وانكماش ألسنة الحرائق مع اكتحال الظلام بالسخام كلما حان وقت الغروب في غالب الأيام.

وذلك ما يحدث حالياً في زنجبار عاصمة محافظة ابين وفي مديرية طور الباحة، وفي مديريات ردفان والضالع، وفي أرجاء متفرقة من البلاد.

وفي هذا المنحى جاءت أقوال المطلوب الأول للأمن في حادثة السفارة الأمريكية الذي تشرد في جبال مأرب وفي أطراف أوديتها السحيقة (حمزة علي الضبياني) هرباً من الملاحقات الأمنية.

فهو أكد في آخر مقابلة صحفية أجراها معه موقع «مأرب برس»، ٢٠ ديسمبر، أن «ما يحدث في اليمن من عمليات هي عبارة عن ردود أفعال من شباب مظلومين عانوا من التعذيب في السجون». وبشأن عملية السفارة الأمريكية قال: «أعتقد من كان وراءها هم الشباب الذين يريدون السفر إلى العراق وحالت الحكومة بينهم وبين ذلك».

وباختصار، كان انقطاع حبل الأمل وانسداد باب العمل دافعاً لاختيار العمل في مجال الانتحار،

وحينما لاحت الفرص حالت الحكومة دون بلوغها.

وفي السياق كان لافتاً ما قاله الشيخ علي العجي الذي توسط لإطلاق رئيس محكمة الجوف القاضي احمد مهيوب ورئيس القلم الجنائي بالمحكمة علي الشجاع من قبضة المختطفين، وقد وصف مطالبهم بأنها «مطالب عادلة». وذكر أن «من بين من قاموا بتنفيذ العملية شاباً تخرج من كلية الزراعة بسوريا قبل ست سنوات ولم يحصل على أي وظيفة من تاريخ تخرجه حتى الساعة، وآخرين مطالبهم تتمثل في الحصول على درجات وظيفية أوراقهم تثبت أحقيتهم بها».

وتردد مطلع الأسبوع الماضي أن عملية اختطاف الألمان الثلاثة من العاصمة صنعاء إلى خولان من قبل جماعة من قبيلة بني ضبيان لم تخل هي الأخرى من ذريعة تفيد بأن السلطات كانت وعدت القبيلة، في وقت سابق، بخمسين وظيفة في المجال العسكري ولم تنجز وعدها، ما دفع بالقبيلة إلى اختطاف تلك العائلة الألمانية التي أُطلقت مساء الجمعة قبل الفائت.

تلك بعض المتفرقات ولا يتسع المجال لجرد حصيلة عمليات التفجير والاختطاف والانتحار والحرق وقطع الطرق، وهي عمليات مرشحة لأن تتضاعف على خلفية تدهور الأحوال المعيشية وانسداد آفاق الاستثمار والإعمار والتنمية، وانعدام فرص العمل.

ولعل الأسوأ هو المنتظر في ضوء القرار الحكومي الذي صدر مؤخراً وقضى بخفض موازنة العام ٢٠٠٩ إلى ٥٠٪، وقصر وظيفة الحكومة على صرف مرتبات الموظفين، وانغلاق معابر التنفيس عن غليان الاحتقان وأيلولة البلاد إلى ما يشبه قطاع غزة ولكن من غير «معبر رفح» أو أي معبر ينفع على سبيل العزاء.

● «النداء»، العدد ١٧٨، الأربعاء ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨

نـــافذة

منـصـور هائـــل

ولكـن لا حيـاة لمـن..؟!

يطوف اسـم شـاعر الهنـد الكبير طاغور في أرجاء الذاكرة وأطراف اللسـان كلمـا دار الحديث عن التسـامح والمحبة والانفتاح، فهو حض على فتح الشـرفات إلى آخر مدى وإلى ما بعد الأمداء، وحذر من الالتفات السخيف لوشوشة ذبابة يمكن أن تدخل من الشرفة: على من يفتح شرفاته ألاَّ يخشى من دخول الذباب!

ويذكر لحكيم الصين -النبي (هناك)- كونفشيوس تحذيره من ضرب بعوضة بقذيفة مدفع.

ويتصـور كاتـب هذه السـطور أن صحيفة «النداء» وقعـت في محذور الإصاخـة البعيدة للصوتين اللامتناهيين القادمين من الهند والصين.

فهي (أي «النداء») فتحت الشرفات، ولم تطلق المدافع على «النامس» أو على مجرد بعوضة.

بذلـك أخطـأت «النـداء» وعاكسـت التيـار وانتظـارات الجمهـور وشـغف «الشـعب» للانتصارات المستعجلة، والحلول الناجزة، الجاهزة، والانقلابات «السفري»، والسبق الساحق.

وتعثر صدور «النداء» الأسبوع الماضي. ومن الوارد أن يتعثر في قادم الأسابيع، وليس من المستبعد أن تكف «النداء» عن الصدور، دون أن تكف عن النداء!

... مـن تنـادي «النـداء» في بلاد بلا شـرفات، وفي ظـل «جمهور» يلعلع معظمه مـع المدافع، ويهتف بالمجد لقذيفة تسحق بعوضة!

ولـ«النداء» أمداء كتابة.

● «النداء»، العدد ١٧٩، الأربعاء ١٤ يناير ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

ماركس وهذه المرأة المنتهكة

يوم قال الفرنسيون إن أمتهم أخذت على حين غرة، اشتط كارل ماركس الشاب وقال: «إن الأمة والمرأة لا تغتفر لهما تلك اللحظة التي تفقدان فيها الحذر ويتمكن أول مغامر يمر بهما أن ينتهكهما إن جملاً كهذه لا تستطيع حل اللغز بل تصوغه فقط، ولا تزيل ضرورة تفسير كيف يستطيع ثلاثة نصابين أن يأخذوا على حين غره، ويأسروا أمة تعدادها ستة وثلاثين مليون نسمة».

ترى كم يبلغ تعداد الرؤساء والملوك الذين يشكلون قوام مؤتمر القمة العربية؟

المؤكد أنهم ليسوا ثلاثة نصابين فقط، ولا مجال لمقارنتهم بأولئك الذين اختطفوا فرنسا، أو لإسقاط ما قاله ماركس عليهم، وعلى حالة الأمة العربية التي غدت منابرها الفضائية والإعلامية، ومساجدها ومسيراتها تستمطر لعنات السماء على الأعداء من اليهود والنصارى، وتلوذ بالماضي وتعاويذه وأناشيده وأيقوناته لمجابهة تحديات الحاضر.

وثمة ما يستحق الالتفات فيما قاله ماركس قبل أزيد من قرن ونصف.

فهو ألمح إلى أن العجز، كما هي الحال دائماً، يلجأ إلى الاعتقاد بالمعجزات (...) ولعل في ذلك بعضاً من التفسير لصرخة «النصر الإلهي» التي تعوي في الأرجاء كلما قيض لنا الخروج من تحت الانقاض.

وفي السياق حفر كارل ماركس عميقاً في طبقات التقليد الساخر للصراع القديم، والتماهي الكاريكاتوري ببطل الأمس، واستعارة الكلام والعواطف والأوهام من «العهد القديم».

وتناول التجويف والتبويق، والتنكر بالأثواب القديمة، و«الزعيم» الذي يخفي ملامحه المنفرة والتافهة خلف أقنعة حديدية، عند احتدام الأزمات، وكأنه يغمز من بعض المتشبهين بجمال عبدالناصر، أو الذين يمعنون في الرجعة إلى عصور منقرضة ويهتفون:

«وامعتصماه»!

ولما كان يتناول شخصية كاريكاتورية تسربلت باسم نابليون بونابرت الميت، واستحضرت التواريخ والتقاويم والأسماء والمراسيم القديمة، التي غدت موضوعات لهواة الأشياء القديمة.

ولأنه كان يشرح حالة «الزعيم» النصَّاب المتواري خلف شعارات الثورة والجمهورية فقد طاول تفاعلات الشارع وحركات المعارضة بمشرط النقد اللاذع لأنها كانت تستمد قوتها من شعارات وأشعار الماضي، ومن التمجيد الخرافي للأسلاف، وتخدع نفسها باستحضار البطولات الغابرة وتعويمها في الراهن.

كان ذلك كارل ماركس الشاب أواخر عام ١٨٤٩ في مقالاته النقدية التي صدرت بكتاب «الثامن عشر من برقمير لويس بونابرت»، وهو لم يكن من أصحاب الرسالات والتنبؤات، بقدر ما كان ناقداً يقف على الضد من مهرجانات الذهان والهيجان الجماعية التي تعقد الرهان على المقابر، ولا تعول على ابتكار الذات من باب اكتشاف الأخر ومحاورته.

● «النداء»، العدد ١٨٠، الأربعاء ٢١ يناير ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

محتالون ونصابون على ظهر غزة

تستطيع أجهزة الأمن والبحث الجنائي ضبط بعض النصابين والمحتالين الذين يستغلون تعاطف وحماس الناس تجاه معاناة السكان في قطاع غزة، ويجمعون التبرعات بسم غزة ويستخدمونها لإشباع حاجاتهم ورغباتهم، كما حصل في حالات كثيرة، ومنها حالة اللص الظريف الذي تباهت الصحافة الرسمية بالقبض عليه من قبل إدارة البحث الجنائي بمحافظة الحديدة صباح الأحد الماضي.

وقد ورد في أخيرة يومية «الثورة» أن إدارة البحث الجنائي بالحديدة قبضت على أحد النصابين واسمه (أ. ع. ص) على إثر بلاغ تقدمت به جمعية الأقصى، وأفاد بأن المتهم حضر إلى الجمعية وقام بالتبرع بـ٢٦ ألف ريال بسم فاعل خير، واتضح فيما بعد أنه يقوم بجمع التبرعات بسم الجمعية لصالح قطاع غزة ووصلت إلى ٨٦ ألف ريال اعترف أنه أنفقها على ملذاته بانكشاف شهدت عليه واقعة ضبطه بشارع صنعاء جوار حديقة الشعب التي اعتاد «تخزين القات» فيها، بحسب العقيد محمد المقالح نائب مدير إدارة البحث الجنائي بالحديدة.

ذلك ما يمكن أن تطاله يد البحث الجنائي، وهنالك ترتسم «حدود» استطاعتها.

وتستطيع هذه الأجهزة ضبط الكثير من الحالات الفردية الخاصة، الساذجة، الشقية. وبمقدورها القبض على بعض أصحاب أماكن الاتصالات والبقالات والحوانيت والأكشاك الصغيرة في الأزقة المهجورة، لأنها لا تبيع أكثر من بقايا علكة وغزة وسكاكر، وهي مفضوحة ومتلبسة بنهب «القضية» لمجرد أنها تجرأت على وضع صندوق بيع غزة الأنيق المهور بعبارة «تبرعوا لغزّة»، إلى جانب بضعة صناديق وعلب كرتونية متآكلة لا تحتوي على أكثر من بقايا علكة ونتف بسكويت، وفراغ يحوي بصوت فضيحة تستفز كبرياء ومهابة «الكبار» من السراة والمحتالين قبل غيرهم.

مثل هؤلاء البؤساء، وتلك الحوانيت المطمورة بغبار الأرض والإهمال، تستطيع الأجهزة ضبطها،

فهي مكشوفة الظهر والبطن، ولا تحتمي بجدار قوي، ولا تختبي تحت غطاء من أيديولوجيا أو عقيدة أو سلطة.

وفي السياق تستطيع الحكومة ضبط الأفراد والجماعات والجمعيات المناوئة لها، لأنها تريد اقتسام الكعكة معها، ولأنها، في الغالب، مكشوفة هي الأخرى ولا تتلطى بمؤخرات النافذين، كما لا تتوارى خلف أسوار وأستار سميكة ومسبوكة بخلط الأيديولوجيا والمقدس.

والمؤكد أن الأجهزة الأمنية والحكومة لا تستطيع القبض على معظم النصابين (الكبار) أصحاب الأسبقية في اختطاف لافتات «القضية»، ولسنا في وارد الغمز من تبرعات المساجد السخية، أو الغمز من قناة الحكومة إياها وقيامها بخصم أقساط من رواتب الموظفين، من غير استئذان، وخارج القانون وبسم قطاع غزة، وإن كانت الشفافية مطلوبة وواجبة وإلزامية، حتى يعلم الناس أن ما يؤخذ بسم غزة يذهب إلى غزة دون غيرها ولا يستخدم في غزوات أخرى.

وإلى ذلك فإن أجهزة الضبط القادرة على ردع «الصغار» لا تستطيع لجم «الكبار» ومنع العمليات اللصوصية والجنائية الجسيمة التي تحدث بسم ورسم غزة وتحت يافطة غزة، التي أصبحت ملجأً جماعياً للحكام العجزة الفاسدين في الأرجاء العربية الممزقة إلى أوصال بفعل أدوات النهب والحرب التي يستخدمها هؤلاء الحكام في نهب الثروات، وقمع الاحتجاجات وحركات الاعتراض والرفض، كما هو الحال في السودان (دارفور والجنوب) واليمن (صعدة والجنوب)... إلخ، ما يعني أن كل هذه الأوطان تتوحد في الانقسام والتشرذم وعلى الخط الفاجع لـ«غزة» ومن غير محتلين صهاينة.

وإذا كانت الحكومة لا تستطيع ضبط مراكز النفوذ القوية، الظاهرة والخفية، وبالأحرى لا تستطيع ضبط نفسها وهي متلبسة بـ«غزة»، فإنها ليست قادرة على تحديد خارطة الأرخبيلات المنتفعة بمأساة «غزة»، وضبط كافة المتكسبين والمتعيشين المحترفين على المقدس، والضالعين في استثمار المقدس، وفي استخدام القدس والأقصى، وفي الاشتغال على القدس إلى الحد الأقصى لتعظيم الثروات والنفوذ والسلطة، وكتم كل صوت مختلف ومغاير لطوفان الفلتان العارم لسيل الشعارات والهتافات الهائجة.

وإلى جانب هؤلاء الحيتان الكبار تدافعت أمواج الكثير من الكتبة المتبطلين، الدجالين والعاطلين الذين وجدوا في «غزة» فرص عمل، وضالة ارتزاق، وكميناً لقنص الخصوم، وشحذوا أقلامهم وسكاكينهم لتكفير وتخوين وذبح من لا يتخندق معهم وينحاز إلى أحد طرفي الانقسام في فلسطين.. ورغم أن «غزة» لم تخرج بعد من براثن المحرقة الصهيونية (الشواء) إلا أن (هؤلاء) تلفعوا بانسجام واندفعوا في حومة حرق قيمة الاختلاف والتعدد، وكتم العقل، والحيلولة دون تفعيل أسئلة ومجالات المقاومة وكافة وسائلها وأدواتها السياسية والتربوية والفكرية والحقوقية لمجابهة العدوان، وليس الاقتصار على خيار واحد: الانتحار فقط، وإلى الأبد.

والحال أن هذا الصنف من المحتالين والنصابين يحتاج إلى الضبط والتعيين أكثر من غيره، فهم الدمار بعينه، ولا يمكن التمويه عليهم بحكاية ضبط «لص شريف»!.

● «النداء»، العدد ١٨١، الأربعاء ٢٨ يناير ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

و«الخطيئة الأصلية» هنا!

حرصاً على «الوحدة الوطنية» لن أخوض في «الخطيئة الأولى»، التي بنيت عليها عمارة السياسة اليمنية، وتجسمت في توارث احتكار رأس هرم السلطة من قبل أكثر من ألف عام في «الشطر الشمالي» (سابقا)، وفي عموم اليمن التي صارت شمالاً كلها بعد حرب ١٩٩٤.

وسأكتفي بكتم خيالي الذي اختلج بفكرة تصحيح «الخطيئة الأصلية»، على اعتبار أن ذلك هو المدخل الأنسب لإعادة الاعتبار للسياسة وبناء مجالها الجامع، ولاجتراح المواطن والوطن معاً.

ولم أكن في وارد إخراج الخيال من دائرة الانغلاق والعطالة إلا بعد أن وجدتني أصل الليل بالنهار في متابعة وقائع وتفاصيل الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي باراك أوباما، من أول خطاب إلى ساعة التنصيب وما تلاها من لحظات ووقائع انتقالية مشهدية، مجهرية فارقة، لابست واكتنفت خطوات أول رئيس أسود وهو يدخل البيت الأبيض، الذي شيد على أكتاف أسلافه الأرقاء والعبيد السود.

ولست في وارد تدوير الصورة والخوض في تفاصيل أول رقصة دبلوماسية لسيد البيت الأبيض الجديد، أو في قيمة فستان السيدة الأولى ميشيل أوباما (أقل من مائة دولار)؛ لأن النقلة «التاريخية» العاصفة تمثلت، في نظري، بمقدرة الأمريكيين البيض والسود وجميعاً، على تخطي «الخطيئة الأولى» التي بنيت عليها بلادهم، ومرتفعات الهرم السياسي التي قامت على التمييز العنصري، العرقي، الإثني، وانحصار تداول المنصب الأول بين الأمريكيين الأوروبيين البيض المتحدرين من عائلات أنجلو ساكسونية، ومن عرقية إثنية واحدة على الأكثر.

ما حدث كان خارقاً للعادة وللغاية، فقد انكسر احتكار العرق الواحد، اللون الواحد، وانكسر طوق الدرجة الثانية من المواطنين، واحتلت صفة «المواطنة» منزلة الصدارة، بل سبقت ما عداها، وجاز لأحدهم أن يقول إن «أمريكا لم تنصّب في شخص أوباما أول رئيس أسود (وإن استقام ذلك)، أو أنها لم تكتف بذلك، بل هي نصبت أول رئيس مواطن».

وثمة إشارة أخرى لمعت من ثنايا ما حدث، وقد تجلت بانعطاف الدولة إلى طور متقدم من الارتقاء، وإلى مرتبة متعالية على الشخصية، تأكدت في حضورها (أي الدولة) كهيئة دينامية مستدامة بلغت ذروة غير مسبوقة من الإنجازات عبر إناطة الوظيفة الأولى بل المنصب الرئيس في البلد بأي مواطن، واجترحت بذلك ديمقراطية مواطنين متحررة من التأثيرات الفئوية والتراتبات والمقاييس التقليدية، حتى استوت مثالاً للمستقبل البشري.

ودونما استطراد في تفاصيل ما حدث أو غرق في الطوفان الذي مازال يغرق وسائل الإعلام والصحافة في كافة أرجاء العالم، يتوجب الإقرار بأن ما صار من «انقلاب» إنساني كوني، كان كفيلاً باستثارة وإيقاظ خلايا الخيال النائمة، وإن في منحى الاختلاج بمجرد سؤال واحد: سؤال كسر احتكار رأس هرم السلطة من قبل (...) الواحد في بلادنا.

ويلزمني الحرص على «الوحدة الوطنية» أن أتجنب السقوط في غواية نقد «الخطيئة الأصلية»، الكامنة في موروث الحكم الإمامي الزيدي، وفي أيلولته إلى قبضة حاكم زيدي «جمهوري»، رغم أن ما حدث يفتح الباب واسعاً للتفكير والحلم والعمل على كسر كل وأي احتكار يغلق الباب على إمكانية بناء دولة لجميع مواطنيها، ولا يسمح بكسر طوق مواطن الدرجة الثانية، والثالثة والرابعة، ومواطني الدرجات عموماً.

● «النداء»، العدد ١٨٢، الأربعاء ٤ فبراير ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

فرانكشتاين خاص بصنعاء

استحضر الصديق، الذي أخبرني بمصرع شاب آخر مع غروب شمس الاثنين الماضي بمدينة جعار، بعض السوابق المماثلة.

وهو يعتقد أن عدد الضحايا وصل إلى ثمانية. وحدثني أنه يعرف بعض من قتلوا، ويعرف «الهندي» عن كثب، وهو شاب وسيم كان من نجوم منتخب مدينة جعار، ثم من نجوم محافظة أبين، وبعدها من نجوم المنتخب الوطني.

وقبل أقل من عام، وفي ظهيرة غبراء كان «الهندي» يزاول عمله كلحَّام في ورشة سيارات وحينما التفت ليجيب على من يناديه نخلته رصاصات فرقة الإعدام الراجلة وأردته في الشارع العام.

وكما صار مع غيره تبرع «فاعل خير» وغطاه بملاية أو شال، وتركه مضرجاً بدمه حتى المساء، وفي الليل تسلل بعض أقاربه أو أصحابه الجسورين ليأخذوه ويواروه الثرى خلسة وتحت جنح الظلام وكأنه ابن زنى أو...!

ذلك ما حدث أيضاً للشاب سعيد عبدالله حنان يوم ٢٧ ديسمبر الماضي أمام السوق المركزي، وما يمكن أن يحدث للمزيد من الشباب والشابات خاصة مع اندلاع موجة المنشورات الأخيرة التي وزعت في الشوارع ودخلت إلى البيوت ودعت إلى إقامة الحد على كل «فاجر» كما على كل «شاذ». وقد صرح محافظ أبين يوم الاثنين الماضي بأن جهات «خارجية» أو من خارج أبين تدفع بالأمور وأنهم: «لن يمروا».!

ومن كلام صاحبي فهمت أن دماء ضحية الاثنين الفائت سوف تتبدد في جهات المدينة الأربع التي تتوزعها وتتنازعها الجماعات المسلحة، ولا يستبعد أن تدفن الجثة عميقاً في مقبرة الصمت الأسود،

وأن يطويها الموقف العام بغلاف العيب ولا شيء ينتظر من أهال تلفهم أنفاس الضواري، ويقتلهم الحياء عندما يسمعون بما يحدث، ويجبرون على تكذيب ما تراه عيونهم لحساب تصديق ما تسمعه الآذان لقناعتهم بأن ما يحدث لا يصدق بالفعل لكن من المحرج تكذيبه!

على الخط نفسه يرتسم موقف الهيئات السياسية والحقوقية والمدنية التي تتحرج هي الأخرى من الجهر في استنكار هذه الفظائع المخزية خشية من أن يقال إنها (...) و: «يا عيباه»!

ورغم زعم هذه الهيئات أنها حداثية ومدنية في كل شيء إلا أنها لا تستطيع البرهنة على ذلك وإنما تنغمس في العكس تماماً وتتوهم أن الأصوب هو تحصيل السلامة عبر تنكيس الرؤوس إزاء ما يمس «العورة» وما يمسخ الرجل إلى ذبابة غير قادرة على الوقوف في وجه هذه الجماعات التي تتربص بكل من تعتقد أنه «شاذ» جنسياً لتنفيذ حكم الإعدام فيه في الشارع وكأنها جهة الاختصاص في ضبط الآداب والسلوك وجهة القصاص المخولة بتطهير الأرض من المنحرفين والمتلايطين.

والواضح أن السلطات المحلية وفي المركز تركت هذه الجماعات تسرح وتمرح وتهدم وتحرق وتنهب وتسرق تحت نظرها وسمعها، وزادت على ذلك أن استضافت ١٥٠ من عناصرها في صنعاء للتحاور والتشاور، وصرفت لهم المرتبات والهبات والدرجات الوظيفية والرتب الأمنية والعسكرية، ووعدت بدفع تكاليف من يرغبون في الزواج من بنات هذه الدنيا الزائلة وهيأتهم لمهمة (جهادية) جديدة!

والمصيبة أن السلطات في المركز تقفز سكرى من حافة الهاوية إلى جرفها، وتدفع بالبلاد إلى قعرها السحيق عبر اعتمادها على سياسة تسمين الكابوس وإطلاق عنانه وكأنها تستطيع ضبطه وتوجيهه بـ«الريموت» إلى النهاية. وهي بذلك تسقط من الحسبان حقيقة أن المتغيرات قد أكسبت هذا الكابوس خصائص فرانكشتاين.

ولمن لا يعلم فإن فرانكشتاين هو وحش آلي من ابتكار طبيب كان يطلقه لِيلْتهم من يشاء في طريقه إلى أن افتقد ذات يوم بوصلة توجيهه وإدارة التحكم فيه والسيطرة عليه، وارتد الوحش على صانعه الذي اخترعه وأكله، وذلك هو الحال الذي شارفت عليه اليمن في ضوء ما يتردد من أخبار حول اعتزام السلطات استخدام جماعات «الجهاد» الجنوبية لاغتيال ومواجهة قيادات وعناصر الحراك في المحافظات الجنوبية.

وكأي غبي في التاريخ والجغرافيا يبدو أن هذه السلطات لا تعلم أنه «حتى» الوحوش تنشحذ لديها غريزة البقاء وتتعلم من التجارب والاخطاء وتسترشد بحدسها الخاص ولا تقبل بتعليمات «الريموت» في كل حين وكل مرة.

● «النداء»، العدد ١٨٣، الأربعاء ١١ فبراير ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

المغلس.. سيد الابتسامة

أغبط بعض الزملاء الذين لا يتخلفون عن واجب زيارة المرضى، والمشاركة في تشييع الموتى، وفي طقوس العزاء والرثاء والتأبين.

ويحز في نفسي أني لا أستطيع مجاراتهم ولم أعد أحتمل قرفي من نفسي وأنا ألهج بعبارات التأسي والأسف على تقصيري.

ويسحقني الإحساس بالبله والخبل والضآلة إزاء بعض أولئك الذين يستهلون صباحاتهم بتصفح برنامجهم اليومي الذي يتضمن مواصلة العمل على إبرام صفقة غير معلنة مع المستحيل، ويثابرون في إنجاز بعضها، ولا ينكبح اندفاعهم إلا في حال سماعهم لرنة الهاتف ومكالمة تخطرهم بمرض أحدهم أو وفاة آخر أو...

وهنالك ما لا يصدق من وقائع وأشياء.

ومن يصدق -مثلاً- أن أحد الأصدقاء الأجلاء يعلق برنامجه اليومي إذا ما وقع نظره على جماعة يحملون جنازة إلى مثواها، ويندفع إلى المشاركة باستغراق صوفي في تشييع جثمان شخص لم تجمعه به قرابة أو صداقة أو معرفة، وذلك هو حال الصديق الحبيب عبدالعزيز الزارقة، فهو يشارك في الطقس بوقار ومهابة واحتراف، حتى يبدو أنه أقرب إلى المرحوم من أقربائه النائحين المكلومين.

وفي مساء أمس الثلاثاء خطر على البال باستحواذ واستبداد، لأني شاركت في أربعينية تأبينية لم يحضرها، بالصدفة أو بالمستحيل، ووحده الله يعلم كيف تخلف أكثر الناس تحالفاً مع المستحيل عن الحضور.

وبينما كنت في غاية الكآبة والحزن بعد سماعي لوقائع الرحيل المأساوي للصديق المهندس عبدالرحمن المغلس، برق د. (الزارقة) في الذهن، وتساءلت: كيف يحتمل كل تلك الحكايا الموجعة والثقيلة.. سرديات الأشباح والكوابيس وروائح وأنفاس العنابر وغرف الإنعاش والمقابر...؟

وبرق في ذهني أنه وأمثاله هم الذين يحفظون لنا فسحة الأمل بالعيش الذي تحاصره الكروب والخطوب.

واستعدت صور من حضروا أربعينية الفقيد العزيز المهندس عبدالرحمن المغلس من الأهل والأصدقاء والزملاء، من قدس والأعبوس وصنعاء وحضرموت، ومن زملاء المدرسة، والدراسة العليا في المجر، ومن «تيليمن» و«كنديان نيكسن».

استعدت ما قيل فيه وعنه، ووعيت بعض ما يجذب الزارقة إلى الحقل المغناطيسي للعلاقات الإنسانية وما يجذب زكي العبسي والقاضي والشعيبي والمغلس والمحضار والمعلمي وغيرهم من الومضات الإنسانية الأثيرية ذات التأثير القوي والقادر على حفز العروق الضامرة النشوة التأمل والأمل باستعادة قيمة الحياة من جوف الأنقاض ومن حلق أعاصير الغبار.

ولئن كان أصدقاء الراحل المغلس برهنوا على إمكانية لملمة الومضات المتواترة ونقاط الضوء المتباعدة وتقطيرها لتحصيل نخب الوطن، فقد برهنوا -أيضاً- على أن البلاد لن تخلو من الطيبين ومن الإنسان رغم استذئاب عوامل التصحر والقحط والانقراض الطاردة للإنسان.

وعلاوة على ذلك أكدوا أن أشكال التكافل والتضامن والاجتماع الإنساني يمكن أن ترقى بالمشاعر والأذهان وتعيد الوهج إلى شموس آمال غربت، وأحلام غدرت، وتنبجس ببوارق تؤشر إلى إمكانية رتق ما تهتك من أواصر انتماء للمكان والعيش المشترك، وعناصر توليد الإنسان وتكريسه كقيم سيادية رفيعة.

الوداع للمهندس المغلس الذي تجلى حضوره المبهر في غيابه، وتكشف عن طاقة هائلة على توحيد اليمنيين، وجمعهم على وعد بوطن يتسع لجميع الحالمين بيمن متحررة (من سادة الخراب) وزاهية بمحبي الحياة وعشاقها أمثال ذلك الراحل الجميل: المغلس.. سيد الابتسامة.

● «النداء»، العدد ١٨٤، الأربعاء ١٨ فبراير ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

أغــرب مــن الشيطــان

«ما غريب إلا الشـيطان»، ومعظم الضالعين في اسـتغراب ما يصدر عن أجهزة «النظام» من قرارات وإجـراءات على شـاكلة ما طالعتنا بـه الصحافة مؤخراً حين أفادت بأن القضـاء اليمني أصدر حكماً «غريبـاً» بتبرئـة الصحفية التـي اقترفت الاغتيال الرمزي والاجتماعي بحـق الزميلين حافظ البكاري، ورحمة حجيرة، من خلال ممارسة القذف والتشهير في صحيفة تمولها الدولة.

ولا غريب إلا من اسـتغرب ما صدر عن وزير الداخلية حينما اسـتدعى قاعدة «رأس برأس» يساوي بـين الدكتـور درهم القدسـي والعجوز الثمانيني الذي وافاه أجله على إثـر عملية جراحية، أو حينما وصف من اعتصموا للمطالبة بتسـليم قتلة الدكتور درهم إلى العدالة بقوله: «إنها غوغائية، مناطقية و... إلخ».

ولا أغرب من الشـيطان إلا أولئك الذين مازالوا يسـتحضرون السوابق ويعيدون استعراض قائمة القتلى من أبناء «اليمن السافل» على يد قتلة من «اليمن الأعلى»، ويستعيدون أسماء الدكتور الحمزة، والرعوي، والحبيشـي، والقائمة مفتوحة، وجهنم لا تشـبع، فهي شـرهة للمزيد، وتقطع الشواهد بأن المسلسل الدموي صار أكثر عنفواناً وكثافة وجهنمية.

والغريب أننا لم نكف عن الغربة وعن رثاء «الدولة» وكأنها كانت قد سـجلت الحضور ثم غابت من غير عذر. وسـوف نظل غرباء كتب علينا الانفجار في المكان لأننا لم نسـتطع الإقلاع في الزمان، وذلك هـو شـأن المحـروم من العين الناقدة لما يحـدث في بلاد لم تقف على عتبة الدولـة الحديثة إلا بموجب حالة ذهنية، وتعريفة أيديولوجية.

وهكذا تؤكد الوقائع العنيدة على هيمنة قوى المجتمع التقليدي التي لا ترفض الجديد فحسب، بل تمسخ ما تستعيره منه، وهي تكتفي بالاستعارات المجهرية لشكليات الحداثة لتعزز أكثر البنى تقليدية وتخلفاً بأطر وأدوات جديدة، منها البرلمان والشرطة والجيش والقضاء، وتلك هي عين الكارثة بالنسبة للمعارضين الذين صدقوا بجدية المؤسسات الشكلية واعتقدوا أنها تقصد ما تقول، ولم يلتفتوا إلى خلطهم بين سلطة الشوكة العصبية المهيمنة، و«الدولة»، وصدقوا أيضاً أن مسميات: الجمهورية والحكومة والبرلمان، تعني هي الأخرى ما تقول، رغم أنها لم تفارق السياق البلاغي العربي الذي درج على وصف الأعمى بـ البصير، وما إلى ذلك.

وفي الأثناء تكرست سلطة الشوكة العصبية. ولم يكن بمستغرب أن يصدر القضاء أحكاماً قراقوشية، وأن يتكلم وزير الداخلية بلغة تقطر نرجسية، لأن البدوي لا يخون ما درج عليه من استخفاف وتسفيه وتحقير لـ«الآخر».

واستطرادا فإن هذ السلطة المتأتية من طريق الإغارة والسلب والاغتصاب، كانت، ومازالت، كفيلة بأن تحول الشرطي إلى لص وقاطع طريق، وأن تجعل من القوة حقاً، ومن الجمهورية سلطنة، ومن البلاد ضيعة ومزرعة، ومن البرلمان مسرحاً لعناصر الفلكلور السياسي التهريجي، ومن الوحدة منصة انطلاق للغزو والنهب وطرد «الآخر».

وبمناسبة «الوحدة» يمكن الجزم أن قوة الإيمان بالوحدة لم تكن هي الدافع لاقتحام عدن، وإنما الغنائم والعطايا، وقد مثلت عملية دخول عدن امتداداً طبيعياً لغزوات البدو واجتياحاتهم المدن وإطلاق يد النهب والسلب في الأغراب.

وبما أن رزق القبيلي، البدوي، يقع تحت ظلال رمحه، فإنه لا يؤكد ذاته بغير نفي «الآخر».

وعوداً على بدء، سيظل فعل الاعتراض على ما يحدث «غريباً»، إذا ما ارتهن على تغيير المؤسسات الشكلية الخربة. وليس ثمة أفق يمكن أن ينفتح إذا لم ينعقد الرهان على بناء المجال السياسي على أنقاض كل هذا الخراب وابتداءً من درجة الصفر، فلا خلاص بغير دولة لجميع مواطنيها ومن خلال كسر هذه الحلقة الجهنمية التي تحرق الجميع دونما استثناء، وإن بدت عناوينها الأظهر في الوقت الراهن تفيد باحتدام سجالية ثنائية «اليمن السافل» و«اليمن العالي»، أو الشوافع والزيود!

ذلك أن الحلقة الجهنمية لن تشبع ولن تفرق بين اليمنيين على المستوى المنظور أو البعيد.

● «النداء»، العدد ١٨٥، الأربعاء ٢٥ فبراير ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

محاكمة الرئيس المتجبر: الهش

مطلع الأسبوع كان الرئيس الأسبق علي ناصر محمد وجبة دسمة في موائد النميمة وتكاياها، وكان ذلك بمناسبة وصوله إلى الخرطوم للتضامن مع الرئيس السوداني وتصريحه بأن استهداف البشير هو استهداف للأمة، ومؤامرة لضرب الأوطان والشعوب.

ولما كانت موائد النميمة عامرة ومتنوعة، وتستوعب الكثير من التنويعات فقد انضاف الرئيس علي عبدالله صالح إلى القائمة.

وكما جرى التذكير بأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدموية في عدن يوم كان علي ناصر هو الأمين العام ورئيس البلاد، فقد جرى استدعاء أهوال حروب صعدة المستمرة في ظل رئاسة الرئيس صالح مع الإشارة إلى أن الرئيس صالح كان الأحذق والأسبق في إعلان الوقوف مع زميله البشير بالانطلاق من ذات المبررات التي ساقها ناصر.

وفي كل الأحوال، تظل خلايا النميمة السياسية اليمنية سيدة الموقف والساحة و«القضية» فهي الأكثر نشاطاً ويقظة ولا تنام حتى عندما تنام، فهي تغمز وتضمر وتمارس الإسقاط حتى عندما تبدو منهمكة على تفحص صحيفة اتهامات محكمة الجنايات الدولية الخاصة بالبشير.

وكثيراً ما تنفلت خلجات اللسان لتفضح خفايا الأعماق التي تؤشر -مثلاً- إلى غياب مدونة ضحايا الحروب الخمسة في صعدة عبر تسخين النقاش وتركيزه حول ٣٠٠ ألف قتيل من ضحايا الحرب في دار فور، حسب الأمم المتحدة.

وبما أن الملمح الطافح من موائد النميمة ينضح بكراهية عمياء لشخص الرئيس الذي ترتبط بشخصه كافة الكوارث والمصائب، فإن هذا المنطق لا يختلف عن ذلك الذي يقول بأن استهداف الرئيس

هو استهداف للوطن والأمة و... إلخ.

والمضحك هنا أن الرؤساء والبؤساء يقفان على نفس الخط، ويتوحدان في الرثاثة، وذلك ما يدعو إلى الرثاء، وما أقبح تلك الطرفة التي تقول بأن محاسبة رجل الدولة تمس بالأمة! وما أتعس الأمة التي تختزل إلى فرد واحد.

وبدلاً من الاستغراق في الكوميديا السوداء كان من الأجدر النظر في ما تتيحه القضية المثارة ضد الرئيس السوداني من فرصة جديدة لإخضاع الرؤساء للقانون في الساحة الدولية، بعد عجز الساحة القضائية الوطنية عن بلوغ درجة كافية من النضج لإتمام هذه النقلة الحقوقية حسب الكاتب والمؤرخ الاجتماعي فالح عبدالجبار.

وفيما شدد فالح على حاجتنا إلى وضع أكثر من رئيس عربي لامتحان القانون، وحاجتنا إلى فصل الرئيس السياسي عن الرئيس التاجر، وفصل الرئيس التنفيذي عن الرئيس القضائي، بغية الحد من قدرة رأس «الدولة» على خرق القانون، فقد شدد على الحاجة لـ«ثورة مجيدة» كتلك الثورة الإنكليزية في القرن السابع عشر التي أخضعت العرش البريطاني لمحاكمة برلمانية قضت بقطع رأس العاهل بتهمة خرق القانون، وكانت الحجة الفقهية هي الآتية: إذا كنت أنت نفسك تخرق القانون فكيف تطلب من رعاياك طاعته!

والحاصل أنه في ظل غياب المؤسسات المدافعة عن القانون، والمفوضة بالمحاسبة والمساءلة لأيٍّ كان، سوف يظل باب الخرق والانتهاك مفتوحاً، وإلى جانب ذلك سوف ينفتح باب التدخل الإنساني في الدفاع عن الحق المقدس في الحياة.

وسيحدث أن ينتطح العالم لردع الرؤساء «حقنا» فمن لا يربيه أهله في البيت يتكفل «الآخرون» بتربيته وردعه، وذلك ما يحدث هذه الأيام بالضبط وحرفياً.

ثم إن تلك الشعوب التي أخضعت رؤساء دولها وحكوماتها لمحاكمات في قضايا أخلاقية وفساد هينة بالقياس إلى ما يحدث من فضائح مروعة في بلداننا، لم تعد تطيق التعايش والتصالح مع جريمة اختطاف وذبح دول وشعوب أخرى من قبل دكتاتور بائس أو شخص رئيس تعيس يستمد «شرعيته» من خرق القانون والسيادة: حق الحياة المقدس.

وفي هذا المنحى يمكن استدعاء ما قالت الروائية ايزابيل الليندي في مذكراتها: «إن رفع الدعوى في إسبانيا ضد ديكتاتور تشيلي السابق بينوشيه كشف بما يشبه السحر أن هذا المتجبر كان هشاً، وأن هذه الفجوة فتحت باب التغيير. إلا ما أحب هذه الهشاشة!».

● **هامش: اقرأ: فالح عبدالجبار وجماليات الدعوى ضد رئيس.**

● «النداء»، العدد ١٨٦، الأربعاء ٤ مارس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

ما الفرق بين المؤتمر والزهايمر!

مات المؤتمر العام الرابع لنقابة الصحفيين اليمنيين قبل أن يولد يوم السبت القادم.

وليس ثمة ما يمنعني من الجهر بـ«موت المؤتمر» ومن إطلاق الحق في حرية التعبير لمشاعري وأحاسيسي التي تقول بذلك، فهي لا تكذب حين تقول إن المؤتمر المزمع مات في الرحم المظلم لأول مؤتمر وليس في المؤتمر العام السابق.

ثم إن المؤتمر كان بالنسبة لي، عبارة عن لحظة صداقة ومحبة تتجدد كل أربعة أعوام وأتشارك في تأليفها مع مجموعة أصدقاء أحباء كنت ألتقيهم قبل وأثناء وبعد أيام انعقاد المؤتمر، ونعقد جلسات التآمر الحميمة ضد غيرنا وضد بعضنا، وجلسات طاحنة، ساخنة، ملتهبة، حاسمة، و«تاريخية»، بعيداً عن المكان الذي يصنع فيه التاريخ، وبالأحرى عن قاعة المهرجان والخطابة والاستعراض والمؤتمر الذي تنقل وقائعه ونتائجه عبر الإعلام.

وبما أنه (أي المؤتمر) كان لحظة محبة ورفقة وصداقة، ولأن معظم عناصر صناعة ظفيرة اللحظة، حلوا عن دنيانا بعد أن ترفقت بهم يد المنون وخطفتهم بعيداً عن أدخنة بخور الموالد والولائم والموائد، فإن غياب أولئك الأحباء يشفع لي قولي بـ«موت المؤتمر».

وبما أن التآمر افتقد طعمه، وانحرف عن قواعده، ولم يعد لعبة وطنية قائمة على أصول فقد: «مات المؤتمر».

وبالعطف على وفاة الكثير من أصدقائي الذين رحلوا عن الدنيا بعد انعقاد المؤتمر السابق،

يتوجب التنويه إلى أن الموت الذي أقصده في هذه العجالة لا ينحصر في بعده الفيزيائي، بقدر ما يطاول شتى الأبعاد والزوايا، وتلك شهادة تصدر عن شخص اقترنت لحظة صعوده إلى أول مؤتمر، وتسجيله لأول ظهور مؤتمري، بمشاركته في صناعة واقعة وفاة «المؤتمر» وصياغة بيان النعي.

والحاصل أني كنت ضمن كتيبة إعدام، وبالأحرى ضمن الصحفيين الذين وقفوا مع الطرف المنتصر في أحقر معركة دامية أودت بحياة الكثير من زملائهم الذين وقفوا مع الطرف المهزوم. وتمثل القرار الأخطر والأهم و«التاريخي» في ذلك المؤتمر بنقطة واحدة: إدانة الزملاء القتلى!

وكانت تلك شهادة الموت المعلن للمؤتمر- النقابة، ولم تبق غير لقاءات الرفقة والمحبة والتآمر الدورية التي تواطأنا على تأطيرها بتعريف: المؤتمر.

ولما كنا نتكرر مع انعقاد كل مؤتمر، ونتخبط تحت عتبة الإدارة والمؤسسة والنقابة، ونتوحل في ما قبل كل ذلك بلا ملل ولا كلل ونناقش العناوين نفسها: من هو الصحفي، العضوية، النظام الداخلي، ميثاق الشرف، القانون...

ولما كنا نتخذ القرارات والتوصيات نفسها إلى الحد الذي انطمس فيه الفارق بين «النقابة» والزهايمر.

ولما كنا نؤكد على أولوية المهنة في النهار، ونُنقض ذلك في الليل، وننتهي إلى الاستنامة المؤبدة تحت ابط الحزب الحاكم والزعيم والشيخ والقبيلة والعائلة و... إلخ.

ولما كنا عبارة عن «موتى يشيعون موتاهم»؛ فقد صار من الوارد أن يزهق المرء وأن يدفعه الملل القاتل إلى قول كلمة أسف واعتذار عن المشاركة في الطقس الجنائزي المكرور وتشييع: المؤتمر.

● «النداء»، العدد ١٨٧، الأربعاء ١١ مارس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

من جنوب القمر: «نجاح»

ينبغي أن تتوفر مراكز صناعة القرار بصنعاء على جرأة إسعافية تكفيها لتدراك نفسها عبر الانقلاب على نفسها، وعلى عاداتها الراسخة في القراءة الخاطئة لمجرى الأحداث والتطورات التي أخذت تنحو إلى الرسو على حافة حادة، قاطعة، لا تقبل بأنصاف الحلول، ولا بمنطق المساومة والتسويف والاستهانة والحقن والهزل.

وفي هذا المنحى يتوجب على مراجع صنعاء أن تنقلب على طريقها المعتادة في قراءة الأمور. ولن تلام إن هي وصلت متأخرة إلى عتبة الرشد، فالمهم أن تصل وأن تدشن نقطة انطلاقها بقراءة جادة ومسؤولة ومتبصرة لبيان حركة «نجاح» وبالأحرى حركة النضال السلمي في الجنوب.

وللإفادة لا بأس من الإشارة إلى أنه جرى إقرار تسمية «نجاح» في المؤتمر الأول لهيئات حركة النضال السلمي في الجنوب الذي اختتم أعماله يوم الاثنين الماضي في منطقة السيلة (الردوع) بمحافظة الضالع، بعد أن عقد دورته الأولى خلال الفترة ٢٣-٢٤ مارس بالتزامن مع الذكرى الثالثة لأول اعتصام جماهيري أقامته جمعية المتقاعدين في محافظة الضالع.

وفيما خص المؤتمر الأول لـ«نجاح» تستلفت النظر جملة من الإشارات الواضحة والبليغة التي تقول بنقلة هامة على طريق تبلور التعبير السياسي، التنظيمي، القيادي لحركات التصالح والتسامح، والمتقاعدين العسكريين والمدنيين، والشباب العاطلين عن العمل، وكافة المكونات السياسية والمدنية لـ«الحراك الجنوبي».

وقد كان واضحاً أن تلك الحركات نشأت، في البدء، كحركات شعبية اجتماعية تلقائية، ثم توسعت

وتعمقت إلى أن أرهصت بتعبيرات سياسية جلية المعالم.

وكان حرياً بالسلطة وكافة الفعاليات السياسية أن تسارع إلى الاحتفاء بإيجابية هذه الحركة المدنية السلمية الناهضة على أساس المطالبة بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والمهنية، والواعدة بتحقيق وعود الإصلاح والديمقراطية، إلا أنها ذهبت في الاتجاه المعاكس تماماً. والحاصل أن القبضة الأمنية لم تجد نفعاً، كما لم تُجْدِ أساليب التهوية والاستخفاف والانتقاص من حجم المعطى الذي أخذ يتسع ويتطور ويتعمق ويتبلور حتى اختصر بـ«نجاح».

وانعقد مؤتمر «نجاح» بحضور ٤٠٠ مندوب ومندوبة، وتشكلت له رئاسة دورية ولجنة تنفيذية ونقاط ارتكاز مهمة تمثلت بحزمة من الوثائق والعناوين التي تعكس توقاً عارماً للمؤسسة ولإنشاء مرجعية سيادية وطنية عليا تُمثل فيها محافظات الجنوب بالتساوي، وتستوعب كافة مكونات الحراك، وتنهض بمهمة تحريك ملف الجنوب في المحافل الإقليمية والدولية على قاعدة قراري الشرعية الدولية (٩٢٤، و٩٣١) اللذين لا يجيزان «الوحدة المفروضة بالقوة وتلزم طرفيها بالعودة إلى طاولة الحوار».

وهنالك الكثير من الإشارات التي تلزم صنعاء باعتماد قراءة جديدة لبيان «نجاح»، فهل هي مستعدة للمغامرة في كتابة أول بيان نجاح في حياتها...

● «النداء»، العدد ١٨٩، الأربعاء ٢٥ مارس ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هائــل

بــاب النجــار...!!

أعجبني موقف الرئيس اليمني علي عبدالله صالح عندما انسحب من الجلستين المغلقة والختامية للقمة العربية الحادية والعشرين في الدوحة احتجاجاً على عدم إتاحة الفرص لقراءة الرؤية اليمنية حول تفعيل العمل العربي المشترك وإقامة اتحاد الدول العربية، وهي رؤية سبق للبرلمان العربي أن أقر رفعها إلى القمة لوضعها على جدول أعمال القمة، غير أنها لم تدرج، وبذلك «جنت على نفسها براقش»، وانسحب الرئيس، وعلى أمل أن يتحملوا تبعات انكشافهم، وانحسار رداء الحكمة عنهم، وتخبطهم في مهب مخالب النقمة.

وكأن الحكمة تأتي لمن لا يطلبها، وذلك هو شأن الرئيس صالح الذي انسحب في الوقت المناسب ليستعيد أنفاسه ونفسه ويرتاح، ويوفر جهده ووقته لوطنه الصغير، غير نادم على جهوده التي أهدرت في سبيل إصلاح أحوال أمة أسيرة لزعامات تكرست كوصفة للنكبة، النكسة، والكارثة، ولم يعد بمقدورها الالتفات لأية بارقة خلاص أو التقاط وصفة الخلاص الناجعة المقدمة من كف يمنية مبسوطة وسخية.

ثم إن الانسحاب جاء في وقته المناسب، والشاطر هو من ينأى بنفسه عن هوجة الزحام بين أسماء وعناصر الفلكلور السياسي العربي، التي جنحت إلى الابتذال المقرف، لأن عملية تسكينها في المتحف أو توطينها في محمية الكائنات النادرة والأحافير قد تأخرت كثيراً، ولأن تسكينها تحت مسمى «القمة» أفضى إلى تكريسها كفضيحة فضائية مدوية أصبحت تستدعي تدخل علماء ومؤسسات الفلكلور والأنثروبولوجيا لضبط هؤلاء: القمة.

ولمن لا يعلم فإن الجهد المبذول لصياغة «الرؤية اليمنية» يستحق الزعل والحنق ومقاطعة القمة ومؤتمراتها القادمة.

وبمناسبة الخطوة الشجاعة التي قام بها فخامة الرئيس تمنيت لو كنت من المستشارين أو من الطباخين الصغار للسياسات والمبادرات والقرارات المصيرية في رئاسة الجمهورية لأنصح بتدبيج إعلان يمني (تاريخي) بسحب كافة المبادرات اليمنية الخاصة بمعالجة أوضاع الأمتين العربية والإسلامية، والنظام الدولي، والمبادرات الخاصة بوضع حد للحروب الأهلية الدموية المدمرة الدائرة بين الفرقاء في الصومال أو فلسطين أو العراق أو السودان أو لبنان.

إن كل هؤلاء لا يستحقون مبادراتنا وأهل البلاد أولى بجهد الرئيس ووقته النفيس!

وتمنيت أن يتخذ الرئيس قراراً بغلق مطبخ المبادرات الإقليمية والعربية والإسلامية والكونية، وإعادة تأهيل عناصر لكي تتمكن من الحركة في ملعب صغير مداره اليمن الزاخرة بالنقاط الملتهبة والمتفجرة والمنذرة بحطام عظيم.

وكما يقال فقد «حصل خير» ولا يساورني الشك أن ظهور أصحاب المبادرات الكبيرة لن تنكسر إذا ما خضعوا لتمرينات اللياقة وتأهلوا للنظر إلى مكمن الشيطان في التفاصيل الصغيرة وتوزعوا إلى فريق يشتغل على ملف الحرب في صعدة، وفريق على القضية الجنوبية، وفريق على المسألة الاقتصادية بأفق تأمين عدم انقطاع الرواتب عن الموظفين بعد أشهر، و... إلخ.

والحكاية أني تأسفت كثيراً عندما تصفحت موجز الرؤية اليمنية التي تضمنت تصوراً بتأسيس اتحاد الدول العربية، وتصوراً بتصحيح الاختلالات العربية ومشروع البناء السياسي الرشيد، ومشروع دستور من ٣٥ مادة، واستراتيجية اقتصادية اجتماعية دفاعية وأمنية شاملة، وهياكل وأطر تنظيمية تشريعية، وكثيراً من الوثائق والبنود والمفردات التي لم يلتفت لها زعماء القمة حتى من باب الفضول.

آه لو كانوا التفتوا لـ«الرؤية اليمنية»! لأصابهم الذهول وتعجبوا من قدراتنا على صياغة الرؤى والمبادرات والحلول الاستراتيجية، وتفطنوا إلى السر في تخلع باب النجار.

● «النداء»، العدد ١٩٠، الأربعاء ١ أبريل ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

على أي نغم ستكون الرقصة

ما هو اللحن الذي سوف ترقص الحكومة المعدلة على أنغامه؟

ينطرح هذا السؤال في ضوء ما يتردد عن تعديل حكومي واسع يمكن أن يُعلن في أية لحظة، وقد كانت هذه الإشاعة من القوة بحيث ألقت بظلالها الثقيلة على الوزارات، وشلت عمل الوزراء وانقطع بعضهم عن الدوام في المكاتب، وحجزوا الملفات المتعلقة بمصالح ومعاملات الناس في بيوتهم، وأعادوا التذكير بسوابق سابقيهم الوزراء الذين لم ينخلعوا عن الكراسي إلا بعدما خلعوا الأبواب والنوافذ، وحملوا معهم الخفيف والثقيل والثمين من مكاتب الوزارات، أو بعد أن صدرت التعليمات إلى البنك المركزي بعدم قبول توقيعاتهم على الشيكات عشية احتدام شائعة التعديل أو التشكيل الوزاري.

وبالنظر إلى أن حراجة الوضع الذي يكتنف البلاد تستوجب تفسير أو تبرير التعديل الوزاري ينطرح سؤال النغم الجديد الذي سوف ترقص عليه الحكومة في صيغتها المعدلة.

وبالمناسبة أصبح الناس يحتاجون إلى من يبشرهم بتدخل «المهدي المنتظر»، أو أية معجزة خارقة وتلك هي مسؤولية الحكومة وبالأحرى المرجع الذي يشكل ويعدل ويغير ويبدل الحكومات!

وما الذي يمنع، مثلاً، من القول إن هذا التعديل يأتي في ضوء الاكتشاف المذهل الذي يقول بأن اليمن هي موقع سفينة نوح أو الاكتشاف التاريخي المبهر الذي يفيد بأن اليمن ستعيد تشكيل صورة العالم بعد برهه لا تزيد عن عشر سنوات؟!

مـا الـذي يمنع من وضع اليمنيين في صورة هذه الاكتشـافات الكفيلة بقلـب أحوال البلاد والعالم رأساً على عقب وعلى النحو الذي لا يدعو إلى تعديل وزاري فحسب وإنما...!

ولست في وارد الغمز من الدراسات التي قدمت إلى فعالية تنادت إليها عناصر زبدة «النخبة» في مركز «منارات»، تشارك في مناقشة قضايا منجزة ومحسومة ومؤكدة ومبنية على المصادر التاريخية وقـراءة إحداثيـات خطـوط الطول والعـرض ووفقاً لما ورد في القـرآن الكريم، تؤكد علـى أن نبي الله نوح سـكن اليمن وأقام فيها ومن إحدى مناطقها انطلقت سـفينته، وعلى أحد جبال محافظة صنعاء رست»!

ولسـت بصدد الانتقاص من ذلك الباحث التاريخي الذي تأبط قبل أيام اكتشـافه التاريخي، ويمم وجهه صوب مركز الدراسـات بشـارع بغداد ليضع الدكتور عبدالعزيز المقالح، أعانه الله، في الصورة من اكتشاف علمي «إعجازي» سيغير صورة العالم وستكون اليمن هي محور ذلك التغيير في غضون عشر سنوات «بناء على مجددات تاريخية»!

سـيكون من الوارد تفسـير التعديل الوزاري بتلك الاكتشافات التي تسـتوجب إعادة هيكلة النظام وأجهزة تدبير الشأن العام خاصة في مثل هذه الظروف التي تمر بها البلاد.

والمعلـوم أنـه مع انـدلاع الأزمات يفقد النـاس الأمن على الـرزق والنفس ولا يفكـرون بعقولهم بل بمخاوفهم وأهوائهم. ثم إن الانطلاق من المقدس الذي ينطلق بدوره من الاسطورة يساعد، أيضاً، في إدامة غيبوبة الوعي الجمعي.

وليـس ثمـة ما ينفع لمخاطبـة انفعالات جمهور الحيارى غير الخوارق والوصفات السـحرية وبيع الأوهام.

ولأننا بصدد خفة «النخبة» التي لا تحتمل فإن طغيان التصورات التقليدية والأسطورية الخرافية لا يرتبط بنرجسـية القبيلة والعودة العارمة إلى «الينابيع» فحسـب بقدرما يشـير إلى هشاشة البنى السياسية والتعليمية والثقافية، وتفشي ثقافة الرداءة والفساد بدلالة أن الكثير من حملة «الدال» هم أكثر من يتهافت على موائد الجنرالات الذين جنحوا مؤخراً إلى إقامة مراكز الدراسات، وفرحوا عندما وجدوا أن الفزاعة التي تسمى «مثقف» في اليمن ليست أكثر من قشة، في أغلب الأحيان.

● «النداء»، العدد ١٩١، الأربعاء ٨ أبريل ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

قوة ذكاء البصل وما وراء الربوة

(١)

كما لا يمكن التكهن بالتبعات المترتبة على قفز فيل هائج إلى مستودع خزف، وكما لا يمكن إعادة البيضة المخفوقة إلى وضعها السابق كبيضة كاملة، صار من غير الممكن التكهن بالمصير الذي ينتظر اليمن وراء ربوة ردفان وليس وراء «أكمة» صحراء المجاز.

(٢)

تستطيع قوات الجيش والأمن النزول بالدبابات والمدرعات والجنود المدججين بالسلاح إلى الشوارع والساحات، لتشتيت التظاهرات وقمع المتظاهرين واعتقالهم وحتى سحلهم وقتلهم.

وتستطيع ارتجال نقاط التفتيش والكمائن في منعرجات ومفترقات الطرق، ذات المزيد من مخافر الضبط والحجز والاعتقال والترهيب والتعذيب.

ويمكنها المجازفة باستحداث المواقع العسكرية في المرتفعات المطلة على سكان القرى والمدن، وتوجيه فوهات المدافع والدبابات والبنادق نحو رؤوس الأهالي وإلى غرف النوم وغرف الذاكرات والهواجس.

وتستطيع الإقدام على ارتكابات لا تخطر على بال ولا تختلج في أي خيال إبليسي أو جهنمي.

لكن.. وعلى الرغم من كل تلك القدرات الماحقة والمتاحة لاستخدام القوات العسكرية والأمنية، فإن حركتها تنشل وتتعطل وتفشل عندما تصطدم بذكاء رائحة البصل المسكوب من الشرفات.

(٣)

«والنساء اللواتي تدافعن إلى الشرفات من أجل رمي كميات كبيرة من البصل للمتظاهرين الذين تعرض بعضهم للاختناق».

وورد في «الأيام» الصادرة يوم أمس: «شوهد جنود الأمن المركزي وهم يقومون بملاحقة المتظاهرين بمدينة الحبيلين إلى الاحياء السكنية الواقعة خلف مستشفى ردفان، كما رصدت عدسة «الأيام» صورا لطالبات في المرحلة الابتدائية وهن يركضن ويجهشن بالبكاء خوفاً من الرصاص والقنابل المسيلة للدموع التي طالت عدداً من المنازل، كما شوهدت عدد من النسوة وهن يرمين كميات من البصل من شرفات المنازل للمتظاهرين الذين تعرض بعضهم للاختناق».

والأسوأ أن المواجهات كانت ساخنة ودموية وأسفرت عن إصابات وجرحى من الجانبين، وأن مدينة الحبيلين ومديرية المسيمير في لحج كما مديرية المحفد في أبين وغيرهما اهتزت بتفجيرات مدوية، وتبادل لإطلاق النيران في أوقات متأخرة من الليل والنهار.

واللافت أن المتظاهرين في ردفان حرصوا على اقتحام منصة الشهداء وتمركزوا فيها وقاموا بإحراق ملابس وبطانيات الجنود وهم يرددون المهاجل والزوامل الغاضبة.

وللمنصة المذكورة دلالة خاصة في الوجدان الجمعي هناك، فهي اقتحمت في مثل هذه الأيام من العام الماضي وتمركزت فيها قوات الأمن المركزي بعد أن كانت منبراً لاحتجاجات حركات الحراك السلمي في المحافظات الجنوبية.

(٤)

تستطيع قوات الأمن المركزي استعادة المنصة بالقوة، وبمقدور القوات العسكرية والأمنية معاودة مجازفة استحداث الموقع العسكري على الربوة المطلة على منازل الأهالي والمحاذية للطريق العام «الحبيلين- حبيل جبر- يافع»، ولكنها لن تتمكن من التحكم والسيطرة على البصل، وما وراء الربوة، وسوف تنشل وتفشل وتنهزم لأنها متورطة في حالة تلبس فاضح، فهي التي تحرشت بالأهالي والسكان في ديارهم ثم قالت لهم: تعالوا نتقاتل.. وهي التي دفعت بالأمور نحو مواجهات ساخنة ومفتوحة ودامية في الحبيلين وعدن الصغرى والمحفد.. وهي التي لا تعرف ما يعنيه رمي البصل من الشرفات، ولا تريد أن تعرف أن الربوة الكائنة في جبل السود بردفان تقع في ردفان وليس في أماكن أيام زمان المروّضة على الطغيان والهوان والإذعان والتحرش!

● «النداء»، العدد ١٩٢، الأربعاء ١٥ أبريل ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

العاصمة القاصمة

طالعتنا تسريبات المصادر الرسمية إلى الصحافة المحلية والخارجية بأن المراجع العليا في الحكومة ستواجه كارثة الجفاف المحدقة بصنعاء على غرار مواجهة أنجال عمتي زين عثمان، عافاها الله وأطال عمرها، لمحنتها حينما استجابوا لنداء إغاثتها من الجفاف الضارب في القرية، وسارعوا إلى إنجادها بنقلها من القرية إلى صنعاء.

وفيما كنت أتحين الفرصة السخية بالدعابة والمرح لكي أمارس العتاب الحلو مع أبناء عمتي تدخلت السلطة وأفسدت كل شيء كعادتها دائماً.

وأصبح الكلام الذي تهيأت لقوله بلا طعم، وتلخبطت خارطة طريقي إلى المبادهة والمكاشفة المرحة مع أنجال عمتي زين الأبرار والمحبين لوالديهم، وأمهم الجديرة بمحبة أولادها وأهلها ومعارفها أجمعين، ويعلم الله أني كنت سأعبر لهم عن تقديري وإجلالي البالغين ولن أنبس بنبرة انزعاجي من تبعات وتداعيات خطوتهم الحكيمة على أمثالي، وهي تداعيات ثقيلة عصفت برؤوس وقصمت ظهور غير المقتدرين على تحمل أعباء استقبال وإيواء وإعاشة أهلهم وذويهم من الكهول والعجزة الذين تسابقوا على حجز مقاعدهم في سيارات (الصالون) في القرية هرباً من الجفاف إلى أحضان أولادهم الموظفين والمسؤولين في صنعاء.

ربما كنت قد تهيأت لمخاطبة أبناء عمتي باقتراح احتوائي لمحنة الجفاف في القرية من خلال إنشاء مصائد للمياه وخزانات وسدود، مع الإشارة إلى أنهم -أبناء عمتي طبعاً- قدوة تحتذى.

وربما كنت في وارد إزعاجهم بطريقة فلاحية ماكرة حول الآثار المترتبة على أسلوب مواجهتهم

لمحنة الجفاف في القرية بما أنهم قدوة، وهم كذلك بحق، ويعلم الله وبعده أصحاب سيارات (الصالون) أن الكثير من كهول وشيوخ القرية والقرى المجاورة، نساءً ورجالاً، هجروا ديارهم وأرضهم على غرار ما كان عليه الحال بالنسبة لعمتي الحبيبة زين.

وربما كنت أتحين معاتبتهم بلفتهم إلى مخاطر تأبيد الجدب والقحط في القرية والقرى المجاورة عبر هجر الديار وأرض الآباء والأجداد وتجفيف منابع الذكريات والذاكرات، وإلى هول الشعور بغروب شمس أحلام اليقظة والمنام بقرية «الميعاد» وأرض الاحلام المؤجلة إلى الهزيع الأخير من العمر و...

المؤكد أني سأشجب تحاشيهم مواجهة الحكومة بحزم فهي المعنية والمسؤولة عن تأمين الخدمات الضرورية للسكان، وهي من يتحمل مسؤولية تعطيل مشروع المياه منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، وهي التي تكذب على الأهالي ولم تعر اهتماماً لاستغاثاتهم،

وكنت سأجزم وأقسم على أن الحكومة ومراجع الحكم في صنعاء هي المتسببة بنكبة القرية وعموم البلاد، وينبغي أن نكف عن تسهيل أمورها وإدامة عمرها بهذا النوع من التدبير.

ولأن الحكومة و«الحاكم» لـ«صنعاء» أمكر مني ومن أبناء عمتي والكثيرين أمثالنا فقد أفسدت خطتي وخارطتي في التعبئة ضدها، وسربت الأخبار عن نقل العاصمة من صنعاء إلى عدن، لتحرف بوصلة «نضالنا» المتوجهة إلى صنعاء.

وفي ضوء هذه التسريبات التي تنطوي على ارتكاب رعوي أرعن وصبياني، أعتقد أن الوقت لا يتسع للمزاح مع أبناء عمتي الذين أنجدوا أمهم من محن الجفاف في القرية بنقلها إلى صنعاء وردت عليهم الحكومة بالتصريح أنها ستهرب من كارثة الجفاف المهلكة لصنعاء إلى عدن.

والواضح أن مراجع الحكم في صنعاء غير معنية بتدبير الحلول والمعالجات المتصلة بتأمين احتياجات الناس لمواصلة بطولة العيش والبقاء بقدر ما هي مشغولة في ابتكار المزيد من اساليب تدويخ اليمنيين والمحيط الإقليمي والخارجي وإرباك (العالم) بخطوات دراماتيكية عاصفة وإعلانات مدوية على غرار الإعلان عن استبدال العاصمة صنعاء بعدن.

فلتكن عدن هي العاصمة القاصمة.

● «النداء»، العدد ١٩٣، الأربعاء ٢٢ ابريل ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

على كف ذاكرة!

يتقاطع ما حدث في رمضان مقديشو ١٩٨٦ مع ماحدث في يناير عدن ١٩٨٦ عند نقطة الانفجار الناسف للذاكرة التي لم ترجع بعدها مقديشو إلى حالتها السابقة وكذلك عدن.

وبما أن معظم اليمنيين، وبالأخص النخبة، لا يحيطون بالكثير من النقاط المفصلية في رواية الانهيار الصومالي فقد توجب لفتهم، وإن متأخراً، إلى نقطة درماتيكية مثيرة، فاصلة، ومتصلة بشخص الرئيس الصومالي الراحل محمد سياد بري، وقد لفتني إليها الصديق المستشار ونائب القنصل الصومالي العام بعدن حسين حاجي أحمد.

وهو قال فيما قال إن أوضاع الصومال تدهورت بإيقاع متسارع بعد أن تعرض الرئيس الراحل لحادث مروري أصابه في الرأس في رمضان ١٩٨٦، وأستدعي إسعافه الفوري بطائرة خاصة من مقديشو إلى أرقى المستشفيات في السعودية، وهو في غيبوبه لم يفق منها حتى بعد أن مكث ثلاثة أشهر في غرفة الإنعاش، استعاد خلالها لياقة «السرنمه» قدرة السير وهو نائم وخرج بعدها جثة متحركة ومتعافية بالحدود التي تسمح بتلبيسه البزة العسكرية للرئيس اللواء دون أن تعوضه عن فقدان الذاكرة.

وتَكَشَّفَ أن الصدمة ضربت الرأس والذاكرة معاً، ولم يعد الرئيس كما كان عليه، ولم يعد ذلك الذي كان قبل رمضان.

وعاد «أبو مصلح» إلى مقديشو ليواصل مشوار البقاء في كرسي الحاكم كأي دكتاتور يستمد شرط

البقـاء والاسـتمرار من قوة قصوره، ويسـتمر فـي الحكم وإن كان في حالة موت سـريري ويلمع كأي تمثال من شمع أو مومياء في دائرة الأضواء وفي بؤرة عدسات الكاميرات.

والأعجب أنه حفر لنفسـه مكاناً غائراً في الذاكرة بعد أن فقد الذاكرة التي بدت وكأنها ليسـت من الأشياء الضرورية لأي رئيس من هذا الصنف الذي يكفيه أن يجلس على الكرسي الدوار، ويلبس البزة والرتبة العسكرية ويحتفظ بالجهامة والبهررة والهنجمة.

واتضح بالملموس أن إمكانية تدبيس الشـعب بأي رئيس أو برئيس فاقد الذاكرة، وحتى بلا رأس، ليسـت صعبة على اللاعبين المهرة في المطابخ والكواليس الرئاسـية، ولا فرق في هذا المقام بين اليمن والصومـال، وانفضح الاهتراء أكثر مع احتدام النزاع بين النافذين في العائلة والحاشـية، وأشـتدت ضراوة الضَب تحت الحزام بين المتقاتلين على كعكة السلطة والثروة، رغم أنه كان بمقدورهم مواصلة لعبـة تبصيم الرئيس وتمرينـه على التوقيع اليومي على قرارات خطيرة وسـيادية ومصيرية تتعلق بالسلم والحرب وبتوزيع المناصب والأراضي والمنافذ السيادية على المحاسب والأقارب.

كان الزعيم فاقد الذاكرة تماماً وهو لم يعد من السعودية بأي جديد لافت غير جرعة إيمانية طافحة ليست غريبة على أي دكتاتور عربي يقف على حافة الحفرة.

وكما كان لأنجال الرئيس نصيب الأسد فقد كان للبنات ما للبوات حيث احتفظ أزواجهن بحزمة من الحقائب الوزارية ولكن أمور البلاد لم تعد كما كانت عليه قبل رمضان ١٩٨٦.

وانزلقـت الصومـال إلى دائـرة التقاتل والتـآكل، وأُكلت لحمـاً وعظماً، وتناهشـها المتنازعون من «الوارثين» و«الدستوريين».

وفـي الأثنـاء كانت البلاد مدججة بالزعامات المسـلحة والمتناطحة. وفي ظـل الرئيس فاقد الذاكرة تدمرت ذاكرة الصومال، والأسوأ أن رابطة الانتماء و«الوطنية الصومالية» تهتكت وتمزقت إلى إرب.

وتشابهت الصورة على المراقبين: ترى من أين يبدأ الحبل السري لهذه الكارثة الماحقة؟... هل يبدأ مـن يـوم الحادث المروري المشـؤوم؟ وحتى متى سـيظل مصير الصومال أو اليمـن مرهوناً بـ«ذاكرة» شـخص واحد، ومحكوماً بالصدفة، وعرضة لقصف أي عاصفة أو حادث مروري؟!. وهل يتعلق الأمر بذاكـرة الرئيـس فقـط أم أنه يتعلق مـع حالة الغيبوبة العامـة، والفقدان الجمعي للذاكـرة «الوطنية» لحساب انتعاش وتفجر الذاكرات القاتلة و... ليس للأسئلة من آخر.

● «النداء»، العدد ١٩٤، الأربعاء ٢٩ أبريل ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

أشباح صدام

وصلت اليمن إلى مستوى المعضلة، حيث اللاحل هو سيد الموقف، والانسداد هو العلامة الفارقة والشاهدة على وضع البلد الذي يتخبط في الفوضى والتشظي والفشل.

وخرجت المعضلة اليمنية عن نطاق سيطرة وتحكُّم «الأطراف المعنية» في الداخل، وصار أمر تشريحها متاحاً ومباحاً لأي كان من الهواة والمحترفين، وصارت من موضوعات الساعة، الساخنة، في الصحافة الخليجية خصوصاً والعربية عموماً، وأغوت الكثير من كتاب الأعمدة الثابتة والرأي بمقاربتها كلاً من زاويته.

ولفتني في الآونة الأخيرة دخول العديد من الكتاب العراقيين على الخط، وأحسست بأنفاس التراجيديا العراقية تلفحني وأنا أتصفح بعض تلك المقاربات التي تقصدت التذكير بالعبرة واستحضرت أشباح الحقبة الأخيرة من عهد الراحل صدام حسين.

وبالمناسبة كتب أحدهم أن «الدكتاتورية والعشائرية شر مطلق يدمر المناعة الوطنية للشعوب».

وزاد: «إن اليمن يعيش إيقاعات أزمة بنيوية ساخنة، بل وملتهبة.. بلاد أرهقتها الصراعات القبلية، وفساد السلطة، والاستنزاف الاقتصادي الفظيع الذي تسببه عسكرة الدولة التي تتشابه للاسف في الكثير من جوانبها مع الوضعية العراقية أيام حكم صدام حسين، وخصوصاً في سياسة تقريب الأهل والأحباب، وإقصاء الشطر الأكبر من أبناء الشعب من سدة المسؤولية وعن التنعم بالسلطة وامتيازاتها».

وزاد: «هناك أحزمة نار يمنية مازالت تتفاعل وتتطور، وبشكل عجزت معه السلطة الحاكمة، وحتى الوساطات العربية والدولية، عن حلها وتفكيك قنابلها الموقوتة.. الأزمة مع الحوثيين، تغلغل الجماعات الأصولية في مفاصل حساسة من الدولة، والسياسات العائلية لمؤسسة الحكم».

وأعاد التذكير بتجربة الوحدة المصرية السورية، بالإشارة إلى أنه كان بمقدور الراحل العظيم جمال عبدالناصر اللجوء إلى خيار الحسم العسكري، غير أنه رفض ذلك، لقناعته الوطيدة بأن «تثبيت الوحدة عن طريق سفك الدماء إنما هو المسمار الأخير في نعشها».

وختم داود البصري («السياسة» الكويتية ٢٠٠٩/٥/٢١) مقالته بالقول «إن ما تحتاجه اليمن هو إصلاح مؤسسة الحكم من الداخل ومحاربة الفساد ومنع الدكتاتورية العائلية والعشائرية، فاليمن السعيد ينبغي أن يكون لجميع أبنائه.. عندما يصل اليمنيون إلى حالة توافق وطني وبناء برنامج إصلاح حقيقي بضمانات دولية وإقليمية، فإن كل الملفات العالقة ستحل تلقائياً».

«الدكتاتورية والعشائرية شر مطلق وفيروس خبيث يدمر المناعة الوطنية للشعوب، ولكم في التجربة العراقية المرة حياة».

وفي السياق كان الجنرال وفيق السامرائي («القبس» الكويتية ٢٠٠٩/٥/٢٣) كتب: «لكيلا تتحول اليمن إلى أفغانستان الجزيرة»، وسلط الضوء على العديد من نقاط الخلل وعلامات تحلل الدولة في اليمن.

وكثيرة هي التناولات الصحافية التي كانت أشباح صدام تطل من ثناياها وتعوي في سطورها وتطفو على سطحها، ولم تكن تخرج عن هذا المدار إلا لكي تستدعي «الصومالة» أو «الأفغنة»، وغير ذلك من المعالم التي غدت بمثابة وحدة القياس أو زاوية النظر المعتمدة لقراءة «المعضلة اليمنية».

● «النداء»، العدد ١٩٥، الأربعاء ٢٤ يونيو ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الشعور بالخجل على الأقل

(١)

لست أدري كيف تملكتني الرغبة في تكذيب من يزعم أن الشعب اليمني «شعب جيولوجي» تمخضت عنه الهزات والزلازل والانكسارات، وأفضت إلى تكريسه بهذه الصفة: شعب جيولوجي.

ولن أتجرأ على نفي تلك الصفة إلا إذا ما وقفت على إشارات وقرائن أكيدة تقول بغير ذلك.

وعلى سـبيل المثال فإني أحتاج لما يقنعني بأن اليمنيين، وفي الأقل ما يُسـمى «النخبة»، أصبحوا يتبادلون نظرات الخجل مع بعضهم وأنفسهم وتجاه هذا الذي يجري في بلادهم، وأصبحوا يشعرون بأن الذين يحكمونهم ويتحكمون بمصائرهم صاروا بمثابة إهانة لا تحتمل.

ولسـت أتطلـع أو أطمـع في أكثر من ذلـك. فالخجل هو نقطة الانطلاق المكينة نحو إعادة اكتشـاف الشعب.

(٢)

ثمة صديق عزيز أصبحت ألتقيه كل يوم، تقريباً، بمودة ومرح وشغف، فهو يتجدد ويحتفظ بلياقته وأناقتـه حتـى عندمـا يكون بلا عمل، ويحافظ علـى الإقامة في تخوم السـؤال، والتأمل في التفاصيل اليومية بعيون تغسلها أنداء الدهشة.

هـو لا يعلـم أني أعلم أنه لا يداوم على التواصل والجلوس اليومي معنا بحضور كثيف و«حاتمي» إلا عندما ينقطع قسراً عن العمل، أو تنعدم فرصته ولا تلوح قدامه بالمرة.

يعجبني اعتصامه بالصمت، ويغيظني تعاليه في صمته، وتحاشيه مسايرتنا في ما نحسب أنه «القضية» والسياسة.

هو لا يحتج ولا يرتج، ويكتفي بنصيبه من التبطل، ولا يجيب على أسئلة الساعة بغير سفاسف مقتضبة لا ترقى إلى مستوى الموقف.

قبل أيام أخبرني أنه انقطع عن عمله كمرافق للسياح الأجانب، وحكى أنه آخر مرة كان برفقة سائحة أجنبية، وذات مساء تناول معها وجبة عشاء لم تزد قيمتها على ٨٠٠ ريال، وقد دفعتها بحبور غير أنها تأوهت، فيما بعد، وهي تدفع مضطرة أكثر من سبعة آلاف ريال مقابل فاتورة عشاء أفراد الطاقم الذي كان يرافقها في جولتها السياحية بغرض الحماية الأمنية.

واكتفى صاحبي بالحكاية، ولم يسترسل بأكثر من القول إن معظم المحافظات والمناطق التي كانت مقصداً للسياح أصبحت مغلقة ومحظورة، كما أن معظم الأفواج السياحية الأجنبية ألغت زيارتها إلى اليمن، ما يعني أنه -أي صاحبي- أصبح بطالة وكفى.

(٣)

كان يتجول بسيارته ويحملق فيما استجد وانطمر من معالم عدن أثناء غيابه، وفي تلك الأثناء استوقفته مفرزة أمنية مسلحة وشرعت في استجوابه بشأن الملتحي صاحب الصورة الملصقة على جانب من الزجاج الخلفي. ابتسم: «جيفارا!». كان المغترب اليافعي الشاب يعتقد أن في الأمر مزحة، فكيف لا يعرفون من هو ارنستو تشي جيفارا: أيقونة الثورة والثوار في كوبا وأمريكا اللاتينية والعالم قاطبة.

وأصروا على عدم الفهم والتفهم، وخفروه إلى المعتقل، وانقطعت أخباره عن أهله وذويه. وبعد أكثر من ثلاثة أيام عرفوا أنه يرزح في معتقل «فتح» الشهير، بجريرة المشتبه المطلوب: جيفارا.

●●●

أودعني أحد الأصدقاء السر الذي انفرد به عبر مصدر أمني خاص، ومفاده أن الخاطفين الذين قتلوا الثلاث السيدات المختطفات في صعدة قاموا بفعلتهم تلك عندما اكتشفوا «أنهن غير متزوجات وبلا محرم».

ولكزني صديقي المراسل: هذه المعلومة ليست للنشر وسوف نتابع مصير بقية المختطفين.

... كل هذه الأشياء ألا تدعو إلى القرف وتَحمِل على الخجل!؟

● «النداء»، العدد ١٩٦، الأربعاء ١ يوليو ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

٧/٧ و«موقعـة البقعـة»*

اسـتـلهاماً لتاريخ الغزوات والفتوحات يصح القول إن يوم ٧/ ٧/ ١٩٩٤ كان يوم «موقعة البقعة»، وقد كانت البقعة بحجم بلد كامل حمل اسم «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية».

لقد عشـتُ غرابات ومفارقات ذلك اليوم وما تلاه، وتعجبت كثيراً من قوات «الشـرعية» التي وصلت إلـى ضواحـي عدن ودخلت مدينة «الشـيخ عثمان» بسـهولة مفزعة، وربضت هناك وانشـلت حركتها وبـدت كمـا لو كانت مذعورة وغير قادرة علـى تحمل فكرة وصولها إلى عتبات عدن بجد، ومن غير أن تعترضها مقاومة تذكر.

في تلك الأثناء كانت قيادات الطرف الآخر، الخاسـر، ترحل بسلاسـة من بوابة الميناء في التواهي، وشاء تحالف الصدف والأقدار أن أكون هناك شاهداً على «دفن الملك» مثل العراف ملكيادس في رائعة «مائة عام من العزلة» لجارسيا ماركيز.

شـيعت معظم الفلول القيادية بنظرات بكماء زائغة ما كان بمقدورها احتواء أي شـيء غير صورة بحر مائج هائج كان يعصف بالسـاعية الصومالية المتهالكة التي أقلت آخر جنرالات المتاهة: الرفيق صالح منصر السيلي.

وأشـفقت كثيراً على بعض أولئك الذين اسـتعجلوا مغادرة المدينة، وكانوا يتأبطون أكثر من ملف لأكثر من «بقعة» كانوا اسـتحوذوا عليها في عدن التي هربوا منها لأنها لم تكن، في حسـبانهم، أكثر من مجرد «بقعة».

يـوم الخميـس ٨/٧/ ١٩٩٤ وصلت جحافل قوات «الشـرعية» إلى كريتـر والمعلا والتواهي، وكانوا سـيلاً عارمـاً هـادراً عرمرماً لم ينقطـع عن التوقف، وغمر الشـوارع والأرصفة والأزقـة. والتهت تلكم القـوات المغيـرة بنهـب الغنائم والتدافع إلى محلات شـركات التجـارة الداخلية والخارجية وشـركة النصـر، وتناطحـوا وتذابحوا علـى الغالي والنفيس من السـلع. وكان في انتهابهـم والتهائهم بتلك المحلات والسلع نعمة على سكان المدينة.

وأتذكر أني كتبت يوميات ١٩٩٤/٧/٧، التي استغرقت أياماً وأعواماً، ولم أنشر غير نزر يسير منها. وكنت أحلم بأن يأتي اليوم المناسب لنفض الغبار عنها وتحريرها من شوائب الانفصال والاضطغان؛ غير أن ذلك اليوم لم يأت قط.

وبعد مضي ١٥ سـنة وجدتني أسـتعيد ما كان في يوم ١٩٩٤/٧/٧، وأرتعد من مقابلته أو مقايسته بما يحدث اليوم والآن. فالحرب مازالت مسـتعرة، والدماء تسـفح وتسفك، والنهب يصل إلى مستوى «شفط» النخاع.

وصـار يـوم «موقعـة البقعـة» يسـتغرق كل الأيـام والاعـوام التاليـة. والمفارقة أن عمليـات النهب أضحت تخلو من روح الفكاهة والتسـالي البدوية البدائية، وصارت معززة بالعنف في شـتى تلاوينه وصوره.

فمن يصدق، مثلا، أن ١٩٩٤/٧/٧ يأتي والجنوب قد تحول برمته إلى ثكنة عسـكرية يحتشـد فيها مـا يقـارب ٣٥ لواء عسـكرياً، فضـلاً عن قوات أمنية مـن مختلف التخصصات: أمن قومي، سياسـي، استخبارات عسكرية، أمن مركزي، شرطة نجدة، أمن عام... وما خفي؟!

مـن يصـدق أن ٢٠٠٩/٧/٧ سـيكون دامياً ومروعـاً وحزيناً بفعل العنف وسـفك الدمـاء وحملات الاعتقالات التي استهدفت رموز الحراك وناشطيه من الأكاديميين والسياسيين والصحفيين؟!

مـن يصـدق أن أكذوبـة «تعميـد الوحـدة بالدم» سـتجر البـلاد إلى هاويات الانقسـام والتشـظي و«الانفصـال»، وأن حرائق الحرب سـتلتهم مسـاحات الود والوئام في أوسـاط المـدارس والجامعات، وفي اتحادات الأدباء والصحفيين، وفي ملاعب كرة القدم...؟

من يصدق هذا الذي لا يصدق؟ من يصدق أن «موقعة البقعة» سوف تستغرق ألف عام؟!!

*** هذا العنوان سبق لكاتب هذه السطور استخدامه قبل عشر سنوات**

● «النداء»، العدد ١٩٧، الأربعاء ٨ يوليو ٢٠٠٩

نـــافـذة

منـصــور هائــل

سيــد الفتنــة

مـا هي الرسـائل والإشـارات التـي تطلقها فكرة الجثة المجهولة، المشـنوقة، التي شـوهدت صباح الاثنـين الماضي معلقة على شـجرة فـي منطقة «بلة» بمديرية ردفان وعليها ورقـة بيضاء كتبت فوقها كلمة: «دحباشـي»! والرسـائل التي أطلقتها جثث القتلى الثلاثة القبيطة «الدحابشـة» التي عثر عليها الأهالي فجر الجمعة ١٠ يوليو في منطقة «دلة» بنفس المديرية؟

وبقطع النظر عن الأصداء الكابوسية التي يمكن أن يثور غبارها ورمادها في ذاكرة القابضين على جمـار الدلالـة الشـاهدة على ارتباط مـا يحدث اليوم مع مـا كان بالأمس في "بلة" التي اقترن اسـمها بأزمنة التصفيات والسحل، و«دلة» المقترنة بالإفقار والخواء والتوحش وانعدام الأمان.

بقطع النظر عن خط اللهب والدم الذي يصل بين «دلة»، و«بلة»، يمكن الاسـتطراد في السـؤال: وما هـي الإشـارات التي يمكن التقاطهـا من مذبحة الأجنبيات الثلاث اللواتـي قتلن في صعدة وعثر على جثثهن الأهالي فجر الجمعة ١٢ يونيو الماضي؟

ويكاد يتلاشى وينطمس الفارق بين الجريمة التي أودت بحياة أفراد العائلة الثلاثة الذين قتلوا في ردفان، والجريمة التي أودت بحياة الأجنبيات الثلاث غير "الدحباشيات" في صعدة.

ولئن كانت الجريمة في ردفان على تماس مباشر مع الحراك الجنوبي في معقله الهائج، فقد كانت الجريمـة فـي صعـدة على تماس مع حركة الحوثيـين في معقلها العتيد، وكان من الوارد أن تسـتثمر عناصر الالتباس والتماس إلى مستوى التطرف وإلى أقصى درجة.

وتهورت مصادر السلطة الرسمية في إصدار الأحكام المتسرعة عن "بصمة" الحوثيين في صعدة، وعن أصابع الحراك في ردفان. وجاءت الردود من هنا وهناك لتلتقي على خط اتهام السلطة وتحميلها كامل المسؤولية عن كل ما حدث.

وفي الأثناء كان الجميع يستفظعون ويستبشعون ما حدث ويستنكرون، ويتعجبون من أن تكون اليمن مسرحاً لتلك الارتكابات الفظيعة و«الغريبة على شعبنا وثقافته وتقاليده وأعرافه».

ويتوافقون ويلتقون هنا على خط واحد، وهو خط الرجعة الذي يلم الجميع ويمكنهم من الاستناد إلى بعضهم، كإسناد ظهورهم إلى جدار واحد: الفتنة، وتعليق كل تلك الجرائم على مشجب القوى البرانية والشيطانية، والترحم علينا، نحن الحملان، أحفاد الشعب الطفل البريء.

هكذا يجري تعويم المسؤولية، والشاطر هو من يصبح سيد «الفتنة» وسيد الذاكرة والنسيان، الخمود والغليان، وزعيم "الفتنة". وهكذا تتخالط صور الضحايا بالجلادين، ويكف «الجميع» عن مساءلة السبب في تفجير اللهب ونواعير الدماء الممتدة من ردفان إلى صعدة، وحيثيات هذه الفظاعات التي تعزف على وتر أكثر الحروب قذارة: الحرب على الهوية، ولحنها ليس بغريب على الناجين من محرقة صنعاء في أغسطس ١٩٦٨، ومحرقة يناير ١٩٨٦، وعلى الملفوحين بسعيرها اليوم في صعدة وردفان وغير مكان.

والمضحك أن «الجميع» يلعب بورقة «الفتنة» بما هي ابتلاء وامتحان واختبار، محنة، فضيحة، كفر، قتل، وسواس -حسب «لسان العرب»- وإحراق لـ:«الجميع».

يستريح هذا «الجميع» لهذا التلخيص السهل الذي يعفيه من البحث عن أسباب هذا الانحدار والانحطاط والعنف والدم النازف من غير توقف، المتغلغل في كل مكان، السائل بغير ما انتظام، المعدي بالمزيد من العنف والإفناء والمحق!

ولما كان الامتثال للكارثة والاستعداد لتحملها وتلقيها أسوأ من أي كارثة على الإطلاق، فإن احتمالات التشظي والانمحاق ستظل مفتوحة ولن تنقطع بفعل مبادرة جسورة تفضح صورة «الملك العريان» وتقطع دابر استمرار إدارة شؤون اليمن بأساليب ما قبل وما دون الدولة وبـ: الدس، الوقيعة، الكيد والعصبيات والعصابات والصدمات، والأهوال والدماء المسفوكة في الشوارع والخواء المنظم المترافق مع الهدم المنظم.

● «النداء»، العدد ١٩٨، الأربعاء ١٥ يوليو ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الجانـي: الرمـز

أجمعت معظم الصحافة اليمنية، وفي صدارتها «٢٦سـبتمبر»، على أن مرتكب مذبحة "حبيل جبر" صاحـب سـوابق كثيرة وخطيـرة، كان آخرها تلك المذبحة التي أودت بحيـاة ثلاثة من القبيطة وبدت وكأنهـا جريمـة قتـل على الهوية لــ«شـماليين» من قبل «جنوبيين». ولولا أعجوبة نجاة ياسـين، وهو النجـل الشـاب لـلأب حميد الـذي كان على رأس الضحايا، ولولا رواية ياسـين التي أفسـدت الطبخة المستعجلة لاتهام «الحراك» لكانت الأمور اتخذت منحى كابوسياً، إبليسياً لا يخطر على بال.

وجاءت رواية سيرة الجاني الحافلة بالسوابق لتفيد بأن ما يحدث يتحدى الخيال.

وقـد نقلـت الصحافة عـن الأهالي في مديرية ردفان قولهم إن الجاني له سـوابق عـدة، منها قيامه بالتقطـع وإطلاق النار على لجان القيد والتسـجيل الانتخابية العام الماضـي، واعتداؤه على الدوائر الانتخابية ومنعها من ممارسة عملها في منطقة «حبيل جبر»، وقولهم إن الجاني كان قد قام باختطاف اثنين من الضباط وتحطيم سيارة مدير المديرية السابق، واختطاف العديد من السيارات منها سيارة تابعة للمستشـفى العسـكري بالحديدة. وبمناسبة سيارة المستشفى المذكورة علم كاتب هذه السطور أنهـا كانت سـيارة إسـعاف وقد قامت بنقـل جثامين ضحايا قتلـى من أبناء ردفان فـي حرب صعدة، وقد أحسـن الجاني علي سـيف محمد اسـتقبال السـيارة باختطافها، وتمكنت السـلطات المعنية من استرجاعها منه بعد أسبوعين من المفاوضات والمساومات.

ويقول شهود عيان إن المذكور حاول غير مرة أن يحرف الفعاليات الاحتجاجية السلمية عن مسارها وقـام بتحريـض الناس على قطع الطريق ولم يفلح في اجتذاب أحد غير تلك الشـرذمة التي شـاركته

وليمة آخر جريمة.

وتقول المعلومات إن المتهم التحق بالقوات المسلحة عام ١٩٧٩، وحصل على آخر ترقية، برتبة رائد، في يونيو ٢٠٠٦، وكان قد تنقل في عدد من الدوائر العسكرية في القوات المسلحة، وقبل أشهر حصل على دورة تأهيلية في «القيادة والأركان».

وعلى خلفية هذه السيرة الحافلة يتضح أن صاحبنا لا يعدو كونه أكثر من ابن أصيل لمرحلته، فهو استفاد من الانفلات الأمني والفوضى العارمة، وأجواء الفساد والاضطراب وخلط الأوراق والسلاح المتوفر، والعطالة والتبطل، وأدرك أن طريقه للفوز بلقب «البطل» يأتي من باب الاتساق مع النهج المعتمد في صنعاء، وهو النهج الذي جعل من الاختطاف صناعة وطنية، واستثمارا من الدرجة الأولى، ومن التقطع رياضة قومية واستعراضاً فلكلورياً، ومن القتل فاصلا إنجازيا، وكان بكل ذلك يتخاطر مع المراجع العليا ويعزف على الوتر الذي يطربها.

تلكم هي صورة الجاني (الرمز) من أظرف اختطاف إلى أفظع مذبحة، ولن تأتي البقية كما نتصور أو كما ترتسم في أذهان من أطلق العنان لذئاب القواقع.

● «النداء»، العدد ١٩٩، الأربعاء ٢٢ يوليو ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

والفتــوى المضـادة..؟

كان النظـام فـي صنعـاء يحتكر اسـتخدام ورقة الديـن ويتلاعب بها، ويسـتفيد مـن تحالفاته مع الجماعات الإسـلامية لتوسـيع دائرة هيمنته وتصفية خصومه، وبالدرجة الأولى الحزب الاشـتراكي اليمنـي، أكان قبـل الوحدة أم بعدها، حيث اسـتوعب «النظام» الجماعات الإسـلامية الحركية العائدة من أفغانسـتان، وعمل على تسـمينها في أحضان «الفرقة الأولى»، واسـتفاد من خبراتها في تفخيخ المنشـآت والسـيارات، وتفجير الفنادق والمنازل، وفي الاغتيالات، وتجلت تلكم الاستفادة، في حدودها القصوى، أثناء إنجاز الفصل التمهيدي الأسود من الحرب التي بلغت ذروتها في ١٩٩٤/٧/٧.

وبعـد الحرب تلخبطت الأمور، وتبدلت خارطة التحالفات، ولم ينفسـح المجال أمام «أمراء» الجهاد ليقيموا إمارتهم الإسلامية في عدن وعلى أرض الجنوب كورثة موعودين للاشتراكي.

واستمر «النظام» على عادته القديمة من غير أن يحسب أي حساب للخسائر الناتجة عن التصفيات السابقة.

وكما كان بالأمس راح يكرر نفس اللعبة ولجأ إلى «العلماء» المخضرمين في موالاته بصنعاء.

وإلـى جانـب «العلماء» راح يؤلب الجماعات السـلفية وخطباء الجمعة. ولم يتردد هؤلاء في إطلاق أكثـر مـن «فتـوى» لمهاجمـة المعارضين الجنوبيـين «الانفصاليين»، وسـوغوا للنظام دعمه وتسـليحه لجماعات الدفاع عن الوحدة: كتائب الموت.

وتنادى المشائخ والعلماء والسلفيون إلى إجتماعات حاشدة منذ مايو الماضي وأفتوا بأن «الوحدة

فريضة شرعية واجبة»، وأيدوا فتوى الشيخ الزنداني والشيخ صادق الأحمر ودعوتهم إلى حمل السلاح للدفاع عن الوحدة، وقالوا إن «الوحدة نعمة إلهية عظيمة»... إلخ. ولم يدر بحسبان هؤلاء «وكبيرهم الذي علمهم السحر» أن السحر سوف يرتد على الساحر، وأن مناخات ما بعد حرب ١٩٩٤ قد ولدت كوكبة من «العلماء» والمشائخ والأمراء المؤزرين بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول والأتباع من المشائخ والعلماء.

وأصدر «علماء» الجنوب أكثر من فتوى مضادة على الفتاوى الصادرة من العلماء في صنعاء، وانتقلنا من عهد الثورة والثورة المضادة إلى عهد الفتوى والفتوى المضادة.

وخرجوا ببيان «الموقف الشرعي» حول التظاهرات والحراك السلمي بالاستناد إلى آيات من الذكر الحكيم.

وقالوا: «إن الوحدة باطلة، وفاسدة، ولا يجوز الدفاع عنها، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، و«الحكومة الباغية مخالفة للشرع»، و«من قُتِل مدافعاً عن أرضه وماله ونفسه وعرضه فهو شهيد»، و«من قُتِل دون ماله فهو شهيد».

واستندوا إلى أهل العلم، كالأمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- وشيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- وجميع المراجع التي أستند إليها «علماء» صنعاء.

واعتبروا المظاهرة «معاونة»، و«الظهير» ملاك حسب قوله تعالى: «والملائكة بعد ذلك ظهيرا». التحريم ورجعوا إلى المظاهرات في قصة موسى، وأفتوا بمقاتلة الظالمين الناهبين لأموالهم وأراضيهم وممتلكات الجنوبيين من الأعيان والسلاطين، وممتلكات دولة الجنوب و... إلخ.

والحاصل أن مؤسسة الفتوى لم تعد مركزية، كما صار أمر توظيفها واستثمارها حكراً على صنعاء أو على الحاكم فيها.

والأنكى أن الجماعات المتحاربة ستخوض معارك ضارية ومهلكة من صعدة إلى عدن مروراً بصنعاء.

وإزاء كل هذه المعطيات التي تقطع بأننا نتخبط في أسوأ حقب الانحطاط يتوجب القول بأن «النظام» الحاكم يتحمل، أكثر من غيره، كامل المسؤولية عن هذا الإنجاز: المذبحة.

● «النداء»، العدد ٢٠٠، الأربعاء ٢٩ يوليو ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

أنت في اليمن يا حسن!!

هو القائل: من عجائب آخر الزمن أن يغترب السوداني في اليمن وهو الذي عاد إلى السودان خالي الوفاض من كل شيء باستثناء حصاد وفير وكثير من الغرائب والعجائب التي ستظل تبرق بالتماعاتها الضاحكة في جراب ذهنه ووجدانه، وفي جيوب ذاكرته، ما بقي على قيد الحياة.

ومن غير المستبعد أن يفعلها ويكون حكيماً على غير عادته، ورحيماً بأهله المتطلعين لتورث بعض ما اكتسب في دنياه.

من غير المستبعد أن يفلح في توريث أنجاله وأحفاده كنوزاً لا تخطر على بال، إذا ما اعتكف وانصرف بمثابرة لإنجاز مهمة توريق وتوثيق كنوز العجائب التي أغدقت بها الدنيا عليه وهو في اليمن خلال فترة إقامته المديدة في هذه البلاد "السعيدة".

بالأمس فقط تذكرته، وتجسد قدامي بكامل أبهته الساخرة، وكان ذلك بعد أن فرغت من قراءة رسالة خاصة جداً، بطريقة خاصة جداً، حيث تكورت وتقوست كيما أغلق كافة مسارب النظر لما كنت أقرأ على ذلك الذي كان يجلس بجواري في "المقيل".

تذكرته صاهلاً، مجلجلاً بالضحك، وكنت ذاهلاً حينما وجدتني أسمع جاري يناقشني في أدق التفاصيل التي قرأتها، ويطبطب على كتفي: "يحصل هذا في أحسن العائلات.. وعليك ألاَّ تكترث بكلام النسوان. أما بصدد تلك النقطة... و... إلخ".

كان يحدثني بخصوصية مرعبة عن أخص خصوصياتي، وأفقدني صوابي وطيَّر عقلي بعيداً، بعيداً.. إلى السودان.

تضرعت إلى الخالق أن يطيل عمر أستاذي وصاحبي حسن محجوب، وتمنيت أن ألتقيه، وأساوره

في هاجس الاغتراب إلى السودان، وألتمس مساعدته في تمكيني من ذلك.

وارتجت أعماقي بضحك صاخب صامت وأنا أستعيد ما كان عليه حاله ذات يوم، حين كان متلهفاً لأخبار عائلته في الخرطوم وتسلم رسالة من زوجته وفض مظروفها وهو يهم بصعود حافلة كانت في طريقها إلى الحي الذي يقيم فيه بصنعاء.

هو لم يصبر إلى حين وصوله إلى البيت ليتمتع بقراءة رسالة الحبيبة على كأس شاي بالنعناع الأخضر، بل اندفع يقرأ الرسالة لاهثاً، والتهم محتوياتها بسرعة، وأعاد قراءتها وأمعن النظر ملياً في كلمة طمست بالحبر الأسود، أثارت حيرته وفضوله.

أعيته محاولات فك أحرف الكلمة الممسوحة، واستغرقته الحيرة الحارقة، ودهمته إغماءة قصيرة، ربما كانت غفوة، ولم يفق إلا على من كان شاركه ماراثون اللهاث المتقطع، المتسارع، ويلكزه من الخلف بإلحاح ويسأل: "أستاذ، هل عرفت ما هي الكلمة الممسوحة؟"، وأشار عليه بإصبعه إلى الدائرة السوداء في الرسالة: "أستاذ ما المقصود من هذه الحركة؟!".

ودارت به الدنيا، ودار وحملق في الجالس على المقعد الخلفي وهو ذاهل فاغرا فاه، ولم ينتفض من الغضب بقدر ما انشلَّ وتجمد كما هي عليه عادته عندما يرتطم بهكذا مواقف: "أنت في اليمن يا حسن! لا عجب أن يحدث هذا لأي سوداني يختار الغربة في اليمن".

لقد اشتقت للاجتماع بالصديق حسن محجوب، واستحوذت عليَّ مغامرة الهجرة إلى السودان لأخصه بسبق صحفي خطير ومثير لا يحلم به أي صحفي، لأنه "رفيق" وهو الأحق من غيره بالاطلاع على التطورات المذهلة التي طرأت على ذلك النوع من الكائنات التي ينتمي إليها (الخبير) الذي كان في الحافلة!

أعتقد أني سأكون في السودان بمنأى عن حصار "الثوابت الوطنية"، وسوف أفشي لصاحبي بمعطيات التطورات التي طرأت على ذلك النوع من الكائنات (الخبراء) في التلصص واختراق السطور وما وراءها، فقد انتشروا وكثروا وتفشوا في الساحات والحافلات و"المقايل" وأرصفة التسكع والنوم والمصحات والنقابات والأحزاب ومراكز صناعة القرار ومنافذ تهريب الأسلحة والمخدرات والأطفال ومحاضن تفقيس الصحف وتفريخ الأحزاب، واستنساخ البطولات وتسويق السفاهة والتفاهة والابتذال.

وسأضع بين يدي صاحبي من التطورات والإنجازات على هذا الصعيد ما يجعله يقتنع بأن ذلك الذي كان في الحافلة لم يعد، بحساب هذه الأيام، أكثر من متلصص ظريف، مدر للضحك، ومنشط لذاكرة الأيام الخوالي.

● «النداء»، العدد ٢٠١، الأربعاء ٥ أغسطس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

إمارة صعدة وبعد..

تفصح الأخبار التي تحدثت عن قيام «الحوثيين» بمناورة عسكرية، قبل أيام من اندلاع المواجهات الأخيرة، عن امتلاكهم كميات هائلة من الأسلحة والذخائر على اختلاف أنواعها.

وتشير الاخبار التي تناقلتها وسائل الإعلام حول تسيير «الحوثيين» لدوريات عسكرية في مناطق الشريط الحدودي مع المملكة العربية السعودية إلى اتساع نطاق سيطرتهم وتمكنهم من امتلاك شرط سيادي يتيح لهم التفاوض والتنسيق مع السعودية، كدولة شقيقة متاخمة، في شريط حدودي تصل مساحته إلى ٩٠ كيلومتراً، وهو شريط يربط خمس مديريات من محافظة صعدة، ذات المديريات الثمان، بالمناطق المجاورة في المملكة.

وهنالك سيناريو أصبح ينطرح بقوة متزايدة هذه الأيام في تكايا السياسة، ويدور حول اتساع نطاق دائرة نفوذ «الحوثيين» بإيقاع نشط، مدوزن، ومتسارع، تلوح معه منطقة ميدي البحرية الساحلية دانية القطاف من قبل هؤلاء «الجماعة» في برهة أشهر، ما يعني اكتمال شروط بنيان وأركان الإمارة الحوثية ذات الحدود السيادية والميناء البحري المثالي.

ولما كان المجال الحيوي للإمامة الزيدية يشتمل على المحافظات الزيدية ومعها سلسلة الجبال والسهول العسيرة في السعودية مروراً بحجة.

وبما أن المرجعيات الزيدية في صعدة حافظت على مكانتها واحتفظت بدورها، وعلى ما هو أكثر من التأثير المعنوي والرمزي حتى بعد انقضاء زمن الإمامة عقب ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.

ولما كانت الجغرافيا توجه التاريخ ومجرياته، وترس ظلالة وإطاره، في أغلب الأحوال، فإن الأحداث الراهنة تعيد تأكيد وتجديد وتفعيل صعدة كعنوان لا يصلح للنسيان، وسلطة لا تستحضر الماضي الغابر فحسب، وإنما تفيد بأن ذلك الماضي مازال أمضى من أي شيء آخر، وهو شديد البأس، عنيف الحضور.

وليس بخاف على أحد أن «النظام» في صنعاء هو الذي استحث وأنعش ما كنا نتوهم أنه صار مستحاثة أحفورية، عندما اعتمد سياسة مناوشة أوكار الدبابير وتغذيتها، وعمد إلى تجديد طاقتها وقدراتها أكان عبر تمويل جماعة «الشباب المؤمن» الزيدية لتقاتل الجماعات السلفية، أوكان عبر استنفار الجماعات الزيدية بل والهوية الزيدية في عقر دارها ومعقلها الرئيسي من خلال قيام هذا «النظام» بدعم وتمويل إنشاء المركز السلفي وكذا تجنيد العناصر المتطرفة (المجاهدين)، وإلحاقها بالقوات المسلحة لمحاربة الحوثيين.

والواضح أن حرمان صعدة من أبسط الخدمات الأولية ولمسات العصرنة كان عاملاً حاسماً في استبقاء المكان شاغراً لأي «سيد»، و«إمام»، وذلك ما كان بالأمس/ الآن.

وبمناسبة هذا الذي مازال يأتي تجدر الإشارة إلى أن صعدة أصبحت عنواناً جاذباً للمراقبين والباحثين العرب والأجانب، وصار موضوع الإمامة الزيدية التي قامت دولتها وتمركزت في صعدة في أحقاب غابرة مديدة من الموضوعات الأثيرة بالنسبة لطلاب وطالبات الدراسات العليا في الجامعات السعودية وغيرها.

إن ما يحدث في صعدة يشير إلى «انفصال» صعدة وخروجها عن نطاق سيطرة «المركز»، وهو لا يدعو إلى انتظار قيام إمارة الأمر الواقع الثانية لـ«القاعدة» في مأرب والجوف، كما لا يستوجب ترويض النفوس والأذهان على متواليات الانفصالات الأخرى في الجنوب وفي أكثر من مكان، وإنْ كان الاتجاه الحالي للأمور يسير في هذا المنحى.

إن هذه التطورات تدعو كافة القوى اليمنية، من مثقفين ونخب سياسية ومنظمات مدنية وحزبية، إلى أن تسارع إلى خوض حوار جاد حول إعادة صياغة الدولة في اليمن بصورة خلاقة وبعيداً عن الأفكار المسبقة، خاصة أن طريق التطور السياسي أصبح مسدوداً وقد تراكمت عليه جملة من المعطيات التي تقطع بأن البلاد يتجه إلى كارثة ماحقة، وإنْ لم تكن كوارث محققة.

● «النداء»، العدد ٢٠٢، الأربعاء ١٢ أغسطس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

إنا لله يا صاحبي

لا يحضرني اسم من قال إن المرء ينتهي حين يستعذب التورط في الاعتياد على الأشياء، ولست في وارد تبرير مخالفتي لما درجت عليه من كتابة تنذر بـ«الويل والثبور وعظائم الأمور»، وتتوهم تقفي أحداث الساعة الملتهبة في بلاد مشبعة بالقيامة والقياميين.

وأزعم أني سأكف، هذه المرة على الأقل، عن كتابة الوهم المستغرقة في الغبش، وسأتخفف، ما استطعت، من أثقال الخطابة الغثة، والمواعظ الرثة، والشكوى من الغدر والغيلة والضوضاء والفوضى، وأغلال الزمان والمكان، والدنيا المغلفة بالهلع، والسقم الروحي، وصناعة الإقصاء، وتنمية السخافة.

وليس ثمة ما يحول دون تطلعي لكتابة رغبتي الجارفة بالرثاء.

رثاء انكسارنا وكسوف أحلامنا، وانكشافنا من الألفة والمودة والهواء الطلق، وعجزنا عن تعلم الغربة المبدعة، المذهلة، الهائلة، وعدم إقلاعنا عن إدمان عادة التباهي بصمود الذاكرة وقدرتها على اجترار البطولات وتمثيلها.

وبما أني أتحيز لمن يقول باجتماعية الفراغ فليس ثمة ما يفزعني أكثر من تكرار القول بأن هذه البلاد تعاني من فراغ في الأفكار والمفكرين لأني اعتقد أن المحنة تكمن في أن هذه البلاد ترسف بأغلال وأثقال الامتلاء، ونرجسيات المركزية الجريحة، والتمركز الذبيح.

ولن أتردد في تهجي الخطوات المفضية إلى الاستقرار في مرسى مودة ومقطع عزاء -يستحقه

الدكتـور عبدالرحمـن عبدالله -الـذي رحل عنا قبـل أن يحتفل بعيد ميلاده رقم (٦٧) في ٢٦ سـبتمبر القادم، وكأنه لم يعد قادراً على إطفاء شمعة جديدة في ذلك اليوم المشهود و«الخالد».

وأعلم أن صاحبي لم يعد قابلاً بالمزيد من الانطفاء في ذلك اليوم، وأنه برم مبكراً مما يحدث وجاهر بقرفـه مـن تعاطي الملهاة التي أفضت إلى حرماننا من المشـاركة فـي صنع انحدارنا، ومن القدرة على توقع فداحة الإفلاس والخواء.

أعلم أنه برم تماماً من المداهنات والمواربات ومن تنامي ركام المقولات الغارقة في الماضي، والطاردة للإنسان والممتنعة على التلاقي مع العصر، ومن انعدام الانبهام اللذيذ الذي طالما كان يغوي الحالمين بكتابة أسئلتهم.

ولن أتردد الإفصاح عن رغبتي في سؤاله، إذا ما كان زميله في الدراسة الابتدائية والمتوسطة بعدن الذي صار في الوقت الراهن رئيسـاً لمجلس الشـورى قد تواصل معه وهو متجلط وقعيد على فراش المرض منذ سنوات.

وكنـت علـى اسـتعداد لتلقي سـيل لعناته وشـتائمه المنهمر على رأسـي بعد أن أسـأله: هل أبلغك (الأستاذ) تحايا السيد الرئيس بل هل نقل إليك تحايا «السيد الرئيس»؟

وداعاً أيها المبدع الرائع والصديق النبيل الجميل.

وداعاً يا من رحلت عنا وأنت تعلم أن المرحلة صعبة جداً، وأن اليمن يمنات: سـفلى وعليا، وشـمال ملتهب، وشرق ملغوم، وجنوب منهمك في حومة البحث عن استعادة تعريف نفسه و.... «إنا لله وإنا إليه راجعون».

● «النداء»، العدد ٢٠٣، الأربعاء ١٩ أغسطس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

استنقاع

كل هذه الحروب المتكررة، المتواترة، المستدامة، الملتهبة، والنائمة، والميليشيات القبلية و"الحوثية" والجهادية و"القاعدة" والمغلفة باسم "الدفاع عن الوحدة" و... انسداد أبواب الحوار بين الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة، وانسداد طريق المعالجات والتسويات السياسية للحرب الكارثية في صعدة، وللقضية الجنوبية، واندلاع وتفشي العنف بحدوده القصوى وقوته الهستيرية والعمياء، وغير ذلك من "التفاصيل" التي تطالعنا بما يفيد أن الأزمة البنيوية الشاملة التي تعصف بالبلاد أصبحت متوجة بانحطاط كاسح ووخيم رشحت به حالة تشبع البلاد بـ"استنقاع الأزمة"*، وهو الاستنقاع الذي يفضي إلى سيرورة سريعة من التفكك والانحلال وتتجلى معالم ذلك في التقاتل والتذابح واحتدام النزاعات والمواجهات الطائفية، المذهبية، القبلية، الجهوية، وكل ما يبدد معنى الوطن والحياة والمجتمع.

ولم يأت كل هذا العنف الوحشي والمحصن بالمقدس من فراغ، وهو ليس محصلة لسياسات وممارسات الإقصاء والتهميش والتمييز الجهوي أو المذهبي فحسب، بقدر ما يعتبر محصلة، أيضاً لإفلاس وعجز النخبة السياسية وكافة الأحزاب التي مارست السياسة بنقيضها من وهلة ظهورها عندما أخذت بوسائل العنف، وتغنت بالبندقية، ومجدت السلاح، وأشاعت ثقافة العنف، وأسست لشروط تدمير السياسي لمرحلة طويلة من تاريخها، وإلى أن كان ما نشهد الآن من مذابح مروعة، ينبغي ألا ننخدع بتصنيف كل مذبحة حسب التوقيع الخاص الذي تحمله، لأن الأصل في القتل واحد.

ثم كان خراب التعليم، وانتشار معاهد ومراكز التعليم "الديني" السلفية والوهابية والزيدية المفرخة لكتائب الإرهاب والتكفير، وشيوع التصورات الماضوية التي تتلطى بالتراث، وعدم الاعتراف بالتبادل وبالآخر، وما إلى ذلك من المفردات التي كرستنا في زمن آخر غير الزمن الذي تعيشه البشرية

المعاصرة، واستبقتنا كحفريات حية دالة على ماض غابر، وعلقتنا في اللازمان واللامكان.

العجيب أننا أصبحنا نتعجب مما نشهد ونسمع ونقرأ، وكأنه يأتينا من كوكب آخر.

نعجب من رئيس الجمهورية حين دعا الجيش في خطابه الأخير إلى استلهام "غزوة بدر" لحسم المعركة مع "الحوثيين"، ومن "الحوثيين"، فيهم من تخرج من مركز بدر لتعليم الزيدية، حين يستلهمون الغزوة إياها، ومن تنظيم القاعدة في اليمن الذي كان في ١٧ رمضان من العام الماضي، وهو اليوم الموافق لغزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون قبل ١٤٢٨ عاماً، نفذ عملية انتحارية على السفارة الأميركية بصنعاء أطلق عليها "غزوة بدر"!

وليست حالة "طماح" الذي أعلن من جبال يافع أنه القائد العسكري للحراك الجنوبي، ولا حالة طارق الفضلي الذي أصبح نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة في الجنوب، ولا حالة الجماعات المسلحة التي تصول وتجول في مدينة جعار، ولا حالة القتلة وقطاع الطرق الذين أصبحوا فرسان الميدان... ليست كل هذه الحالات خارجة عن السياق.

وحتى خطاب الأحزاب يقف على نفس الخط؛ فهي تختزل الأمر بشخص الرئيس، ولا ترى الحل في أكثر من جز رأسه واجتثاث عائلته، مع أن هذا الرجل الذي يتربع ذروة "أزمة الاستنقاع»، لم يهبط علينا من السماء.

وليس غريباً أن تطالعنا الأحزاب بخطاب مثل هذا؛ فهي أسيرة للقيم التقليدية التي تقول بأحادية الرأي وسطوة الأب وبالمراتب والتفاوت بين البشر وترفض المساواة وتختصر الأحزاب إلى ولاءات جهوية وقبلية وعشائرية.

وينطمس الفارق بين كل تلك الجماعات التي تخوض حروبها الشرسة والمقدسة وكلها ترفع بيارق "غزوة بدر" أو الجماعات الحزبية -إن جاز التعبير- التي مازالت حبيسة بيت طاعة السيد الانقلاب، فالواضح أن التآلف مع الاستنقاع سوف يأخذ مداه الأطول في إنهاك وإهلاك أوصال البلاد، في ظل إصرار جميع الفرقاء على الاستمرار في التقاتل وتأبيد هزيمة البلاد والعباد، ومع انعدام أية بارقة بحل مستعجل أو حتى مؤجل.

*** "استنقاع الأزمة": اصطلاح نحته المفكر اليساري الليبرالي اللبناني كريم مروة في آخر كتاب له صدر قبل أيام عن دار الساقي بعنوان "في البحث عن المستقبل"، ويقصد به: ما يفضي تاريخياً ومنطقياً إلى سيرورة بطيئة من التفكك والانحلال تتجلى في حركات دينية ومذهبية وقبائلية وجهوية.**

● «النداء»، العدد ٢٠٤، الأربعاء ٢٦ أغسطس ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

الظلام هو الحل

يستحق الصديق الدكتور راغب القرشي كل الشكر والمحبة والامتنان على تعليقه البديع حول ما يحدث في صعدة لأنه أنعش في ذهني ذاكرة الافتتان والنشوة والتحليق في الأعالي والصراخ بالفم المليان:

● طز بتصريحات وبيانات الحزب الحاكم والحوثيين وأحزاب اللقاء المشترك ووسائط الإعلام والأوساط الإقليمية والدولية حول أهوال الحرب السادسة في صعدة التي دخلت أسبوعها الرابع، وأجمعوا على أنها فظيعة، مروعة وكارثية وعلى درجة من العنف الذي قد لا يفضي إلى سقوط النظام الحاكم فحسب، وإنما قد يأتي بعواصف تطيح باليمن واهله جميعاً.

● طز بكافة النسور والجيف.

● طز باجتماعات دول مجلس التعاون الخليجي، والتحركات العربية والأوروبية والأمريكية واجتماعات ملك ملوك، الأخ العقيد معمر القذافي «أبو سيف الإسلام» برئيسنا «أبو أحمد» -حفظه الله- ورئيس مصر «أبو جمال».!

● طز بوساوس وهواجس وكوابيس «التوريث» التي أنهكت وأهلكت هؤلاء الرؤساء التعساء، وأهلكت معهم دولهم وبلدانهم وشعوبهم منذ أن تركز وتمركز كل همهم في الدنيا في نقطة واحدة محددة تمثلت في تحويل الوطن إلى مجرد ضيعة أو مزرعة يرثها أنجالهم عنهم، وفتحوا بذلك أبواب الجحيم مجتمعة لتدافع مجانين السلطة المتطلعين لاختطاف الضيعة تحت مسميات دينية ومذهبية

و«شرعية» في بلاد انكشف عنها غطاء كل مشروعية، وتعوزها السوابق الشاهدة على أن شبق السلطة فيها يرتوي بغير الدم.

● طز بأحداث الساعة والساحة المشتعلة، والرحمة على الضحايا من «شهداء التخلف» من طرفي بل أطراف التقاتل في صعدة، وعلى شهداء الحراك الجنوبي، وشهداء الماء والكهرباء.

ولن أسترسل في «الطزطزات» بإلزام من مقتضى العود إلى راغب. فهو طبيب أسنان لطيف كأبن غيمة، ويكسب قوته من العمل في عيادته التي تعمل بالكهرباء وليس بالفحم الحجري، وقد أعتزم الاعتكاف والتسبيح بحمد الظلام، وأعلن استعداده على التضحية بمصدر رزقه عبر تصريحه أنه يتمنى أن يكون أنقطاع الكهرباء مستداماً حتى لا يرى الأطفال في صعدة يلعبون بدبابات الجيش عوضاً عن الألعاب الإلكترونية (الأتاري)، وحتى لا يرى الأطفال يتراشقون بالقنابل والألغام وأشياء من تلك التي جعلت إيران ترزح تحت طائلة الضغط والتفتيش الدوليين!

لقد لفتني صاحبي إلى امتزاج المأساة بالملهاة بمغايرته الثاقبة، وقدرته على تغميس المصيبة بقطر المرح، واختلافه عن السائد والسائر في «خطاب» الفرقاء.

لفتني بتمنيه انقطاع الكهرباء تماماً وكلياً حتى يرى أكثر، واختلافه عن كل من يزعم أنه يرى: «من يرى لا ينقصه شيء»، وجهر بتفضيل الظلام العام فليس ثمة ما يغري ويغوي وليس ثمة ما يحول دون الإشارة إلى تعويم الظلام فهو معمم بامتياز وعنف منقطع النظير وأي عنف في مستوى أنقطاع الكهرباء.

ثم إن الشاهد على هذا العنف المعمم يتمثل بخراب شبكة الكهرباء وانقطاعها لساعات طويلة في العاصمة ولأيام ولأشهر في الكثير من أرجاء البلاد، وانقطاع المياه لأيام وأسابيع وسقوط «الشهداء» في سبيل الكهرباء والماء في عدن وغيرها، وإعادة السؤال حول صحة ما يقال عن تخطي اليمن للعصر الحجري؟ وهل يعني ذلك -أي تجاوز العصر الحجري- انقطاع الماء وانعدام الكهرباء وانعدام جدوى الشهادة في سبيل هكذا نوافل؟!

أما بشأن ضحايا حرب صعدة.. ترى في سبيل ماذا قضوا؟.

سبحانك أيها الظلام، والمحبة لطبيب الأسنان الذي اختزل الحالة اليمنية بعبارة ساخرة لم يهتد إليها جهابذة السياسة، فهو يختلف عنهم لأنه لا يفكر بأسنانه، ولأنه أسقط الكهرباء من حسبانه.

● «النداء»، العدد ٢٠٥، الأربعاء ٢ سبتمبر ٢٠٠٩

نـــافـذة

منـصــور هائــل

ضــوء فاســد

يوم كانت حفلات التعذيب والقتل بالكهرباء تنحصر بنفر من المعتقلين السياسيين وأصحاب الرأي المخالـف، كانت تحظـى بالتفات منظمات المجتمـع المدني والصحافة والأحزاب السياسـية والجهات الدولية المعنية.

وكانت تنعقد الندوات والمسـيرات والتظاهرات والإضرابات والمؤتمرات المحلية والدولية، وتسافر الوفـود وتعـود، وتنظـم الحمـلات التضامنيـة، وتصـدر الوثائق والأدبيـات، وتبث وتنشـر الأخبار والقصـص المتوازيـة والمتقاطعة عن الانتهاكات الفظيعة المرتكبـة بحق المعتقلين والبطولات العظيمة التي اجترحوها بصمودهم في وجه حفلات التعذيب بالكهرباء.

كانـت التعبيـرات الإبداعية بتلاوينهـا المختلفة تتجلى في تعاطيها لتلـك (الحفلات)، ويمتد أثرها عميقاً وبعيداً، وتصل إلى الأقاصي المنسية وغير المنظورة على سطح المعمورة.

وكانـت، ولا زالـت، أفضـل، وبالأحرى أشـهر الروايـات العالمية تـدور حول (الحفـلات) إياها، وقد طبعت لعشرات المرات، وتصدرت رفوف المكتبات لأحقاب مديدة، وحتى اللحظة، واستخدمت كوصفات سـحرية لتفتيح كوى النور و(الثورة)، وتكرسـت وتأسـطرت أسـماء بعض المؤلفين كنجوم وأيقونات مستقرة في الأذهان والذاكرات، وعابرة للأوطان والقارات والأزمان.

كان ذلك يوم كان القتل بالمفرد والتجزئة، وكانت حفلات التعذيب بالكهرباء مقصورة على المعتقلين السياسـيين فقط، وكان في الوقت متسـع لتشـييع ضحايا تلك الارتكابات بأنفاس ملحمية وأسـماء بطوليـة، وكان موضـوع التعذيـب والقتـل بالكهرباء (مركزيـاً)، وحوله تدور المواضيـع الأخرى، فهو موضوع لاسع، لاذع، فاجع وخارق للمعقول.

وحين صارت حفلات التعذيب والحرق والقتل تستهدف شعباً بكامله، لم تحرك المنظمات والأحزاب ساكناً، ولم تكترث بهكذا مصاب جسيم وعظيم، وربما كان مرجع ذلك يكمن في أفق توقعاتها المتواضع الذي ارتسم بموجب أدبيات أقرت في مؤتمرات سابقة حالت دون رؤيتها لما يحدث اليوم والآن فهو غير وارد في الوثائق ويستعصي على القياس بسوابق، وممتنع على (الإفتاء)!

وإذا كانت هذه الفعاليات معذورة في عدم قدرتها على النظر في هذا التقتيل اليومي المبرمج والمجاني والعشوائي والعام، وفي عدم اكتراثها بأخبار العائلات التي قضت حرقاً والبيوت التي آلت إلى أنقاض ورماد وذكرى دخان بسبب جرعات التعذيب العبثية وتقطيع تيار الكهرباء بين الثانية والثانية.

إذا كانت هذه الأحزاب معذورة على خلفية ما سلف، فهي ليست معذورة في إقدامها على تعظيم ثروة القتلة من النافذين الفاسدين الذين أبرموا صفقات ضخمة لاستيراد المولدات والفوانيس الصينية، ومولوا بالخفاء عمليات تخريب محطات الكهرباء، وتفجير وإعطاب كيبلات توصيل تيار الكهرباء من مأرب إلى صنعاء منذ أشهر، وكانوا وراء تكبيد الحكومة خسارة شهرية تقدر بستة ملايين دولار شهرياً مقابل ضخ الطاقة الكهربائية من مولدات شركة جريكو البريطانية القابعة على سفينة في البحر الأحمر قبالة سواحل الحديدة، علاوة على مليون دولار كلفة الديزل الذي تعمل به مولدات الحكومة في المدن.

وهي غير معذورة، أي المنظمات والأحزاب، في تهافتها على شراء المولدات الكهربائية المستورة من قبل النافذين الفاسدين حتى ولو كان مقصدها من ذلك هو قراءة وثيقة لإنقاذ الوطن. كيف يكون إنقاذ الوطن بضوء فاسد؟

وغير معذورة في عدم مطالبتها بمحاكمة العابثين بمصائر وأقدار وحيوات الأبرياء، الذين أغرقوا العباد والبلاد في الظلام، وحولوا حياة الناس إلى جحيم، وأرصفة الشوارع إلى طواحين، وأشاعوا التلوث والسرطنة في الأذهان والأبدان والهواء، وأشاعوا مناخات (الصفقة) والطلقة والحرق والسرق والنهب والخراب الشامل.

وغير معذورة في تخليها عن واجب الكشف والإبلاغ عن أصابع جريمة تقطيع أوصال شبكة الكهرباء القديمة، والحيلولة دون تشغيل الجديدة، وحرمان السكان من المياه، والنفاذ من باب انعدام بل إعدام تلك الخدمات للتربح والكسب الخاص والشخصي، الإجرامي بامتياز.

وإنها لمفارقة جسيمة ومتجسمة في موقف هذه المعارضة المتمثل بشراء مولدات كهربائية من غيرما سؤال عن انهيار خدمات الكهرباء، وعن تحويل شرذمة من النافذين (الزعران) ومحدثي النعمة إلى مليونيرات بين ليلة وضحاياها، بدلاً من تكبيلهم ووضعهم في قفص الاتهام لمحاكمتهم وإنزال أشد العقوبات بحقهم جزاء ما اقترفوا من جرائم ارتكست بالبلاد إلى عصر الظلمات والتوحش والبدائية.

● «النداء»، العدد ٢٠٦، الأربعاء ٩ سبتمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

بالبكاء صار أكبر

السياسي الشجاع هو الإنسان في كل حالاته، في ضعفه وقوته، في صمته وكلامه، في مسراته وأحزانه.

وهو من يبكي ويضحك ويرقص ويغني على رؤوس الأشهاد، وقد علمنا نيلسون مانديلا أن الرقص كان من الوسائل الناجعة للاندماج بشعبه، وممارسة أرقى أشكال الاحتجاج والرفض والاعتراض التي أفضت إلى تقويض وإسقاط أعتى نظام عنصري شهده تاريخ البشرية في القرن العشرين.

السياسي هو من يبكي ويلعب ويحلم ويحب، وليس من يكذب ويقتل وينهب، وينكث في العهود والمواثيق، ويتقلب في المواقف ويستبدل أصحابه كما يبدل جواربه.

والسياسي هو من يتوسل السياسة أسلوباً رشيداً لإدارة فن العيش، ووسيلة لتدبير شؤون الحياة وتصريف الشأن العام بأفق عقلاني يستوعبه فضاء المدينة وتنتظمه الأطر والعلاقات والتفاعلات المدنية، التي كانت باستمرار، ودائماً، شرطاً لازماً لتخلف وازدهار الفعل السياسي الشاهد على اقتران ظهور السياسة بميلاد المدينة، وصار من غير الممكن أن تحضر السياسة وتغيب المدينة والعكس.

وعلى ذلك يكون السياسي مدنياً أو لا يكون، وهذه قاعدة لا تحتمل الاستثناء حتى في اليمن حيث تعلو أصوات تحقير وتأنيث وتعهير المدينة بالتلازم مع ازدهار واستعار البداوة الفجة وانفجار قيمها الأكثر بدائية وتوحشاً، وهي قيم طاردة للسياسة والمدينة، وناطقة بلسان حقبة ما قبل السياسة والمدنية.

من هذه الزاوية يمكن النظر إلى الجملة الهمجية الشعواء التي يتعرض لها المناضل الوطني البارز الأستاذ القدير محمد سالم باسندوة، صاحب المشوار السياسي الطويل والأدوار المشرفة من

يـوم انخراطـه المبكـر في معارك حـروب التحرير ضد الاسـتعمار البريطاني بالكلمة والعمل المسـلح والسياسـي، وفـي تمثيل بلاده والتعبير عن قضاياهـا في المحافل الدولية، ومنها الأمم المتحدة مطلع سـتينيات القرن الماضي، ومروراً بمحطات ومواقع صحافية وثقافية وسياسـية ودبلوماسـية كثيرة ورفيعة هيأت له أسباب التطور الثقافي والسياسي، ومكنته من نسج شبكة علاقات وصداقات وطيدة ومتنامية مـع نجوم الصحافة والدبلوماسـية ومع وزراء وأمراء ورؤسـاء، وملـوك، وانفتحت أمامه أبواب التكسـب والثراء واسـعة، ولكنه لم يركن إلى الدعة حتى بعد أن صار رأسـماله الرمزي كثيراً وكبيراً، وكان بمقدوره أن يسحب منه وينتفع به كيفما شاء، وأن ينتجع أينما شاء، ويتقلب بالديباج والحرية وبين الجواري الفاتنات، ويحل الكلمات المتقاطعة ويقرأ التسالي، ويكتب ما شاء من التسالي ويعلن أنها "مذكرات" مكتوبة بـ"الرمال"!

كان بمقدوره أن يحتفظ بوقار تمثال من شـمع على غرار غيره من "الأحرار المناضلين الكبار" الذين لم نعد لم نسـمع بهم إلا في نشـرات الأخبار، وما أكثر تلك الأسـماء التي لم نعد نسـمع بها إلا بعد أن يصبح أصحابها من انجازات السيد الرئيس الحريص، دوماً وأبداً، أن يكون في مقدمة الموكب المهيب لمشيعي "المناضل الراحل"، الذي قضى جل عمره في "خدمة الثورة والجمهورية والوحدة"، و... انتهى إلى مجرد فقرة في خبر من أخبار إنجازات الرئيس في نشرة الأخبار الرئيسة.

كان بمقـدور الأسـتاذ باسـندوة أن يكون "إنجازاً" رئاسـياً، غيـر أنه رفض وبدا كمـن ظل محتفظاً بنرجسـيات الفتى المسـكون بهواجس الرفض والتمرد والثورة والحرية والتحرر، وتجلى ذلك الفتى الذي كانه باسندوة وهو في عنفوان الاعتراض مع فارق بسيط تبدى في حقيقة أن اعتراضه ومعارضته للفساد والاستبداد الراهن أصبح مضفوراً بحكمة السنين وخبرة العمر والتاريخ.

واستفز وطاويط الخسة والدناءة ومنابر إعادة إنتاج الغباء والسفاهة التي أطلقت قذائفها الفاسدة عليها ونشرت روائحها الكريهة التي أزكمت الأرجاء وارتدت على أصحابها وعرَّت عقيرتهم المستثارة بوجه من استطاع هزمها بالبكاء، فهو بكى خراب وطنه في اللحظة التي استدعت تدخل الدموع على خط التعبير الإنساني السخي عن مشاعر لا تقولها الكلمات.

ذلك هو محمد سالم باسندوة الكبير من لحظة انخراطه في حروب التحرير ضد المستعمر الأجنبي إلى أن صار أكبر عندما بكى وكفه مبسـوطة بوصفة إنقاذية لـ"الوطن" وإنقاذ أولئك الذين عجزوا عن إنقاذ أنفسهم من أنفسهم.

وصار أكبر وهو يتقدم الصفوف المعارضة بعد نيف وسبعين، وليس ثمة ما يجدد العمر وما يعيد اخضرار الشـباب، وما يجعل الحياة ذات جدوى غير الالتزام بالسـير على خط الأحلام والرهان على الحرية والتعاقد مع أشواق التحرر والانطلاق في بداية جديدة تفرضها دقات الساعة القائلة:

إذا كان الاستعمار استبداداً خارجياً، فالاستبداد استعمار داخلي -بحسب الرائع أبو بكر السقاف عافاه الله وأطال عمره-.

● «النداء»، العدد ٢٠٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الولـد الخـرافـي

سيكون هناك
براميل
وسلاطين
وكراتين
أمراءٌ
وشيوخ
وزعامات
عاهات
دول واماراتٌ حاراتٌ
من برميل تنشأ سلطنة
من أخر تطلع مشيخة
تسطع، تطفح مزبلة
والكل زعيمُ
■■■

ذلك مقطع من «سـيرة الولد الخرافي» وهو طفل مسـتمر ولا يكبر بقدر ما يتكاثر كطفل في مشـتل الإدهاش.

هو طفل مذ كان بلا وطن ولا أمل وحتى يوم الناس هذا، وطفل كما كان في غبش الرحيل من قريته المزروعة فوق الغيوم إلى «عدن» وإلى فرن في جحمي الصيف.

في عدن كان «جبلي» وفي صنعاء «لغلغي». في الأولى «شمالي»، والثانية «جنوبي»، وتشطر بين الشطرين، وعاش غريباً، مشكوكاً فيه، وأقام في شطر الرعب، وفر من «زمن الغليان الثوري» والفرن والبحر والدرس في «عدن» إلى صنعاء حيث تشكل وعرف الجوع، الخوف، الرعب، القمع، السجن، الحرب. واكتنز الحزن، وتعشق الوحدة، الحلم، الهم، الهيام وغواية الجرجرة إلى السجن وغرف التأديب والتعذيب، واعتقل في «سجن القلعة» يوم كان شقيقه يرزح في «المنصورة».

الطفل الذي كانت الوحدة بالنسبة له حاجة وكانت أم إبداعه من داخل براميل التنكيل والتشطير، كما كانت تطلعه وحلمه الذي لم يفارقه حتى أثناء التحقيق وتحت التعذيب، وكان محموماً بها وبمن اخترعوا البراميل وأجهزة القمع، المعتقلات، آلات القتل، الحرب، الموت.

الطفل الذي انمسخ في السجن إلى ذئب، وأستأجر قبواً وتأبط مطراً، وحلاً ونساء سمراوات وشقراوات وفتاة مطر حشرته ذات يوم في مخنق سؤال «الهوية القاتلة».

واستأنس الكون وسامح «خميساً» وكافة الجلادين والجلاوزة ونام يوم «الوحدة» بلا كوابيس وفرح بجنينها المعلن، وفجع بالحرب الملعونة وقال:

إن الوحدة بالعدل وليست بالحرب تدوم.

وقال: بعيد الحرب الملعونة

ضاق الوطن الحلم

واتسع النهب الوطني

للنهب حدود

نهابون بدون حدود

نهبوا وطنا في عز الظهر

والرب كريم.

■■■

ذلك الطفل الكبير والكثير يشبهني بإفراط واقعي صارخ، وليس ثمة ما يردعني عن الادعاء أنه أنا بكامل انطوائي على كنز الأحزان، وكما أنا عليه مكتوب بالسيرة الشعرية المذهلة للرائع عبدالكريم الرازحي صاحب النص الخلاب «فصل من سيرة الولد الخرافي».

... التحية لهذا المبدع الخرافي والأخاذ في تضفير «نفاس الوطن المؤجل، وتسويغ فكرة أن تكون الحياة محتملة وإنْ في حلق الكابوس».

● «النداء»، العدد ٢٠٨، الاثنين ١٢ أكتوبر ٢٠٠٩

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

أيــوب محبــة

مساء اليوم السادس من شهر رمضان الكريم صلَّيت، على غير عادتي، بعد الإفطار مباشرة، وسرت رعدة الخشوع في أوصالي بخدر ناعم حتى أثملتني فيما كنت أتشرب بنهم تراتيل الإمام الاستثنائي الـذي أقـام بنـا الصلاة في منزل أحد الأقارب كنت التقيته صدفة على رصيف الشـارع قبل موعد أذان المغرب بدقائق، ودعاني لتناول الإفطار معه في بيته، واسـتجبت لدعوته من فوري، وعلى غير عادتي أيضـاً، ولـم أكن أدري أنه قد تهيأ لاسـتقبال جميع أشـقائه وبعض من أقاربه الأحبـاء، ومنهم الفنان الكبير أيوب طارش عبسي الذي كان إمامنا المختار، وأقام بنا الصلاة.

أثناء الصلاة وبعدها بدت التراتيل القرآنية مغسـولة بماء عين عنقاء، ومصقولة بشـفرات الشجن والهيام والوله والصفاء الروحاني.

وأحسست بانتشاء، عذوبة، خفة، ذوبان ولمعان وأشياء أخرى تعنقدت جميعها بخيط لحظة كانت كفيلـة بإقناعـي أن الصلاة تكون، أحياناً، ضرباً من الاتصال الحميـم والكشيف بالرب وهو في تجليه البهـي فـي الأغوار الدفينة للإنسـان، وهي أغوار ذات جدران سـميكة، قلمـا اخترقتها خفقة ضوء أو مسـتها كيميـاء بفعل نغمـة متفلتة لا يدركها غير الضالعـين في ترجمة هذيان الفراشـات والمبحرين بعيداً عن ثرثرة الأسماك الملونة واللآلئ والمرجان.

.. أما بعد الصلاة..

جلسنا إلى أيوب نسمعه، وأخبرنا بعض معاناته من المرض وعودته من الأردن وانتوائه مواصلة

العلاج في ألمانيا بعد انقضاء رمضان.

وساورني القلق، ذلك المساء، على حالة الفنان العزيز والكبير، والقلق من أن تنكث الجهات المعنية بعهدها وتتخلف عن إنجاز الوعد الرئاسي المعلن في أجهزة الإعلام.

ولم أفلح في طرد الوسواس الخناس الذي لم ينقطع عن وشوشتي بأن "الجماعة" سيفعلونها، ولم أفلح في إقناعه -أي الوسواس- أن للكذب حدوداً، ولن يصل إلى حد المس بأيوب، فتلك فضيحة كبيرة، ولكنه قال إنهم، ولهذا السبب بالضبط، سيفعلونها، فقد درجوا على تعريف أنفسهم كما هي بالضبط وبما هي فضيحة كبيرة، وكذبة كبيرة مستمرة منتشية، دوماً، بفخامتها غير المعقولة.

وطلع الوسواس على حق وصدق في ما قال حين قال إنه الأخبر بـ"هؤلاء" فهم خبز يده وعجينه، وهو الخبير بطوالعهم وطبائعهم ودخائلهم وبما يعلنون وما يضمرون، وله الحق في امتلاك جرأة الإعلان عن أنه يحفظهم غيباً، ويعلم أنهم يملكون الجرأة على الكذب حتى لو كان على واحد في مستوى أيوب الصابر الحكيم والفنان العظيم، وصاحب الامتياز في تعطير الحكمة القائلة بأن: الوطن محبة قبل أن يكون (اختراعاً) سلطانياً.

وبمناسبة مرض هذا الفنان العملاق لا بأس من الإشارة إلى أنه يعاني من إصابة عمل بامتياز، وينبغي أن تنهض (الدولة) بتعويضه من باب المسؤولية الإجرائية الجنائية قبل أي شيء آخر، بما في ذلك المسؤولية الأخلاقية والوطنية والإنسانية.. وما إلى ذلك من الأشياء التي تفتقدها، و"فاقد الشيء...".

فهو يعاني من التهابات موجعة في الحلقات العصبية الحساسة بمؤخرة رقبته ويده التي طالما هندست الألحان وعزفت أجمل وأروع ما أبدع فنان غنائي تطريبي في اليمن لفترة شارفت العقد الخامس.

وكما هو فنان عبقري استوعب سفر أحوال وتحولات اليمن و"الثورة"، الغربة، المرعى، الحقل، الراعي، البتول، الدان والفل والبن وأمزان المطر والغيوم، فهو الأكثر مبيعاً، ولم ينتفع بمنتجه الغزير المتدفق في الأسواق بغير ما انقطاع على الإطلاق، وبما يشير إلى لهفة لم تنقطع، هي الأخرى، لدى المتلقين وجمهور المستهلكين العشاق لأيوب بحمى لا تهدأ حرارتها.

وهو أكثر من أسهم في تشغيل الكثير من العاملين في تسويق الأشرطة الغنائية وأصحاب الاستيريوهات، وفي تشغيل أكبر وأخطر ماكنة إعلامية ضخمة في البلاد، وهي الماكنة التي ما انفكت تغترف من أيوب وتلجأ إليه في المناسبات والأعياد الوطنية وفي الملمات والحروب والانقلابات والتقلبات.

وفي بلاد يحرم فيها الفنان المبدع من حقه في الملكية الفكرية على منتجه، يغتني ويثري المنتفعون بتسويق بضاعته، فيما يعاني ويمرض ويفتقر صاحب الحق، وإن كان في قامة صاحب صوت

النشـيد الوطني ونشـيد الإنشـاد الإنسـاني وتنويعة اليمن الغنائية على مدى نصف قرن، وصاحب التوقيع الأخضر بالوتر على سـبتمبر وأكتوبر والتقاويم والأقانيم التي تشـكل معظم مفردات العيش و"فـن العيـش" في هذه البلاد التي كابر وثابر أيـوب من أجل تعميدها كحالة غنائية جديرة بأن تحب وتعاطـى معهـا بما هي أغنية عابـرة للطوائف والقبائل والأحـزاب والعصبيات والخنادق والحرائق والحدود والأزمان.

إن هكـذا فنـان لهو جديـر بالامتنان والمحبة الإيجابية المشـحوذة بالفعل حـين يتجلى في المبادرة والتبرع لإسعافه وعلاجه، وذلك هو وجه النقد الإيجابي الكاشف للخذلان والتخاذل والإهدار والرثاثة السياسية والثقافية الضاربة والماحقة لهذه البلاد حتى آخر رمق وعرق.

وقد كانت صحيفة "النداء" سباقة كعادتها في تظهير الوجه الإيجابي لهذا النقد، وفي تبني ونشر مقابلة فناننا القدير والكبير بعددها الماضي، وهي جديرة بالثناء.

وعلى ذلك، فإن الموقف النقدي لسـلطة القبح عندما يكون مدفوعاً بمشـاعر المحبة الإيجابية، سوف يشكل علامة أكيدة على وجود أناس متصالحين مع أنفسهم، ومستعدين على الاحتفاء بالحياة وتثمير قيمتهـا، فهـي -أي الحياة- كانت في البدء: أغنية، وهو -أي أيوب- كان وسـيظل بحق صلاتي خلفه، سـيدي وإمامي وأنيسـي وجليسي في أزمنة الوحشة والجدب والاحتراب والاستضحاء والأقناء، وله أحر التحايا وكل المحبة.

والمحبـة لصديقـي وابن عمتي وعمي الحبيب عبدالرقيب علي أمين الذي جمعنا في مسـاء رمضاني لا ينسـى بمن لا ينسـى: أيوب طارش عبسـي عافاه الله وأطال عمره، وباركه كمعلم كبير لفن الحب.

● «النداء»، العدد ٢٠٩، الاثنين ١٩ أكتوبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

اليمن.. إنها الحرب!

إذا كانت الحرب المستعرة في صعدة تعتبر الأشرس والأعنف والأكثر خطورة وخراباً من كافة الحروب السابقة بتدميرها المباشر لثلاث محافظات، واستنزافها لاقتصاد البلاد، وإشاعتها لمناخات العنف والخراب المادي والنفسي في عموم البلاد، بعد أن أسفرت عن قتل الآلاف وجرح عشرات الآلاف وتشريد مئات الآلاف، وما زالت تلتهم المزيد من المتحاربين والأبرياء والطاقات والقدرات والأحلام.

وإذا كانت الخسائر الفادحة الناجمة عن هذه الحرب تجعل من احتمال إسدال الستار عليها مستحيلاً، وتغوي طرف السلطة بالتمادي في اقتراف المهمة المستحيلة المتمثلة بـ"الحسم العسكري"، فإن الأمر المؤكد هو أن هذه الحرب تقف في صدارة الحروب ولا تختصرها كما لن تسمح بأن تكون موجزاً مبسطاً للكارثة.

والحاصل أن جميع العناصر والبصمات والصور في الحروب والمواجهات التي تستعر وتستشري وتنتشر في أرجاء متفرقة من البلاد، غدت ترسم بصواعقها وأدخنتها أقواس "الأفغنة" و"الصوملة" و"العرقنة" وإلخ، وتلك حقيقة فاقعة لا يمكن حجبها بحرب واحدة.

والمعلوم بل المحسوم أن البلاد بعمومها ستمضي في فلك الحرب المستدامة، وذلك هو البديل الطبيعي الفج للامتناع عن مواجهة تحدي "التنمية المستدامة"، واستطراداً كان من شأن الفشل الفاضح في إنجاز مشروع الدولة، إخلاء المجال لأن يستمر الحضور الكاسح لما قبلها وما دونها، وأن ينفسح واسعاً لانفتاح وانتفاخ وتورم جيوب وجبهات الحروب التي تتغذى من بعضها وتنتعش ومعها تنتعش عصبياتها، وتتقوى باستحضار شتى عناصرها وبطولاتها وأبطالها ومقولاتها

القديمة والقيامية والانتقامية.

وبـدلاً من الغرق في سـيل الأخبار المتدفق من وسـائل الإعلام ليجرفنا فـي مجراه حين يتحدث عن قتل لبنانيين أو صوماليين أو إيرانيين قدموا من بلدانهم إلى محرقة صعدة، وعن شـحنات وصفقات أسلحة مهربة إلى اليمن؛ موطن البراءة والعفوية، من الصين وإيران و"الإمارات" أخيراً و... إلخ.

وبدلاً من الانهماك في فرز الألوان والخيوط المترادفة والمتشابكة في خضم ما يجري ويدور ويتفاعل، يتوجب إمعان النظر في المجرى العام للخراب النابع من دخائلنا من منطلق الإقرار بأن يوميات البلاد كانت ولا زالت مسمومة بالعنف والفساد حتى الثمالة. وعليه فإن الحرب صارت هي الوظيفة الأرأس، ومجال العمل الأطغى، والمنتج الوحيد المتجدد.

وعلى ذلك، فإن اليمن لم تنتج خلال العقود الأخيرة غير "مجاهدين"، ولم تصدر غير هذا المنتج إلى أفغانستان أولاً ثم إلى العراق ولبنان، وإلى السعودية هذه الأيام، وإلى أن صارت -أي اليمن- بمثابة فرصة ذهبية لـ"القاعدة" تفوق بأضعاف الفرص الصومالية.

مـن هنـا كان اختلاط المخاوف من الإرهاب والتطرف ومنابعه ومدارسـه في اليمن، والمخاوف على النفط ومنابعه من فائض العنف والحروب في اليمن، التي غدت بمثابة ثقب أسود كبير يتسع لاجتذاب جميع الفاعلين الذين انساقوا للاشتغال بالحرب وعليها بقصد ومن غير قصد، وما كان للرئيس علي عبدالله صالح وعبدالملك الحوثي أن يكونا في الصدارة إلا لأنهما الأكثر دهاءً وخبرة وجدارة في هذا الميدان، وتلك أمور محكومة بخلفيات البيئة والتكوين وطبائع الأشياء وهاويات الأيديولوجيا.

وفي السياق، كان لتنظيم القاعدة أن يكون قوة موازية وحتى منافسة، ويمكن له أن يحتفظ بمركز القـوة الثالثـة إلـى أن يحيي دوره وينفجر حرباً على الداخل وعلى الخـارج والمحيط الإقليمي، وعلى السعودية بصفة مباشرة وخاصة.

وتتضاعف المحن في ظل العطالة السياسية ورثاثة وهشاشة النخب التي يفترض أن تكون شغالة في حقل السياسة وإنتاج البدائل عبر نحت لغة تتوسل الإقلاع عن مسرح الحروب والخراب، وتجترح شروط وإمكانيات الحياة والسلام من خلال الوقوف على عتبة المواطنة كشرط شارط للخروج من دائرة التحلل والتآكل بأنياب ومخالب العصبيات والعصابات وأمراء وتجار الحروب: سادة الخراب.

● «النداء»، العدد ٢١٠، الاثنين ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٩

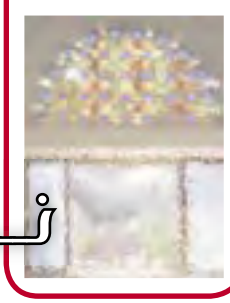

نافذة

منصور هائل

ليس من حق الحراك

كل الفقاعات التي تداخلت ببعضها أثناء التخمر العام، أصبحت تنفجر الآن في وجوهنا، وعلى رؤوسنا، وفي أكثر من مكان، في صعدة والضالع ومأرب وردفان والجوف ولحج وجعار و... الخ.

القاعدة، "الجهاد" والميليشيات القبلية، وحركة التمرد الحوثية، والعناقيد العسكرية والانفجارية في الحراك الجنوبي، وتململات وتمردات تجار السلاح وأمراء الحرب و... إلخ.

والمخيف، بل المحزن حتى الجنون، أن ينجر ويتحوّل الحراك الجنوبي الذي بدأ مطلبياً، حقوقياً، ثم تطور وتبلور وكان سياسياً مدنياً سلمياً، وكاد أن يكون معجزة اليمانيين في الألفية الثالثة، إلى المحرقة. وفي ضوء ما يحدث هذه الأيام في المحافظات الجنوبية، وخاصة في كل من لحج، الضالع وأبين، وكلها محافظات العمق والمخزون الذي طالما حسم أمر التوجه والحكم في الجنوب وعدن بخاصة، يمكن القول إن الحراك -ربما- أصبح يحتاج إلى معجزة تتداركه من الوقوع في مهب لعنة التاريخ ومصيدة العنف الشرهة والمتوحشة.

وإذا كانت السلطات تبرر غلقها لأماكن وساحات الاجتماع المدني والتظاهر والاعتصام، بمزاعم باطلة ومبتذلة، وتتمادى في ارتكاباتها القراقوشية والكاريكاتورية على نحو ما فعلت بحق صحيفة "المصدر"، وما حكمت على الزميلين سمير جبران ومنير الماوري الذي صدر بحقه الحكم القاضي بمنعه من الكتابة مدى الحياة..

وإذا كانت هذه السلطات تتصور أن من حقها حجب السماء، ووقف دوران الأرض، وشطب كافة

الجزر من على وجه الأرض، بما في ذلك قناة الجزيرة، لمجرد أن الزميل أحمد الشلفي يعمل مراسلا لها بصنعاء، وأنه صار سبباً في حذف كل الجزر من العين الحمراء للسلطة..

ولئن كانت هذه السلطات تعمل بخواء لا يطن ولا يرن، وتتأبى إلا أن تكون حدثاً مؤجل المبنى والمعنى، وتتمادى في تضليل كافة الأنحاء، ومخادعة كل الاتجاهات، وتقيم حفلات التشنيع بأصحاب الرأي والخصوم، وتبرع في تقنية الخداع واستنفاد طاقة الجموع وتحطيم الأذهان والأبدان، وإفساح المجال لتفشي وتعاظم سرطان أدباء الدم والتراب..

... وإذا كانت هذه السلطات تزعم وتتصور أن من حقها أن تقدم على كل تلك الارتكابات والفظائع، فليس من حق الحراك أن يستنفد صبر السياسيين الحالمين، وأن يتردى إلى مهاوي الإسراف والشطط وهيجان الخواطر، وأن ينفجر كأية فقاعة من تلك الفقاقيع التي تزكم أنوفنا بروائحها الكريهة وتفتك بنا.

ليس من حق قيادات الحراك أن تتنازع على سلطة وهي لم تصل بعد إلى مستوى تشكيل باقة سلطة خضراء على مائدة غداء. ولا يحق لها أن تتذرع بهمجية السلطات البوليسية التي يقال بأنها كفيلة بدفع الناس إلى امتشاق ذات الأسلحة التي تستخدمها، وتحويل كامل البلاد إلى ساحة للتقاتل والمناطحة.

وليس من حق هذه القيادات الحراكية أن تسوغ الانزلاقات إلى مهاوي العنف بأفعال السلطة المعروفة بخروجها من الرحم المظلم للعنف، وبما هي مسخه المتجهم.

ذلك أن ما تراكم من جهد وخبرة وفعل مازال يؤشر على إمكانية إحداث تحول عميق، وزحزحة كبيرة يمكن أن تفضي إلى ابتكار وطن، واختراع يمن غير هذه التي نرى ونقرأ.. يمن بدلاً من هذه الأطلال والخرائب التي تحفنا وتلتحفنا وتحرقنا على مدار الساعة، وفي كل ثانية.. يمن لا تكتب بالدم.

● «النداء»، العدد ٢١١، الاثنين ٢ نوفمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

إلى العقلاء في الجوار

ليست اليمن قادرة على التعامل مع الطلب المتواضع الذي تقدمت به دولة خليجية كبيرة عبرت عن حاجتها لـ١٠٠ ألف عامل من المدربين المؤهلين والمتخرجين من معاهد التدريب المهني والتقني. وكان واضحاً أن ذلك الطلب جاء في إطار مسعى خليجي جاد لإنجاد اليمن من غرق محتم وقادم في دوامة الفلتان الأمني والفوضى والحرب الأهلية.

ولن يكون بمقدور اليمن تأهيل العمالة المطلوبة في قادم الأعوام للمشاركة في بناء الجدار العازل الذي تعتزم المملكة العربية السعودية بناءه على حدودها مع اليمن، ويقول خبراء إنه يحتاج لمشاركة مئات المتعاقدين وآلاف العمال والفنيين، علاوة على مليارات الدولارات والتكنولوجيا المتقدمة والقادرة على تغطية الكهوف والممرات النائية والجروف المنحدرة والجبال الشاهقة والرمال المتحركة.

وبما أني أتحفظ على هذا الجدار ولا أعترض عليه لقناعتي الوطيدة بحق أية دولة أن تتخذ ما يلزم لتأمين وحماية حدودها في إطار القوانين المحلية والدولية المرعية، فقد ذهبت للتفكير في الأمر من زاوية اعتقادي بأن الأموال الطائلة والوقت والإمكانيات التي سوف تهدر من إقامة الجدار ستنفع أكثر من حال توجيهها نحو إزالة الأسباب التي حفزت وسوغت لبزوغه كفكرة، قبل سنوات، في ذهن الدوائر المختصة بالمملكة، وتحوله إلى مشروع جاد في الآونة الأخيرة، وقبل أن تدخل المملكة على خط الحرب في صعدة على نحو مكشوف وسافر وغير مسبوق في تاريخ السعودية، وإن بزعم «تطهير» الأراضي السعودية أو جبل الدخان من جيوب الحوثيين المتسللين.

ولأن الدخول في الحرب يعني انقطاع شعرة السياسة، فمن الوارد أن تكون فكرة وبالأحرى مشاريع

الجدران والأسوار العازلة والمفخخة في المنطقة وبين دولها وأهلها، هي الموعد المنتظر في قادم الأيام والأعوام.

والمؤسف أنه بدلاً من أن تتوجه أنظار الأشقاء في دول الجوار الخليجي، وفي صدارتها السعودية، نحو الأسباب والمعوقات التي حالت دون توفر اليمن على إمكانية تأهيل العمالة الماهرة المطلوبة في أسواقها، وعوضاً عن التفكير بالسبل الممكنة لتأهيل اليمن في هذا المنحى، أصبحت أصوات طبول الحرب ومعاول بناء الجدران والأسوار هي الأطغى. وقد كان الأحرى بالعقلاء في المنطقة واليمن أن يعملوا على توسيع المشترك وإشاعة مناخات التصالح والتعايش والجوار، والحيلولة دون وضع اليمن وراء جدار عازل، رغم أن حروبها وحرائقها الداخلية نابعة، في الأساس، من الداخل، وبما لا يعني براءة وطهر نية دول الجوار التي أصبحت تجاهر في خشيتها من اليمن التي تتكدس فيها الأسلحة بملايين القطع، وعلى اختلاف الأنواع، واليمن بما هي محطة لتهريب الأسلحة والمخدرات، ولتمركز «القاعدة» وانطلاق عملياتها الخارجية، واليمن بما هي منطقة لاجتذاب عناصر العنف والتطرف بنسختها الجهادية ذات اللون الأفغاني المصري السعودي، أو نسختها ذات اللون الإيراني، أو بشتى النسخ والأصناف.

على الأصدقاء في دول الخليج والسعودية، أن يتشاطروا معنا التصدي لسؤال هذا الوضع الذي جعل اليمن عاجزة عن تصدير عمالة بنحو ١٠٠ ألف نسمة، في حين أصبح بمقدورها تصدير (المجاهدين) من كافة الأجيال، ومن الجيل المتمدرس والمتمرن على يد الزعيم العالمي للقاعدة أسامة بن لادن، المتمرسين في حروب أفغانستان، والعائدين إلى اليمن مع أواخر ثمانينيات القرن الماضي، إلى الجيل الثالث، وهو جيل العائدين من العراق، ومعهم وإلى جانبهم (مجاهدين) ومحاربين من مدارس شتى، ومن أصحاب كافة التخصصات: الاغتيالات، التفجيرات، تفخيخ السيارات والبشر والأطفال والنساء، ونسف المباني والبواخر وفتح الجبهات، وإقامة الإمارات، وكل ما كان للجيران فيه مساهمة ودعم وتمويل وإسناد بالمال والخبرات والفتاوى وكافة مواد وعناصر الدمار والخراب والاحتراب التي احتشدت وتلاطمت وتصادمت في اليمن، وغدت ترشح بفائض عنفها وتطرفها إلى الجوار والعالم.

على الأشقاء العقلاء في دول الجوار أن يرهفوا السمع إلى شيء من صوت العقل الذي يمكن أن يتناهى إليهم من اليمن اليوم بالكاد، ومن المفزع أن ينقطع حبله في الغد القريب بحافة حادة وقاطعة لأي سور أو جدار من تلك الجدران التي غدت تنزرع في الحناجر وتنزع ألسن الحوار لتزرع في محلها الألغام والخناجر.

● «النداء»، العدد ٢١٢، الاثنين ٩ نوفمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

الجرذ والصرصار

تبدأ الأزمة بمهرج يستولي على السلطة ويندفع إلى حشو مؤسسات الدولة -الجيش، الأمن، القضاء، الإعلام ..- بأعضاء من جماعته، قبيلته أو عائلته، ويندفع أكثر في إطلاق رصاصة الرحمة على الحكومة التي تزول من الوجود بفعل عملية الاختطاف التي تقوم بها كتيبة من قطاع الطرق الذين لا يرتدعون بأي وازع، ويستخدمون ماكينة الدولة لنفخ جيوبهم، وتعظيم أرصدتهم عبر نهب ثروات البلاد، وتحويل الدولة إلى «دراكولا» مصاصة دماء، وإلى جمهورية جوز الهند. فحكم القانون مهزلة، وقطاع الطرق في موقع المسؤولية، وضحاياهم في السجون، والشرطة تحمي النصابين، وتتضافر عوامل «الإقصاء السياسي» والانهيار، ويطفح الكيل من الوضع القائم على العفن، وينفلت عنان التململات والتمردات بما في ذلك التمرد المسلح، وينفسح المجال لزعامات متمردة لا تسعى إلى إعادة ترسيم الحدود وصياغة السيادة، وإنما تريد السلطة وتنزع بجموع إلى الاستيلاء على العاصمة و... إلخ.

ويقول جورج ب. ن. آييتي رئيس مؤسسة أفريقيا الحرة بواشنطن، إن الحروب التي تعقب ذلك تتسبب بدمار هائل وذبح مريع، ويستولي زعماء المتمردين على السلطة، وغالباً ما يكونون أسوأ من الطغاة الذين حلوا محلهم، ومن ثم تبدأ الدورة مرة أخرى. وكما يقول الأفارقة غالباً: "نحن نكافح بمشقة كبيرة لإزاحة صرصار عن السلطة، ولكن الجرذ التالي يأتي بعد ذلك لكي يفعل الشيء نفسه" (مجلة «فورن بوليسي» الأمريكية، سبتمبر أكتوبر ٢٠٠٩). وبالمناسبة وردت الإشارات الآنفة من قبل الكاتب المذكور في معرض مقاربته لسؤال فشل الدولة في الكثير من الدول الأفريقية. ورغم أن الكاتب

ضـرب المثـل بالعديد من الدول التي ذكرها بالاسـم، ومنها بنين وكايب فيـردي، وملاوي، وزامبيا، إلا أن كاتب هذه السطور يجزم بأنه سيربح المليون في حال سؤاله عن حاصل ضرب مجموع تلك الدول الفاشلة باليمن، ولن يتردد عن الجهر بأن الحاصل أو النتيجة هو: اليمن.

فاليمن، ولا حسد، تتوفر على سلطة ناجحة في إنجاز حركات التمرد، ولا يجرؤ أحد على منازعتها مثـل هـذه المنجزات/ الحركات، فهي المتعهد الأول لعمليات تفريخ الحركة ونقيضها، اعتباراً من وهلة تدشينها لحركة الجبهة الإسلامية لتكون على الضد من الجبهة الوطنية، والحركة الحوثية من لحظة بزغتهـا الأولى تحت مسـمى الشـاب المؤمـن، لتكون على الضد مـن حزب التجمـع اليمني للإصلاح، والحركـة السـلفية الوهابيـة لتكـون ضداً علـى الحركة الحوثيـة والإحيائيـة الزيديـة، والمجاهدين الإسـلاميين ضـد المناضلـين الثوريين، ولـم تنقطع قط عن توليف وتأليف النسـخ البديلـة والنقيضة للأحـزاب والحـركات والجبهـات والزعامات السياسـية والقبلية، ولم تنقطع همتهـا قط عن تصريف هكذا حركات على مختلف الاتجاهات من اليمين إلى اليسار، إلى الماء، إلى الغبار و... إلخ.

ولأن الحـركات زادت عـن الحد حتى خرجت عن مدار السـيطرة والتحكم، فقـد انقلب معظمها على السـاحر، وكان ما نشـهد اليوم من اقتتال واحتراب، ومقاطعات وإمارات تعلن الحرب على السـلطة وتنزع إلى الانقلاب والهيمنة واختطاف مقدرات وثروات البلاد.

وعلى هذا النحو كان ما حدث يوم الأحد المنصرم حينما قام علي سيف العبدلي وجماعته العسكرية بمديريـة ردفـان بمحاصـرة أطقم وقوات الأمن ومركـز إدارة الأمن بمديرية حبيـل جبر وضيق عليهم الخنـاق، ولم يقتنع بوسـاطات مشـائخ وأعيـان ردفان الذين طالبوه بإطلاق سـراح أفـراد المجموعة الأمنية الذين قدموا بقصد اعتقاله وتحولوا إلى معتقلين ورهائن رفض إطلاقهم إلا في حالة تعهدهم بعدم العودة إلى المنطقة، واعتذارهم عن خطأ شروعهم باعتقاله كمجرم قاتل لثلاثة من باعة الحلوى من القبيطة، في منطقة العسكرية في يوليو الماضي.

وهنـاك الكثيـر من المؤشـرات والمعطيـات التي تفيد بـأن «الحركـة العبدلية» سـتضاف إلى قائمة منجزات السلطة، ومن غير المستبعد أن تكون الحركة جاهزة وناجزة بمناسبة حلول ذكرى الاستقلال ٣٠ نوفمبـر مـن هذا العام، وألا تقل شـأنا عـن غيرها من الحركات ذات «السـيادة» كالحركة الحوثية، والحركـة الجهاديـة، والحركة الفضليـة، وحركة «القاعدة»، ولا تختلف حتى في المسـتوى الذي يعني بأن تكون شـوكة في خاصرة الحراك الجنوبي وفي معقله الرئيسـي: ردفان، وذلك ليس إلا غيض من فيض.

● «النداء»، العدد ٢١٣، الاثنين ١٦ نوفمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

المحنة في السلطة و.. الرئيس

يعاني اليمنيون من ابتلاء مزمن ومستحكم بآفة اسمها السلطة والرئيس، ويتكشف هذا الابتلاء، وبالأحرى يتجلى في أقصى مستويات انكشافه، عبر السجالات والمداولات والكتابات التي تقع في مطب الشخصنة حين تزعم وتتوهم النجاعة في تشخيص طبيعة النظام السياسي، حيث ينطمس الفارق بين التشخيص والشخصنة على نحو ما ينطمس بين الشخص والنص، غالباً، في بلاد كاليمن.

وينسحب هذا على أهم منجزات أحزاب المعارضة وأحزاب اللقاء المشترك، وكافة أطراف ومكونات الحوار التي ساهمت في إنجاز مشروع وثيقة «الإنقاذ الوطني»، وكان عنوان تشخيص النظام السياسي في صدارة عناوينها، بل العنوان الرئيسي الذي اختزل مجمل النظام السياسي بشخص الرئيس، ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب في ظل التمركز المفرط للحياة العامة حول النظام السياسي، والتمركز أكثر حول استدامة «رمز» النظام وخلود الأطقم السياسية الحاكمة معه.

وفي كل الأحوال استبطن مشروع الوثيقة المذكورة شخصنة متوارية لدى من تصدروا لتشريح آفة الشخصنة السافرة والمستشرية في أوصال وتفاصيل المشهد السياسي.

ولئن كان انشغال الحاكم بكيفية بقائه في الحكم إلى الأبد يعتبر مصيبة، فإن المصيبة الأعظم تتجسم في المعارضة حين يكون شخص الحاكم هو شغلها الشاغل، وتنحصر فيه، ولا تفكر في أكثر من قلعه أو بلعه واستبداله بشخص آخر.

وفيما يمعن الحاكم في التمركز حول ذاته، ويتورم ويتضخم على حساب نفي الوطن والمواطن، وحصر السلطة والثروة في حفنة من الأقارب والأزلام والمحاسيب، تسهم المعارضة في استدامة حكمه

عبر استنفار شخصه والمحيطين الأقرب إليه كأشخاص.

وفي ظروفنا الراهنة؛ حيث تتكدس كافة الملفات الثقيلة والوسخة على طاولة الرئيس والمعارضة، وتتعنقد وتتلبد كافة سحب الأزمات في سماء البلاد، يبدو أن لقوة القصور قولاً حاكماً على جميع الفرقاء المصابين بالتشوش إلى الحد الذي يمنعهم من رؤية كوة الأمل التي تلوح من ثنايا ما نشهد من احتدام ينطوي على فرصة لإجراء حوار جاد، ويسمح للمعارضة، قبل غيرها، بأن تتطلع إلى تعميق المداولات الوطنية المسؤولة حول مستقبل الحكم وقضايا دولة القانون والمشاركة والثروة والسلطة.

وكما يحدث عندنا دار في الأيام القليلة الماضية النقاش في مصر حول «مستقبل الحكم»، ولفتني أحدهم بنقده دعوة المعارضة إلى إقامة جمهورية برلمانية تتركز فيها السلطة بيد رئيس الحكومة، ويصبح بموجبها رئيس الجمهورية شخصية رمزية شرفية بروتوكولية، وألمح إلى أن تلك الدعوة تبدو «خرافية»، وأنه من الأجدى الدعوة إلى تقليص بعض سلطات رئيس الجمهورية السياسية الداخلية، وإيجاد رئيس حكومة يختار وفقاً لنتائج الانتخابات. وأشار إلى أنه ليس من الصعب إجراء مثل هذا التغيير اهتداءً بـ«النموذج» الفرنسي. وختم أن العمل بهكذا نظام سيركز الاهتمام على الانتخابات، ولن يكون مصير البلاد ومستقبل الحكم متوقفين على شخص رئيس الجمهورية أياً يكن، خصوصاً إذا وضع سقف زمني لتوليه هذا المنصب.

في هذا المنحى ليس ثمة ما يمنع من الإقرار بأن الشخصنة ضاربة في البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية في اليمن كما في مصر، ويتوارى معها مفهوم المصلحة العامة، وتحضر الأسماء والشخوص بدلاً من المفردات والنصوص.

ولسنا في وارد التنكر لواقع ما تعنيه السلطة التي تكاد تكون المشكلة الوحيدة، وبالأحرى الرئيسية في بلادنا: «لا نتقدم خطوة من دون حلها، وإن كان هذا لا يحل في ذاته أي مشكلة»، بحسب ياسين الحاج صالح.

وبما أن محنة السلطة في اليمن لا تقع في جزيرة مقطوعة الصلة عن مجرة السلطنات العربية، فقد كان من الأجدر بفرقاء السياسة أن يلتفتوا إلى السجالات المثارة بشأن تولية منصب رئيس الجمهورية في مصر -مثلاً- حيث حاول الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل أن يرمي حجراً عبر اقتراحه «تشكيل مجلس أمناء الدولة والدستور»، بقصد تحديد الدور الدستوري للرئيس، وتعديل المواد الدستورية الخاصة بترتيب أمر انتقال السلطة. ولم يلقَ المقترح الكثير من الاستجابة في السلطة والمعارضة ومن جميع «الطرشان»، ولكن يكفي أن هيكل كان المبادر الأكثر جرأة في رمي حجر يرج بركة السلطة الآسنة الساكنة، وما أجدرنا وأحوجنا لرميها -أي السلطة- بأكثر من حجر!

● «النداء»، العدد ٢١٤، الاثنين ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

رامبوي.. إيه يا رامبوي

ما أحوج اليمن لشخص مثل هيرمان فان رامبوي البلجيكي البارع في لعبة البولينج، وفي إبداع شعر «الهايكو» الياباني، والمبدع أكثر في صبره وصمته، وفي ابتكار صيغة متجددة ومنتجة للتوافق والعيش المشترك في بلاده التي تلاطمت بها أمواج الفرقة والشرذمة، وكادت أن تنقسم وتنهار في لحظة من أسوأ لحظات تاريخها، وقبل أن يدخل رامبوي على الخط، وليس رامبو البطل السينمائي الأمريكي الهوليودي قاهر البراكين وآسر الأسود والنمور والطواحين والثعابين.

ولمن لا يعرف، فرامبوي أصبح أول رئيس للاتحاد الأوروبي اعتباراً من ١٩ ديسمبر الماضي، بعد أن كان رئيساً للحكومة البلجيكية، وبذلك فقد كسبته وخسرته بلجيكا وندم عليه شارعها الذي استطعم الراحة والهدوء خلال فترة لم تزد على ١١ شهراً.

والمهم أنه قبل أن يتسنم رئاسة الوزراء في بلجيكا مطلع هذا العام، بتكليف من الملك ألبيرت الثاني، كان قد انخرط في حوار شاق ومضن استغرق الكثير من جهده ووقته، بقصد إخراج بلاده من واحدة من أسوأ أزماتها السياسية والعرقية، وهي أزمة عاصفة، كادت أن تؤدي بالفعل إلى تقسيمها إلى أكثر من دولة، وإلى نقل مقر السلطة التنفيذية للاتحاد الأوروبي من عاصمتها بروكسل إلى مدينة أوروبية أخرى تحفظ، في الشكل على الأقل، وحدة المشروع وتضمن استقراره.

وبعد أن كانت كافة المساعي الداخلية ووساطات دول الجوار الكبيرة والصغيرة قد وصلت إلى طريق مسدود، وبعد أن كانت دبت في أوساط بعض تلك الدول المخاوف من انتقال فيروس الانقسام إليها، برز إلى السطح فان رامبوي المبتكر لصيغة التوافق الحيوي، وليس التلفيق الآني الملغوم،

والعيش المشترك بين القسم الغني بثرواته والقسم العريق بثقافته، وتمكن من قيادة بلد فيدرالي معقد فيه ٦ برلمانات و٣ مجالس وزارية، ومجتمع أكثر تعقيداً في تكوينه وصيرورته بسبب اختلاف اللغات والأصول و... إلخ.

وبدلاً من الاسترسال في سيرة رامبوي نرجع ونقول إن الحاجة ماسة لهكذا أفراد في بلاد كاليمن التي تتنازعها أنياب الذئاب والكلاب، وتغتلي وتتمزق في أتون المحارق والخنادق، وفي حلوق الهاويات.

ما أحوج اليمن للشخصية، بل الشخصيات العابرة للقبائل والعشائر والطوائف والمذاهب، والمجسرة للمسالك المشتركة والمتعالقة مع الأفق الذي يتوسل الإنسان ويحتفي به ويستعيده ويعيد اكتشافه وتحليقه في فضاء تكتنفه المحبة ويتأثث بجمال من خلال الإعلاء من قيمة العيش المشترك والرهان على تسميك المشترك على مستوى المصالح والتطلعات والانتظارات والأشواق.

ما أحوجنا للتطير بهذا الضرب من الأحلام، وإن أجدبت الأرض من المتطيرين وأمراء الفانتازيا واليوتوبيا، وفتحت صدرها فقط وحصراً للتوحش والتناهش والهذيان والفوبيا.

● «النداء»، العدد ٢١٥، الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

شهقة الأنفاس الأخيرة

أصبح اجتماع وتكالب الخصوم من مختلف المشارب والمضارب والاتجاهات والجبهات على استهداف رأس النظام يستحضر صورة الصومال بإلحاح وقوة، وكما كانت عليه في أواخر أيام حكم الدكتاتور محمد سياد بري الذي كان يرمق مخازن السلاح بغبطة الخبير المستغور والسابر للدخائل الخفية، والمحركات السحرية لسيكولوجيا الجموع التي احتشدت وتخندقت بقصد خلعه من القصر الجمهوري بمقديشو، ولكنها لم تصل إليه فقد كان الدكتاتور العتيد صاحب الضربة الاستباقية التي أضاعت على الثائرين طريق الوصول إلى القصر الرئاسي عندما فتح أبواب مخازن السلاح عشية اعتزامه مغادرة القصر الجمهوري في ليل ٢٦ يناير ١٩٩١ كأي حاطب ليل.

وتبين أن خبرته الوحيدة قد انحصرت في انشحاذ حدسه وتقديراته لاتجاه حركة ذبذبة الحشود الهائجة، والرؤوس الحامية التي كانت تندفع إلى القصر الجمهوري وترجع من محيطه إلى مخازن الأسلحة المفتوحة التي تكدست فيها ترسانة ضخمة تكفي لتدمير الصومال ألف مرة.

ذلك لأن خصوم وأعداء الدكتاتور كانوا لا يتوفرون على السيناريوهات البديلة لعهده الذي شارف على الأفول، وكان يلفظ آخر أنفاس خريفه، ولم يخطر على بال أحد أن مكر التاريخ سيقول كلمته، وأن الدكتاتور سيدير الساحة وهو بعيد عن القصر الرئاسي والصومال، وسيحتفظ بدوره وإدارته من موقع الخبير بهندسة الحروب الأهلية المؤجلة والمحتملة والقادمة.

وكان محمد سياد بري هو الشخص الوحيد الذي تمكن من اختطاف مفتاح المستقبل الذي لا يعقل لبلاده، وتمكن من رسم خريطة طريق الصومال في قابل الأيام والأعوام التالية لرحيله وحتى يوم

الناس هذا.

وبرهن على أنه داهية في الدمار حتى وهو بعيد عن كرسي النار، وداهية في مراكمة عوامل وشروط حفلات الانتحار الجماعي في الصومال، وفي تجزئته إلى شمال وجنوب وشرق وغرب، لأن الوحدة التي قامت مطلع ستينيات القرن الماضي، على أجنحة المشاعر والانفعالات الفوارة، والنوازع الفورية والإرادية، كانت كفيلة بأن تفضي إلى تهميش وإقصاء الشمال من قبل فئة قليلة بل جزء من قبيلة ثم عائلة عاثت فساداً في الصومال وهمشته وأفضت به إلى ما نرى اليوم من خراب عظيم.

وكأن إيقاع الرواية الصومالية وحبكاتها ينسبك ويتكرر فوتوغرافياً وحرفياً وميدانياً في اليمن، حيث تستعاد وتحيى طقوس فلكلور حروب العصبيات الأولى بكامل مفرداتها من أزياء ورقصات وخناجر وسيوف وبنادق وذخائر ومباخر، وتسري قعقعة السلاح في الأرجاء، وتتواتر أخبار توزيعه من قبل المراجع العليا على جحافل القبائل وعلى الكثير من الواجهات والجبهات، ويعلن الفضلي عن اعتزامه توزيع السلاح لأتباعه وأشياعه، وتنبري قيادات القاعدة للتلويح بقنابلها ومتفجراتها، وتتطاير دعوات «الكفاح المسلح» من هنا وهناك ومن جهات لا حصر لها، ويغتنم الحوثيون كميات هائلة من الأسلحة من معسكرات الجيش اليمني ومن الجيش السعودي الذي دخل المعركة وهو مدجج بآخر التقنيات، وشكل مدداً إضافياً للحوثيين بأسلحة لم يكونوا يحلمون بها، ومن أسواق الأسلحة العامرة بمختلف أنواع السلاح الذي ازدهرت تجارته بالتلازم مع استعار الحرب، وانفجار الجديد والمزيد من بؤرها.

ويحدث كل هذا تحت سمع وبصر دول الجوار والمجتمع الدولي. والمؤسف أن تدخل الخارج جاء ليصب في مجرى إحراق السهل كله، ومن هذه الزاوية فحسب يمكن النظر إلى مغامرة التدخل العسكري السعودي والتورط في مواجهة الحوثيين، ومقامرة التدخل الأمريكي في المشاركة والتوجيه للضربات التي استهدفت ما يزعم أنه «القاعدة»، وأخطأت الحساب في المعجلة بأبين، وأثارت هياج قبائل باكازم وغيرها من قبائل شبوة وأبين وردفان والضالع ولحج، وأخطأت التصويب في شبوة لتستنفر هياج قبائل العوالق، وتمثل خطأها الفادح بل خطيئتها الكارثية في التوقيت الحقير لغاراتها التي استعجلت عقد ضفيرة ما يشبه «العصبية الجنوبية» الجامعة، وفي تشديد الضغوط على نظام صنعاء الهش لكي يخوض حرباً على تنظيم القاعدة، وكانت بذلك كمن يطلب المستحيل من نظام لا يستطيع القفز فوق ظله، وغير مؤهل حتى للانتحار الأنيق أو الانفجار الرشيد في داخله وبما فيه وعلى من فيه.

وكثيرة هي المقاربات الصحفية والسياسية التي تحذر من تبعات وعقابيل ما يحدث اليوم في اليمن، وتتقاطع معظم الآراء الإقليمية والدولية عند نقطة أهمية التدخل الإقليمي والدولي لتدارك اليمن من الهلاك في قعر الانهيار.

والأعجب أن مثل هذه المناشدات تصدر عن بعض الفاعلين في المنطقة، وكأن المقصود منها كائنات فضائية أخرى غيرهم، ما يشير إلى أن فريق الإسعاف الخارجي لن يصل إلا بعد أن يموت المريض، رغم أن «الجميع» يدرك ويدري أن الأمور بين الفرقاء الداخليين قد وصلت إلى انسداد محكم، وليس ثمة بارقة تلوح في الأفق لاختراق الجدار السميك لهذا الانسداد الناتج عن فشل وانعدام أهلية ومؤهلات إدارة الحوار الناجح لدى فرقاء طالما أدمنوا تسول الحلول والوساطات من الخارج كأشقياء قصّر اعتادوا وأدمنوا تسول المساعدات والإعانات الخارجية على مر الزمن ومن عهد سيف بن ذي يزن الذي استنجد بالفرس من أجل طرد الأحباش، ليستقر في الذاكرة اليمانية الجمعية كأيقونة وبطل وطني لمجرد أنه استبدل استعماراً بآخر.

● «النداء»، العدد ٢١٧، الاثنين ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٩

نافذة

منصور هائل

صنعاء على هامش كابل

قبل أن نأتي على المؤتمر الدولي حول «اليمن» الذي تقرر انعقاده في ٢٨ يناير القادم بموازاة مؤتمر دولي حول أفغانستان، وتحت ظلال وعلى هامش ذلك المؤتمر الذي سينعقد في نفس اليوم، يتوجب التنويه إلى أن الذهاب إلى مؤتمر لندن سوف يندرج في سياق إسناد نظام صنعاء بل وإنجاده من طوق الأزمات الحادة التي تحاصره من كل اتجاه بوسيلة تدعم نهجه الدائم والثابت و«المبدئي» القائم على الهروب إلى الأمام عبر حبل نجاة، اسمه هذه المرة: المؤتمر الدولي.

وليست بخافية على أحد تلك المآلات التي طالما أفضى إليها أسلوب الأخذ بالنتائج والتعامي على الأسباب، وليس بخافٍ على أحد ما يعنيه اليوم تجاهل الأسباب التي جعلت اليمن قاعدة لـ«القاعدة»، ومركزاً لتنسيق وتصدير الهجمات الخارجية والدولية لتنظيم «القاعدة».

ذلك أن «القاعدة» ليست برانية ولا غريبة عن اليمن واليمنيين، فهي منهم وإليهم، وهي منتج محلي، بالدرجة الأولى، وقد كان ميلادها في اليمن أسبق من موعد ميلادها المعلن في العالم، وحتى في أفغانستان.

ولئن كان دور أفغانستان يدعونا إلى التواضع والقبول بمنطق التوأمة السياسية، أو بالمنافسية على الحق بالأسبقية، فإن مقتضيات الحال الراهن تدعونا إلى الإقرار بأن «القاعدة» في اليمن تعتبر جزءاً أصيلاً من النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والذهني، وجزءا من الانقسام الأهلي والتناحر والتشظي، بالإضافة إلى أنها تشكل التجلي المتطرف لانقسامات المجتمع وحرائقه وحروبه.

من هذه الزاوية، كان من الأحرى النظر إلى الأسباب الأعمق والأبعد المولدة لـ«القاعدة» التي غدت قناعاً من أقنعة الحروب الأهلية المتواترة، والدورية والمستدامة في اليمن، وهي حروب كانت ولا زالت تدور بمسميات وعناوين مختلفة -جمهورية، ملكية، يسارية، يمينية... الخ- في الظاهر، رغم أنها

عبارة عن حرب واحدة ممتدة كانت وما برحت تتغذى من التذرر والتمزق، ومن ثقافة وقيم وتعليم وتربية وخطاب يقوم على الإقصاء والإلغاء والتقتيل.

من هذه الزاوية، أيضاً، كانت «القاعدة» هي العلامة العصرية وبطاقة اعتماد صنعاء للدخول في نادي حروب الكبار مع مطلع العام الأول للعقد الثاني من الألفية الثالثة.

ولكم أن تقولوا إن «القاعدة» كانت هي الشيطان الرحيم بهذا النظام وخشبة خلاصه بعد أن استنفد صلاحية البقاء حتى بالاعتماد على قوة قصوره، وعلى الصدف التي تمطر بها السماء.

وفي المحصلة ارتمى النظام في أحضان التدويل بغرام تستنكره القبائل، وأصبحت اليمن برسم الوصاية والتدويل. وبقطع النظر عن التصريحات التي تصدر عن صنعاء بقصد تمويه هذا المعطى، فقد كان جوردن براون رئيس الحكومة البريطانية، شفافاً وسباقاً حينما دعا إلى اجتماع رفيع لمناقشة أفضل طريقة لمحاكمة التشدد في اليمن.

وفي ٤ يناير حذرت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية القوات الدولية من الوقوع في براثن أفغانستان أخرى، «فاليمن كأفغانستان، ولديها نظام قبلي قوي، وسلطة الحكومة المركزية محدودة كسلطة «نظام حامد كرزاي» في كابول و...».

وفيما كان الأجدر بالمعنيين والحريصين على استقرار اليمن والمنطقة داخل اليمن وخارجها، الدعوة لعقد مؤتمر حوار بين فرقاء المسألة اليمنية قبل عقد المؤتمر الدولي، وفي حين لازال النفق يتوفر على آخر خفقة ضوء يمكن أن تشعل جذوة الأمل بالإمساك بمدخل أفضل، يبدو أن الأمور تسير نحو إفلات مقود الحصان والهرولة إلى الركوب على عربة عمياء وتكريس عام ٢٠١٠ كعام للكوابيس الواقعية السوداء.

وكان لافتاً أن صنعاء تلقفت الدعوة لعقد مؤتمر دولي بغيرما تحسس لما يعنيه تجاهلها وعدم الأخذ برأيها عند طرح فكرة المؤتمر وتحديد موعد انعقاده، وبدت على درجة كبيرة من الحماس وقلة الكياسة عندما صرحت بأن فكرة عقد مؤتمر للحوار الداخلي ستؤجل إلى ما بعد انعقاد مؤتمر لندن بيومين: تهافت على الغنيمة. وبدت صنعاء كمن استعاد بعض البريق والمعنى، واستفادت كثيراً من التحشيد الأمريكي ضد «القاعدة»، وبالتالي ضد اليمن، وانحصر همها في الهروب إلى الأمام من مواجهة استحقاقات لا تحتمل التأجيل.

في الأثناء كانت جميع الإحصاءات وتقارير المؤسسات الدولية تجمع على أن اليمن هي الدولة الأفقر عربياً، والأشد فساداً في العالم، والأكثر احتمالاً للانفراط والسقوط، وهي الصومال الذي تأجل بتأثير شيء سوريالي أو قريب من الواقعية السحرية.

.. الغريب والمريب في أمر صنعاء اليوم أنها تهرب حتى من صنعاء، وتنتحر دونما أي قدر من البهاء التراجيدي.

● «النداء»، العدد ٢١٩، الاثنين ١١ يناير ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

اليمني الهارب حتى من نفسه

يهـرب اليمنـي مـن مواجهة التحديات اليومية التي تدهمه وتسـتفزه بعنف وحـدة، وتهتك حجبه وأستاره وأقنعته، وتهدم أسواره، وتشوشه وتربشه وتبهذله.

ويتهـرب مـن مواجهة انكشـافه في منحـدرات الخيبـة، ومنعرجات الخـذلان والهـوان، وهاويات الانسحاق والهزيمة.

وهـو لا يجابـه سـؤال انهيار الخدمات الأولية والأساسـية، والخراب الضارب فـي البنية التحتية المتهتكـة والمتهالكة، والتي تندلع من فجواتها السـوداء شـتى أنواع الحـروب والمصائب والجوائح، وكافة أشكال العنف والجريمة المنظمة والمجانية.

وهو يهرب من التصدي -مثلاً- لسـؤال انهيار خدمة الكهرباء بالهرولة إلى الشـموع، وحين ينعدم الشمع يلوذ بالفوانيس والمولدات، وإذا ما تعذرت إمكانية توفره على أية وسيلة فإنه يمتثل ويرضى بنصيبه ومصابه، وينصرف إلى التسبيح بحمد الظلام.

ولا يحتج ولا يرتج على ارتفاع أسـعار فواتير الكهرباء التي ترتفع كلما تزايدت سـاعات الانقطاع والانطفاء.

والأعجـب أنـه يكتفي بالتعبير عن شـيء مـن التململ والتبـرم عند اعتلافه لـ«القات»، وفي جلسـة المقيل، ولكنه لا يتجاوز ذلك إلى مستوى الاحتجاج المدني الفاعل والجدير بالذكر، بقدر ما يسارع في اليوم التالي إلى دفع الفواتير المجحفة بكامل الانصياع والانتظام.

وعلى نفس المنوال، يكون تعاطيه مع أحوال التردي والانهيار التي طاولت الخدمات الأساسية الأخرى، وهو حين يتخرب الطريق العام -مثلاً- يلوذ بالطرق الفرعية، الملتوية، البديلة، والدائرية، ومع القطع المتواتر والمتكرر للطريق التي تصل صنعاء بعدن عن طريق الضالع -مثلاً- يتحايل اليمني على الأمر ويسافر إلى عدن عن طريق تعز وكرش، وإذا ما انقطع هذا الطريق، وذلك ما هو متوقع، فإنه سوف يسافر إلى عدن عن طريق منفذ طور الباحة التي تتهيأ هي الأخرى للانغلاق في وجهه كيما يستدير ويبدأ بتقليب فكرة السفر بالطيران.

ولا يأبه لواقع أن الانفصال قد تنفذ برياً وفي الميدان، وفي هذه الأيام يقال إن المقتدرين والكثيرين لجأوا إلى الطائرات، وقد انتعشت حركة الطيران الداخلي، ودبت الحركة النشطة في مكاتب طيران "السعيدة"، و"اليمنية"، ومن المتوقع أن تتعاظم مبيعات وأرباح تذاكر الطيران، وترتفع ولا تنقطع إلا حينما يصل (الحراك) إلى مطار عدن.

هكذا يهرب اليمني من الواقع حتى يرتطم بسلطة الأمر الواقع، ولكنه لا يرتدع في أكثر الحالات.

ويتبدى في مستوى هزال كائنات نيتشه أو الفرد النيتشوي -نسبة إلى الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه- الذي قال بأن الإنسان يعتمد الذكاء كوسيلة للحفاظ على ذاته، وتنمية لقوته الرئيسية في التخفي، لأنه بواسطة التخفي يحافظ الأفراد الأوهن والأقل قوة على أنفسهم، إذ إنه قد كان منكراً عليهم أن يخوضوا معركة الوجود بالقرون والأنياب الحادة للوحوش المفترسة. ويبلغ فن التخفي ذروته، إذ فيه الخداع والتملق والزيف والاحتيال والافتراء والتظاهر والادعاء والتنكر والتواطؤ المستتر، والتمثيل على الآخرين وعلى نفسه.

ولعل حالة اليمني هذه تحتاج إلى الاستعانة بعلم نفس الأعماق، أو علم النفس الاجتماعي والتاريخي وأدوات الانثروبولوجيا، وأدوات الحفر في طبقات الوعي والتفكيك لنظام خطاب مؤسسة القات وآلياته ومراتبه وديناميات، وصولاً إلى استبطان واستنطاق أسباب هذا الإغماء الجماعي، والغيبوبة العامة.

ولعل المسألة تحتاج لوقفة أخرى بوجه هذا اليمني الهارب حتى من ظله ونفسه.

● «النداء»، العدد ٢٢٠، الاثنين ١٨ يناير ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

مجنون طائرة الخليج والجزيرة..!

يمكن إدراج بعض الكلام التافه الذي قيل في فندق موفنبيك، الأسبوع الماضي، ضمن الحكاية التي تتحدث عن مختل صعد إلى الطائرة، وبعد الإقلاع خلع معطفه وروع الركاب بهيئته كرجل مفخخ ومزنر بحزام ناسف، وشرع بتهديد الركاب أنه سينفجر وينسف معه الطائرة بما فيها، وراح يتوعدهم ويهددهم وهو يعلن عليهم لائحة طلباته بابتزاز مستفز وفاضح، إلى أن أفاق الركاب من هلعهم على كائن خلطة من هستيريا الفصام والعظام، وسارعوا لمداورته ومناورته والتحايل عليه، وتدليك قرون غروره ونرجسيته الجريحة.

وقد نجحوا، لأنهم فطنوا إلى أن المديح هو الجرعة المناسبة لتسكينه، وعمدوا إلى إطراء حكمته ووسامته وفروسيته وشهامته، ورحابة صدره، وحلمه ومحبته للإنسانية المعذبة والطفولة البريئة ولكافة ركاب الطائرة المساكين، الطيبين والمحبين لشخصه الكريم، المنقذ، فهو ملاك رحيم ومخلص عظيم وإن ظهر عليهم وهو مزنر بالمتفجرات وينذرهم بالانتحار والانفجار.

كان عليهم أن يتعاملوا معه كمريض أو كطفل، في أحسن الأحوال، فهو أحمق وغبي، وذلك أخطر ما فيه، حسب توصيف فيودور ديستويفسكي الروائي الروسي الضالع بدخائل النفوس والقائل: «إن المرء يكون أقرب إلى الحقيقة حين يكون غبياً. إن الغباء يمضي نحو الهدف رأساً. الغباء بساطة وإيجاز، أما الذكاء فمكر ومخاتلة» -(رواية الإخوة كارامازوف).

وثابروا في مخاتلته، وأظهروا استجابتهم لتلبية رغباته الساذجة، العبثية، والمستحيلة، حتى يكسبوا وده وثقته، ويطيب خاطره، ويسري الخدر في أوصاله، ويركن إلى ظفره بما أراد، ويكونوا

بذلك، قد كسبوا الوقت المطلوب لوصول الطائرة إلى أقرب مطار آمن وجاهز لتكبيله وتعقيله إما بإحالته إلى أقرب قسم شرطة أو إلى أقرب مصحة نفسية وعقلية أو حسب ما تقتضيه حالته.

... تكاد هذه الحكاية تساعد على تقريب شيء من صورة بعض اليمنيين الذين شاركوا في ندوة «العلاقات اليمنية الخليجية»، وتضمنت مداخلاتهم الكثير من «التهديدات المبطنة» -حسب خالد الدخيل- لدول الخليج والسعودية، وبدوا كمن ينطق بلسان حال بطل الطائرة.

وإلى أبعد من «التهديدات المبطنة» ذهب بعض الكلام المعزز بتصرفات صبيانية طفحت في مجرى بعض الممارسات اليمنية الابتزازية لدول الجوار الخليجي. وكأنهم كانوا يقولون: إما أن تستجيبوا لمطالبنا وإلا سننفجر بأحزمتنا الناسفة عليكم: القاعدة، والإرهاب، والانفجار السكاني والبطالة... الخ.

كان التلويح بورقة الإرهاب واضحاً، وثمة من لوح بورقة الأجانب المقيمين في دول الخليج، وقال بأن المجتمع الدولي سيضغط على دول المنطقة لتمنح الأجانب الإقامة والجنسية، وبعدها سوف يضغط باتجاه إطلاق الحريات وإجراء الانتخابات الديمقراطية، ما يعني فسح المجال لصعود الأجانب إلى دفة الحكم عبر صندوق الاقتراع، كونهم الأكثرية، الجديرة بالحكم بدلاً عن الأسر والعائلات الحاكمة، بل والسكان «الأصليين» الذين يشكلون أقلية في بلدانهم، أوليس من الأحسن الاستعانة بمدد اليمن؟!

وهنالك من جدف بهرطقات أخرى، ولوح بورقة يمن الجغرافيا والتاريخ والأصل والحسب والنسب، واليمن بما هي عمق استراتيجي وثقل سكاني، بل مخزون بشري هائل و«أبناء عم»!

وتحدثوا عن مخاطر وعقابيل الانفجار السكاني، مؤكدين على ضرورة أن تسارع دول الخليج لتلافيه بـ«استيعاب العمالة» اليمنية، وإدماج اليمن في عضوية مجلس التعاون.

بهذا المنى صارت دول الخليج مدعوة إلى استيعاب البطالة اليمنية، يقولون العمالة، واحتواء تبعات الانفجار السكاني، ولا ناقة لهم في الإنجاب ولا جمل في الحبل. والأنكى أن بعض الأحاديث كانت متقيحة، وقد نزت بصديد الاستعلاء العنصري على جيراننا في الخليج، ولم تخلُ من عبارات الهجوم التي كان نصيب السعودية منها هو الأكبر.

المقرف أن بعض البواقين بهذه الوقاحات كانوا ولازالوا من أشهر المتهافتين على عطايا أمراء وموائد سفراء دول الجوار الخليجي، وقد انحصرت لعبتهم في نفخ «فقاعة وفرقعتها أثناء وعلى هامش مداولات الندوة، بموجب تعليمات سلطة عليا طالما استمرأت لعبة تحويل «الفقاعة» إلى حدث وحديث ومفارقة، وكثيراً ما انعقد رهانها على العيار الذي يدوش ويربش ويشوش من منطلق خبرتها بطبائع واستجابات اللاعبين الآخرين في المنطقة.

والخلاصة أن التشويش والتمويه على التحديات والأزمات الشرسة التي تواجهها اليمن اليوم قد

صارت ذات طبيعة انفجارية، ولم يعد ينفع أسلوب النعامة، وقد أصبحت أساليب الابتزاز والتهديد المبطنة والسافرة مفضوحة ومستنكرة ومقززة. فليس الجيران من وقفوا وراء فشل بناء دولة القانون، أو وراء الفساد والفوضى والاضطراب والعفن والتفسخ والحروب المستعرة من صعدة إلى المهرة، وليسوا هم السبب في رفع مستوى الخصوبة والإنجاب و«الانفجار السكاني»، ولا السبب في رفع معدلات «البطالة»، وفي دفع بقايا «الدولة» إلى التحلل والانفراط التام.

وليست استقالة النظام الحاكم من المسؤولية تجاه هذه الأوضاع الكارثية مقبولة، وكذلك هو الحال بالنسبة لكافة الأطراف والأطياف اليمنية التي يقول منطق القوى الإقليمية والدولية بمسؤوليتها عن مساعدة نفسها قبل أن يساعدها الآخرون، ودون ذلك فالكارثة ماحقة، وهي قدر منتظر ولا ريب فيه، إذا ما تمسكت السلطة بلعب دور البطل في فيلم الطائرة في حال صلاحية الحكاية للطباخة السينمائية.

● «النداء»، العدد ٢٢١، الاثنين ٢٥ يناير ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

اليمن: «أفغانستان على البحر»

الواضح أن لعبة خلط الأوراق في بورصة التكهنات السياسية اليمنية لن تفضي إلى بلورة مفردات تصور واضح بشأن أعمال ونتائج اجتماع لندن الذي انعقد الأربعاء الماضي، والشاهد على ذلك أن كافة فرقاء السياسة قد تخلفوا عن واجبهم في إنجاز رؤيتهم لما يريدون من اجتماع لندن قبل انعقاده، ولم يفلحوا في تلقف نتائجه المعلنة بعقل نقدي إيجابي ومفتوح، بقدر ما انصرفوا، كعادتهم دوماً، إلى تقليب الهواجس والوساوس والاتهامات حول ما يريد (الآخر) ومآربه ومطامعه، عوضاً عن مجابهة سؤال: ماذا نريد؟!

وتبعاً لذلك، لم يكن موقف المعارضة السياسية مفارقاً لموقف (علماء الدين) ومشائخ القبائل الذين كانوا أصحاب الصوت الأعلى والأسبق في النذير والتحذير من أي اتفاق أو تعاون أمني وعسكري مع "أي طرف خارجي يخالف الشريعة ويضر بمصالح البلاد" (بيان صادر عن ١٥٠ عالماً).

وعلى غرار ذلك، بل وفي سياقه، كان موقف المعارضة السياسية -باستثناء حزب رابطة أبناء اليمن- التي اعتبرت نتائج اجتماع لندن غامضة، وقالت بأن "نتائج الاجتماع اتجهت لإنقاذ السلطة في اليمن بدلاً من إنقاذ الدولة" (بيان أحزاب اللقاء المشترك).

وفي الأثناء، كانت الدوائر الغربية التي تتفهم جيداً حقيقة أن القليل من الغطرسة المسرحية يمارس تأثيراً كبيراً في بلاد كاليمن الذي يمكن أن تصرح قياداته بما يخالف ما وقعت عليه من اتفاقيات فوق الطاولة ومن تحتها.. في الأثناء كانت هذه الدوائر تتحدث صراحة عن ضرورة إنقاذ اليمن من اليمن، وتفصح عن مخاوفها من غير مواربة، وتقول بأن اليمن هو "أفغانستان على البحر"

بحسب مسؤول بريطاني.

ومن هذه الزاوية أعلنت الدوائر الأمريكية أنها وضعت مهمة "منع تنظيم القاعدة من مهاجمة المصالح الأمريكية وتأمين الممرات الاستراتيجية" على رأس أولوياتها.

وارتباطاً بذلك، تردد أن جزيرة سقطرى سوف تتحول من مهبط جوي صغير إلى قاعدة كاملة من أجل دعم برنامج المساعدات المعزز ومحاربة القراصنة الصوماليين.

وقال خبراء استراتيجيون إن الولايات المتحدة اقتنعت مؤخراً بضرورة خوض حرب الممرات المائية على اعتبار أنها ضرورة استراتيجية يمكن أن تعوض عن إخفاقاتها في كل من العراق وأفغانستان، ناهيك عن كونها أسهل وأقل كلفة، ومن المناسب أن ترتسم استراتيجية تعاطيها مع اليمن في ضوء ذلك، خاصة في ظل ما يشهد هذا البلد من انفجار لمتوالية الأزمات، وفي ظل الاحتراب والتقاتل الداخلي والفلتان الأمني والاضطراب والفوضى، وكل ما من شأنه تهديد المصالح الغربية والأمريكية، وتبرير التدخل والانتشار العسكري على كامل شواطئ اليمن وشبه الجزيرة العربية، والترتيب لخارطة جوسياسية جديدة لليمن.

على ذلك، تسربت المعلومات والأخبار التي تقول بأن البرنامج غير المعلن في اجتماع لندن يضع قضية أمن الشواطئ والمنافذ اليمنية البحرية الاستراتيجية، تحت إمرة قوات "المارينز" والقيادة المركزية للقوات الأمريكية في المنطقة، ما يعني اضطلاع هذه القوات بقيادة مختلف القوات العسكرية الغربية التي تعزز تواجدها في خليج عدن منذ أن ظهر القراصنة، وتزايد الإلحاح على تكريس حضورها وتوسيع دائرة انتشارها وشرعنة استمرارها على إثر انطلاق سلسلة من العمليات المنسوبة إلى القاعدة التي استهدفت المصالح الغربية والأمريكية تحديداً، وأفسحت المجال لانتشار أمني وعسكري أجنبي، ولإحكام السيطرة على مضيق باب المندب وتفعيل الرقابة على خليج عدن وإخضاع البحر العربي لرقابة محكمة انطلاقاً من ضرورات استراتيجية.

ولما كانت اليمن مستنزفة ومنهكة ومنقسمة على نفسها ومتفجرة على داخلها وإلى خارجها، على نحو بالغ الخطورة، فقد تكرر مؤخراً أن هذا البلد الذي يقع على بحرين ويتاخم مصادر النفط الرئيسية في العالم، أخطر من أن يترك بأيدي فاشلين وقصر، ذلك أنه أصبح يمتلك كافة المقومات المتفجرة للصومال، ويترنح على حافة الحرب الأهلية، ويدعو وبالأحرى يستعجل التدخل الدولي بإلحاح منقطع النظير.

من هنا كان (اجتماع لندن) فاتحة التدابير التي سوف تصبح اليمن بمقتضاها رهن المجتمع الدولي.

● «النداء»، العدد ٢٢٢، الاثنين ١ فبراير ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

الغرب حين يتحكم بـ"رحم المرأة اليمنية"

يخلص الأمريكي بادنوس إلى أن اليمن صارت تذكره بمسرحية الروسي تشيخوف "بستان الكرز". في الواقع يمكن العيش في هذا البلد الساحر بشكل جيد، ولكن بدلاً من ذلك فإنهم يقطعون الشجرة تلو الأخرى يومياً. حكومة عاجزة، ونفوذ متزايد جداً للجماعات المتشددة يدفع البلاد إلى مزيد من الفوضى التي تجعل اليمن محط اهتمام الإرهابيين من القاعدة، وليس فقط منذ الهجوم الفاشل الذي استهدف تفجير الطائرة في ديترويت. وهذا شيء معلوم.

ذلك ما ورد على لسان السيد بادنوس الذي يعترف أنه عاش أكثر من ٣ سنوات "كاذباً" على أنه مسلم في اليمن، وكان ذلك اعتباراً من خريف ٢٠٠٥ حين اعتنق الإسلام رسمياً، وكانت طقوس اعتناقه مختصرة، عكس الطقوس في بلدان أخرى، ففي اليمن تتم العملية أسرع بهدف إدخال الشخص إلى الإسلام.

ويتحدث بادنوس الأمريكي "المخترق" للمدارس السلفية، عن تجربته في المدرسة السلفية في مدينة دماج بصعدة، وهي تستوعب اليوم الآلاف من الطلاب، مشيراً إلى أن المشكلة الرئيسية تكمن في النظرة التي تكرس وتعمم في المدرسة، إذ يجري تصوير الغرب كخائن للإسلام، ويتأهل الطلاب، بعد فترة قصيرة، على الشعور بالتهديد والاعتداء والرغبة بالذهاب إلى الكفاح وقتل الكفار من الأعداء، ويفضل أن يكونوا من اليهود -بحسبه-.

وكما يعترف أنه كان يخشى من العواقب إذا ما انكشف أمره، فقد اعترف أنه لم يشعر بالانتماء، موضحاً أنه أراد التعرف على أشخاص آخرين اعتنقوا الإسلام بعد المسيحية، وأراد أن يتفهم سحر الإسلام وجاذبيته.

ويلمح إلى أن ثمة شعوراً يتشكل لدى الطلاب، مفاده أنهم في شيء من الحرب مع الغرب، وأن ذلك يكفي لتبرير العنف في أي وقت، وقال: "عندما لقيت في العام الماضي الممرضتان الألمانيتان مصرعهما في اليمن، تم الحديث عن ذلك في المدرسة، وتم الإجماع على هذا الفعل بين المدرسين والطلاب، وذلك أنهن لم يأتين لمساعدة النساء في الولادة، ولكن أتين كي لا تلد النساء المزيد من الأطفال في المستقبل، ونقل عن أحد المعلمين أنه قال: إن الغرب يريد أن يتحكم بكل شيء، حتى رحم المرأة اليمنية، كي لا يتزايد عدد المؤمنين".

ويضيف أن المعلم ختم حديثه بالقول: "أنت مسلم. الأمم المتحدة، والمسيحيون لا يريدون أن تحصل على المزيد من الأطفال. كل واحد منكم يجب أن يخرج ويحصل على ١٠ أطفال".

ويعلق: وبطبيعة الحال حصلت هذه الفكرة على إعجاب الجميع.

لا شك أن تجربة هذا "المخترق" التي تقرر أن تصدر قريباً في كتاب، حافلة بالكثير من الإثارة والخطورة، فقد كان مسرحها في منشأة تدريبية لـ"الجهاد والحرب المقدسة" وفقاً للمخابرات الغربية.

ويعلم صاحب التجربة أن مؤسس المدرسة المذكورة هو الشيخ مقبل الوادعي صاحب الخلفية الأكثر إثارة في الحركة السلفية على مستوى اليمن والمنطقة، فهو كان ضمن المئات الذين هاجموا الحرم الملكي عام ١٩٧٩ واحتلوه، وأعلنوا من هناك قيام دولة إسلامية متشددة.

المعلوم أن الوادعي اعتقل بعد ذلك أكثر من سنة في المملكة، وعاد مطلع الثمانينيات بالتنسيق بين صنعاء والرياض، ليقيم أكبر وكر للسلفية الوهابية في خاصرة عاصمة الزيدية ومعقلها العتيد. ولم يقتصر دوره على مناوشة الزيدية في وكرها، بقدر ما انصرف، أيضاً، لتأهيل وتدريب وابتعاث كتائب الطلاب المجاهدين اليمنيين والأجانب، إلى أفغانستان وغيرها.

وعلى صعيد متصل، كانت منطقة معبر بمحافظة ذمار، التي طالما وصفت بأنها "كرسي الزيدية"، مسرحاً لإقامة مدرسة سلفية أخرى. وتبعاً لهذه المتوالية انتشرت عشرات المدارس ومراكز التدريب والجامعات السلفية والمعاهد العلمية، في أرجاء كثيرة من البلاد.

كان كل ذلك يحدث تحت سمع ونظر و"اختراق" الإدارة الأمريكية، وبتمويل من المملكة العربية السعودية، ما يطرح على طاولة الساعة الساخنة سؤال "القاعدة" من باب آخر غير باب المقاربة الأمنية والعسكرية: إنه باب التعليم وإعادة النظر الجذرية بحالته، وباب المقاربة الثقافية والتربوية والسياسية المفتوحة والشاملة، وليس العمليات التجسسية وضربات "البرايدتور" و"الكروز"، أو استمالة مشائخ القبائل وأمراء الحرب وتجار السلاح و(علماء) الدين، أو استبدال الصنف الرائج بصنف آخر مخفف.

● «النداء»، العدد ٢٢٤، الاثنين ١٥ فبراير ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

وإلى قلع العيون وقطع الألسن و..!

توعد طلاب (جامعة الإيمان) باقتلاع عيني طارق الفضلي القيادي في "الحراك الجنوبي"، ورمي "جثته للكلاب" في حال صدقت تصريحاته التي هدد فيها بانتزاع لسان كل من الشيخ عبدالمجيد الزنداني وعبدالكريم الإرياني المستشار السياسي لرئيس الجمهورية.

وحسب بعض الصحافة والمواقع الإلكترونية، كان الفضلي عبر عن أسفه لموقف الزنداني المرتهن للسلطة، وقال إنه "يبيع ويشتري بلحيته الحمراء".

وأضاف: ليس الزنداني وحده، فهناك الأحمر والإرياني، وقال: "فليع الأحمر والزنداني والإرياني وغيرهم ما يخرج من رؤوسهم جيداً. لدينا من يرد عليهم سواء بالكَلام أو بالقول أو بالكتابة أو بالفعل، وسوف تطالهم يد الجنوب، وسوف نخرس ألسنتهم إذا لم نقطعها فسننتزعها من مكانها ونعلقها في شوارع الجنوب إذا لم نعلق رؤوسهم".

وبقطع النظر عن صحة هذه الكلام من عدمه، فإن المناخات المحمومة والمسمومة بأدخنة الحروب والحرائق، هي التي فتحت أبواب جهنم التي نشهد، وهيأت الفرص لاجتماع كل هذه الحراب وانصهارها في حربة واحدة جاهزة ومتحفزة لقطع لسان العقل وجز رأس العقلانية والحداثة في أي مكان كان من اليمن.

الواضح أنها مرحلة خفوت صوت الاعتراض العقلاني على جوقة الذهان العصابي العربيدة والمتفلتة في صنعاء وأبين وفي معظم الأرجاء.

واللافت أن التصريحات السابقة هي أكبر وأكثر ما يتردد في المحافل و"المقايل"، وعلى نحو لا يشهد على خروج البلاد من مرحلة اللاجريمة، حيث تفقد الجريمة معناها، ويكون القتلة متبطلين والضحايا صامتين، إلا لكي تلج إلى مرحلة قلع العيون، وجز الرؤوس والتمثيل بالجثث ورميها للكلاب.

وليس ثمة ما يمكن استخلاصه من هذا المعطى في بلاد لم تعرف الخلود إلى الراحة على فراش هدنة طويلة قط، بقدر ما انخرطت في سلسلة متدافعة من الحروب المهلكة، حتى أصبح شأنها لا يختلف عن شأن "شخص يتبرع (دون تكليف من أحد) بإحياء حفلة لتقطيع أجزاء من جسده بسكين حادة لهدف واحد: تسلية الآخرين، حيث تصبح هذه البلاد عظيمة ليس نتاج إنجاز، بل بفضل كارثة"*.

وتكبر الجوقة، وتتضاعف مع تفاقم الشعور بكثافة وكثرة الأحداث، ومع المهرجانات والمؤتمرات وحفلات استثارة الذاكرة وتمجيد طقوس العنف و(الموت والدم)، وغلق الشوارع والمساحات العامة، وتصعيد الزحمة والاكتظاظ والتوتر، ورفع مستوى الشعور بالكارثة وتعويد الناس الإقامة على حافتها. وإلى أنكى وأفظع من ذلك تذهب الأمور حين يتكشف المنطق (الحاكم) في صورة من لا يجيد غير التوحم بكارثة، ولا يستطيع إخراج أفضل ما لديه إلا في ظلالها وضمن تمخضاتها.

وتختزن لغة التوحش هذه طاقتها التدميرية الفظيعة من توسلها بالمقدس لتبرير "الوحدة" أو "الانفصال" من قبل أطراف عجزت تماماً عن إنجاز "الوحدة" وأطراف غير قادرة بالمرة على إنجاز "الانفصال"، فهي دون هذا وذاك نظراً لطبيعتها البدائية التي جعلتها أقرب إلى الجماعات والعصبيات والعصابات المستنفرة لممارسة أعمال القتل على الهوية والنهب بلا حدود، وقطع الطريق وملاحقة بعضها بالثأر، والارتهان لوسائل ومفردات بدائية عند حل المشكلات أو إبرام التسويات في ما بينها.

ومع انحدار جميع (هؤلاء) إلى محشرة التكفير والتكفير المضاد، والتهديد بقلع الأعين وبتر الألسن والتنكيل بالجثث، وتبرير كل تلك الفظاعات بالسعي إلى إنجاز المستحيل، وجب القول: "تباً للمستحيل"، فقاطع الطريق لا يمكن أن يبني مخفر شرطة.

* هامش: راجع الزميل رياض رمزي، «أبواب» ٢٠٠١.

● «النداء»، العدد ٢٢٥، الاثنين ٢٢ فبراير ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

لا تـراجـع

ضاقـت هوامـش المناورة، وانكمشـت مروحة الخيـارات التفاوضية لـ"النظـام" الحاكم في صنعاء، ولم يعد بمقدوره التسـويف والتلاعب والتراجع عن التزامه بالتعاطي مع خيارات المانحين الدوليين والإقليميـين، لأن ذلـك سـوف يعجـل بانهياره قبل أي شـيء آخر، ومـن غير المسـتبعد أن تنفتح، بعد ذلـك، متواليـة الانهيارات في معظم أرجاء البلاد على منـوال ما يحدث للصفائح النكتونية حين تثور البراكين العمياء في باطن الأرض.

والواضح أن المانحين قد رسموا خارطة لليمن بأفق يستجيب لمصالحهم بالدرجة الأولى، وبالتوازي يستجيب لمصالح الشعب اليمني الذي أهلكته أثقال المعاناة المديدة من اللصوص الفاسدين المتنفذين الذيـن تخصصوا بـ"شـفط" المليارات من القروض والمسـاعدات المقدمة مـن صناديق الدول والمنظمات المانحة، وأهدروا فرصاً ثمينة للنهوض بالعملية التنموية، واغتالوا أحلام وتطلعات الأجيال بالرفاه، وحقهم في الحياة الآمنة والكريمة.

من هذه الزاوية يجدر بنا مقاربة عناوين ومفردات الملفات المطروحة أمام مؤتمر المانحين الذي انعقد يوم ٢٧ فبراير في الرياض، وكذلك مؤتمر برلين الذي سـينعقد في مارس، فهي عناوين شـفافة تقطع بأن (النظام الحاكم) اسـتنفد صلاحيته، وتآكلت شـرعيته، فهو فاشـل وغير مؤهل لاعتناق السياسـة بما هي رهان عقلاني، مدني، حداثي، وفاشل لأنه اعتمد طريقة إدارة البلاد بالحروب، وفاشل بشهادة مدويـة مـن المجتمع الدولي الـذي جاهر أخيراً بهذه الحقيقة وأقر بأن رأس المصيبة يتجسـم في عدم قدرة هكذا نظام على اسـتيعاب الدعم المالي الدولي، وافتقاره إلى مؤسسـات الإدارة والتدبير المؤهلة

على الاستخدام الرشيد لأموال القروض والمساعدات، وعدم تمكنه خلال ٣ سنوات، من استخدام أكثر من ٧ بالمائة من الدعم المالي المقدم من المانحين الدوليين في مؤتمر لندن ٢٠٠٦.

على ذلك، يأتي مؤتمر الرياض ليناقش هذه النقطة، ويبحث في إمكانية تولية جهة دولية موثوقة مهمة تصريف ومتابعة المشروعات التنموية التي تمولها الدول المانحة -حسب الدكتور عبدالله مرعي بن محفوظ رئيس مركز جدة للمنتديات والفعاليات، ("السياسية" ٢٥ فبراير ٢٠١٠).

واللافت هذه المرة أن مؤتمر الرياض يكتسب شرعيته من مباركة دول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وإقرار هذه الدول بأن "السعودية تظل هي المعنية الأكبر بأمور اليمن كونها الجارة الكبرى والأكثر تضرراً من الإرهاب والتهريب والتسلل والهجرة غير الشرعية" (المصدر السابق).

وبمناسبة هذا الدور السعودي المبارك دولياً، لا بأس من التنويه إلى أن طبيعة المعطيات والمتغيرات الناشئة تدعو المملكة إلى الانفتاح على مختلف فعاليات وأطياف السياسة في اليمن، وإلى الأخذ بخيارات البنك الدولي وكبار المانحين الحريصين على استيعاب دور القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، وغير ذلك من الفئات الناهضة صاحبة المصلحة في الحكم الرشيد، ودولة القانون، وتعزيز البنية الاقتصادية للبلد، والنهوض بالتنمية السياسية، والإصلاحات القضائية والأمنية والديمقراطية، وغير ذلك من العناوين التي ينبغي أن تدرك السلطة في صنعاء أنها تقترح هيكلة جديدة للنظام السياسي، وتفتح طريق التغيير الشامل، ومن الضروري أن يتسع نطاق بحثها وتداولها بالانطلاق من معطيات الأزمات المتفجرة في البلاد والملفات الملتهبة: الحراك الجنوبي، الحوثية، القاعدة...

وقبل أن نختم لا بد من لفت المعنيين بملف اليمن في المملكة، إلى أن التعويل على دور القبائل المسلحة ومشائخها، واستضافة مشائخ بكيل الذين حملتهم طائرة خاصة مرسلة من ولي العهد الأمير سلطان، ثم استضافة مشائخ حاشد، وغيرهم ربما كان في محله أو كان كثير النجاعة في ظروف الحرب الباردة وفي حقبة الحرب الملكية الجمهورية التي اندلعت مطلع ستينيات القرن الماضي، ووضعت أوزارها مطلع السبعينيات، ولكن الاتكاء على هذه الركيزة التقليدية وتفضيلها على جميع اللاعبين الآخرين ينطوي على إسقاط معطيات اليوم من الحسبان، ومن الراجح أن يلعب دوراً في تعزيز مراكز القوى المعوقة لبناء الدولة، والمتعارضة مع التوجهات المعلنة لمؤتمر الرياض وبرلين وغيرهما.

● «النداء»، العدد ٢٢٦، الاثنين ١ مارس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

طريق برلين

تزايد اهتمام الإعلام الألماني باليمن مؤخراً على نحو لافت، ومن قبل أن يتم الإعلان عن أن العاصمة الألمانية ستكون محطة لاجتماع أصدقاء اليمن الذي تعلق عليه الآمال بألا يشكل امتداداً لاجتماعات لندن والرياض فحسب، بل ونقلة مميزة ترقى به إلى أن يكون هو الأهم في مستوى مطاولته للتفاصيل الحاسمة المتعلقة بالحكم الرشيد والاقتصاد والإصلاحات والإرهاب، وكل ما يعنيه أمر التأسيس للمجال السياسي وبناء الدولة في اليمن.

وكما يحدث في العادة قبل أي مؤتمر صار اللقاء المزمع في برلين أواخر الشهر القادم محط الاهتمام ومدار الأحاديث الساخنة في شارع السياسة اليمني، وعلى صعيد السلطة والمعارضة.

ويقال إن المعارضة ممثلة بالمشترك واللجنة التحضيرية للحوار الوطني، ستدهش نفسها هذه المرة بالتقدم خطوة غير مألوفة نحو نفسها من منطلق الإدراك بأنها أصبحت معنية بإيصال رسالتها إلى تخوم طاولة التداولات المتعلقة بالحالة اليمنية، ولو كانت في برلين.

ولما كانت هذه المعارضة لا تفتقر إلى الخيال السياسي، فمن غير المستبعد أن تبحث في إمكانية تأمين شروط نجاح عقد اجتماعها الموازي لاجتماع برلين قبل موعده أو بالتزامن معه، وفي برلين أيضاً. وتستطيع اللجنة التحضيرية للحوار الوطني أن تحرز تقدماً أكبر إذا ما توفقت برفد وتعزيز تمثيلها عبر تهيئة المناخ اللازم لمشاركة قيادات المعارضة في الخارج بحضور تفاعلي على طاولة اجتماعها الموازي في العاصمة الألمانية، ضمن مسعى جاد لوضع تصوراتها بشأن الحالة اليمنية بين يدي الفاعلين في الأسرة الدولية والمعنيين بصورة مباشرة بالشأن اليمني: أصدقاء اليمن.

ويتطلع كاتب هذه السطور إلى أن تكون هذه الخطوة مغايرة لأية خطوة سابقة، وألا تكون هذه السفرة على منوال سابقاتها، ومنها تلك التي جاءت تلبية لدعوة من مؤسسة عابرة للحدود (فريدريش إيبرت) حين استضافت قبل أشهر قليلة قيادات بارزة من الحزب الحاكم وأحزاب اللقاء المشترك، ضمن ورشة نقاش وسياحة ذهنية وسياسية في رحاب ألمانيا الاتحادية، وأنجزت تلك الزيارة، وعاد الفرقاء كما ذهبوا، ولم تنشر وسائل الإعلام التابعة لـ(الحاكم) أو (المشترك) أية تغطية جديرة بالاعتبار لتلك الزيارة.

وفيما يحلم المرء أن يولي (الفرقاء) الذين يتراشقون التكهنات حول ترتيبات ومآلات لقاء أصدقاء اليمن في برلين، الكثير من العناية لتناولات الألمان، وللأسئلة والمفردات التي تتردد وتتكرر في خطاب السياسة والدبلسة والإعلام، حول اليمن، وما يخطف أنظارهم واهتماماتهم إلينا ونحونا، حتى يقطعوا بذلك نصف المسافة نحو فهم أنفسهم.

وبالمناسبة سيكون من المفيد تذكير أصحابنا بواحد من وجوه الشبه الكوميدي بين ألمانيا واليمن، ففي حين ستحتفل الأولى بالذكرى الـ٢٠ لاندماج شطرها الشرقي بالغربي في الثالث من أكتوبر من هذا العام، ستحتفل الثانية في ٢٢ مايو، وشتان..

إلى هذه النقطة ينبغي أن يلتفت أصحابنا، وسوف يعلمون أن عملية إعادة إعمار وتأهيل برلين لتكون مركزاً للحكومة الاتحادية، ومركزاً لاتخاذ القرارات السياسية في أوروبا، احتاجت لـ١٠ أعوام، وأن الدولة في ألمانيا وجدت لخدمة الناس وليس العكس، وهي قائمة على الفيدرالية واللامركزية بامتياز، وملزمة بصيانة كرامة الإنسان والتزام الصرامة في مسألة سيادة القانون وضمان حقوق الحرية والمساواة.

وليعلم أصحابنا أيضاً أن مواليد ليلة سقوط جدار برلين في ٩ نوفمبر ١٩٨٩، البالغ عددهم في ألمانيا ٤٥٩, ٨٨٠، لا يمزقون صورة الزعيم (الرمز)، وقد ترعرعوا في ألمانيا الواحدة، ولم يشاهدوا الحدود التي كانت تقسم ألمانيا إلى دولتين، وأصحبوا يضحكون من حكايات الآباء والأمهات عن زمان الجدار ومآسي منع السفر والتنقل بين الشطرين، ولا يصدقون أن ذلك كان يحدث ويقولون: إنه ضرب من الجنون ولا يمكن أن يصدق.

وليعلموا، أخيراً، أن الآثار والعلامات المادية لعهد الانشطار الألماني، أصبحت من زمن الأمس، وصارت من مقتنيات المتاحف ومعروضاتها، ومن مواد الفلكلور الألماني.. والحليم لا يحتاج لإشارة.

● «النداء»، العدد ٢٢٧، الاثنين ٨ مارس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

شيء من شيرين

بمقدور المرء أن يتعلم من تجربة الإيرانية شيرين عبادي، الحاصلة على جائزة نوبل، أشياء كثيرة، وأولها عدم الانخداع بالهتافين لـ"الثورة" وأصحاب اللحى والعمائم أكانوا في إيران أو في اليمن.

والمعروف أنها قاضية مميزة، مبدعة، وعلى أرفع مستويات الاستقامة والذكاء، وقد استقطرت خبرة حياتها في مذكرات مكتوبة بشجن وبهجة وحزن وإشراق، وترجمت مذكراتها التي صدرت هذا العام إلى كافة لغات العالم الحية.

ورغم أنها كانت الأولى على دفعتها في كلية الحقوق بجامعة طهران، وقبل أن تقوم ثورة الملالي وآية الله، حيث كانت من ألمع القضاة، ورغم أن مناخات عهد حكم الشاه الفاسد هي التي هيأت لها فرصة دراسة الحقوق والتخرج كقاضية تزاول مهنة القضاء وهي سافرة الوجه ومكشوفة الرأس، إلا أنها انخدعت بنداء الثوار الطالعين من مغارات الأزمنة السحيقة، وثورة الإمام الخميني العائد من باريس بوجه عابس وحاجبين ثقيلين. واعترفت شيرين أنها دفعت ثمناً غالياً بسبب ذلك الخطأ، وتعترف أن "الثورة" تمكنت من تنويمها مغناطيسياً، وجرفتها في تيارها العارم لتشارك بملء إرادتها وكامل حماستها في زوالها.

هكذا شاركت شيرين عبادي في زوال شيرين عبادي.

وتتذكر كيف أن أحد (رفاق) العنفوان والتمرد تعين كمشرف مؤقت على وزارة العدل.

وتستحضر أجواء ذلك اليوم الذي كانت ظهيرته مشمسة، منعشة، وكانت هي ضمن مجموعة من

زملاء فتح بني صدر المشرف الجديد على الوزارة، وتوجهوا إلى مكتبه للمباركة والتهنئة.

وتقول: تدفقنا إلى الغرفة، وجرى تبادل الكثير من التحايا والتهاني الوردية، ثم وقعت عينا بني صدر عليَّ فظننت أنه سيشكرني وأن يعبر عن أهمية ما يعنيه التزام قاضية أنثى مثلي بالوقوف إلى جانب الثورة. لكنه قال بدلاً من ذلك: "ألا تعتقدين أنه انطلاقاً من الاحترام لقائدنا المحبوب الإمام الخميني الذي أنعم على إيران بعودته، من الأفضل أن تغطي شعرك؟". وأحست شيرين بالرجفة والارتعاد. كيف يحدث هذا في وزارة العدل، بعد انتفاضة شعبية عظيمة استبدلت الملكية بالعودة إلى العصور القديمة تحت مسمى الجمهورية. ها هو المشرف الجديد على العدالة يتحدث عن الشعر.

وقالت: "لم أضع غطاء للرأس في حياتي قط، وسيكون من النفاق أن أبدأ ذلك الآن". قال وكأنه حل معضلتها ببساطة: "إذن لا تكوني منافقة وضعيه على رأسك في إيمان".

وتواصل شيرين أن المسألة لم تتوقف عند مستوى فرض الحجاب بالقوة، بل وصلت إلى خلعها من وظيفة قاضية، وتحريم هذه المهنة على النساء.

وجاء اليوم الذي تشكلت فيه لجان التطهير الثورية لجهاز القضاء، وكانت شيرين أول الضحايا، وانتشرت الأجواء المسرحية، وتدافعت الشائعات كالدوامات، ومن لحظتها كرست نفسها لاستعادة الإنسان الذي انسحق فيها، وتكرست من أجل حقوق الإنسان، وكان فوزها بجائزة نوبل ضمن سياقها، وقد وصل إليها أكثر من أن تذهب إليه، فهي محامية، كاتبة، ناشطة، معارضة، منافحة عن قضايا حرية التعبير والحريات بعامة، وقادرة على أن تمنح الأمل قوة وأجنحة وليست مجرد "عاصفة من ريش". إنما.. تتذكر شيرين أنها انخدعت بوهم الثورة وجمهورية الإمام وعباءة آية الله، وذلك ما لا نحس الاهتداء إليه.

وتقول: عندما أفكر في تلك الأوقات لا يثير دهشتي سوى مقدار سذاجتي.. وتستنكر انسياقها مع التيار الذي جعل من الخبل رياضة وطنية.

وليس ثمة ما يحول دون استنكارنا لمن يكفرون عيد المرأة وعيد الأم، غير تلك الرياضة: الخبل.

● هامش: "إيران تستيقظ.. مذكرات الثورة والأمل" هو كتاب شيرين عبادي.

● «النداء»، العدد ٢٢٩، الاثنين ٢٢ مارس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

أن تكون عدن بلا "جنبية"!

تلاشى وتبدد طغيان حضور الخنجر اليماني من أرجاء عدن بعد أن كان قد شاع وتفشى كأية جائحة من جوائح حرب ١٩٩٤، وكاد يتكرس كعلامة على اكتساح حراك القبائل المسلحة والهضاب الشمالية العليا لسهول تبن وسواحل عدن، ويتعمم كرمز لهوية "وطنية" بعد أن كان يؤشر إلى هوية قبلية وإلى اقتصاد مكانة ووجاهة ما رفع الحجاب عن سعي مفضوح لتعويم منطق السلطة الهرمية التراتبية التي أريد لها أن تنطح عدن بقرون الوعول والخراتيت التي يصنع منها مقبض الخنجر إياه.

وليس ثمة خنجر آخر نقصد غير "الجنبية"، فهي خنجر ذو نصل معقوف، وقد جرى تسويقها "مركزياً" بما هي رمز للفحولة والشرف والنزاهة والتحدي، ومعقد للرهان والتحكيم العرفي، وما إلى ذلك من المفردات المتعالقة مع أفق التعبير عن النظام القبلي وشاراته الرمزية المميزة وفي مقدمتها "الجنبية".

وما كان لـ"الجنبية" أن تخطر على البال لولا غيابها عن مجال نظري خلال فترة تزيد على ١٠ أيام قضيتها في عدن مؤخراً، ورصدت خلالها حركة السابلة في الشوارع والمتنزهات والسواحل، ولم تكتحل العين بمنظر خنجر، ولم أصادف أي كائن بري طارئ على المدينة وهو يرفل بـ"العسيب" ويختال بزهوه وتحديه واعتداده وتكشيرته في ما حوله على غرار ما كان يفعل بعضهم عقب غزوة ٧/٧ وفي الأعوام القليلة التالية لحرب ١٩٩٤.

تعجبت من عدن وهي توشك أن تكون بلا "جنبية" في فترة وجيزة لا تقاس بزمن مسافة سحابة

صيف. واستحضرت الكثير من المشاهد والمناخات التي عشتها عقب تلك الحرب التي أسفرت عن تحويل الجنوب بكامله إلى مدن للغنيمة، وكانت عدن هي المستهدف الأول في عمليات السلب والنهب وطمس المعالم وتجريف العلامات ومسح الذاكرة والذاكرات، وتنويم ومسخ وتشبيح الكائنات تضمن منزع إلغائي إرادوي جامح تقصد جرجرة هذه المدينة بأذيال الحرب، وشدها بتلابيب القبائل المسلحة، وتعليقها على شفرة نصل خنجر معقوف.

وساورني هاجس تأثيرات ومفاعيل الحراك الجنوبي الذي اندلع بقوة منذ أكثر من ٣ أعوام، وما يمكن أن يلعبه دوره وتأثيره في المنحى الذي جعل من "الجنبية" أداة لصيقة الارتباط بالقوى التي اجتاحت عدن عقب حرب ١٩٩٤، وصارت ترمز إلى شمال اليمن برمته وعمومه، بمقتضى أجواء الاحتدام ومناخات الاحتراب والتقاتل والتآكل التي تفترس معظم اليمن، وهي مناخات تستحضر أسوأ التصنيفات والتعميمات العنيفة والمدمرة، ومعها أقبح الرموز والاستعارات والضغائن.

وهجست بشيء آخر وأبعد يرجع إلى عدن التي تمكنت من صهر "الجنبية" وتبخيرها بقدرة سحرية عجيبة، مدهشة، صار معها السؤال عن سر تواري هذا السلاح يدعو إلى الدهشة، فهي اختفت وكفى.. أما كيف ومتى، فليس ثمة من سر غير قوة هذه المدينة، ومن الأفضل التوجه بهذه الأسئلة إلى البحر، وإلى طاقة الاستيعاب والصهر العجائبية التي تتميز بها عدن دون سواها، وتمكنها من إعادة صياغة الكائنات الطارئة والمتطيرة والمتعدية، ومن تقليم مخالب المتوحشين وتهدئة خواطر الطرائد المذعورة. وتلك هي..: عدن.

ولكم أن تقولوا إن ذلك هو بعض عدن!

● «النداء»، العدد ٢٣١، الاثنين ٥ أبريل ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

كرمان بيك "المخلوع" كأنه..!

وكأنه أراد أن يكون المرآة المناسبة في الوقت المناسب لزملائه من الرؤساء الذين صاروا بحاجة ماسة إلى التمرئي فيه ليتوفروا على الجواب الشافي على سؤال انخلاع "السيد الرئيس" عن الكرسي الرئاسي في زمن قياسي وبأقل الأضرار وأخف المآسي، وليهتدوا إلى الأسباب التي تعجل بغروب شمس السلطان، وزوال العرش، وتطمس الفاصل بين القصر والقبر، وقلما انفسحت على برهة تتسع لنفاذ رأس الرئيس، وتسمح بهربه من سراديب القصر وأنفاقه بمهارة ثعلب، وخفة جرذ وذعر أرنب!

وكأنه تقصد أن يختزل ليكون بمثابة دليل إرشادي لزملائه الرؤساء الذين صار بمقدورهم أن يطالعوا فيه أسباب التردي والتعاسة، وكسوف السياسة والانحدار والحطام والخواء.

كأنه تقصد القول بأن الهرم يدهمك أيها (الرئيس)، ينحصر همك في توريث الكرسي لنجلك الأكبر، وفي تعظيم أرصدتك عبر مداعبة واشنطن وملاعبة موسكو، وتضخيم ثروات أشقائك وأولادهم، وتمكينهم من المناصب الهامة والحساسة، الأمنية والعسكرية والإيرادية، واستخدام قوات الأمن لقمع المعارضين ومصادرة الحريات وتزوير الانتخابات وحماية "النظام" المؤلف من كل تآلف ومن الفساد والمفسدين الأعضاء في عائلتك وحاشيتك وزمرتك التي تستعر كامل مفاصلها وأوصالها بحمى الجشع والهلع كلما ابتلعت المزيد، وكلما كبر جوفها وانتفخت جيوبها إلى أن تصل إلى نقطة فقدان الوزن والاتزان والإحساس، وتصل معها البلاد إلى درجة الإفلاس التام، وينفلت عقالها أكثر فأكثر، وتهرول، من غير حساب، نحو استثارة غرائز الجوع، وهياج الجموع، وإلا ما الذي يدهيها على رفع

الأسعار، مثلاً، والبلاد على حافة انفجار.

ولك أيها (الرئيس) أن تسأل كيف غابت عن حسبانك ردود الفعل التي يمكن أن تصدر عن شعب فقير وجائع وصلت البطالة فيه إلى أكثر من ٤٠ ٪، وهو شعب قادر على أن يسقط الحكومة، ويجتاح دار الرئاسة بعاصفة غضب؟

وكيف لم تتحسب لردود الفعل المتوقعة تجاه أنجالك وأقاربك الذين صاروا في عين العاصفة، وأصبحت أجهزة النيابة والقضاء تعمم أسماءهم في أرجاء العالم، وتشدد على ضرورة مثولهم أمام المحكمة؟

كيف لم تتحسب لردود الفعل تجاه أقاربك الذين قاموا يوم ٧ أبريل بنهب أموال مركز التأمين التقاعدي، وحولوها إلى حساباتهم في بنوك خارجية؟

ولك أن تسأل نفسك وكيف انسقت مع من دهاك برفع أسعار الوقود وأنت تعلم أن عوامل الانفجار كلها قد تضافرت وانضفرت في فتيلة واحدة صارت مهيأة للاشتعال بفعل أي احتكاك، وذلك ما صار يا كرمان بيك؟

... كرمان بيك باكييف أصبح "الرئيس المخلوع" اعتباراً من يوم الأربعاء الماضي، وقد اتهمته الحكومة المؤقتة التي شكلتها المعارضة، بـ"سرقة" خزينة الدولة، ووجهت سلطات الادعاء في قرغيزيا اتهامات جنائية رسمياً لاثنين من أبنائه، بالإضافة إلى شقيقه الذي كان يتولى مسؤولية الجهاز الأمني، وفقاً لتأكيد القائم بأعمال المدعي العام في بيشكيك بتيمر يازيف.

ويكاد كرمان أن يكون عربياً أو حتى من "هنا" لو لم يكن اسمه كرمان بيك باكييف، ولو لم يتردد اسمه ويُذع في الأرجاء وهو مقرون ببلاد إسلامية اسمها قرغيزيا.

وكأي رئيس عربي أو من "عندنا"، لا زال كرمان بيك يتمسك بـ"شرعية" مزعومة، وكأن الدماء التي سُفكت لا تساوي عنده شيئاً.

وكرمان بيك أو "الرئيس المخلوع" اجترح منجزاً لم يخطر على باله عندما طالعنا بلائحة الأسباب والمقدمات التي تخسف بشمس الرئاسة، وتعجل بزوال السلطان، وتمحو الفاصل بين القصر والقبر.

● «النداء»، العدد ٢٣٢، الاثنين ١٢ أبريل ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

عقابيل الطبيعة المؤذية لـ"النظام"

أصبح خيار التدخل الغربي الحاسم في اليمن مطروحاً للنقاش والتداول الجاد على نطاق واسع من قبل الخبراء والباحثين والمؤسسات المعنية وذات العلاقة بالشأن اليمني.

ويعتقد الخبراء الغربيون الأكثر دراية والأعمق قراءة لدخائل الشأن اليمني وتضاعيفه، واتجاهات رياحه، أن تقديم الدعم المالي لصنعاء ينطوي "على خطر ترسيخ المشكلة أكثر: فالمزيد من المال لن يجعل النظام اليمني أكثر استعداداً لنقل السلطة"، كما لا يمكن تسليم المساعدات الموعودة للحكومة اليمنية لأن ذراعيها أصابهما الجمود، وليس ثمة آلية محلية يمكن من خلالها توصيل الكميات الضخمة من المساعدات المطلوبة بشكل فعال.

وفيما تلوح الباحثة والخبيرة بالشأن اليمني سارة فيلبس إلى إمكانية الاستعانة ببعثة دولية للمساعدات تقوم بأداء المهام الأساسية للحكومة، فهي تستدرك وتقول إن المعونة الخارجية تحتاج إلى شريك محلي منفذ، وتستدرك، مرة أخرى، أن الحكومة لم تثبت قدرتها على أداء هذا الدور، وذلك لأن قيادتها تفتقر إلى الإرادة السياسية، كما أن مؤسساتها غير فعالة.

وهي إذ تقول إن عدم وجود أموال في خزينة الدولة هو المحرك الأهم للأزمات السياسية المتزايدة والمتفاقمة في البلاد، فإنها تقول بعدم جدوى سكب الماء في قربة مثقوبة، وبالأحرى تقديم المال لسراق وفاسدين، وتقول بأنه لا يمكن لنهج إنمائي تصحيح أساس المشكلة ألا وهو نظام السلطة الشديد المركزية الذي يبقي الموارد في يد قلة مختارة، ويزيد من ترسيخ المصاعب الاقتصادية لليمنيين.

وتـرى سـارة أن نمـو الجهادية المتطرفة في اليمـن نابع من الطبيعة المؤذية للنظام السياسـي في اليمـن، وأن مكاسـب تنظيـم القاعـدة في اليمن متجـذرة في الأخطـاء التي ترتكبها الأجهـزة الأمنية والسياسات التي تنفر الجماهير عبر مكافأة النخب الفاسدة.

وهي ترى أن السبيل إلى تحقيق الاستقرار سيكون بإقامة حكم رشيد حاسم، وأن الحل "يكمن في إعادة هيكلة جذرية للنظام السياسـي اليمني".. النظام يجب أن يكون أكثر شـمولاً، وهو ما يعني نزع قدر كبير من السـلطة من النخبة الحالية.. والنخبة الحالية ليس في وارد التسـليم بذلك، خاصة ذلك القسم الذي وصل إلى مراكز النفوذ والاستحواذ على الثروة من خارج الدستور والقانون.

وهنا يرتسم في الأفق ويتطاول سؤال الصدارة: هل يستطيع الغرب الدخول في تعقيدات السياسة المحلية في اليمن؟

"هل يمكن لعمل غربي حاسـم أن يحقق المزيد من الاسـتقرار في هذه الدولة الهشـة؟ يسـتحق هذا الافتراض أن يناقش على نطاق واسع قبل أن يتم قبوله".

تلك بعض الأسـئلة الهامة التي تطرحها سـارة فيلبس المحاضرة في مركز دراسـات الأمن الدولي بجامعة سيدني. وسارة عاشت في اليمن ٤ سنوات، وهي متخصصة في سياسات بناء الدولة وشؤون الشـرق الأوسـط، وقد نشرت دراستها عن "تنظيم القاعدة والقبائل وعدم الاستقرار في اليمن" مؤخراً، وكانت الأسئلة التي وردت آنفاً قد وردت فيها.

وأخيراً، تعتبر دراسـة فيلبس آخر وأخطر وأهم دراسـة تقارب الشأن اليمني، وهي جديرة بنقاش موسع وجاد على المستوى اليمني.

● «النداء»، العدد ٢٣٣، الاثنين ١٩ أبريل ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

بمناسبة "المؤتمر" الماضي

اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فعل ماضٍ ناقص، ولو كان سيعقد مؤتمره العام في الشهر القادم، فذلك لا يعني، بالضرورة، أنه سيكف عن الإفراط في النقصان!

وبمناسبة المؤتمر القادم سوف يرتد أعضاء الاتحاد إلى المؤتمر الذي كان، وإلى سوابق شتى محفزة لغرائز الثأر والعدوان والانتقام.

وكما في كل مرة..

تستعاد السجالات والمشاحنات القديمة والعقيمة، ويتبادلون الضربات العنيفة الصاعقة والمكتومة بأعنف وأحط مما كان عليه الأمر في المؤتمر السابق.

وإلى أن يصلوا إلى التوافق على قائمة بموجب منطق السردية القيامية المتبعة، يتلازم الاعتصام بالشلة مع تذرر وتشرذم الأعضاء إلى جماعات متناثرة متناحرة يبرز فيها من يحسن التكتيل والكولسة والمناورة، ومن يحسن ترسيم الحدود بين التكتيك والاستراتيجية ويطمسها إن اقتضى الأمر، ومن يجيد حبك المؤامرة، ومن يتحين اللحظة المواتية للقفز إلى الناحية الأخرى، ومن يبرع في تنويم القائمين على القوائم.

ويتحرك عضو الاتحاد هذا في مسرح ضمني يكون فيه كل شيء دون أن يخطر على باله أنه لعبة.

●●●

وما كان لنا أن نتجرأ على البوح بهذه الهواجس إلا بدافع من الرغبة في مناوشة المعطيات

والوقائع العنيدة الشاهدة على أن اتحاد الأدباء والكتاب ينشغل حتى اللحظة بسؤال إعادة تعريف ذاته بقصد الخروج من دائرة التخبط في العتبة المشرعة على الهاوية المرعبة.

ولأني لا أنتمي إلى فصيلة الطيور الأسطورية التي تدفن أسرارها في قلب البراكين، فقد وجدتني أتلظى في النقطة الفاصلة بين جيلين -إن جاز القول- يتلابسان الغبش ويتشابكان بلا قواعد، فقد استجبت لتداعي تيار الذكريات الذي شدني لإجالة النظر في معنى تهاوي الأحلام، والتحديق في صور الأسلاف (المؤسسين) المأخوذين بالنهايات والأقاصي، الحالمين بغد أكثر إنسانية وأقل ويلاً، وحياة أخف ة

وأمعنت في معنى أن تصبح الأفكار العظيمة يتيمة، وفي ويلات التاريخ ومكائده ومكره، وفي غير ذلك من الخواطر المتصلة بمؤتمر الاتحاد الذي ينعقد والبلاد تتوغل في الانحطاط، والمشهد يتناثر إلى مزق وشظايا وغبار مرعب وتفاهة حاضرة بإلحاح ذباب الصيف، وصناعة خراب تزدهر، ودم مراق في الكثير من الأنحاء والزوايا، وخذلان وانهيار وخسارة وارتباك في خرائط الوعي، وتسليم تراجيدي بالاندماج في جماعة، وقرف من تحول الشأن العام إلى "غنيمة".

وليس في الوقت متسع للتباهي بمعاصرة بعض الأفذاذ المعصومين والأتقياء والمستقيمين الأطهار، فقد ولى ذلك الزمن، وليس بمقدورنا معاودة حسن الظن بالآمال الكبيرة، لأن بؤس الأحوال يدعونا إلى أن نمني النفس بالمتع الصغيرة، ونحلم بـ"مؤتمر" لاتحاد أدباء وكتاب يعيد الاعتبار للكتابة وأسئلتها، ويحتفي بكتابة الاختلاف والانشقاق، وبالكتابة على اعتبار أنها مجرد لعب، وأنها محاولة لإسناد وجودنا الهش وإنقاذنا، ولتهجي الكون وفضح الأصنام وتدجين الموت وممارسة فعل الوجود.

وفي السياق، يمكن لـ"الجيل الجديد" أن يأتي من هذا الباب الذي يمكن أن ينفتح أمامه ليمكنه من بلورة استراتيجيات انتقادية لاستراتيجيات الهيمنة التي تستخدمها الأجيال السابقة، وتمكنه من النظر إلى ما يجب أن يكون، ومن التحدث بلغة أكثر تقنية وانشقاقية وحالمة ومنتفضة على هيمنة الشخصية النموذج، و"الكاريزما"، وعلى الهالة القدسية للرموز والأشخاص والمؤسسات، وعلى القيادات والمشروعيات التاريخية والنرجسيات الجماعية (الوطنية) الصاهرة للأفراد، وعلى كل ما يحول دون انفجار طاقة الإبداع الفعالة في مواجهة العدم، ودون الترحال في فجوات الأمكنة والأزمنة والتفاعل مع الكلمات المأهولة باللهب بصلاحية يستفيد منها عابر سبيل مؤهل لخروج ناعم عن شرنقة التجييل.

● «النداء»، العدد ٢٣٤، الاثنين ٢٦ أبريل ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

كارثية اكتساء الحراك باللون الأحمر

جاءت التصريحات الأخيرة الصادرة عن قائد ما يعرف بـ"كتائب سرو حمير" طاهر طماح، لتسجل نقلة فارقة في مسار الأحداث والتفاعلات التي تشهدها المحافظات الجنوبية، فهو أكد أن كتائبه التي تنتشر في أرجاء متفرقة من الجنوب، قد قامت بعدة عمليات استهدفت قوات الأمن المركزي وغيره، وهي التي اختطفت جنديين - السبت الماضي- احتجاجاً على اعتقال السلطات اثنين من أفراد "الكتائب"، في وقت سابق. وقال إذا كانت السلطة حريصة على حياة الجنود -كما هي إسرائيل حريصة على حياة الجندي شاليط- فعليها إطلاق سراح أسرانا.

وأضاف أن حياة الجنديين ستكون في خطر في حال عدم استجابة السلطة لطلبات الإفراج عن الأسيرين بسام السيد وهاني المشوشي.

وقال إن كتائبه المسلحة عبارة عن حركة مسلحة منفصلة عن الحراك، وإنها تتبنى خيار العمل المسلح لتحرير الجنوب. مضيفاً: نحن نريد تحرير بلادنا بالسلاح، ونؤمن أنه لا يتم التحرير إلا بالسلاح وليس بالنضال السلمي، لأننا في دولة متخلفة استولت على الثروة والسلطة.

واستدرك: لم نلجأ إلى العمل المسلح إلا بعد أن قامت السلطة بقتل العشرات من الأبرياء العزل، وزجت بالكثيرين في السجون واعتقلتهم من بين أطفالهم. لافتاً إلى أن اثنين من أبنائه معتقلان لدى الأمن السياسي؛ أحدهما عمره ١٦ عاماً، والثاني ١٥ عاماً، حسب المصدر الأمين.

وبقطع النظر عن تزامن عملية الاختطاف الأخيرة لكتائب طماح، وتصريحاته بعدها، مع بيان الحكومة الذي صدر بنفس اليوم، وربما في نفس اللحظة، وطالبت فيه الحكومة أحزاب المشترك بتسليم طماح ضمن ٥٠ من "الجنوبيين" المطلوبين أمنياً على ذمة قضايا جنائية، باعتبارهم حلفاءهم،

فإن الأوضاع في الجنوب مرشحة إلى الانزلاق إلى جحيم دوامة العنف والاحتراب والتمزق، ويتوهم من يعتقد بأن مسرح الكارثة سوف ينحصر في حدود ساحة المحافظات الجنوبية، فالجنوب أكبر من ذلك بكثير، وكذلك الحراك الجنوبي وإن صار ينحو، مع الأسف، إلى الاكتساء باللون الأحمر: الدم.

ولا شك أن هذا المنزلق الناتج عن استمراء السلطة في صنعاء اللعب بالنار، صار ينذر بتحول النار إلى إعصار جارف دفعت إليه سياسة الاستخدام المفرط للقوة والتقتيل والإفقار والحصار وتقطيع أوصال المحافظات، وما يمكن أن يدفع إليه التلويح بفزاعة الإرهاب، وربط معطى الحراك الجنوبي بالقاعدة، أو محاولة اختزاله بقائمة من المطلوبين أمنياً بقضايا جنائية.

إن هذا التهوين من شأن الحراك الجنوبي الذي يتحدى الوضع السياسي الراهن في اليمن، ويهدد بمفاقمة عدم الاستقرار، ينم عن قصور فادح وقاتل لما يعنيه الحراك الجنوبي، بعد أن ارتقى إلى مستوى المعضلة العنيدة لواضعي السياسات، وبعد أن تفاقم إلى مستواه الانفجاري، وصار يهدد بخلق بيئة ملائمة لتحرك تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ولتجذره ونموه بقوة إذا ما أصبح الحراك الجنوبي أكثر راديكالية.

في هذا المنحى كان الخبير الأكاديمي المختص بالشؤون اليمنية ستيفن داي، قال إن الحراك الجنوبي يستحق اهتماماً أكبر من قبل الجهات الفاعلة دولياً، فهو أكثر بكثير من مجرد تهديد أمني مرتبط بتنظيم القاعدة. إذ هو أولاً، وقبل كل شيء، حركة سياسية تسعى إلى التعويض عن فشل عملية التوحيد في التسعينيات، والعجز عن معالجة المشكلات الكامنة والمتفاقمة في الجنوب.

وزاد: "من المهم تحقيق قدر أكبر من الثقل الاجتماعي السياسي خلف الحراك الجنوبي، لأنه يمثل تظلمات الناس الذين كانوا يسيطرون، حتى وقت قريب، على أراضٍ واسعة تمتد من أطراف شبه الجزيرة العربية إلى الحدود مع سلطنة عمان.

هكذا فإن الحراك الجنوبي يمثل مشكلة على عكس المعارضة المحلية الأخرى في البلاد، وهو يتطلب حلاً سياسياً لا عسكرياً أو حلاً على طريقة محاربة الإرهاب".

وفي السياق، قال داي إن على الولايات المتحدة وغيرها من البلدان المعنية ألا تساعد صالح في حملة عسكرية موسعة على الجنوب (راجع "التحدي السياسي للحراك الجنوبي في اليمن"، ستيفن داي، أوراق كارنيغي، مارس ٢٠١٠).

وكان لافتاً من الباحث الأمريكي استدعاؤه تجربة انهيار الدولة في العراق وتحوله إلى ساحة لاجتذاب عناصر الإرهاب الدولي، رغم أن الشيء الأجدر بالذكر كان تجربة الصومال الذي تقطع إلى أوصال بين أمراء وميليشيات الحرب، فهي الأقرب والأكثر شبهاً وقدرة على إغواء "الدولة" في اليمن بمجاراتها بالفشل الذريع والمرتبط بعمق بالحراك الجنوبي، وقضية الجنوب هي أكثر ما يستدعي ما آل إليه الحال في شمال الصومال.

● «النداء»، العدد ٢٣٥، الاثنين ٣ مايو ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

رواية بحاجة إلى قراءة إجبارية

وبما أن استجابة (السيد الرئيس) للمطالبة بإحداث التغييرات السياسية الملحة، وتشكيل لجنة للمصالحة الوطنية، قد جاءت متأخرة كثيراً، فقد انفجرت الأوضاع في العاصمة، ولم تنتظر حتى تسمع إعلانه عن تشكيل لجنة للمصالحة، واستعداده للالتزام بجميع قراراتها. وفي اليوم التالي لم يحظَ إعلانه عن استعداده تقديم استقالته، بالتفاتة من قبل جبهات المعارضة المسلحة التي كانت تخوض حرباً ضارية عليه وعلى أسرته وعشيرته، وكانت طلائعها قد وصلت إلى محيط قصر الرئاسة، واقتحمته بعد يومين فقط من إعلانه عن عزمه على الاستقالة، وتكشَّف يومها أنه كان على استعداد أكبر للفرار، وقد فر من قصره في جوف عربة مصفحة في جنح الظلام، مع أفراد حاشيته وأسرته، إلى مسقط رأسه، ثم إلى خارج البلاد، ليقضي آخر أيامه وأعوامه.

وما كان لذلك أن يحدث إلا في بلاد تعرضت فيها السياسة لعملية تجريف واسعة ومريعة، وتحولت فيها الأحزاب والجبهات إلى أقنعة للعصبيات، وصارت الجبهات مرادفة لكلمة القبائل، وسارعت القبائل التي كانت بلا جبهات، إلى إنشاء جبهاتها المسلحة، وصارت كل قبيلة تسمى جبهة: "جبهة التحالف الديمقراطي"، و"جبهة الاتحاد الوطني الديمقراطي"، و"الحركة الديمقراطية"، و"الجبهة المتحدة"، و"الجبهة الوطنية"، و"الاتحاد الوطني الديمقراطي"، وغير ذلك من الجبهات التي كانت قائمة بحق وتتحرك في الميدان، وكان أمرها لا يخفى على بعضها.

وكان معروفاً أن جبهة التحالف الديمقراطي الصومالي، هي جبهة قبيلة عذبورسي، والجبهة الوطنية هي قبيلة مريحان، والحركة الديمقراطية هي قبائل الدغل والمزولة، وجبهة المؤتمر الموحد هي قبائل الهوية وأقاربهم، والحركة الوطنية هي قبائل إسحاق في الشمال الذين صاروا جمهورية صومال لاند، وهو اسم جمهورية الشمال من أيام الاستعمار البريطاني.

وفي حمى التقاتل كانت كل جبهة تنقسم إلى أجنحة، وكل جناح إلى مذبحة، وصارت الجبهات تزيد عن عدد أمراء وجنرالات الحروب، وفي حالات كان الجنرال الواحد يحمل اسم جبهة.

وما كان بمستطاع "العقلاء" الذين وصلوا متأخرين قبل ٢٠ عاماً بالضبط، أن يصلحوا ما أفسد "السيد الانقلاب" وحكم الحزب الواحد، ثم الفرد الواحد المستبد والعائلة والفساد والانسداد السياسي.

ولم ينفع "المانيفيستو" الذي تنادت إلى صياغته ١١٤ شخصية من السياسيين والمهنيين والمثقفين ورجال الأعمال الصوماليين، في ٣٠ مايو ١٩٩٠، وأوصت فيه الرئيس بالاستقالة وتسليم السلطة إلى لجنة خاصة تقرر أن تتحمل مسؤولية سلامته وسلامة أسرته.

ورد الجنرال محمد سياد بري على "المانيفيستو" بإجراء التفافي مكشوف و"أهبل"، تمثل بتعديل وزاري مع وعد بالتعددية السياسية، وخطاب نوايا بالتحول إلى الديمقراطية، وكان سيف الوقت أسرع، إذ لم ينصرم أكثر من نصف عام إلى مساء ٢٦ يناير ١٩٩١، إلا وقد صار في جوف المصفحة المسلحة.

وما كان من الجبهة التي كانت سباقة في الوصول إلى القصر الجمهوري بعد الساعة التاسعة والنصف من مساء ٢٦ يناير، إلا أن تسارع إلى الإعلان عن الرئيس البديل، ما أثار غضب وهياج الجبهات -القبائل- الأخرى، فاشتعلت النيران في ما بين القبائل، ولم تنطفئ حتى الآن.

وانعقدت الكثير من المؤتمرات، وتشكلت الكثير من اللجان في الصومال وخارجه. وشهد هذا البلد الذي تمتد سواحله على مسافة تصل إلى ٣٣٠٠ ميل، ٧ رؤساء جمهورية، و١١ رئيس وزراء و٣٧ حكومة. ولا يتسع المجال لحصر عدد الأحزاب والجبهات التي كانت قبل الاستقلال شاطحة في التقدمية والأممية والاشتراكية، وجانحة في القومية، وكانت الصحافة المرادفة لها تحمل أسماء "الطليعة" و"نجمة أكتوبر" و"صوت العمال"، إلى أن كان اغتيال الرئيس المنتخب الدكتور عبدالرشيد علي شرماركي، في ١٥ أكتوبر، وصعود سياد بري إلى سدة الحكم من صهوة دبابة، وإعلان حقبة الحزب الاشتراكي الواحد، ثم الانتقال إلى عهد الدكتاتور الواحد الفاسد وعائلته، وحالة الطوارئ، وما استدعى كل ذلك من نشوء جبهات على تلك الشاكلة التي سبقت الإشارة إليها، ووصولاً إلى طغيان طوفان الدم والصراعات بين الأجنحة القبلية الإسلاموية، وانفساح ساحة الصومال لحركات الجهاد العالمي و"القاعدة" والمقاتلين الأجانب الذين وصل عددهم إلى ٣٠٠٠ أكثرهم من الباكستانيين، وجميعهم تحت قيادة مجاهد باكستاني محترف ومعمد بتوقيع أسامة بن لادن، ليقود حركة شباب المجاهدين.

هكذا يتلوى الصومال على الوتر المشدود من "حزب وحدة شباب الصومال" الذي رفع لواء توحيده مطلع الستينيات، إلى حركة الشباب المجاهدين التي تعمل فيه تقطيعاً وتمزيقاً في هذه الأيام... وما أحوجنا اليوم لأن نقرأ تاريخ هذا الجار الشقيق، وهو "اللاتاريخ" بامتياز، وأن نتعقل هذه الرواية التي تبدو كأنها ستكون: المستقبل.

● «النداء»، العدد ٢٣٦، الاثنين ١٧ مايو ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

الإشارات السابقة إلى هذا الانفجار

■ إلى العزيز أبو بكر السقاف

نعم تحولت المشاكل إلى معضلات، واندفعت البلاد نحو الهاوية، وأفضت سياسة العنف المعتمدة رسمياً من يوم ١٩٩٤/٧/٧، إلى انفجار كافة عوامل البلقنة في وجوهنا إعصاراً مدمراً يدهمنا ويعصف بنا من جميع الجبهات والجهات.

ذلك ما ارتسم في أفق توقعاته وتقديراته، وما كان يحذر منه الرائع أبو بكر السقاف منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، فهو لاحظ أن السلطة لا تبرع في أي شيء أكثر من براعتها في الدفع بعوامل البلقنة، وهندسة الحروب الصغيرة والكبيرة والمستدامة على اعتبار أنها متوحدة بالقوة ومكرسة كدولة حرب على المحكومين وعلى المجتمع.

وهو قال: "إن دولة الحرب على المجتمع لا يمكن أن تستحق اسم الدولة، إنها تقوض أسس وجودها، فلم يبقَ إلا أن يقرر الناس مصيرهم". وفيما لاحظ أن توحد الدولة بالقوة يلغي كافة وظائفها الأخرى التي هي أساس قيامها، بل إنها تثبت أن القوة والحرب هما وسيلة أصحابها إلى المال والثروة.. ولذلك تكون لهذه الحروب وظيفة اقتصادية واضحة، فهي غنيمة مستمرة بالنسبة لنظام هش جاء بالحراب "والحراب وحدها هي التي تحميه، ولا بد أن تكون، في تقديره، لا الوسيلة المثلى في هذا المجال بل والوحيدة".

وكما قام بتشريح آليات السلطة في ممارستها لعملية بلقنة الواقع والناس "باعتمادها على سياسة تفكيك الجغرافيا والسكان"، فقد خلص، في ما خلص، إلى أن "مبدأ فرق تسد، ليس اكتشاف المستعمر، فهو أصيل في كل استبداد، لأنه يشترط تشتيت المحكومين وتشرذمهم، وإلى أن "كل استبداد يحتاج إلى صورة عدو، وإلى افتعال المعارك، والحكم بالأزمات"، وإلى أن "كل شيء له طابع وملامح الحملة العسكرية"، وأن "كل أنواع العنف تتراكم فوق بعضها كما في الجحيم الأرضي، من إهدار نزق ولاإنساني لحق الحياة وحرمتها، إلى إلغاء حرية التنقل، ودعس حرمة المنازل ونزع الملكية و... إلخ".

وقال: لم يكن اليمن بعيداً عن الدولة الحديثة كما هو اليوم.

■ لم يكن اليمن بعيداً عن مقومات الاندماج الوطني كما هو اليوم.

■ لم يكن اليمن بعيداً عن مبادئ الألفة الجامعة كما هو اليوم.

وقال: الأفكار الجيدة لا تفرض بقوة السلاح.

■ إن عجز الدولة التسلطية عن إنتاج الحكم الرشيد أو الصالح، يجعل تراكم المشاكل، المرحلة من فترة إلى أخرى، وعدا بانفجار قادم.

■ القوة لا تصنع حقاً ولا حقيقة، بينما يمكن أن يصنع الحق قوة.

■ إن تدمير الجنوب يلحق كل يوم ضرراً قاتلاً بكل أصقاع اليمن.

■ إن توقع تنازل المنتصر عن غنيمته -جزئياً أو كلياً- ضرب من تربيع الدائرة، فهو لا يجد سنداً لا في الطبيعة البشرية ولا في تاريخ السياسة.

وهنالك الكثير من المفردات والإشارات التي طالما استوقفتني ولفتتني بشدة كلما أعدت تقليب صفحات سلسلة كتابات ومقالات هذا المفكر العزيز من أواخر تسعينيات القرن الماضي حتى اليوم، فهو يثير فضولي وخيالي، ويحرض عقلي ويستفزني كلما عاودت قراءته واكتشفت أني لم أصل بعد إلى الكثير من الزوايا والجزر المضيئة المتوارية في نصوصه، وأني لم أفهمه كما كنت قد توهمت في المرة السابقة، وأن جملته لم تزل طرية، طازجة، وخضراء، وقادمة من غد لم نصل بعد إلى عتباته.

نعم إنه انفجار البلقنة في وجوهنا، وإعصارها المجنون والمدمر، وذلك ما تطالعنا به ساحات الاحتراب والتقاتل في شمال اليمن وشرقها وجنوبها، حيث لا صوت يعلو فوق صوت لعلعة السلاح.

لك المحبة أيها الجميل: أبو بكر السقاف.

● «النداء»، العدد ٢٣٩، الاثنين ٧ يونيو ٢٠١٠

نـــافـذة

منـصــور هائــل

سلطة القاعدة وقاعدة السلطة!

هـا هو سـرطان الفوضى يتغول ويتفشـى ويضع توقيعه على تقرير الحالـة الراهنة واليومية في اليمن، وعلى كافة المفاصل والأرجاء، ليفترس الكائنات والأشـياء بما في ذلك الذين اعتمدوا الفوضى نظاماً لتأطير وتدبير شـؤون البلاد والعباد، ونمطاً سـلوكياً وممارسة يومية ميدانية، واعتقدوا أنها -أي الفوضى- أنجع وسـيلة لتجديد الطاقة، وتأبيد البقاء في سـدة الحكم وإدارته لمجرد أنهم فشلوا في إنجاز نصاب السياسة، وبحكم أنهم غير مؤهلين ذهنياً ونفسياً وثقافياً لاجتراح معجزة بناء دولة القانون أو حتى "بناء أية مؤسسـة مركزية للدولة غير مركزية القمع والنهب والفسـاد" حسب أبو بكر السقاف.

هـا هـو تنظيم القاعدة في جزيرة العـرب، ومن معقله الرئيس اليمن، ينفذ وعيـده وتهديده بزلزلة الأرض وإحراقهـا تحـت أقدام عملاء الأمريكان، ويضع الرئيس علي عبدالله صالح ونظامه على رأس أهدافه المستعجلة.

هـا هـو ينفذ أخطر عملياته على الإطلاق، وفي مسـتهل النهار والدوام الرسـمي، في الهجوم الذي اسـتهدف مقر جهاز الأمن السياسـي في عدن، صباح السـبت الماضي، وأسفر عن أكثر من ١٠ ضحايا من أفراد الأمن السياسـي، وعشـرات الجرحى سـقطوا في بوابة المقر وفي أروقة ومكاتب المقر التي زرعـت بعبـوات ناسـفة موقوتة، وأغلقت لتتفجـر في ما بعد، وتشـيع أجواء الذعر فـي أرجاء مدينة التواهي وعدن واليمن بعمومها.

واللافت أن هذا الهجوم الصاعق كان يهدف إلى توصيل رسالة مدوية للخارج قبل الداخل، مفادها

أن النظـام الحاكـم في اليمن هو قاعدة "القاعـدة"، فهو مخترق ومتداخل ومتقاطع معها، وما هو أكثر من ذلك.

وكان لافتـاً أيضـاً أن هـدف هـذا الهجـوم الصاعـق كان مقـر جهاز المخابـرات. ولعل قـادة تنظيم "القاعـدة" الذيـن خرج معظمهم من معقل جهاز الأمن السياسـي بصنعاء في أشـهر عملية فرار مطلع العام ٢٠٠٦.. لعل هذه القيادة تقصدت أيضاً استعراض عضلاتها في هجوم السبت الماضي، على مقر جهاز المخابرات بعدن، وهو عرين حصين ومرهوب الجانب والجدران من عهد الاسـتعمار البريطاني ومخابراتـه، وطـوال فترة الحكم الاشـتراكي الشـمولي، حيـث كان مقر جهاز المخابـرات الذائع: أمن الثـورة، ثـم أمـن الدولـة، وما كان يخطـر على بال أحـد أو بحسـبان أي كان، من أصحـاب الخبرات والتجارب والمعارف التي اعتجنت ونضجت أرغفة حكمه جمرها ورمادها تحت وهج الحرارة اللافحة لشـموس تلكـم الأيـام، أن يأتي اليوم الذي يسـتباح فيـه وينتهك العرين والحصـن الحصين المحمل بالأسـرار الرهيبة والسـحرية للثورات والانقلابات الدراماتيكية والاغتيالات والمؤامرات والهواجس والمغامرات الثورية والرومانسية والعجائبية التي تجرأت على تجسيد فكرة الحلم بتغيير العالم عبر إجراءات وقرارات وممارسات وشطحات فورية، صبيانية، دونكيشوتية، لم تلهب الخيال الروائي لأي سـرفانتس يمني الطبعة، مع الأسـف، بقـدر ما أضفت المزيد من الغمـوض والغرابة والمهابة والرهبة على "الجهاز" ومقره، إلى أن جاء صباح "القاعدة"، وانقصم ظهر الأسطورة العجوز التي طالما تكرست لحمايـة "جمهوريـة الخوف"، وشـاءت الجدلية الضاريـة للقتل في البلاد أن تطالعنـا بصورة الأرانب المذعورة وهي تفر من داخل هذا الجهاز، حين تكشـف أن الخوف قد ارتد على صنّاعه ومشـيعيه يوم سـقط عشـرات الضحايـا في جريمة مروعة مـا كان لها أن تكون حدثـاً فارقاً وصاعقـاً إلا بفعل حالة التفلت والانهيار وانفجارات القوة العارية والعمياء.

ومـا كان علـى "النظام" الحاكم أن يتعجب ويسـتغرب ويكذب كعادته عنـد مخاطبة الخارج، لأن ما حـدث جـاء ليقطـع بحقيقـة أن الحراب غدت ترتـد إلى نحر من أقام سـلطانه برؤوسـها، وأن حرائق الحـروب صـارت تطاول من دأب على إشـعالها من باب الاعتقاد بـأن تفكيك المجتمع إلى جزر متناثرة ومتنافرة هو خير وسيلة لحكمه، وفات عليه أن يدرك أن هذا الطريق سيفضي إلى هلاك عام وانهيار معمم.

وفي ما خص الحرب مع "القاعدة" وعليها، يبدو أن السلطة الحاكمة هي آخر من يحق له الكلام في هـذا المقـام، بحكـم أنها كانت وإلى أجل غير معلوم، متحالفة مع تنظيـم القاعدة، وقد انحصرت مهمة الحلف غير المقدس هذا في قطع الطريق على كل إمكانية لبناء دولة حديثة في اليمن.

إن هـذه السـلطة التـي ألحقت المسـجد بالقصـر، ومولت جامعة الإيمـان؛ أكبر معقل للمحتسـبين والتكفيريين، ولاذت ولازالت تلوذ بعتاة المتشـددين المتطرفين عند كل منعرج حرج، ووظفت الدين في

حروبها، وأعلنت حرب "الردة" على الجنوب المستباح والمنهوب، وغلفت حروبها بأردية دينية، وزجت بالمقدس في معترك إلغاء الخصوم، كانت هي الولادة الرئيسة لـ"القاعدة"، كما كانت سبباً رئيساً في تدمير كافة محاولات الاندماج الوطني في البلاد، وفي تفكيك المجتمع، وفي تغذية عوامل التآكل والتناحر والتفسخ والعنف، وفي إشاعة مناخات ازدهار وتعاظم دور جماعات التكفير والتفسيق و"القاعدة".

إن هذه السلطة تتحمل النصيب الأعظم من المسؤولية إزاء هذه الانفجارات والمذابح، وإزاء تفلت نظام الغرائز البدائية والفوضوية، غرائز النهب والثأر والغنيمة والحروب المعممة التي زجت بالبلاد في فلك الموت، ووضعتها على خط القتل.

إن هذه السلطة قاعدة "القاعدة"، وهي اللامعقول حين يشطح في عبقرية الأفول.

● «النداء»، العدد ٢٤١، الاثنين ٢١ يونيو ٢٠١٠

نـــافـذة

منـصــور هائـــل

يمن آخر لاستضافة خليجي ٢٠

أصبحـت مسـألة إقامـة خليجي ٢٠ في عدن / أبين، في موعدها خلال شـهر نوفمبر من هذا العام، تتوقـف علـى قرار وزراء الداخلية فـي دول مجلس التعاون الخليجي، بموجب قـرار المكتب التنفيذي لمجلس رؤسـاء اللجان الأولمبية بمجلس التعاون الخليجي، في اجتماعه الأخير الذي انعقد قبل أيام في دولة الكويت، وأقر إحالة أمر تنظيم واستضافة خليجي ٢٠ إلى وزراء داخلية المجلس، وأناط بهم مهمة "دراسـة الحالة الأمنية لليمن ومدى القدرة على الاسـتضافة لمنافسات الكأس الخليجية القادمة في نوفمبر القادم".

وبحسـب الخبر الذي تناقلته الوكالات الخليجية مسـاء السـبت ١٢ نوفمبر الماضي "أقر الاجتماع الذي عقد دون مشاركة اليمن والعراق تأجيل قرار البت بشأن اعتماد أو سحب استضافة خليجي ٢٠ من اليمن حتى موعد الزيارة الميدانية القادمة والأخيرة إلى عدن المقررة في ١٧ يوليو المقبل، والاطلاع على التقرير النهائي للجنة الذي سيشمل كل ما يتعلق بأمر الاستضافة اليمنية".

فـي الأثنـاء كان قوس التكهنات السـوداء قد ارتسـم قويـاً في الأفق، في ضوء تسـريبات وكتابات وتصريحـات المصـادر الخليجية التي اجتمعت على القول بعـدم إمكانية إقامة خليجي ٢٠ في اليمن، وألمح بعضها إلى أن اليمن تسـتطيع اسـتضافة الخليجي في قابل الأعوام، ولوحت في معظمها إلى بدائل جاهزة مثل البحرين التي لا تنقصها غير بعض الترتيبات، أو قطر التي يتردد بقوة أنها مؤهلة ولديها كامل الجاهزية لاستضافة خليجي ٢٠.

وفي السياق جاءت بعض التصريحات الصادرة عن قياديين في الاتحاد اليمني لكرة القدم لتتقاطع

مـع الهواجـس والمحاذير الخليجية، حين تعرضت بالنقد لـ"البطر الشـديد في عملية اسـتكمال جميع مشـاريع الفنادق وأماكن إيواء وتسـكين الوفود الخليجية، والحال الذي لا يشـجع على الانتهاء في الموعد المحدد قبل انطلاق البطولة بشهرين".

وفي كل الأحوال أصبح من الواضح أن منافسات كأس خليجي ٢٠ لن تقام في عدن / أبين، ويجدر بالجهات المعنية أن تتهيأ لـ"الصدمة" إذا كان فيها ثمة عرق حي يمكن أن يصدم، وأن تنهض بواجبها فـي اتجـاه تهيئـة الرأي العام لبلع كذبة وطنية كبرى تتحدث عن حكمة القيادة التي تراجعت في آخر لحظة عن استضافة الخليجي في سبيل حماية أمن الوطن والدفاع عن "المصالح العليا" و...!

وصار من الواضح أن منافسات كأس خليجي لن تقام في مربع عدن / أبين الملتهب، لأن القضية صارت أمنية بامتياز، وبين يدي وزراء الداخلية، ولا يحتاج المرء لأن يكون حليماً حتى يفهم الإشارة!

ثـم إن تدهـور الأوضاع الأمنيـة، والاضطرابات والتململـات والتظاهرات الاحتجاجيـة على تآكل وانقطـاع الخدمـات الأوليـة مـن مـاء وكهربـاء، والانفجـارات المتعاقبة في المقـرات والمراكـز الأمنية والعسكرية، لا تشير بأن الأمور على خير ما يرام، وهي ليست بخافية على الدوائر الأمنية الخليجية التي تقف على خط التماس وتطاولها ألسـنة اللهب، وتتابع وتتحسـب بقلق بالغ التداعيات وعقابيل الانفـلات الأمنـي وتفجر الأوضاع في اليمن عليها كدول لا تقف على رصيد معتبر من السـوابق التي تشهد بأنها تتمتع برصيد من الشطحات الانتحارية والقفزات الدونكيشوتية إلى الدرجة التي تسمح لها بالمغامرة بزهرة شبابها ونجوم الرياضة فيها، ولو على سبيل توصيل رسالة تقول بأنها تقف مع الوحدة وتؤيد الرئيس القائد الذي كان قد تدخل شـخصياً، وضغط في اتجاه إقناع الأشـقاء في دول الخليج، بأهمية عقد خليجي ٢٠ بموعده في اليمن، ووعد بسـخاء، كعادته، أن يقوم شـخصياً، أيضاً، بتسليم الكأس للفائز.

والراجـح أن إلغـاء أو "تأجيـل" إقامـة خليجـي ٢٠ في عدن، سـوف يضع سـؤال شـرعية "الوحدة اليمنية" والأمن والاستقرار، وحتى الاستثمار في قلب أكثر المحكات حراجة، وسوف يدعو بالتالي إلى اعتمـاد قراءة أخرى لـ"مسـتقبل" الأوضاع والتطورات التي يمكن أن تـزج باليمن بجميع جهاتها، في أتون ماضٍ لم يسبق لها أن مرت به، ويصعب التكهن بأهواله.

أمـا إذا مـا حصل مـا لا يحدث في عالم السياسـة قط، وتدخلـت الخوارق والمعجـزات التي ينعقد "الإجمـاع الوطنـي" اليمنـي علـى تدخلها، فمـن الواجب، في هـذه الحالة قياس أحـوال اليمن بضوء فانوس ساحر رداع، وبمسطرة تنجيمات ساحر بيت الفقيه بتهامة.

● «النداء»، العدد ٢٤٢، الاثنين ٥ يوليو ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الحاكـم حـين يأكـل نفسـه

الواضـح أن الحـزب الحاكم في هذا البلد لا يشـبه أي حزب حاكم في أي بلد، ولعله لا يشـبه حتى نفسه!

فهو يمعن في إهانة ناخبيه وشعبه حين يتسول المساعدات والهبات من أجل تغطية عجز الموازنة العامـة، وفـي عين الوقت يبرم صفقة لشـراء أسـلحة بمليار دولار، ويحدث ذلك بينما تسـبح عاصمة البلاد ومعها العاصمة الاقتصادية عدن والمدينة الثالثة الأكبر بل والأولى على المسـتوى الاسـتثماري المكلا، في بحر من الظلام بسبب من انقطاعات التيار الكهربائي الناجمة عن انفجارات وحرائق هائلة أصابـت محطـات الكهرباء فـي كل من مأرب والمكلا وعدن، علاوة على الضالـع، وغير ذلك من المناطق والمديريـات الأخـرى التي تعرضت فيها المحـولات والكابـلات الكهربائية لتعديات بالأعيـرة النارية، وضُربت بالقذائف، ما أسـفر عن إظلام شـبه تام، وشلل شبه عام في معظم المحافظات الجنوبية، وفي العديد من المديريات والمناطق الشمالية.

ويمعن هذا الحزب الحاكم في إهانة الناخبين والشعب الصابر المسكين لمجرد أنه يملك الجرأة على الإعـلان بأنـه عقد العزم على المضي منفرداً في الانتخابات القادمـة بأبريل ٢٠١١، فهو واحد أحد ولا يشبهه أحد حين يخوض غمار التنافس مع نفسه دونما اكتراث لما يعنيه ذلك من إخراج تام للبلاد من نصـاب السياسـة والعقلانية، وتدويخها في دوامات اللامعقـول، على خلفية إخراج أكثر من محافظة كاملة من دائرة الاستقرار، وزجها في أتون "أزمة الوجود" ثم في أتون "أزمة البقاء" كما هو الحال في محافظـة صعـدة –مثلاً– التي لم تخـرج من براثن الخراب والدمار والاحتـراب، وهي المحافظة الأكبر والأكثر سكاناً في المثلث الزيدي!

ولا يلتفت هذا الحاكم ولا يكترث لما يعنيه الاحتراب في مأرب، أو بين قبائل بلحارث وعبيدة في الحدود بين مأرب وشبوة، أو التخوم المتداخلة والمتقاطعة للنفط والغاز، ولا يعنيه أمر محافظة أبين التي ترزح كما أرجاء كثيرة في برزخ "الهدنة"، وتقع أكبر مديرياتها -جعار- في قبضة الجماعات المسلحة.

ولا يلتفت هذا الحاكم وحيد القرن والخلية لتمخضات أفعاله ومفاعيله المترتبة على حربه الضارية التي شنها على محافظة الضالع قبل أن يجف حبر التوقيع على "هدنة" مع الحوثيين في صعدة، ولا لما يعنيه أمر عزل هذه المحافظة عن حركة الاتصالات والمواصلات، واعتقال وملاحقة العشرات من أهاليها، ورشق منازل السكان في عاصمتها بوجبات يومية وليلية من قذائف البنادق والهاون والصواريخ والدبابات وحتى الطيران، وجرجرتها بتلابيب العسكرة والعنف والدم والنار والجمر والرماد: الضالع الدائخة والذبيحة والصامدة في مواجهة أشنع عمليات التنكيل والتقتيل والتمييز التي تصفع الأذهان بكوابيس أنظمة التمييز العنصري، وجرائم الحرب ضد الإنسانية.

والأسوأ بل الأنكى من هذا وذاك أن هذا الحزب الحاكم يمعن، أيضاً، في استفزاز الناس وتسميك مشاعر الحقد والبغضاء والثأر في دخائلهم، واستثارة مشاعرهم البدائية وغرائزهم العدوانية العارية عبر تذكيرهم بأنه المنتصر عليهم والجاثم على صدورهم بقوة المدفع والدبابة والإكراه والغلبة، إلى جانب قوة النهب والسلب والاغتنام، وتلكم هي بعض الإشارات البسيطة التي انطوى عليها اجتماع اللجنة العامة للحزب الحاكم بل الإجماع في مستهله، حيث: "حيَّت اللجنة العامة يوم السابع من يوليو المجيد الذي رسخ فيه شعبنا اليمني ومؤسساته الدستورية قواعد الوحدة المباركة وانتصر في مواجهة مؤامرة الردة والانفصال التي أشعلتها العناصر المرتدة العميلة في صيف عام ١٩٩٤"!

إنه التمجيد الوقح والفج لـ"الوحدة بالدم"، وهو تمجيد لا يعبد سوى الطريق إلى الانفصال المحتم، بل ويفضي إلى متوالية من الانفصالات التي أصبحنا نحترق بسعير شراراتها الأولى في كل يوم وعلى مدار كل ساعة.

إنه الحزب الحاكم الذي لا يشبهه أحد ولا يشبه حتى نفسه، ليس لأنه يقول ما لا يفعل، ولا لأنه لا يقصد ما يقول، أو لأنه يجمع بين النقائض والمفارقات، بل في مستوى ما آل إليه من حال يدعو إلى الرثاء والانذهال حين يجاهر بأنه سيمضي نحو الانتخابات بمفرده، وسيخوضها معركة حامية الوطيس مع نفسه بعد أن أعدم كافة المنافسين وقوض كافة شروط المنافسة والسياسة، وعاث فساداً وتكرس سيداً للخراب دون منازع في بلد تآكلت بناه التحتية، وتحلل إلى عناصره الأولية، وتصحر من كل شيء باستثناء هذا "الحاكم" الذي سيمضي نحو التهام نفسه بكل شره ونهم، وتلك هي المحصلة المرة و"الطبيعة" لمن يصل إلى كرسي الحكم بالجماجم وعلى الجثث وعبر أكل الخصوم، وينتهي مطافه إلى أكل نفسه.

● «النداء»، العدد ٢٤٣، الاثنين ١٩ يوليو ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

لقد اتفقوا: إنها الحرب

لتنفيذ اتفاق ٢٣ فبراير ٢٠٠٩ بين المؤتمر الشعبي العام وأحزاب اللقاء المشترك، المشتمل على ٣ نقاط، كان لا بد من إبرام اتفاق آخر في ١٦ يوليو ٢٠١٠، يتضمن ١٠ نقاط، ولا يخلو من صرعة جديدة تمثلت باتفاق الطرفين على تشكيل لجنة مشتركة تنهض بمسؤولية الحوار الوطني الشامل، وجرى التوافق على تحديد قوامها بـ٢٠٠ عضو بالتساوي من قائمتي الطرفين، ولا يجوز لأي طرف الاعتراض على ما يقدمه الطرف الآخر!

وفي حين تردد أن قوام عضوية اللجنة سيكون مفتوحاً، فقد كان لافتاً أن الاتفاق الأخير لم يشر إلى المسرح أو الساحة أو الملعب الذي سوف تنعقد فيه الجلسات والمداولات والعروض الكرنفالية الفلكلورية لهذه اللجنة الفضفاضة التي يبدو أنها ستكون مشكلة حقيقية بدلاً من أن تأتي بالحلول المرجوة للمشكلات والمعضلات الماثلة أمام جميع الفرقاء، والشاهد على ذلك أن خبر تشكيل هذه اللجنة كان مرسلاً وخالياً من الإشارة لمفردات برنامج أو جدول أعمال وإطار للأولويات و... الخ.

اللافت أيضاً، أن هذا الاتفاق قد تزامن مع إبرام اتفاق تجديدي تنفيذي لاتفاق الدوحة الذي أبرم في العام ٢٠٠٦ ليطوي ملف الحرب بصعدة، وتجدد الثلاثاء قبل الماضي عشية زيارة أمير دولة قطر حمد بن خليفة لصنعاء، ما أنعش الآمال بانفراج الأوضاع، وانفتاح كوة في جدار الانسداد السميك الذي وصلت إليه أحوال البلاد، وأوشكت على أن تنفجر بفائض عنفها وحروبها على محيطها الإقليمي، ومحيطها الزجاجي الخليجي بالدرجة الأولى.

والمؤسف أن غيمة الآمال الخادعة انقشعت بأسرع ما يمكن، واندلعت ألسنة الحرب الضارية في

صعدة قبل أن يجف حبر الإعلان عن تنفيذ اتفاق الدوحة، واندلع لسان المستشار السياسي الرئاسي عبدالكريم الإرياني، الذي نفث بما يقوض الاتفاق التنفيذي لاتفاق فبراير قبل أن يجف حبر التوقيع عليه، وتكشف للعيان أن "الحاكم" لا يبرم أي اتفاق، ولا يوقع على أي ميثاق إلا من قبيل الانحناء القسري والمؤقت لضغط الأمر الواقع، ولضغط العامل الخارجي، أو الاستجابة لحاجة عابرة أو نزوة.

كما أن هذا الحاكم لا يوقع على أي اتفاق أكان في فبراير أو في يوليو أو في مايو، أو كان في عدن أو صنعاء أو الدوحة أو عمّان، إلا على سبيل الرضوخ لمنطق الهدنة، واستعادة الأنفاس والإمعان في ترحيل المشاكل بدلاً من حلها. وهو بذلك يستوي مع عتاولة كبار في "المعارضة"، حيث يلتقون معه تحت السقف المحكوم، بالذهنية القبيلية التي تعتمد نهج ترحيل المشاكل كقاعدة ذهبية، ولا تتعرف على نفسها إلا في إطار هذا النظام الذي يقع دون مستوى التاريخ، ويمثل الماضي وليس المستقبل في كل الأحوال.

الواضح أن هذا النظام يعتقد بعناد وتخشب أن أبسط استجابة لمطالب الناس والعصر تعتبر خسراناً مبيناً بالنسبة له، وهو لا يوقع على اتفاق سياسي إلا حين يكون قد تجهز للحرب؛ كونه لا يستطيع البحث عن حلول خارج ساحات الحرب. وهو بهذا المنحى يبدو منسجماً مع نفسه أكثر من المعارضة العاجزة عن إدارة وجهها عن السلطة، والإقلاع عن إدمان عادة زهرة عباد الشمس في الدوران حول هذه السلطة.

وليس ثمة من حل لمعضلاتنا القديمة -الجديدة، غير ما يمكن أن يقدمه العصر وقيم الحداثة وثقافتها التي تشترط استخلاص الحلول العصرية الكفيلة بإخراجنا من دوامة الحركة الدائرية التي أهلكتنا و"أرغمتنا دائماً على أن نبدأ كل مرة من جديد، كما في أسطوره سيزيف" -حسب أبو بكر السقاف.

● «النداء»، العدد ٢٤٤، الاثنين ٢٦ يوليو ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

الوقائع تكذب القربي ميدانياً..!

■ (إلى غسان وشيرنيه)

انتهـت الرحلـة قبـل أن تبدأ، وكانـت نهايتها فاجعة، وقد نجـا جميع أفراد طاقمهـا بأعجوبة من مذبحة ميدانية ومن حمم الشرر المتطاير في محيط النقطة العسكرية الرابضة بمدخل كوكبان، وتمكن الطاقـم مـن النكوص المخاتل وتجاوز العديد من المطبات والكمائـن المنظورة والخفية في الطريق من مشـارف كوكبـان إلـى بني مطر، ولـم ينجرف أي طفل من أفـراد جماعتنا بمن في ذلـك "أيمن" وحتى "مـريم"، مـع غواية هدير شـلال بني مطر، ليمـوت غرقاً في قعر بركته الموحلـة القاتلة، كما حصل ذلك اليوم عندما قضى شاب (٢٠ سنة) غرقاً، وهو الضحية رقم ٣٩ بحسب إفادات الأهالي.

وكثيرة هي التفاصيل والوقائع المثيرة، المحيرة، الصاعقة والمروعة التي جرت في غضون سويعات من صباح الجمعة الفارطة، وتكفلت بتكذيب وزير الخارجية الدكتور أبو بكر القربي في الميدان، وهو الـذي طالمـا صرح بـأن البلاد ترفل فـي بحبوحة من الأمن والأمـان، وأنها مفتوحـة وجاذبة للزائرين والسياح والمستثمرين الذي يستطيعون إشباع رغباتهم وتطلعاتهم في زيارة أي مكان في اليمن وفي أي وقت، ولن يجدوا في طريقهم غير الأحضان الدافئة، والولائم الكريمة التي تتسابق لاستقبالهم.

ولم تنطلِ تصريحات القربي على وكالات السـياحة والسـفر والفنادق، ولا على الدول الغربية التي

حذرت بل ومنعت رعاياها من زيارة اليمن، كما أغلقت مطاراتها بوجه طائرات "اليمنية" و..!

ولما كان العالم لا يخلو من ذوي النوايا الطيبة أولئك الذين لا يرتصف الطريق إلى جهنم إلا بهم، فقد انطلت تصريحات وأحاديث الوزير على مجموعة من السياح لا يزيد عددهم على أصابع اليد، وعلى أختنا العزيزة الفنانة القديرة د. آمنة النصيري التي صدقت القربي ولم تهتز ثقتها بكلامه إلا وهي على مشارف كوكبان.

وعصر الجمعة تكتمت ضحكة مجلجلة حين كان أحد الزملاء يتندر من صور لأربعة سياح استضافتهم صحيفة رسمية في حفلة تغطية كبيرة، وقال بأن صور تلك المجموعة تكررت في أكثر من صحيفة ومنبر رسمي، وكأنهم قطع نادرة أو كائنات قدمت من كوكب آخر، بقصد إقامة الدليل على أن اليمن كانت -ولا تزال- مقصداً للسياح.

كان صاحبي لا يعلم بما هو أعظم و...!

والحاصل أن العزيزة آمنة ومعها أفراد عائلتها الصغيرة /الكبيرة، كانوا في رحلة عائلية نظمت على شرف نجلها وحبيبنا جميعاً الطالب المبدع والفنان غسان الذي جاء من ماليزيا ليقضي إجازته القصيرة مع أمه، وحرص على دعوة واستضافة زميلته الماليزية الأقرب والأحب إليه "شيرنيه"، لتعريفها بأهله وبلاده اليمن. وكان مشروع الرحلة إلى كوكبان هو المقطع المهم والأكثر إثارة في الزيارة.

وكان يا ما كان، وقبل أن يصلوا إلى كوكبان استوقفتهم النقطة العسكرية، ومنعتهم من الدخول إلى الحصن المنيع والمقام الرفيع، لأن ثمة أجنبية مريبة لا تحمل تصريحاً كانت معهم.. ولم تنفع لإقناعهم كافة الذرائع والتسويغات، وهددوا بمصادرة جواز الضيفة، وفي الأثناء كانت آمنة تتذكر أن الوزير القربي قال بأن البلاد مفتوحة ومنفتحة لاستقبال الأجانب، فما بالكم بصديق ضيف رفه على عائلة و...!

وفي الأثناء، أيضاً، كانت رحى معركة حامية الوطيس ودامية تدور بين سيارة (مقاوتة) وعسكر، وأعملوا في بعضهم طعناً، وتقاتلوا، ما أجبر حافلة الرحلة على أن تهرول مذعورة وتلوذ بقعر أقرب منحدر.

وبعد أن فشلت كافة محاولات اختراق النقطة، نكصت حافلة الرحلة إلى الوراء، ولاحت في الأفق بارقة التعويض وتبديد مشاعر الوجوم والهلع بزيارة خاطفة إلى منطقة الشلال في بني مطر، وكان عليهم أن يعتبروا بما كان في كوكبان ويحترسوا أو يتحوطوا ويقوموا بتحجيب وتنقيب الضيفة الماليزية لتبدو وكأنها من الحيمة أو من كوكبان أو من صنعاء القديمة، ونجحت الحيلة وتمكنوا من تجاوز المطبات والنقاط والطرقات الجرداء من أية إشارات أو عبارات إعلانية عن الأمكنة والمعالم، غير تلك العبارات التي تذكر بالجحيم وأهوال القيامة والموت في كل منعطف.

وما إن حطت الرحال في محيط الشلال، وفيما كانت المجموعة تحاول التقاط أنفاسها وتمنع "أيمن" و"مريم" من ملامسة مياه الشلال، انقطعت أنفاسهم مجدداً وذعروا مرة أخرى بسماع عويل رجال ونساء كانوا يتفجعون ويندبون شاباً عشرينياً قضى في تلك اللحظة غرقاً.. وحملقوا في المكان الذي كان يخلو من أية لافتة تحذر من السباحة في بركة غرق فيها العشرات، ويخلو من أي سباح أو غواص يسارع إلى إنجاد من يغرق!

وانقطعت أنفاس جميع أفراد الطاقم، وقطعت الرحلة، وعادوا القهقرى ومعهم "شيرنيه" محجبة منقبة (مؤدبة)، ومشاعر الأسى والمرارة والانكسار تعترمهم وتخترمهم وتعتصرهم إلى آخر قطرة.

وخرج الزميلان الحبيبان شيرنيه وغسان، بما هو أكثر من ذكرى وأبعد من مشروع لـ"فيلم" ينتمي إلى عالم ما بعد السينما الذي نعرفه وعشناه، ومن غير المستبعد أن يكون هاجس توسيع معرض "حصارات" قد برق في ذهن الفنانة القديرة آمنة، والراجح أن ما حدث لن ينمحي قط من ذاكرات جميع أفراد طاقم الرحلة.

الظريف أن كاتب هذه السطور كان قد شارك كعادته، في بلورة مقترح هذه الرحلة العائلية، وأسهب في مناقشة ضرورتها وأهميتها وفوائدها وعوائدها الترويجية والنفسية والذهنية و... "الوطنية". وفي اليوم التالي، تخلف، كالعادة أيضاً، عن الرحلة لأسباب متصلة بـ"القضية"، ولكنه لم ينجُ قط من افتراس جيوش الكوابيس.

● «النداء»، العدد ٢٤٥، الاثنين ٩ أغسطس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

الانفصال وارد و.. مؤكد

أصبحت مسألة انفصال الجنوب واردة ومؤكدة كحقيقة عنيدة يمكن أن ترتسم في الأفق وعلى الأرض بخطوط حادة بحلول أبريل من العام القادم، حيث يمكن أن تنفلت حلقات اللهب في بؤر الاحتدام والاضطرام المشتعلة، وأن تتشرذم البلاد إلى جزر من نار وجمر وفحم ومخلفات حروب.

وقد انفتح باب جهنم هذا من وهلة تجاهل المطالب والتظلمات الحقوقية، وفعاليات الحراك الاجتماعي السلمي، ثم مواجهتها بآلة القمع والملاحقة والتنكيل والاعتقال والاغتيال، والضرب بالرصاص الحي والصواريخ، ما دفع إلى الرد على العنف بشيء من صنفه، وتعسكر الحراك وبالأحرى بعضه، والتهبت ساحاته، واختلط حابل (القاعدة) بنابل المتقاعدين العسكريين من الغاضبين والمحبطين، بالميليشيا الممولة من السلطة والمخبرين المقاتلين المزروعين في الجولات ومفارق الطرق كمجانين وشذاذ آفاق وتائهين وتجار خردة وعلكة وأصحاب عربيات مفخخة و... إلخ.

واجتذبت الساحات الملتهبة الكثير من الخيوط والأطراف الداخلية والخارجية التي لا تتدخل إلا عندما تنفتح الفجوات الناجمة عن انحسار السلطة وغياب الدولة، وعندما يطول أمد النزاع المسلح وتتسع رقعته وتتفاقم أخطاره وأضراره وخسائره الكارثية.

ولئن قال قائل إن هذا الكلام ينطبق بالحذافير على السودان، وهو كذلك دونما موازبة، فإنه إلى اليمن أقرب، لأن النظام في هذه البلاد لا يستعذب نفسه ويتعرفها إلا في قعر الهاويات، وإن امتنع عن الاستعداد لملاقاة مصيره عبر التوقيع على مواثيق ومعاهدات مكتوبة على غرار ما كان عليه أمر شقيقه التوأم حزب المؤتمر الحاكم في السودان، حين حشرته الظروف والملابسات الخاصة

بسياقات التاريخ والجغرافيا، واضطرته إلى التوقيع على اتفاقية نيفاشا، قبل ٥ سنوات، ووافق على صيغة الوحدة القائمة على الشراكة والتقاسم مع الحركة الشعبية في الجنوب، والتزم بالعمل المشترك على بلورة صيغة الوحدة الجاذبة التي فشلت وكان حزب المؤتمر الحاكم هو المسؤول الأكبر عن ذلك الفشل، وعن ترحيل الاستحقاقات والأزمات، إلى أن ضاق هامش الوقت والحركة والمناورة، وأزف موعد الاستفتاء على حق تقرير المصير في الجنوب، وصار خيار الانفصال هو الحاسم والمؤكد بحسب استطلاعات الرأي التي تقول بأن أكثر من ٩٠٪ من الجنوبيين سيصوتون للانفصال الذي لن تحول دونه حتى الخوارق والمعجزات، فسيف الوقت لا يرحم، وذلك الاستحقاق المتفق عليه والمرعي دولياً أصبح قيد الإنجاز.

المصيبة أن حزب المؤتمر الحاكم في اليمن يصر دوماً على أن يكون نسخة مشوهة وغير منقحة من أية تجربة عربية عاثرة وخاسرة، ويثابر في سبيل أن يكون التكرار البائس والرث، وذلك ما كان أمر تماهيه وذوبانه بعراق "صدام" بالأمس، ومن أمر تناهيه وتلبسه بحالة بشير الخرطوم اليوم.

وعلى نحو ما فعل البشير الذي تجاهل تظلمات الناس في دارفور التي كانت مطلبية حقوقية في مرحلتها الأولى، واتخذت تعبيراتها في مجرى حراك سلمي صبور، ولم يتعقلها المؤتمر الحاكم هناك، بقدر ما اندفع لمواجهتها بالحديد والنار، واستعان بالميليشيات القبلية (الجنجويد)، وتحولت أرجاء واسعة من دارفور إلى أرض محروقة، ومئات الألوف من السكان إلى ضحايا محرقة، ما أفضى إلى تدويل القضية ومحاكمة قادة المؤتمر الحاكم، بمن فيهم البشير، في محكمة الجنايات الدولية التي أصدرت قرارها بملاحقته والقبض عليه لمحاكمته بتهمة الإبادة الجماعية و... ولا نهاية لمسلسل الكارثة.

وفي كل الأحوال، يظل أبريل القادم علامة فاصلة وفارقة على زمن قادم يتدلى بشفرات مقصلة محكومة بانتظار رأس حزب مؤتمر حاكم هناك أو هنا، وأوصال كثيرة من هذا البلد أو ذاك، تتخبط في حمى استعادة عناصرها الأولية والأسماء الأولى تبعاً لمنطق التحلل..!

● «النداء»، العدد ٢٤٦، الاثنين ١٦ أغسطس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

غليان الجنوب وأشباح الملهاة

فيما عاد الرئيس علي عبدالله صالح من لندن إلى صنعاء يوم السبت الماضي، كان رئيس الوزراء الجنوبي الأسبق حيدر العطاس، قد وصل إلى لندن، وفي يوم الاثنين وصل إلى لندن الرئيس الجنوبي السابق علي ناصر محمد، وكان في استقبالهما الوزير السابق محمد علي أحمد الذي يعتبر من أقوى شخصيات المعارضة الجنوبية في الخارج والداخل، ليس انطلاقاً من خبرات وخلفيات سابقة أو رصيد رمزي فقط، وإنما ارتباطاً بشخصيته الحركية، الدينامية، وتواصله وتفاعله مع أبرز الناشطين في الداخل والخارج ومع كافة المستويات.

وفي الأثناء تردد أن الأستاذ محمد سالم باسندوة رئيس لجنة الحوار الوطني، الذي تحفظ على المشاركة في الحوار مع المؤتمر بموجب محضر ١٧ يوليو، وصل إلى لندن هو الآخر، وهو كان الجنوبي "الجوكر" في لجنة الحوار الوطني.

وفي مساء الاثنين الماضي، وصل إلى المكلا القيادي الأبرز والفائز باستمزاج شعبي واسع، رئيس ما يسمى بـ"المجلس الوطن الأعلى لتحرير واستعادة الجنوب"، وتردد بقوة أنه عاد وهو يحمل مشروعاً لتوحيد قوى ومكونات الحراك في الداخل. وقد هرع لاستقباله بمطار الريان عشرات الآلاف من أهالي حضرموت والمحافظات الأخرى، وأحاطوا بموكبه إلى أن وصل إلى "ساحة الحرية" بمدينة المكلا، حيث أقيم أول مهرجان حاشد وصف بأنه الأضخم في تاريخ المدينة، وقالت مصادر إعلامية إنه يتجاوز ١٠٠ ألف متظاهر. وقد تعهد الزعيم "الأسطورة" -حسب بعض التصريحات- بمواصلة النضال و"دحر الاحتلال"!

وفيما حظيت عودة باعوم إلى المكلا بعد غياب من يونيو العام الماضي، في رحلة علاج طويلة، بدأها في الصين ثم الهند ثم ألمانيا فالقاهرة، بالترحاب من قبل قيادات بارزة في الحراك التي تركزت خطاباتها على ضرورة استخلاص صيغة الرؤية السياسية الواحدة والقيادة الموحدة للحراك، كشفت بعض تلك "الرموز" عن مشروع سياسي برسم التجهيز والإعداد، وألمح بعضها إلى أن القائد العائد لم يرجع إلاّ وفي جعبته المشروع المرتجى والموعود.

وكان لافتاً وواضحاً أن فعاليات الحراك خلال الأيام الماضية، قد تقاطعت وانسابت في مجرى تحركات قيادات المعارضة الجنوبية في الخارج، بما فيها "التاريخية" التي استعادت هذه الصفة في بعض التداولات مؤخراً، وسارع هؤلاء وأولئك إلى التشديد على ضرورة بلورة مفردات المشروع السياسي الواحد (الرؤية) للقضية الجنوبية، واستخلاص صيغة قيادية موحدة استجابة لمقتضيات الضرورة والحاجة الماسة التي تدعو إلى التعجيل بإنجاز هذه المهام.

ومن سخريات المصادفات والمفارقات أنه وفي مساء الاثنين الماضي، أيضاً، غادر صنعاء الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني رئيس الوزراء ووزير الخارجية بدولة قطر، والمهندس الأبرز لاتفاقية الدوحة بين الحوثيين والسلطة، بعد زيارة مفاجئة وقصيرة استغرقت ساعات قليلة، وأكد خلالها على أهمية تفعيل اتفاقية الدوحة واستعداد قطر لاستقبال واستضافة المفاوضات بين الحوثيين والسلطة.

والراجح بل المؤكد أن هذه الزيارة، وقبلها زيارة أمير دولة قطر، كانت من المحفزات المثيرة والمحركات القوية لقوى الحراك الجنوبي في الداخل وقيادات المعارضة الجنوبية في الخارج التي استشعرت بأنه قد حان الأوان لأن تحاول أن تكون لأول مرة أو لا تكون بالمرة.

وكان على هذه القيادات في الداخل والخارج أن تدخل في سباق مع الزمن في اتجاه تفعيل "القضية الجنوبية" في المحافل الإقليمية والدولية، ولفت الأطراف الإقليمية الفاعلة، التي يسترعي انتباهها كثيراً ما يحدث في صعدة، إلى أن ما يحدث في الجنوب أكبر وأخطر، وإلى أنها -أي هذه الأطراف- ترتكب خطأً جسيماً حين تتجاهل وتتغافل -بقصد أو بغيره- قضية الجنوب التي تتجاوز في أهميتها وخطورتها ومصيريتها كافة القضايا الأخرى الملتهبة في الساحة، بما فيها قضية صعدة.

وكان على حراك الداخل ومعارضة الخارج أن يسارعوا إلى إعداد ملفات بالصوت والصورة لما يحدث في المحافظات المتفجرة من انتهاكات وارتكابات جسيمة، ويسارعوا إلى تشكيل قيادة موحدة للحراك في الداخل وقيادة سياسية واحدة للمعارضة في الخارج، وصولاً إلى صيغة قيادية سياسية تتبنى وتتمثل مطالب وتظلمات الجنوب، وتنطلق من مرجعية غير ملتبسة.

وفي هذا المنعرج أطل (المهندس) حيدر العطاس برأسه حين ترأس أواخر الأسبوع الماضي لقاء

جنوبياً موسعاً في مدينة شيفلد، وأكد فيه على أن الحراك أصبح بحاجة ماسة إلى رؤية سياسية موحدة وإطار سياسي واحد، وأن الحاجة إلى ذلك صارت ملحة وعاجلة و"بشكل لا يقبل التسويف"، مشيراً إلى أنه وعدداً من الجنوبيين قد بادروا إلى إعداد مشروعين لهذه الغاية: مشروع البرنامج السياسي، ومشروع الهيكل التنظيمي للحراك السلمي الشعبي.

والحاصل أن التطورات والأحداث التي جرت في هذا المنحى كانت كثيفة ومتسارعة، وقد صار من كانوا يطرحون شعار "التغيير وليس التشطير"، في ضفة التشطير أو العودة إلى مربع "فك الارتباط"، وفي الأقل القبول بأن يكون الحوار شمالياً/ جنوبياً، وتحت رعاية دولية.

ولا يستبعد أن بعض هذه التحركات أو بعض "المتحركين" هؤلاء قد انطلقوا بهذه القفزة بعد حصولهم على ضوء أخضر إقليمي أو إشارات مشجعة بوعد تفعيل ملف "القضية الجنوبية" بالتوازي والتزامن مع تفعيل ملف اتفاقية الدوحة، قبل أن يفوت الأوان، وترتكس الأمور إلى مستواها الصفري، وتهدر عجلة الحركة الدائرية التدميرية لتعصف بما تبقى من وعود السياسة، خاصة وأن أجواء هذه الأيام تستحضر مناخات الهزيع الأخير من حرب ١٩٩٤، وماراثون العطاس/ الإرياني الذي لا يستبعد أن يرجع، ولكن، بصيغة الكوميديا السوداء.

● «النداء»، العدد ٢٤٧، الاثنين ٢٣ أغسطس ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

حين تجلس صنعاء على رأس حربة

كما تعرضت مدينة حوث المتاخمة لمحيط صنعاء، للاستباحة والنهب والقتل وتدمير المنازل واعتقال العشرات من "السادة الهاشميين" أو "الحوثيين" الذين كانوا هدفاً لهجوم مسلح من قبيلة حاشد –٣ آلاف مسلح حسب بعض المصادر– على مدينة يسكنها ٩٥٪ من الهاشميين، فقد عاشت مدينة لودر بمحافظة أبين جنوب البلاد، حالة "فوضى عارمة" واستباحة ونهب وقتل ودمار ونزوح جماعي لمعظم السكان بفعل المواجهات التي جرت بين قوات الجيش والأمن وخليط عجيب مريب من الجماعات المسلحة، وفي مقدمتها "القاعدة" التي احتمت والتحمت وتترَّسَتْ بالمتبطلين والعاطلين والغاضبين وقطاع الطرق واللصوص المسلحين وغيرهم من الجماعات التي انتعشت ونشطت وتخصب حضورها وتغول في تلك الأرجاء، على خلفية غياب دولة القانون لحساب حضور الطبيعة المؤذية والمتحرشة، بل العدوانية لسلطة الجباية الانكشارية: (العكفية إن شئتم).

وكأنه ميقات انفجار الهويات المحلية المكبوتة، وانفجار مكونات الحرب الأهلية الشاملة التي انضفرت عقدتها، وتمثلت علاماتها وعناوينها بالزعامات المناطقية والقبلية والعشائرية والأصولية الميليشاوية التي تأهلت لأن تقود بلداً ممزقاً إلى عدد من المقاطعات المتسابقة للاحتماء بمراكز النفوذ الإقليمي والخارجي.

وعند هذه النقطة يمكن القول بأن دول الجوار، وبالذات السعودية، صارت اليوم في منأى عن مخاطر وجود يمن قوي، وقد تحقق لها ما كانت تحلم به وأكثر بفضل الوكلاء والمتطوعين المحليين الذين قدموا لها بلادهم على طبق من دماء، وجهزوها كساحة تسمح لها بأن تتلاعب بقواها المتحاربة

كما تشاء.

ولن نجافي الحقيقة إن قلنا بأننا اليوم نشهد أسوأ مخرجات حرب ١٩٩٤ التي قتلت الفرصة الأخيرة لاندماج الجنوب والشمال في إطار وحدة قابلة للعيش، وأسوأ (منجزات) سلطة ١٩٩٤/٧/٧ التي راهنت على عودة "القبيلة" وربط الجنوب بقرونها، وتولت رعاية عودة المشائخ والسلاطين وربطتهم بهيئة شؤون القبائل بصنعاء، كما قامت بالمزاوجة بينهم وبين "القاعدة" ابتداءً من لحظة احتضانها للعائدين من المجاهدين في أفغانستان مثل طارق الفضلي الذي تزعم تنظيم "الجهاد" المسؤول عن اغتيالات قيادات الحزب الاشتراكي ومحاولة اغتيال الأمين العام للحزب الأستاذ علي صالح مقبل، وعن تفجير فنادق عدن وجولد مور في ديسمبر ١٩٩٢.

وبعد ذلك كانت صنعاء هي التي سارعت لتنصيب الفضلي شيخاً لمشائخ أبين، وحدث مثل ذلك لابن شيخ العوالق العليا في محافظة شبوة، عوض محمد الوزير، وابن السلطان العبدلي، أما ابن شيخ العوالق السفلى محمد فريد العولقي فقد عاد للإقامة في منطقته في مايو ١٩٩٥، وحصل على تأييد قبائله هناك، حيث لم يعد بمقدور سلطة صنعاء حالياً اختراق الحصن الذي يحمي أنور العولقي المطلوب رقم ١ من قبل واشنطن في اليمن.

وكما لم يعد بمقدور صنعاء اختراق الأسوار والحصون التي يحتمي بها أنور العولقي، ولا تلك التي يحتمي بها عبدالملك الحوثي، ولا تلك التي لجأ وتحصن بها العديد من أمراء وجنرالات وزعامات العصابات المسلحة في جبال عمران ومأرب ويافع وصعدة وردفان والعوالق، فإن قدراتها على بسط سلطتها الواهية حتى على مستوى صنعاء أضحت محل شك واستفهام.

لقد صارت صنعاء مدعوة إلى الجلوس على رؤوس الحراب التي صنعتها بيدها. وإذا كانت العصبيات والولاءات المحلية ومظاهر وأشكال الحرب الأهلية التي تعيشها البلاد تنطوي على مفارقة صاعقة بالنسبة للمراقبين الذين لا يصدقون، حتى الآن، بمنطق هذه التداعيات والتشظيات الحاصلة في ظل "الوحدة اليمنية"، فقد صار من الأحرى بالمراقبين هؤلاء أن يعلموا أن الحرب الأهلية هي القاعدة الوحيدة المعترف بها في السياسة اليمنية، ومن قبل النظام الحاكم بوجه خاص. ولا شك أن هذه القاعدة هي التي تقف حالياً وراء كل هذا التآكل والتحلل لأواصر العيش وعناصر الأمان والبقاء في اليمن.

● «النداء»، العدد ٢٤٨، الاثنين ٣٠ أغسطس ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

هذا الجوار الأليف.. المخيف!

صارت اليمن تتمتع بحق الجوار الأليف مع الصومال والسودان عن جدارة تحسد عليها النخبة الحاكمة في هذا البلد. وقد طالعتنا الفضائيات العالمية والإقليمية الذائعة بما يشهد على ذلك، وكانت أخبار اليمن تأتي في معظم تلكم الفضائيات معطوفة على أخبار السودان والصومال، وفي أحيان عديدة، كانت اليمن تتقدم، وفي الغالب، بدت أخبار الشقيقات الثلاث وكأنها من تدبير سياسة إخبارية متفق عليها بحكم أنها كانت، ولا زالت، تدور في فلك واحد، وتشكل مسلسلاً واحداً تنتظم حلقاته في خط درامي متصاعد في إيقاعات تلاشية في منطقة انعدام الاتجاهات والوجهات والأوزان، وفي ذرى النهايات القيامية.

وعلى هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك، انعقد اجتماع "أصدقاء اليمن"، ليخرج بقرار قضى بعقد الاجتماع الخامس للمجموعة في الرياض، مطلع العام القادم، وقرار بإنشاء مكتب خليجي بصنعاء، يقوم بتدبير وإدارة وتنسيق مساعدات وأموال المانحين المقدمة لليمن. وفي قاعة مماثلة، وربما مجاورة، كانت تدور وقائع اجتماع مباركة تقسيم وانفصال السودان الذي سيمضي نحو الانفصال المحتوم بعد أقل من مائة يوم، وكان وضع نائب البشير أشبه بمن يطالب برشوة مقابل "رفع قدم" عن الجنوب!

أما الرئيس الصومالي شيخ شريف أحمد فقد كان متألقاً كشظية نجم سابق ترصدته الكاميرات ونقلت وكالات الأنباء خطاب نعيه لبلاده الذبيحة بأنياب التطرف والعنف، ومطالبته المجتمع الدولي بالتدخل لكبح غول الإرهاب والعنف الذي يفترس ما تبقى من أوصال بلاده.

وكاد رئيس الصومال أن يبدو جنرالاً سادراً في متاهته لولا سوابقه وخيبته في أبناء جلدته ورفقة أمسه، وظهر كضحية لطعن ديوان المباغتة من الخلف.

وارتسمت في الأفق صورة المشهد الفظيع على نحو لا يمكن دحضه أو نكرانه، ولم تعد القراءة "المابعدية" لما سيأتي في قادم الأيام، تتطلب الكثير من الجهد والعناء، ولن تكون ضرباً من التخمين والتنجيم والرجم بالغيب، فثمة أشياء بادية للعيان، ووقائع ساطعة، فاجعة، فاقعة تؤشر على انزلاق اليمن والسودان، بالتزامن أو بالتتابع، إلى ذات المستنقع، وإن تعامت عن ذلك نخب السياسة والحكم هنا وهناك، بعناد وغباء، ورفضت رؤية منطق الأشياء وحدود العنف وعنف الحدود وترسيمها، وترسيم المقاطعات والانفصالات، وتلاشي هذه الأمم والبلدان.

والمؤسف أن الصومال لم ينطرح في أفق رؤية الحكام في اليمن، كما في السودان، بما هو عظة وعبرة كانت جديرة باسترعاء الكثير من الانتباه والقراءة الفاحصة الناقدة، وبدا -أي الصومال- كثقب أسود شاهق الجاذبية وقادر على (شفط) هذه النخب الحاكمة الضيقة الأفق والمحكومة بشروط الانجرار إلى الأسفل، وبذات الشروط والمعطيات وفيروسات التدمير الذاتي التي أفضت إلى تقويض الصومال.

ولسنا في وارد إخراج ما في جراب التوقعات، فالصورة واضحة، وسوف يأتي استفتاء يناير في جنوب السودان ليقول كلمة "نعم" للانفصال، لأن نخبة الحكم الموحدة التي تشكلت عام ٢٠٠٥، لم تنجز المستحيل، وفشلت في بلورة صيغة الوحدة الجاذبة، ولأن مجموعة الفاسدين المتنفذين التي سيطرت على الثروة والسلاح في شمال البلاد، كان كل همها ينحصر في الاستماتة في تلمس أسباب البقاء في السلطة، ولو على حساب فناء السودان وتفتت بلاد المليون ميل، وتوهمت تلك النخبة أنها سوف تُحكم قبضتها على الشمال وترجع به كما كان عليه قبل الوحدة، وذلك من التوقعات المستحيلة.

فالمعلوم أن شمال البلاد وشرقها والكثير من المناطق كانت، ولا زالت، مثقلة بإرث هيمنة العاصمة والأقلية الحاكمة فيها، وإرث التهميش والإقصاء، وهي لن تقبل بالعودة إلى بيت طاعة البشير وزمرته.

وبمعنى أفصح فإن العودات المستحيلة ليست واردة في أجندة التاريخ والجغرافيا والسياسة، وإن كانت واردة في الكتب السلفية والغرامية.

● «النداء»، العدد ٢٤٩، الاثنين ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

فـي ظـلال "مـونـاكـو"

لا يقـل الضـرر الذي ألحقه الشـاب النيجيري الذي أخفق عشـية أعياد الميلاد السـنة الماضية، عن الضرر الذي يمكن أن يلحقه أمثال "الحاشـدي" بطل غزوة "قرية موناكو" بمدينة حدة، وهي عبارة عن مشروع استثماري أجنبي (تركي –ألماني) يعمل وفقاً للقانون، وينبغي أن تلتفت الجهات المعنية ملياً لهذه الإشارة الحادة والذكية التي وردت في سياق حديث المستثمر الألماني والمدير العام لقرية موناكو روبرت كرموزي، أمس الأحد، في المؤتمر الصحفي الذي عقد بمقر القرية، ليطلع الصحافة على وقائع اقتحام القرية في منتصف ليلة الثلاثاء ٢٠١٠/٩/٢١، بالصوت والصورة.

وكرموزي من أصحاب الخبرة في مجال الاستثمار السياحي والفندقة، وقد تفتح شغفه لهذا العمل وهو في سـن الـ١٥، وعندما كبر وتأهل لم ينصرف كلية إلى العمل في صناعة الأسـماك، لأن عصافير الشـغف الأول لـم تهجـع في أعماقـه، وكان صوتهـا أقوى وأفعل فـي توجيهه وحضه علـى الترحال والمغامرة في مجال السياحة والفندقة، وقد تمكن من كتابة فصول قصة نجاحه في العديد المدن التي تغتسل بالضوء والعطر، والمتقدمة في هذا المجال، كـ: هونج كونج، جاكرتا، ماليزيا، كينيا، و....

وقبل ٤ سنوات حطت رحاله في اليمن، وفي مطلع زيارته اقتنى سيارة، واصطحب معه زوجته في جولة واسعة بأرجاء البلاد، وعاد بعدها، وقد استقر في ذهنه، ويا للعجب، شعور بأمان لم يسبق له أن شعر به قط في أي بلد من تلك البلدان التي زارها وعمل فيها –حسب قوله–!

شـيء لا يصدق، لكنها تصاريف النفس الإنسـانية وغراباتها ومفارقاتها، وقد كان من شأن روبرت أن شـعر بشـيء لم نتشرف بزيارته لنا من اللحظة التي دعينا فيها أنفسنا، وجاز لنا فيها أن نضارع ديـكارت، ونقـول: أنـا أفكر إذن أنا غير موجود، فأنا في اليمن، وتلـك هي الترجمة المرحة لمقولة: "أنت في اليمن" التي ترد حين يراد إبطال مفعول أي استغراب أو تعجب!

وغامر روبرت مع شركائه في إنشاء "قرية موناكو" بمواصفات ٥ نجوم، وقد حرص على أن يتميز بمطعم خاص يقدم، ولأول مرة، كافة أصناف الوجبات الأوروبية التي تستورد خامتها من أوروبا مباشرة، وتمكن من إنجاز مطعم قدم تلك الوجبات كما يمكن أن يقدمها أفضل غربي، وخلال شهرين تمكن من اجتذاب معظم البعثات الدبلوماسية والشركات الأجنبية العاملة في صنعاء، بما في ذلك معظم الزبائن السابقين لموفنبيك، والشيراتون، وغيرهما.

وفي صباح السبت حرص روبرت على تذكيرنا بأن مشروعه هذا جاء استجابة لنداء وتشجيع فخامة رئيس الجمهورية للاستثمار!

وأنجز روبرت وشركاؤه المطعم الأوروبي الوحيد والأفضل في اليمن، وكان رواده من الدبلوماسيين الغربيين وعائلاتهم، وأطفالهم والمدراء والعاملين في الشركات الأجنبية وعائلاتهم وأطفالهم، وجميع أولئك الذين لا يمكن أن يذهبوا إلى "قرية موناكو" لتعاطي المخدرات (الحشيش) والمنشطات الجنسية ومشاهدة الأفلام "الثقافية" -حسب كناية الشباب للأفلام الجنسية-.

وقبل الافتتاح وبعده كانت الجهات المعنية، ومنها وزارة السياحة وهيئة الاستثمار، تشجع المشروع، وتبدي إعجابها وحماستها لفكرته الجديدة، وتجازف بالتصريح بأن صنعاء تتسع للفرح أيضاً، وحصل المشروع على تراخيص ٥ نجوم. ومع الافتتاح قام بعض المسؤولين بزيارة "قرية موناكو"، وأعجبوا بالطعام العربي والأجنبي، وسارت الأمور على ما يرام، وصار المطعم يشكو من الزحام إلى أن ضربته "العين"، وجاء المتنفذ الذي يطلب مبالغ طائلة مقابل "حماية"، ويقتحم المكان بقوة السلاح، ويشهر المسدس على رؤوس العمال والعاملات، وينهب المقتنيات والمأكولات والهواتف الجوالة، ويجرجر صاحبنا المدير ويضربه ويرميه إلى ظهر طقم عسكري وكأنه كيس قمامة!

الغريب أن روبرت كرموزي ما زال يردد أن الشعور بالأمان لم يبارحه، وفي ذلك ما يستفز المرء ويحمله على القول: تستاهل يا روبرت!

ويمكن القول بأن هذا الرجل يستحق جائزة الفارس الذهبي، أو لقب معجزة الاستثمار في اليمن، فهو يقول إن الاستسلام لأمثال هذا المقتحم المتنفذ و(المتفيد) يعني الإقرار بأن فرص الاستثمار والاستقرار أضحت معدومة.

وقال ما معناه: إذا كان الشاب النيجيري قد أخفق في تفجير ديترويت، وأفلح في بث الرعب بأمريكا وأوروبا، فإن هذا الذي نفذ غزوة موناكو قد عوض عن إخفاق ذلك الإرهابي، وأجهز، بما فعل، على الاستقرار والاستثمار، وعلى مشاعر الأمان الخادعة والأحلام الكاذبة.

وإذا كانت بارقة الأمل تنعقد اليوم على موقف قاضي المحكمة، وتدخل الجهات المعنية لوضع حد لهذا الإرهاب والابتزاز الذي وصل حد تهديد الألماني بالاختطاف والقتل، فإن كل تلك الترقيعات والاستدراكات لن تنفع في إعادة اللبن المراق إلى الكوب المثقوب، ولن يستقيم الظل والعود أعوج.

● «النداء»، العدد ٢٥١، الاثنين ١١ أكتوبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

الدراجة النارية أم تقنية الاغتيال الصاعق

تصاعدت الاغتيالات التي تستهدف ضباط ومراكز الأمن في المحافظات الجنوبية، وفي الآونة الأخيرة تضاعف وتكثف استخدام الدراجات النارية لتنفيذ عمليات خاطفة ونوعية تجاوزت الـ٣٠ عملية، استهدفت، في الغالب، ضباطاً ينتمون إلى محافظات جنوبية، وكان لافتاً أن معظم هؤلاء الضباط من الكوادر التي تحظى بمحبة الناس وتقديرهم، وهي كوادر مشهود لها بالكفاءة العالية والسمعة الطيبة، والخبرة في مجال تعقب الجماعات الإرهابية ومعرفة أساليبها وملاذاتها ومحاضنها واستحكاماتها وأحكامها.

ولئن كانت الدراجة النارية، بحد ذاتها وفي ذاتها، ليست موضع اللعنة والإدانة في الظروف الطبيعية وفي الحسابات العقلانية الباردة والهادئة، إلا أن الأمر ليس كذلك حين تستعر مشاعر الحنق والهياج والغضب العارم، كما هو الحال في المحافظات الجنوبية التي كانت، ولا زالت، تنام وتصحو على هدير الدراجات النارية والانفجارات والاغتيالات التي لم تتمكن الأجهزة المعنية وجيوشها الجرارة من الإمساك بتلابيبها وفاعليها -إلا في ما ندر- ما أفضى إلى اتساع فداحة الاختلاط والتشوش والانعدام إلى الدرجة التي سمحت بأبلسة الدراجة النارية ووضعها في قفص الاتهام وفي مرمى اللعنات والإدانات وكأنها جمرة الشيطان.

ذلك لأن الدراجات النارية لم تكن، في الأصل، من وسائل المواصلات العامة في كافة المحافظات

الجنوبية، ولم تكن الكميات المتوافرة في عواصم المحافظات، ومنها عدن، تُستخدم إلا على نطاق ضيق ومحدود من قبل رجال المرور في الحالات الطارئة، أو من قبيل الاستجابة لمقتضى دولة الاستعراض والزينة، حيث كانت تظهر كوكبة مختارة من الدراجات النارية الخاصة بحرس الشرف الرئاسي الذي تناط به مهمة مرافقة موكب رؤساء الدول الشقيقة والصديقة حينما يزورون عدن.

ولم يزدهر سوق الدراجات النارية في عدن التي تعتبر، حتى الآن على الأقل، المدينة الوحيدة في الجنوب وفي اليمن عموماً، الممتنعة على هضم فكرة أن تكون الدراجة النارية وسيلة مواصلات عامة، كما حصل في كافة المحافظات الجنوبية الأخرى التي دهمتها هذه الجائحة عقب اجتياح الجنوب في حرب صيف ١٩٩٤، وهيمنة نظام "ج.ع.ي" على مقدراته وثرواته، وتحويله إلى ساحة مستباحة للحرب والنهب والفوضى والتعويم والتعميم لنموذج سلطة صنعاء بكل علاته وويلاته التي لم تتوقف عند عملية استزراع عقال الحارات، وعند توليد وإعادة إنتاج وهندسة وتخصيب المشائخ والمشيخات وإشاعة مناخات الفوضى والاضطراب والطوارئ والاعتباط والعشوائية، وتدمير ما تحقق من تراكم اجتماعي في شكل الدولة وعلى مستوى سيادة القانون، بل تمادت في الإصرار على تكريس الجنوب كساحة حرب مستدامة، ونهب إلى آخر قطرة، وجيوب مفخخة بالمعسكرات والميليشيات والأسلحة وأمراء الحرب والدراجات النارية.

هكذا أصبح أبناء وأهالي المكلا، أو حوطة لحج أو زنجبار أو سيئون يفيقون هذه الأيام على هدير وفرقعات دراجات نارية، ليكتشفوا، وبعد ٤٧ عاماً من الثورة، ومن دولة الثورة، غياب الدولة ذاتها، وانعدام بناها، وانهيار ما تحقق من تراكم على طريق بنائها، وسيادة ما يمكن تسميته بدولة الرعب والاستعراض والحرب والعشوائية والهزائم والعصابة وحروب وصراعات ما قبل الدولة.

هكذا أصبح هؤلاء الأهالي ينظرون بعين الاستراحة والاستنكار للدراجة النارية كوافد جديد ومرعب ومنجز صاعق من منجزات سلطة ٧/٧، وتقنية قتالية ترمز إلى أفظع أعراض مرحلة الشفق والأفول، وتحلل "دولة الوحدة المعمدة بالدم".

وعلى هذا الإيقاع تتفاعل وتغتلي مشاعر الناس هذا العام بمناسبة ذكرى ثورة ١٤ أكتوبر التي حملت معها الكثير من الأحلام والآمال والأشواق، إلى أن صارت اليوم على كف دراجة نارية من ذلك الذي أودى بحياة الضابط باشراحيل في المكلا والبان في لحج و... ليس ثمة آخر لمحنة الدولة المنهارة إلا المزيد من الرعب والمزيد من المحن.

وسأختم بالإشارة إلى أن هذه الدراجة النارية تحتاج إلى مقاربة أخرى في مقال قادم وعدد قادم.

● «النداء»، العدد ٢٥٢، الاثنين ١٨ أكتوبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

يا لهذا النظام القيامي..!

لم يعد بميسور رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى، وحتى رئيس مجلس النواب، ونائب الرئيس ورئيس الوزراء وغيرهم من أصحاب المناصب الفعلية والاحتفالية، إقامة أي مهرجان جماهيري "حاشد" في الضالع أو ردفان أو زنجبار أو جعار أو... إلخ.

ولم يعد بمقدور حافلات الأجرة الكبيرة والصغيرة والخاصة والحكومية، وحتى المواكب الرسمية الرفيعة والمتواضعة، السفر من صنعاء إلى عدن أو العكس، عبر طريق الضالع، منذ فبراير ٢٠٠٩، بعد الإعلان عن وقف الحرب في صعدة الذي انطوى على تهدئة للأوضاع في الجبهة الشمالية الغربية ضمن منطق "الهدنة" الحاكم للعلاقات بين محاربي ما قبل التاريخ المتمرسين في فنون القتال، وفي إحداث الفظائع والأهوال، وفي تربيع البؤرة والدائرة حد تحويل الحرب إلى مجرد لعبة سحرية أو هواية أو تسلية وطنية إذا اقتضى الأمر، حيث لا تعوزهم شهامة الانحناء لاستضافة أية حرب محتملة، بديلة أو مناوبة، إذا ما كانت أكبر وأوفر، أما إذا ما كانت شاملة ومفتوحة، فتلك هي النعمة وجنة القبيلي على أرض الله، وأية نعمة يمكن أن تضاهى بحرب يكون مسرحها بمقدار مسرح حرب ١٩٩٤ -الجنوب- لكائن انثروبولوجي كهذا!

وحتى لا نخرج عن الموضوع، سنرجع لنقول إنه لم يعد بمقدور محافظ أبين ووكلائه ومدراء العموم في المحافظة، وجميعهم يقيمون في عدن، الوصول بالسيارات الحكومية إلى عاصمة المحافظة زنجبار، كل صباح، ليزاولوا أعمالهم، كما اعتادوا قبل أكثر من شهرين، لأن الطريق الذي كان سالكاً، قدر الإمكان، صار مهلكاً، ولن يرجع كما كان، وما عاد في الوقت متسع لاحتمال "قيادات" تهبط على

زنجبار في بعض الصباحات بـ"البراشوت"، وكأنها قادمة من كوكب آخر، لتمارس ترف التنزه في الأدغال، وركوب الأخطار، ومقارعة الخطوب، وترجع إلى عدن أو صنعاء منتفخة ببطولات لا أصل لها ولا فصل، ومطالبة بعلاوات لا حد لها.

وإذا كانت الأقدار والصدف تحالفت لتمكن محافظ أبين من الفوز بعمر جديد بعد نجاته من كمين اغتيال أودى بحياة شقيقه، ومكنت محافظة شبوة ثم محافظ لحج من الفوز بنفس الفرصة، حتى قيل إنهم، جميعاً، نجوا من القتل بما يشبه "المعجزة"، فقد صار من الأحرى، بكل من نجا، أن يتذكر أن المعجزة لا تتكرر، فهي ليست حمارا!

وفي السياق، يبدو أن أبين وشبوة وغيرهما من المحافظات والمناطق التي تعرضت لعملية تجريف واسعة من معالم وعلامات وهيئات ورموز السياسة والمدنية، وصارت مراكز السلطة المحلية والإدارية والأمنية فيها مهجورة وخاوية على عروشها إلى درجة لا تسمح بغير اجتذاب الضالعين في الضلال والظلمات، والجسورين في تأليف الدويلات والإمارات وفبركة "القاعدة" على طبق مستعجل يستجيب لشهوة السلطة في صنعاء المتحفزة للانقضاض على أي طبق من هذا النوع الذي يؤبد ويديم بقاءها على العرش!

وليس بخافٍ على أحد أن طبول الحرب ومدافعها وطائراتها ومتفجراتها المدوية في ساحات الجنوب، قد جاءت في إطار تكريس الجنوب كمسرح لحرب مستدامة، ومن أجل ضرب قوى ومكونات الحراك السلمي الشعبي التي راوحت كثيراً ولم تفلح في بلورة تعبيرها السياسي الموحد، وهدم جسور التواصل والحوار السياسي التي راوحت، هي الأخرى، وترنحت إلى أن جاء يوم إعلان قيام ساعة الحرب على "القاعدة"، وخلط الحابل بالنابل بالعاطل، وتصفير الساحة، و"هدم المعبد" على طريقة عليَّ وعلى أعدائي.

تلك هي الترجمة الأولية لمعطى الحرب المفتوحة والشاملة على "القاعدة"، والانحدار نحو مهلكة التشظي والتمزق باندفاع جنوبي يوحي بأن "النظام" الحاكم يخوض سباقاً غير معلن مع نظام البشير في السودان، ويستعجل هدم "المعبد"، وبالأحرى اليمن بضربة استباقية، وقبل أن يكون مطالباً بالرضوخ لمنطق الاستفتاء، أو نيفاشا!

● «النداء»، العدد ٢٥٣، الاثنين ٢٥ أكتوبر ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

إنها مرحلة ما بعد "الطرود"

يحز في نفسي كثيراً، أني لا أستطيع الوقوف على تعليق الصحافي الأمريكي خوان ويليامز الذي أبرمت معه قناة "فوكس نيوز" قبل أيام عقد عمل بقيمة مليوني دولار في العام، وكان ذلك عقب إقالته من الإذاعة الأمريكية العامة.

ومـن انفجـار خبر الطرود المشـبوهة أو المفخخة التي قيل إنها كانت مرسـلة مـن اليمن عبر دولة الإمـارات وبريطانيـا، إلى الولايات المتحدة، لتسـتهدف معبدين يهوديين في شـيكاغو، اسـتحوذتني رغبة معرفة تعليق ويليامز!

ترى هل سيقول بأنه لن يتعايش مع فكرة السفر بأية طائرة تحمل في جوفها طروداً مرسلة من أي بلد إسلامي، وخصوصاً من اليمن التي صارت الطرود المرسلة منها بالشحن الجوي مثيرة للرعب، ما دفع العديد من الدول الغربية لأن تسارع بالإعلان أنها لن تستقبل أي طرود قادمة من اليمن!

لاشـك أن ويليامز سـيجد في خبر الطرود ما يسـند موقفه في تبني أكثر الآراء تطيراً وتطرفاً تجاه المسلمين.

ولا شك أن موقف الإذاعة الأمريكية العامة سيكون أصعب مما كان عليه حين اتخذت قرارها بإقالة هـذا الصحافـي، وهو كان واحـداً من أبرز المحللين الإخباريين فيها، بعد يومـين من تصريحاته لقناة "فوكس نيوز" بأنه يشعر بالتوتر عندما يصعد إلى طائرة إلى جانب مسافرين مسلمين!

ورداً على تعليقات ويليامز كانت الإذاعة الأمريكية قالت بأن تلك التعليقات "لا تتماشى مع معاييرنا الصحافية وأخلاقنا"، وفي أعقاب إقالته قال الإذاعة إن ويليامز ينتهك فكرة المؤسسة بالحيادية التي هي لب الصحافة الأمريكية الحديثة.

وكتبت فيفيان شيلر المدير التنفيذي للإذاعة الأمريكية: "إن أغلب تعليقات ويليامز تنتهك معاييرنا وقيمنا، وهي بذلك تسبب ضرراً بالغاً للكثيرين".

وقبل إقالة ويليامز الأربعاء قبل الماضي، سجل مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" موقفاً قوياً حين طلب من الإذاعة الأمريكية توضيح الحقائق بشأن تصريحات أحد محلليها الإخباريين الذي قال إنه "يعتقد بأن كل المسافرين على الطائرات من المسلمين يشكلون تحدياً أمنياً"!

واحتدم السجال بين موقفين وتصورين لمهنة الصحافة وقيمها، وتحيز الكثير من المحافظين والجمهوريين مع ويليامز، بمن فيهم زعيم الجمهوريين في مجلس النواب، الذي استنكر إنفاق أموال دافعي الضرائب الأمريكية على إذاعة ذات ميول يسارية!

واليوم، وفي ضوء انفجار خبر الطرود، رجحت كفة ويليامز وأعوانه، والشاهد على ذلك تناولات وسائل الإعلام الأمريكية والغربية لخبر الطرود، واستعار حمى الهذيان والهوس العنصري المدمر، والقفز باليمنيين وبلادهم ودولتهم الهشة إلى رأس قائمة أولويات الاستهداف بالحرب العالمية على الإرهاب، ووضعها -أي اليمن- في عين الإعصار ومرمى الملاحقات وحملات التفتيش والتنكيل التي يمكن أن يتحولوا بفعلها إلى كائنات مذعورة من الأضواء والعدسات المجهرية ومن المطاردات في مطارات العالم وفي الأحياء اليمنية الهامشية والمغاور غير المرئية.

ولم يعد الوقت يسمح بأي قدر من النزق وخفة العقل وإطلاق الكلام على عواهنه، وإلقاء التهمة على كبش فداء مستعجل، لأن ما حدث يشير إلى انفلات الأمور وخروجها عن دائرة السيطرة، ويدعو إلى الإقرار بأهمية شراكة الأطراف الإقليمية والدولية في مواجهة تنظيم القاعدة، والاعتراف بأن هامش المناورة صار أضيق من خرم إبرة، وهو يرغم السلطات في صنعاء على فتح الأبواب لدخول المحققين الأمريكيين والغربيين إلى البلاد، والكف عن الاجترار السمج لمأثورة أن "اليمن لن تسمح بالتدخل الخارجي في شؤونها"، إذ ليس من المعقول أن تكون اليمن منصة لإطلاق عناصر الإرهاب العابر للقارات والمستهدف لأمريكا في عقر دارها، وتصادر على أمريكا وغيرها الحق في معرفة دوافع ومواقع الأفراد والجماعات التي تبذل كل الجهود وتتحين كل الفرص لإلحاق الدمار وإحراق الديار في أمريكا وغيرها بما فيها.

هكذا صار على صنعاء أن تقرأ كلام مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض، القائل بأن اليمن أخطر من أفغانستان، وفرع القاعدة فيها صار أخطر من أي فرع في العالم، بمعناه الحرفي تماماً، وبدون أي نقصان.

المؤكد أن اليمن في مرحلة الطرود وما بعدها، لن تكون كما كانت عليه قبل الطرود، فقد صارت على رأس قائمة المستهدفين بالمطاردة والمهروسين بعوامل الضغط والطرد من العصر والتاريخ.

● «النداء»، العدد ٢٥٤، الاثنين ١ نوفمبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

واليمن توشك أن تنفد!

انطلاقاً من خبرته التاريخية العميقة والمؤلمة تحدث رضوان حرسي، نائب السفير الصومالي بصنعاء، الأسبوع الماضي، في لندن، وحرص على لفت وتحذير اليمنيين سلطة ومعارضة من انهيار بلادهم على نحو ما انتهى إليه مصير بلاده.

وقال حرسي في الندوة الدولية الخاصة باليمن، والتي نظمها معهد الدراسات الملكي البريطاني "شاتهام هاوس"، مطلع الأسبوع الماضي، إن بلاده تعاني من انفصال في الشمال وغياب دولة في الجنوب ونشاط واسع للقاعدة والمسلحين، وأن على اليمنيين أخذ العبرة مما يجري في الصومال قبل فوات الأوان.

وبما أن الابتلاء بلعنة الاستعلاء النرجسي الأجوف تجاه الإخوة والجيران في الصومال والقرن الأفريقي، يصيب معظم اليمنيين في الصميم، فإنهم يستكثرون على الصومال حتى أن تكون "عبرة". والراجح أنهم سيتأخرون عن النهوض بواجب الاعتبار بما صار في تلك الديار، ولن تلتقط القوى السياسية اليمنية في السلطة والمعارضة وكافة الأطياف والأطراف المدعوة إلى الالتفات لتصريحات وتلميحات حرسي، هذه الفرصة الذهبية، ولا يلوح في الأفق ما يبشر أو يؤشر إلى توجه سريع وجاد في هذا المسعى.

الأكيد والواضح أن العكس هو ما يحدث تماماً، وتطالعنا الشواهد والمعطيات بأن نشطاء تنظيم القاعدة في اليمن و"شباب المجاهدين" في الصومال سيحرزون سبقاً واضحاً في هذا المضمار، وليس ثمة ما يمنع أن يكونوا هم الطرف الأسرع في التوجه إلى وضع ذبذبة الأحداث على خط ناظم، ونسجها في خيط واحد، تمهيداً لانتقالهم بل وإعلانهم عن انتقالهم إلى إطار موحد يجمع بين تنظيم القاعدة في اليمن وشبه جزيرة العرب و"شباب المجاهدين" في الصومال، ويوحد طاقاتهم وقدراتهم،

ويوسع نطاق عملياتهم وحركتهم ومناوراتهم المنسقة في مسرح لا تترامى أطرافه من عمق جزيرة العرب لينتهي عند السواحل الصومالية الممتدة لأكثر من ٣ آلاف ميل، والمتشاطئة مع معظم بلدان القرن والشرق الأفريقي فحسب، وإنما ينفتح ليكون منصة انطلاق نحو العالم برمته، ما يعني انتقال "القاعدة" هنا وهناك إلى طور جديد لن تستطيع عضلات الأساطيل العسكرية احتواءه، ولن تستطيع أية قبضة أمنية اصطياد غربانه أو الإجهاز عليه مهما أوتيت من قوة، وقد تصبح محنة الاستنقاع الأمريكي في برك الدم بأفغانستان التي استغرقت ١٠ أعوام حتى الآن، مجرد نزهة بالقياس إلى ما ينتظرها في اليمن والصومال، حيث الحرب هي الخبز اليومي والرياضة اليومية والقومية الطاغية.

وعوداً إلى ندوة معهد "شاتهام هاوس" الذي ينبغي أن تكون وثائقه متاحة للمعنيين والمهتمين والرأي العام اليمني بصفة عامة، يتوجب الالتفات إلى ما صدر عن وزير التنمية الدولية البريطاني ألن دانكن، فهو قال: نفط اليمن ينفد، ومياه اليمن تنفد، وربما الوقت أيضاً أوشك على النفاد.. الوقت يمر بسرعة والأمور تسير إلى الأسوأ، وعلينا الآن أن نعمل شيئاً لإنقاذ اليمن قبل أن يكون الوقت متأخراً.

ولعل أوراق ومناقشات الندوة تقاطعت كثيراً عند نقطة فشل المانحين في كبح تدهور الأوضاع في اليمن، ولوح بعضها إلى انعقاد اجتماع أصدقاء اليمن في الرياض في فبراير العام القادم، باعتباره الفرصة الذهبية الأخيرة، ومن غير المستبعد أن يكون الباحث الأمريكي روبرت بوروز الذي شارك في الندوة، وهو متخصص في شؤون اليمن منذ مطلع السبعينيات، قد انهجس بهذا المعطى أكثر من غيره، حين قال: منذ عام ١٩٩٧ على الأقل أظهر نظام صالح مراراً أنه يفتقر إلى الرغبة والقدرة على جعل اليمن دولة لها مقومات البقاء والاستمرار. وقال: إن حجم الأزمات اليمنية وطبيعة الحكم المطلق الفاسد لنظام صالح يجعل من المستبعد أن يحقق المانحون الأجانب الكثير. وأضاف: وقف الانزلاق نحو انهيار أجهزة الدولة في اليمن يستلزم تنسيقاً مكثفاً للقوى الخارجية والمحلية من أجل إحداث تغييرات في السياسة الاقتصادية والاجتماعية والإدارة.

روبرت بوروس الذي قال لنا ذات يوم في صنعاء إن اليمن تدار من اللصوص باللصوص وإلى اللصوص، خلص إلى القول: "يمكن أن يكون لأصدقاء اليمن دور كبير، لكن سيكون عليهم استخدام أسلوب العصا والجزرة بفاعلية أكبر وبتصميم أشد مما فعل المجتمع الدولي في السابق".

أي نعم.. العصا والجزرة أهون، وليس إعلان الحرب على اليمن وتدميرها تحت شعار "تدمير القاعدة في اليمن" الذي رفعه أوباما ليستحضر صورة سابقه جورج بوش، حين أعلن الحرب على القاعدة ولتدمير "طالبان" في أفغانستان، وانتهى بتدمير أفغانستان، أو أعلن حرب القضاء على العراق وانتهى بتحويل العراق إلى أنقاض.

● «النداء»، العدد ٢٥٥، الاثنين ٨ نوفمبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

في حق اليمنيين بـ"فريق"!

يستحق المنتخب الوطني الكويتي لكرة القدم أحر التحايا والتهاني لفوزه بالنسخة الـ٢٠ من كأس الخليج، وهو فوز لا يرتبط بواقع أن هذا الفريق المميز أحرز الفوز لأنه استفاد من فرصة اللعب على أرضه ووسط جمهوره فحسب، وإنما لأنه استطاع أن يصدح بذلك النشيد الذي يردد ويعيد أن لعبة كرة القدم صارت من المؤشرات المهمة ووحدات القياس اللافتة لمستوى التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، بل الحضاري بصفة عامة لأي بلد، فهي صناعة بالمعنى التقني للكلمة وبالمعنى الواسع أيضاً، علاوة على أنها ثقافة وتربية ومهارة وخبرة واقتدار وبيئة حاضنة، ولياقة بدنية وذهنية ونفسية وانفتاح واقتدار و... وغير ذلك من الشروط والمقدمات التي تهيأت وأثمرت في دولة الكويت التي تستحق، هي الأخرى، كل التقدير والمحبة على هذا المنجز المبهج والمثير للمسرة والفرح، والجدير بالثناء والاحتفاء.

ويكفي أن تقديم الكأس لفريق الكويت الفائز بكأس دورة الشهيد فهد الأحمد الصباح، من قبل رئيس الجمهورية اليمنية، وهو الشهيد الأبرز للغزو العراقي الغاشم في أغسطس ١٩٩٠، قد انطوى على أكثر من اعتذار ورد اعتبار للكويت من نافذة كرة القدم التي أضحت من رهانات التجسير الفارقة للعلاقات بين الدول والشعوب في عالم اليوم.

وفي العموم، تمكنت منافسات خليجي ٢٠ من تخليق مناخات نفسية وذهنية تغوي الناس بالمرح، وتدهيهم على استعادة ما تمزق وتهتك واحترق من خيوط الأمل في طواياهم وحناياهم غير المرئية.

واستطاعت هذه المنافسات والمناخات حفز خلايا الأفراح والمسرات التي كانت نائمة، خامدة،

وملفوفة بالسخام والرماد، وأظهرت للعيان أن الجمهور في اليمن والشعب -إن شئتم- يستطيع فتح ثغرة كبيرة في جدار الانسداد السميك، وتبديد ليل الكوابيس، وهو يستحق شرف الاستضافة من قبل اتحاد "الفيفا"، وأن يكون ضيف الشرف، وفي صدارة النظارة والمشجعين للفرق التي سوف تتبارى وتتنافس على كأس العالم، بعد أقل من ٤ أعوام في بلاد السامبا والقرنفل: البرازيل.

وفي كل الأحوال، يجدر بأحزاب و"قبائل وشعوب" اليمن أن تلتقط هذه الانفراجة التي انفسحت بفضل وفعل خليجي ٢٠، وتكون كـ"القابض على جمرة"، وينبغي أن تحرص على توسيع هذه الانفراجة، ولجم أسباب ومظاهر ودواعي التدهور والانفجار التي تحيق بالبلاد من كل قصر ودار ومربع ومخضرية!

إن ترشيد وتوسيع جملة هذه الانفراجة التي نزلت علينا من السماء، وتحققت بما يشبه "المعجزة"، يدعو كافة "الفرقاء" في ملعب السياسة، وفي صدارتهم الحزب "الحاكم"، أن يرتقوا إلى مستوى هذا الجمهور الطيب الصابر، ويتدارسوا في إمكانية ترك الملعب لغيرهم، فالبلاد صارت في أحوج ما تكون لفريق آخر، مغاير، وجديد تماماً يلعب في السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع، ويستقطر الفريق المناسب لمنتخب اليمن القادم في كرة القدم.

ذلك أنه لم يعد في الوقت متسع، ولا في العمر بقية لتسيد (طاعون) المتنفذين الفاسدين الذين يتدخلون في صلاحيات مدرب فريق كرة القدم الأجنبي -مثلاً- ويفرضون عليه القواعد واللاعبين تبعاً لمنطق التراتب والنفوذ القبلي، لأن كرة القدم، كانت في الأصل، وستظل، لعبة مرتبطة بالمدنية، وقائمة على قواعد وشيجة الصلة بالمدينة، ولا يجوز بالمطلق أن تدار بمعايير الذهنية القبيلية، وغيرها من معايير الكائنات الانتروبولوجية المتغولة في هذه البلاد، والمنتمية لزمن: ما قبل كرة القدم وما قبل السياسة.

● «النداء»، العدد ٢٥٦، الاثنين ٦ ديسمبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

أمراء خبراء ولكن.. شركاء!

انطلاقاً من خبرته وخلفياته ومعرفته أصبح الأمير تركي الفيصل، الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العامة في السعودية، والسفير الأسبق للرياض في واشنطن، "خبيراً" استراتيجياً في شؤون الإرهاب وتنظيم القاعدة، وصار يدعى ويستضاف في أشهر المنابر والأكاديميات ليحاضر، كما فعل مؤخراً، في جامعة كامبريدج الأمريكية، حين بدا كمن يعلن اكتشافاً خطيراً ومثيراً بشأن صلة تنظيم القاعدة برجال القبائل في اليمن، ولفت إلى أن عناصر تنظيم القاعدة قاموا بإجراء اتفاقيات وعقد صفقات مع عدد من قادة القبائل اليمنية، ما ضمن لهم الحصول على مأوى آمن على غرار أماكن انتشار تنظيم القاعدة في المناطق القبلية الباكستانية!

وفي السياق جاء ما نشرته الوثيقة المسربة من ويكيليكس، من تفاصيل لقاء الأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية والمسؤول الأول عن ملف الإرهاب في المملكة، مع المستشار الأمريكي الخاص هولبروك، حين قال: إن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب قد وجد في اليمن أرضية خصبة، حيث إن الطبيعة مشابهة لأفغانستان!

وكان لافتاً في إشارته إلى أن سلطة الرئيس صالح قد "تقلصت إلى صنعاء، وفقد السيطرة على بقية البلد"، وإلى أن الرئيس صار يعتمد على ابنه وغيره من الشبان الذين ليس لديهم روابط جيدة بالقبائل اليمنية، وقال إنه على النقيض من ذلك فإن المملكة العربية السعودية لديها روابط جيدة بالقبائل -حسب الوثيقة المسربة من ويكيليكس!

وزاد أن بلاده تعول على استراتيجية الصلات المباشرة والدعم المباشر للقبائل "لنقنع اليمنيين بأن

ينظروا إلى المتطرفين كمجرمين وليس كأبطال".

وكما حذر الأمير تركي من التهديدات التي أصبحت تشكلها اليمن على أمن بلاده، وقال بأن "الإرهاب ينبع من اليمن وينتقل إلى المملكة"، فقد قال الأمير محمد بن نايف: "لدينا مشكلة اسمها اليمن"، واليمن "دولة فاشلة وخطيرة جداً، جداً، وفي منتهى الخطورة، وتتطلب التركيز".

وفي كل الأحوال، لسنا في وارد الدفاع عن دولتنا الهشة أو عن حكومتنا "الملطشة"، ولسنا بصدد تسجيل ضربة مرتدة على مرمى السعودية، ورد التهمة إلى نحرها، لاعتقادنا بأن الانخراط في هذا النوع من التراشق السجالي العقيم يعتبر ضرباً من "الإرهاب"، وسوف يصب في مصلحة تمويهه والتعمية على ينابيعه وعناصره ومفاعيله وأسبابه، وينبغي على الأوساط المعنية بقضايا الإنسان وحقوقه وحرياته، والحريصة على إشاعة المناخات المتعافية والأجواء المفتوحة والمتاحة لنقد "الإرهاب" فكراً وممارسة، هنا وهناك، ألا تنجر إلى هذا المطب المهلك لتساهم بقصد أو بغيره، في التستر على الإرهاب الذي تجذر من عهد طويل، وتوطن وتفشى في الأرجاء اليمنية السعودية بموجب قانون "التغذية المرتدة"، حتى صار بمثابة تربية وصناعة واقتصاد واستثمار، وشبكة واسعة من المنتفعين والمتكسبين والمستفيدين من الاستثمار في حقل الخدمات الإرهابية -يقال بهتاناً الدينية في الأغلب- وهي شبكة تمتد أذرعها ومراكزها ومؤسساتها ومعسكراتها، وينتشر جنرالاتها وأمراؤها ويتوزعون ويتبادلون الخدمات والمنافع من أطراف نجد والحجاز إلى خواصر المدن والمراكز القبلية في الجوف ومأرب وشبوة، وإلى أرجاء كثيرة واسعة، معلومة ومعروفة، وسرية في البلدين!

من هذه الزاوية يتوجب التنويه بأننا لا نستكثر ولا نغبط حق الأمراء في أن يكونوا "خبراء"، فذلك حقهم، ومن حقهم أن يكونوا "خبراء" في شؤون الإرهاب و"القاعدة" على المستوى الدولي، ولكنا نعتب عليهم كل هذا التعالي والخيلاء وما نراه من مظاهر تشير إلى تنصلهم من واقع أنهم شركاء أصيلون -مع الحكام في اليمن وحلفائهم على الأقل- في صياغة وصناعة الإرهاب، وينبغي أن ينسحب منطق تلك الشراكة إلى المستوى الذي تقتضيه عملية مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه، ومراجعة الموقف منه بأفق مفتوح وشفاف.

● «النداء»، العدد ٢٥٧، الاثنين ١٣ ديسمبر ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

تعالـوا نكسـر الصنـدوق

عن قواعد الإعراب في السياسة اليمنية

ووضعنا المبني على المجهول

عن الضمير المستتر والغائب في كل "حال"

عن جدول الضرب المعتمد سلطانيا

وأحكام الصرف لدى الحاكم

وعن تبرم "الحاكم" من الممنوع من الصرف، وتطيره من القسمة، وولعه بالنصب والضم و"لو" و"لن" والإملاء والجزم

عن طوفان لغونا وضمور بلاغتنا وانعدام المجاز في حياتنا، وانكشافنا من حروف "العلة"

عـن جمـوح انفعالاتنا وسـديم مفعولنا وسـراب أفعالنا، وإخصـاء الكتابة من علامات الاسـتفهام والتعجب

عن تعليق المضارع وتسلط "كان" وأخواتها وكافة الأفعال الناقصة

عن افتقار قواعد الإعراب في السياسة اليمنية لأي قواعد

لن توافينا تقارير المنظمات الدولية بأي جديد، مفيد ولن ينفعنا "أصدقاء اليمن"

وحتى وثائق ويكيليكس لن تخلصنا من براثن حروف الجر

ولـن نسـتقر علـى أي مبـدأ مصقول أو مبتـدأ ولن نفوز بحقنا فـي إنجاز الخبـر الصالح للتداول والنشر

وكمن أدمن الانجرار والاجترار

سوف نظل نتجرجر من أنوفنا إلى ما بعد أقاصي "الجرجرة"

ولـن نخـرج مـن دوائر الاسـتنقاع والتقلب مـا بين كل شـاهق ومنحدر إلا عندما نكف عن تشـبيح الوضـع، وتربيـع الدوائر، والتسـبيح بحمد الظلام، والتـوكل على المعجزة، والمنقـذ المنتظر، وعندما نستعيد نضارة الكلمة وأمشاج نطفتها، وطراوتها واخضرارها ورونق اعتراضها الحاسم على كافة مظاهـر الأفول الضـارب في الأرجاء، ومظاهر التعفن والتفسـخ والفناء المتكالبـة بضراوة يبدو أنها لـن ترضـى بأقل من الاسـتئثار بما تبقى لنا مـن حيز محدود وضيق في هذه الدنيـا لتقوم بترويضه وتدجينه بحدود لا تسمح بأكثر من إقامة المهرجانات القيامية والطقوس الجنائزية و"موتى يشيعون موتاهم" -حسب النبي أشعيا

لـن نخـرج من مخنق الحركـة الدائرية الصفرية إلا حـين نتمكن من ابتكار وصياغـة قواعد إعراب جديـدة للسياسـة اليمنيـة بجدول من ضـوء وجدائل من خيوط الغسـق، وحين يكـون الأفق مفتوحاً وأزرق ومتاحاً للاحتفاء بلغة جديدة، قادرة على كسـر الصندوق الأسـود لأيامنا الكالحة، وتفسير كل هذه الخيبة والسـقوط والتخبط بين الأطلال والخرائب، وتنشـيط خلايا التفكير النائمة في رؤوسـنا لتغامـر فـي سـبك صيغة أخرى للعيش والتحرر من اسـتبداد لغة الخشـب ومدونات كهنة السـلطان وتنابلته وحراس مقولاته "الامبريالية"

فما أخطر فسـاد اللغة وما أفظع اسـتبدادها، وما أحوجنا إلى لغة أخرى تسـاعدنا على قراءة ما نعيش ونشهد بطريقة مغايرة وعيون جديدة.

● «النداء»، العدد ٢٥٨، الاثنين ٢٠ ديسمبر ٢٠١٠

نافذة

منصور هائل

صبراً أيها الحالم الجميل

■ إلى العزيز منصور الحاج

أعرف صديقاً كان ولا زال بارعاً في "مراوغة الموت"، وقد نجا غير مرة، من حروب القبائل والاغتيالات، ومن أكثر الزوابع فوضوية وحماقة، وصار الأكثر قلقاً وأرقاً وتمرداً ونقداً واعتراضاً على كافة أشكال التعصب والعنف والكراهية وسوء الظن وضيق الأفق.

ذات مرة كاد صديقي هذا أن يلقى مصرعه كأي واحد من آخر عناصر السلالة الجيفارية المجهولة، وكان من الممكن أن يساهم بتعظيم رصيد أي طرف مقاتل من "الشهداء"، ويساعد في تحريك عجلة استثمار هذا الطرف أو ذاك عند استعراض الأرصدة والإنجازات في بلاد لا يزدهر فيها إلا هذا النوع من الاستثمار، وفي هذا النوع من الأرصدة: الدماء والشهداء.

المحزن أن هذا الصديق كان سيلحق بـ"قافلة الشهداء" باسم لا تعرفه عائلته كونه "انسلخ طبقياً"، واتخذ لنفسه اسماً آخر، لكنه نجا بما يشبه المعجزة.

كان ذلك في صباح اليوم الرابع أو السابع من أيام كارثة ١٣ يناير، وفي اللحظة التي كانت فيها يد قائد فرقة الإعدام المرتجلة، أن تضغط الزناد لتصرعه بجوار ملعب الحبيشي في كريتر /عدن، لولا تدخل صوت القدر عبر قائد عسكري طيب بدا يومها وكأنه "النبي الخضر"، حين صرخ بالإعداميين: توقفوا لا تقتلوا هذا (الرفيق)، فهو من أصحاب الأحلام الكبيرة، ويحمل رسالة لخلاص البشرية،

وقد قدم من زمن آخر، وليس له دخل بالتقاتل الدائر بيننا غير وقوعه في مصيدته، وأنا أعرفه من مقاعد الدرس النظرية بسجالاته المحمومة حول أنجع طريقة في "تغيير العالم"، وفي تقاسم الأحلام والكتب... إلخ.

لعل الهزة التي اعترت صاحبي يومذاك، واستمر سريان مفعولها في أيامه وأعوامه التالية، كانت قوية على نحو أفضى به إلى التمرد على الشخص الذي كانه، وصار فواراً بالأسئلة متبرماً من "ندرة القراء وغزارة الفقراء والأميين والظلم والجهل". ولم ينقطع عن السفر والترحال في الزمان والمكان، بقصد تحصيل المزيد من طاقة الدهشة عبر التفاعل مع خبرات ووجوه وتواريخ وحيوات وكتب جديدة تمنحه المتعة ولذة الألم والانبهار، وتعززه بالقدرة على استعادة لياقة التعلم والاكتشاف من باب الإقرار بواقع أن المرء لا يكتشف فداحة جهله بالعالم وبنفسه، بالدرجة الأولى، إلا عندما يمعن في اقتحام دروب المعرفة الشائكة، الجديدة، غير المألوفة، ويمتص المزيد والجديد من الأفكار والكتب، ويتنفس نسائم الحرية التي سوف تأتي عبر الاشتباك بأسئلة جديدة، وإعادة اختراع الذات بعيداً عن الأجواء المشوشة بضوضاء الجريمة وهتاف الجموع والأطاريح الشعبوية، البهلوانية والزائفة.

في الآونة الأخيرة، كنت أترقب وصوله إلى صنعاء لأناقشه في أمر استفحال الشعور باللاجدوى، والعجز، وفي تطاول ليل العراء الكابوسي الذي أصبحنا نقيم فيه، وفي "الرعب المقوَّى" الذي أصبح يمسك بخناق أيامنا، وفي السبيل الذي يمكن أن يساعدنا على مواجهة كل هذا القدر من البشاعة والتدمير والقسوة والتقتيل اليومي المبرمج، المجاني، وبشتى الأسلحة: البنادق والسكاكين والبلطات والمسدسات الصائتة والصامتة، والكهرباء والماء الملوث، والغذاء الفاسد، وقطع الرقاب، وبقر البطون، والمناهج المدرسية المؤدلجة، والصحافة الإنشائية التعبوية، وتمجيد العنف والتغزل بأدواته ومخرجاته، وانحسار مساحات الود والمحبة والاختلاجات الشاعرية العفوية تحت معاول التعبئة ومطارق الأيديولوجيا.

كنت بحاجة لسؤاله عن السبيل للنجاة من مخالب القطيع الذي اعتقدت أنه قد نجا منه، والخروج من حلق الدوامة وتجاوز عتبات الخرابة التي أسهمنا في صناعتها، وأصبحت ترسم خط سيرنا وتحدد مصائرنا، وتصيبنا بلعنة الوجود المستحيل!

كنت أعلم أنه صاحب خبرة كبيرة وغزيرة في تحمل الأثقال وأهوال الخيبة والفقدان وتجرع الأسى ومرارات الأوهام والأحزان، ولم يدر بخلدي قط أنه لا زال هدفاً لتطيرات الأنواء والأرزاء، وفائض العنف المتوحش في هذه الأرجاء، بعد أن أخذ منه الكثير.

صبراً أيها الصديق النبيل والحالم الجميل: منصور الحاج، ولك عظيم العزاء، ولنا معك، برحيل حفيدتك وابنتك وزوجها في تلك الجريمة التي هزت ما تبقى من ضمائر وأحياء وإنسان في هذه البلاد المنكوبة.

● «النداء»، العدد ٢٥٩، الاثنين ٢٧ ديسمبر ٢٠١٠

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

أهـو مـلاك أم إبليـس!

كل شـيء في هذه البلاد يتمحور ويتركز حول شـخص الرئيس، ويسـمح للرئيس بأن يتمركز في ذاته وحولها، فهو يتغذى ويتنفس من محيطه ومجاله الحيوي، ويتحصن بالقدر الذي يجعله لا يقبل بأن يضارعه أو يضاهيه أي شـيء أو أي أحد بمشـاعر الامتلاء والاكتفاء والعظام النرجسـي المتفاقم إلى الدرجة التي تمنعه من التسامح مع أية مناوشة أو خدش لمقامه المقدس، وتسوغ له التعالي على كافة أشكال المساءلة، والاستخفاف بأي نقد أو ملامسة دنيوية اعتراضية لأدائه، وإن كانت هامسة أو ناعمة وباهتة إلى أقصى الحدود.

ذلك هو الشرط الوجودي والسلطاني للرئيس في هذه البلاد، فهو لا يختلف عن أقرانه من الرؤساء العرب، وفي تلك البلدان التي يغيب فيها دور المؤسسـات، وينحسـر عن مجالها العام رداء السياسـة، وتنكشف على اختلاط مرعب بين عناصر طفولة الدولة وبدائيتها وبدويتها، وتفلت العصابة، وعربدة وحوش الغابة.

وفـي خضـم هـذه الهمروجة يسـود فقدان الاتجـاه والتوازن والعقـل أيضاً، ويصيـر الحديث عن بوصلـة السياسـة ضرباً مـن البهتان وانحطاطاً إلى مـا دون المهزلة المبتذلـة، ويضحك الجميع على الجميـع مـن غيـر أن يفهـم (الجميـع) أن النكتة على حسـاب الجميع! وفـي راهن هذه الأيـام، بل في مقتبل هذا العام ٢٠١١، احتد واشـتد واحتدم مسـتوى التمحور والتركيز على شـخص الرئيس علي عبدالله صالح الذي وجد في هذه الموجة ما يستجيب لطبعه وغرامه في هذه الدنيا، وانساب مع تيار هـواه ومزاجـه، وأكثر من قفزاته بـين المحافظات و(محاضراته)، وتحفز أكثر من أي وقت سـابق، من الأجـواء والمناخـات والبيانات والتصريحات المعارضة والصحافيـة التي بدت، ويا للغرابة والعجب،

مستثارة من تصريحات الحزب الحاكم المتعلقة بالتعديلات الدستورية التي تنصب، في جوهرها، حول تأبيد السلطة للرئيس، مغفلة بذلك أنها قد فرشت بخطابها السائد الطريق لهذا النوع من السلطة والسلطان، وضبطت الأمور على قياس (الرئيس) ومقاسه، وعلى النحو الذي يستجيب لإيقاع نبضه وأنفاسه.

وللمرة الألف تنكشف (المعارضة) في هذه البلاد وتتجه في قمة عرائها الإدراكي والمعرفي، وفي أبهى صور قصورها الذاتي المزمن والكامن في عدم إحساسها بواقع أن اليمن أحوج ما تكون إلى بناء المجال العام، مجال السياسة، الدولة، وبالأحرى دولة المؤسسات بما هي حل بديل ومخرج مختبر من نفق طغيان الشخصنة والشخص، ومن محشرة التذابح والتكالب على منصب الرئيس والرئاسة، على نحو كان، وما زال، يغوي كل نفس أمارة بالنهب، بارتكاب ذلك الشيء الذي اسمه "انقلاب" يتمخض عنه استبدال الرئيس القائم برئيس منتقم.

واستعرت حمى تلخيص واختزال مصائب وكوارث البلاد، في الآونة الأخيرة، بشخص الرئيس علي عبدالله صالح، مع تأكيد الحزب الحاكم أنه سوف يمرر التعديلات الدستورية، وعاودت المعارضة التأكيد بأن ذلك يعني تأبيد بقاء الحاكم وتأثيث الطريق لتوريث نجله عبر تصفير العداد، أو خلعه بالمرة، كما حدث مؤخراً.

ترى أين الاكتشاف في هذا الكلام؟

وكيف غاب عن بال هؤلاء الساسة أن أصل البلاء في بلادنا، وفي بلاد العرب الأقحام، كان ولا زال يكمن في اعتقادهم أن مقبض الأمم والبلدان يكمن في الولاية والرئاسة، وما كان له أن يتفشى ويتحول إلى طاعون أو جائحة طاحنة إلا على خلفية من غياب دولة المؤسسات والقانون والمواطن.

ومرة أخرى لن ينفع اليمن استمرار الفرقاء في ماراثون سباق الفئران هذا، واستنزاف القوى والطاقات في تركيز الخطاب على شخص واحد، والهرولة واللهاث بعد الرئيس، وملاحقة سكناته وخلجاته، خطواته و"مقولاته" وهفواته وشطحاته وتقلباته وتطيراته، تلميحاته وغمزاته، وفك شفراته حين يتحدث عن غياهب العهد الشمولي ومخاطر لسعات "الشمس"، ويتقرر كداهية أو هاوية ومركز للجاذبية وبداية للتاريخ ونهايته وأس البلاء وبؤرة المصيبة والكارثة أو منقذ ودواء، ومقدس وهلمجرا.

الحق أن اليمن قد أنهكت وأهلكت من التآكل في حلق هذه الدوامة، وهي أحوج ما تكون للخروج من براثن الوعي الجمعي العام الذي يربط كرسي الرئاسة بالقداسة، ويرهن قدرات وثروات وطاقات وخيارات البلاد برمتها في محبس هذا النوع من القراءة الكسيحة التي تعول على سلطة الأب والرئيس الخارق والمفارق للزمان والمكان و"الكاريزما" الكاريكاتورية في زمن صارت فيه الكاريزما هي كاريزما المواطن، القانون، المساواة، الإنسان.

● «النداء»، العدد ٢٦٠، الاثنين ٣ يناير ٢٠١١

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

بعـض خلفيـات الانفصـال

يأتي انحياز سكان جنوب السودان لخيار الانفصال عن الشمال، على خلفية التالي:

● إخفـاق النظـام بالمركـز في بلـورة صيغة "الوحـدة الجاذبة"، وفلاحـه في بناء شـبكة العصابة الطـاردة للدولـة، والوطـن، وعجزه عن المسـاهمة الفعالة في بنـاء دولة القانون والمواطنة والشـراكة الفعلية في السلطة والثروة بين الشمال والجنوب.

● فضل الجنوبيون الانفصال على وحدة يشعرون معها بالهوان والامتهان وانعدام الأمان وضياع حقوقهم الإنسانية الأساسية.

● إمعان الأقلية الحاكمة في المركز في الاستبداد والطغيان والفساد، والاستئثار بالسلطة والثروة، والاعتماد على القوة العسكرية والأمنية كوسيلة سيدة ووحيدة لضبط المجال العام ومصادرة الشارع، وقمـع حـركات الاحتجاج، وإخـراس صوت التظلمات السـلمية العادلة، ما دفع الأوضـاع نحو المزيد مـن التدهـور والتفجر، وأفضـى إلى انهيـار الخدمات الأولية، وانعـدام الحاجات الأساسـية، وتآكل بنيان الدولة لحسـاب تغول الأقلية الحاكمة التي أشـاعت مناخات الخوف والترهيب لتؤمّن لنفسـها نهـب الإيرادات والموارد والأموال العامة، و"شـفط" المسـاعدات والمنح والقـروض الخارجية بمبررات وهمية وواهية، وسـفه عربيد كان دوره حاسـماً في تخصيب البيئة الملائمة لظهور جماعات الجريمة المنظمـة والجماعـات الإرهابية والإجرامية الضالعة في جرائم القتـل والنهب والاغتيال والاغتصاب، وفي السـياق إياه كان نظام المركز في الخرطوم بزعامة البشـير، قد قام منذ مطلع التسعينيات بجمع الضالـين مـن مختلف الأمصار، ولملمة شـتات التكفيريـين والمتطرفين وقتلة الدين "المؤدلج" من شـتى الأقطار.

● وانساق نظام المركز في الخرطوم وراء نداء غرائز التطرف الكامنة والمتفجرة فيه، وحوَّل الخرطوم إلى مضافة وملاذ للمجاهدين العرب السوريين والليبيين والجزائريين والمصريين، وزد على رأسهم كبيرهم أسامة بن لادن الإرهابي الأشهر في العالم. ولم يكتفِ باحتضان هذا الصنف من المتطرفين والمقاتلين، بقدر ما أفسح المجال لكارلوس إيلتش راميز "ابن آوى"، لأن "يتخذ من إحدى حرائر السودان عشيقة يرتاد معها الحفلات الساهرة، تحت حماية أمن النظام الذي كان يريد منذ اليوم الأول لمجيئه أن يبيعه إلى فرنسا في مقابل منافع"، معاوية يسن، "الحياة"، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠.

● لم يتورع المركز في العاصمة عن التطويح بمصالح شعبه وبلاده، والشاهد على ذلك أنه سارع إلى تبني موقف منحاز للرئيس العراقي صدام حسين حين قام باحتلال الكويت، وحتى عندما لاحت مؤشرات إرغام صدام على الخروج من الكويت، واضحة وقوية، فإنه لم يتراجع عن موقفه العنيد وطبعه المسبوك من خشب وحديد، ما أدى إلى حرمان عشرات الآلاف من السودانيين من وظائفهم في دول الخليج العربي.

● لا شك أن المعارضة السياسية المفتقرة لقدر من النضج السياسي المطلوب والمنفتح على احتمال تأسيس الدولة قد دفع بالأقلية الحاكمة في المركز في اتجاه الهرولة النشطة نحو تفكيك البلاد منذ أكثر من عقدين، وأوصل الناس في الجنوب إلى اختيار الانفصال الذي لا يمكن عزله عن تشظي وانقسام تلك النخبة، وسريان فيروس الشرذمة في أوصال السودانيين عامة.

● هيأ الاستنزاف الماحق لموارد الدولة وتحويلها إلى مقاطعات وعزب موزعة بين أرباب الفساد الحاكم، المجال واسعاً، ليس لانفصال الجنوب وحده، وإنما لانفجار انقسامات وحركات تمرد أخرى، ونشوء دويلات وإمارات غير معلنة في الجنوب ودارفور وكردفان، ما يؤشر إلى انزلاق السودان نحو متوالية من الانفصالات التي لا آخر لها ولا كابح.

● كان نظام الإتاوات والجبايات والتقارير الأمنية والملاحقات البوليسية و"بيوت الأشباح" طارداً للآلاف بل والملايين من السودانيين الذين انتشروا في أصقاع الأرض، وكانت ممارسات تطبيق "أحكام الشريعة" على النساء المسرولات بالجلد وتنفيذ حد الجلد بحق أكثر من ٤٣ امرأة خلال عام واحد، كفيلة بوضع النافذين الفاسدين في الخرطوم تحت دائرة الانكشاف الفادح، وفي عين الاتهام بالجرم المشهود والمدان إنسانياً ودولياً.

تلك بعض خلفيات الانفصال التي دفعت إليه ممارسات المركز/ العاصمة: في السودان طبعاً، وثمة خلفيات أخرى لا يتسع المجال لعرضها في هذا الأسبوع.

● «النداء»، العدد ٢٦١، الاثنين ١٠ يناير ٢٠١١

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

توكل كرمان تفضح الملك العريان

تـرى من الذي قام بـ"تقويض السـلم الاجتماعـي العام" الزميلة الكاتبة والناشـطة توكل كرمان، أم الجماعة المسـلحة التـي ترصدتها ونصبت لها الكمين لتختطفها وهي فـي طريق عودتها إلى منزلها برفقة زوجها في الساعات الأولى من فجر الأحد الماضي، وهي مجموعة مسلحة بزي مدني وعسكري، كانت تسـتقل سـيارات شـرطة، وقـد اعترضـت طريق الزميلـة توكل، وصـادرت حاسـوبها وهاتفها الشخصي، واقتادتها إلى مكان مجهول، عُلم في ما بعد، أنه السجن المركزي، وهو أكبر مكان مجهول للمعلوم..؟!

ويـا تـرى من الذي كان ولا زال يقوض السـكينة و"السـلم الاجتماعي"، و"يثير الشـغب والفوضى" الزميلة توكل كرمان التي كانت في طريق الإياب إلى بيتها وأطفالها، وتوكل التي كانت ولا زالت تعبر عن اعتراضها على سـلطة الفسـاد والاسـتبداد بالكلمة المكتوبة والمسـموعة، وعبر أشكال الاحتجاج والتظاهر السلمي المكفولة دستوراً وقانوناً، أم الجماعات المسلحة و"الملثمة" -في أحايين كثيرة- التي تقدم على اختطاف الناشـطات والناشـطين المدنيين من الكتاب والصحفيين والحقوقيين والسياسيين المعارضين، لمجرد أنهم يمارسـون حقهم الدسـتوري والإنسـاني والطبيعي فـي الاعتراض، ويطلقون صـوت احتجاجهـم، ويعبرون عن تطلعاتهم وأشـواقهم في التغيير والحرية في السـاحات والميادين العامة وتحت الشمس..؟!

ترى من يمارس الحرب والحرابة -قطع الطريق- وينبغي أن يكون في قفص الاتهام والمحاسبة، ذلك الذي أثار الرعب والروع في نفوس أطفال وأسـرة الزميلة توكل كرمان، بإقدامه على عملية اختطافها

علـى تلك الشـاكلة الإجرامية، أم تـوكل كرمان التي اقترفت حلماً، وجاهـرت بأنها تتطلع، كغيرها من البشر في هذا العصر، إلى مواطنة متساوية وكريمة وعدل وحق وقانون وحرية؟

ويـا ترى من الذي يهز "السـكينة العامة" تـوكل كرمان التي تقدمت صفـوف الاحتجاج، واخترقت، ما يعتقد البعض أنه خطوط حمراء عندما مسـت "الذات الرئاسـية"، وقالت بضرورة التداول والتبادل والتغيير، أم أولئك الذين يتعقبون سكنات وخلجات ومكالمات وتحركات وخطوات ومكالمات كل ناشطة وناشـط، ويستبيحون الشـأن العام، كما ينتهكون الشأن الخاص، ويختزلون البلاد إلى مجرد ضيعة ومزرعـة، والعبـاد إلى رعايـا وعبيد، ويلاحقون الخصـوم بمكائد ما قبل التاريـخ، وكمائن عصابات الإجـرام البدائيـة والبدويـة، وأحابيـل المافيات العائلية الهسـتيرية، ويشـعلون الحـروب الصغيرة والكبيرة، ويقوضون أركان الدولة واسـمها وأساس وجودها عبر اعتمادهم الدائم على وسائل القمع والوقيعـة والعنـف، واحتكامهـم المجنون للسـلاح وتصفية المعارضـة، وانطلاقهم مـن بوابة الحرب المستدامة على كافة أشكال الاجتماع المدني والألفة الإنسانية والمعارضة المدنية، وارتكازهم على قوة الحرب كوسيلة وحيدة لاكتساب المزيد من الثروة والنفوذ، والحرب بما هي وظيفة اقتصادية، وغنيمة لا يعيشـون إلا بهـا حتـى وإن كان في ذلك اعتراض على ميول التاريـخ ومنطق العصر، وامتناع على تفهم الدرس من "زين الهاربين" في تونس!

أوسع من هامش:

سـلامات للمثقف العضوي النبيل الذي كان ولا زال في عين الإعصار وقلب اللهب ومقدمة صفوف المنافحة عن حقوق الإنسان من غير تجزئة، النائب الشجاع القاضي أحمد سيف حاشد، الذي تعرض صباح الأحد للاعتداء بالضرب مرتين من قبل عسس وجلاوزة القمع بقصد لي عنقه وكسر ذراعه. ولم تكن هذه الاعتداءات هي الأولى، ولن تكون الأخيرة، فقد سـبق أن تعرض هذا الإنسـان السـامق لأكثر من محاولة اغتيال. فليحي أحمد حاشد أنشودة ضوء هادرة في دنيانا.

● «النداء»، العدد ٢٦٣، الاثنين ٢٤ يناير ٢٠١١

نافذة

منصور هائل

المطلوب عاجلاً

عندما تسابقت الجماهير على اقتحام وإحراق مقرات الحزب الحاكم في العاصمة وفي عموم محافظات البلاد، كان واضحاً أنها تمارس الثأر من الذين قاموا بتزوير إرادتها ومصادرة صوتها بأحط أشكال الامتهان والبهتان والخسر وعلى النحو الذي راكم وفاقم من أسباب وعوامل الاحتقان تم الانفجار فالغليان الذي لم تخمد نيرانه بعد.

ذلك هو الدرس الأول الذي يجدر باليمنيين وفي مقدمتهم الحزب الحاكم أن يلتفتوا اليه بانتباه وإمعان قبل أن يدهمهم الطوفان، خاصة وأن حزب «الأغلبية الكاسحة» في هذه البلاد لا يختلف عن أقرانه إلا من زاوية أنه الأكثر فلكلورية وكوميدية وبهتاناً.

لقد انكشف الغطاء وسقطت ورقة التوت عن «الحاكم» والنظام التسلطي الاستبدادي الفاسد، وغاب عن الأنظار وفي سرعة البرق جيش المتفرغين الحزبيين في تونس الذي يزيد قوامه على ٩٠ ألف عضو، كما تلاشى الجيش الجرار من أعضاء الحزب الحاكم الذي يزيد قوامه على أربعة ملايين من أعضاء الحزب الحاكم في مصر كسحابة دخان كاذبة في سماء القاهرة، ولم يتحرك أي عضو من المتفرغين والقياديين لنجدة الحاكم وعائلته عندما اشتدت الحاجة إلى حزم الحقائب والفرار بما قل وزنه وغلا ثمنه.

وفي كل الأحوال صار فرقاء النخبة السياسية اليمنية والحاكم بالدرجة الأولى مدعوين لتدارك الأمور بخطوات استباقية جريئة وسريعة لأن أكلاف التأخير ستكون باهظة ومضاعفة، والشاهد على ذلك أن المنطقة العربية التي بدت يوم سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ وما تلاه من سقوط متلاحق

للأنظمة الشمولية في أوروبا الشرقية، وكأنها ممتنعة أو استثناء عصي على التفاعل مع الحراك الديمقراطي الذي دب في معظم الأمكنة حتى كاد العالم أن يتعايش مع هكذا «استثناء» قد وصلت واندرجت في الزمن -نقصد منطقتنا بصورة متأخرة- وجاء تدشين هذا الاندراج عبر «ثورة الياسمين» في تونس ١٧ ديسمبر إلى ١٤ يناير، وكانت فاتحة التهاوي والسقوط المدوي للأنظمة الاستبدادية التسلطية العائلية الفاسدة لتلحق بركب الأنظمة الشمولية التي سبقتها في رحلة الغروب قبل أكثر من عقدين.

وبمعنى أفصح يتوجب على الحاكم في اليمن أن يسارع إلى اتخاذ القرارات والإجراءات التي تردد عن اتخاذها زميله الأكبر حسني مبارك، كما تردد عن اتخاذها، من قبله، شقيقه غير الصديق، زين الهاربين بن علي، لأن من يتأخر عن فهم الدرس يدفع الثمن أكثر وأكبر، ولن يكون الثمن في حالة اليمن غير ضياع اليمن كلها تحت سعير مرجل لا يبقي ولا يذر، خاصة وأن هذه البلاد هي الحلقة الأضعف والأكثر هشاشة وانقساماً ورثاثة وغياباً للدولة والمؤسسة والمدنية والمدينة والمواطنة والألفة الجامعة والمواطنة المواطن بفضل «الجميع» والحاكم أولاً.

● «النداء»، العدد ٢٦٤، الاثنين ٣١ يناير ٢٠١١

نافذة

منصور هائل

ارحل

نقولها لشيء اسمه (النظام) الحاكم الذي عاث فساداً وخراباً وتسلطاً ونهباً، واختزل البلاد في أقلية قرابية مافوية ومعها زمرة من الأقارب والأزلام والعقارب والمرتزقة والمارقين والأفاكين والطبالين والبواقين.. وما إلى ذلك من العناصر التي انعقدت ضفيرتها الجهنمية لتشكل خلاصة المركب العصابي الكيبوقراطي -عصابة قائمة على الفساد والسرقة- أو السلطة الحاكمة التي استنفدت صلاحيات البقاء، وأحرقت أوراق إقامتها تحت الشمس، وصار لزاماً عليها أن ترحل.

ونقولها لذلك (النظام) الذي حكم أكثر مما يجب، وأطول مما يجب، من دون أن يملك أبسط المؤهلات، واستخدم كافة معاول الهدم والدمار، ومارس كافة أساليب تفكيك المجتمع ونسف أواصر الانتماء لشيء اسمه وطن، وخرَّب شتى المجالات والخدمات الأساسية والأولية، وقوض شروط الاستقرار والأمن والأمان، وأطلق العنان لعصابات الجريمة المنظمة، وأثار الغرائز البدائية والوحشية والعصبية، واعتمد (البلطجة) أسلوباً في إدارة البلاد، وفي تصفية الخصوم ومنازلتهم، ونشر الكذب والرياء والنفاق والفظاظة والعجرفة والعنف شارعياً، وعلى كافة مستويات التعامل، وزج بالغالبية العظمى من اليمنيين الصابرين والمنكوبين في عنق زجاجة أزمة العيش والوجود، وأفضى بمعظم اليمنيين إلى طرق أبواب السفارات الأجنبية، وتسول الحق بالهجرة واللجوء الإنساني، وحشرهم في دوائر الفقر والتبطل والتهميش والانعدام إلى الدرجة التي لم يعد بمقدورهم معها مواصلة بطولة العيش اليومي لأنها صارت تحدياً شرساً بسبب انسداد أبواب الرجاء والأمل، وهو انسداد مصمت وسميك، ولم تعد جدرانه الصماء تحتمل أكثر من كلمة واحدة: ارحل.

ونقولها لأن هذا (النظام) أصبح غير قابل للصلاح والإصلاح، فهو مضروب بالاختلال من ساسه إلى رأسه، وعلى امتداد أنفاسه، والاختلال من طبيعته، كما أنه متصل بعمق في بنيته، ومتواشج مع السياق التكويني لهذا (النظام) الذي كبر باختلالاته، وضخم وتورم وتفاقم حتى صار طاعناً في العطب والعطن والعفن، وفقد القدرة على ضبط تطيراته ونزواته العربيدة، والسيطرة على انفلاتات تفسخه وروائحه الكريهة التي غدت تزكم الأنوف وتسد مسام الأرجاء والأمكنة على نحو مهلك للأخضر واليابس، والزرع والضرع -كما يقولون- إلى الدرجة التي تدعوه إلى الرحيل اليوم والآن وليس غدا، فالرحيل بالنسبة لهكذا (نظام) مسألة لا تقبل التفاوض والتأجيل، فقد طول وتطاول كثيراً، وصار عبئاً ثقيلاً وكارثياً وأكبر مما تحتمل اليمن الواهنة وأهلها المكلومين.

ونقول إن هذا النظام يجب أن يرحل لأنه يستمد أسباب البقاء من انعدام الاستقرار، ويتغذى على الكوارث والنكبات والأزمات المتفجرة والحروب الصغيرة والكبيرة والمستدامة، حتى غدا أمر استمراره، يستلزم بالضرورة، نفي وإفناء اليمن واليمنيين، ولذلك أصبحت مسألة الرحيل المستعجل لمثل هذا (النظام) مسألة لا تقبل المساومة، فهي أقل كلفة بالقياس إلى ما يمكن أن يعنيه رحيل الشعب وضياع اليمن من اليمن من أجل سواد عين مثل هذا (النظام) الذي يخوض حرباً مجنونة على الشعب في كل الجهات والجبهات، في صنعاء وتعز، وفي صعدة والجنوب، ويعاقب البلاد والعباد جماعياً بالهراوات والخناجر (الجنابي) والأحجار والقنابل والصواعق الكهربائية، ويتفشى ويتباهى بأقبح ما فيه، وبما يقطع بحقيقة أنه لم يعد بمقدوره إلا أن يكون (بلطجياً)، وقاطع طريق، وأذية مستطيرة ومعدية غير قابلة للترويض واللجم، وليس ثمة علاج أو دواء ينفع معها غير: الرحيل.

ولا شك أن اليمن ستكون كريمة، وسوف تعفي هذا (النظام) من رسوم التأخير في الرحيل التي يجب أن يدفعها للشعب، ولن تسارع إلى اتخاذ إجراءات مصادرة أموال ومنهوبات الأقلية المافوية الحاكمة ومحاسبتها إذا ما تحلى (النظام) بحكمة الرحيل المستعجل.

وسنختم بالقول إن على هذا (النظام) أن يرحل لأن محنة اليمن لا يمكن أن تختزل بشخص الرئيس، فهي بحجم نظام وأكبر إن لم نقل بحجم دولة ينبغي أن تنجز، وفضاء عام يجب أن ينفتح على هواء سياسي نظيف يعيد لليمن رمق الأمل بحياة محتملة.

● «النداء»، العدد ٢٦٦، الاثنين ٢١ فبراير ٢٠١١

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

ما حدث في المعلا يدخل في الباب السابع!

أشـهد أني عشـت الأجواء السـابقة على رحيـل قوى الاحتـلال البريطاني من عـدن، وكان ذلك في منتصف غبش الطفولة، أو في المرحلة التي لم أكن فيها قد تمكنت من فك الحرف، ولم تكن فيها عيون عقلـي قـد تفتحت بالقدر اللازم لتأويل الوقائع وتفسـير الأحداث، أو لقـراءة وحفظ عناوين ومقولات السـرديات الكبـرى، ولـم أكن قد التحقت في عداد المتأبطين لمجلدات ماركـس ولينين وجيفارا أو ماو، وجلهم كانوا من المنذورين لإنقاذ العالم وتغييره على طريق إقامة جنة الاشتراكية على الأرض!

في تلك الفترة كانت عيون ذاكرة الدهشة قد تفتحت لدي بما يكفي لالتقاط العلامات والصور والمشاهد الصاخبة، وأتذكر أن قوى الاحتلال لم تشأ أن تلفظ أنفاسها بهدوء وترحل تحت جنح الظلام، بقدر ما أرادت أن تكون الساعات والأيام والأشهر القليلة السابقة والملازمة لرحيلها مجلجلة وعاصفة وحافلة بالاحتدام والعنفوان، ويومذاك بلغت المواجهات بين الفدائيين وقوى الاحتلال أشدها، ووصل الغليان إلـى ذروتـه القصوى، ولكني لا أتذكر قط أن عدد الشـهداء والضحايا قد وصل حتى إلى نصف أولئك الذين سقطوا في المعلا وأرجاء أخرى من عدن، الجمعة الماضية، ولا أتذكر أني شاهدت أرتال الدبابات والمصفحات وهي تجوب الشـوارع وتسـد الجولات ومنافذ التنقل والعبور من مدينة إلى أخرى، ولم يجرِ تقطيع أوصال عدن بين مخالب العسكر والانكشارية لآماد طويلة وعلى نحو ما هو حاصل راهناً، ومنذ أزيد من أسبوع في عدن، ولم أسمع قذائف الدبابات والأسلحة الرشاشة والكاتيوشا ومضادات

الطيران وهي تدوي في الأرجاء، وتقصف وتلهب ليل المدينة، وتلاحق العزل من المتظاهرين السلميين، وتطرد عصافير النوم والأحلام والسكينة من عيون السكان المساكين، وتشيع أجواء الذعر والكوابيس والموت، ولم أسمع أن قوات الاحتلال البريطاني كانت تستخدم القناصة المحترفين، وتضرب الرصاص الحي على الرأس وفي العنق والقلب، وتصطاد الناس إذا ما أطلوا من شرفات بيوتهم، أو إذا ما لاحت أشباحهم وهي تتحرك من خلف ستائر غرف النوم والمطابخ.

ولم يسبق أن حدث ما حدث في ليل الجمعة المنصرم بالمعلا، أيام الاحتلال البريطاني، وحتى في عهد حكم الحزب الواحد الذي شهد بعض دورات العنف الدموية، وكانت تنحصر في مربع الصراع على السلطة بين "الرفاق"، وكانوا هم ضحاياها ووقودها، وقلما تطاير شررها وأصاب السكان الأبرياء.

ولأني عشت ردحاً كبيراً من عمر الطفولة والصبا في مدينة المعلا، وتسكعت في أرصفتها وشوارعها وأزقتها، والتي شربت وجهي ورحيق عمري الفتي، وبما أني لا زلت أملك القدرة على استرجاع الكثير من مشاهد وصور وحوادث الأيام الحلوة والمرة في تلك المدينة، فقد هالني وراعني وهزني من الأعماق ما شهدت من ارتكابات ومجازر فظيعة ومروعة في وقت متأخر من ليل الجمعة، ويكفي أن يعيد المرء مشاهدة ما بثت بعض الفضائيات في يوم السبت، وفي أوقات لاحقة، ليقتنع بأن ما حدث يرقى إلى مصاف الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب، وهي جرائم تستوجب تدخل المجتمع الدولي ومجلس الأمن الدولي المطالب بوضع زمرة المجرمين والقتلة تحت الباب السابع، وإحالتهم إلى محكمة الجنايات الدولية. فالجريمة كانت تقع في مستوى مواصفات الجرائم التي ارتكبت في ليبيا من قبل زمرة القتلة هناك، وفي مقدمتهم "مجنون الحكم" وأكثر المصابين بجنون العظمة وجنون الإجرام: الدكتاتور معمر القذافي.

● «النداء»، العدد ٢٦٧، الاثنين ٢٨ فبراير ٢٠١١

نـــافـذة

منـصــور هائــل

في سؤال الضراوة الاستثنائية تجاه عدن!

■ إلى العزيز قاسم داود

لا زالت عمليات القمع والتنكيل والتقتيل التي تستهدف حركة الاحتجاجات والتظاهرات السلمية في عدن، تتسم بطابع استثنائي صارخ، فهي الأكثر ضراوة واستكلاباً ووحشية، وقد كان حجم وعدد ضحاياها من القتلى والجرحى في عدن يفوق بأضعاف -دون أن يعني ذلك أننا نريد مساواة الشمال بالجنوب بالقتل- من سقطوا في صنعاء وتعز وغيرهما، ما يؤشر إلى أن سلطة المركز في صنعاء تعتمد المعايير المزدوجة بسليقة مبرمجة، وتتعاطى مع حركة الرفض والتظاهر السلمي في عدن بمنطق الاستعمار الداخلي الصرف والفاضح، وهو منطق يحكم سلوك سلطة صنعاء تجاه عدن والجنوب عموماً، إذ يقوم على الغلبة، ويصدر عن ذهنية قبلية عسكرية لا ترى في الجنوب غير ساحة حرب، بل "دار حرب"، ومسرحاً رحباً لـ"الفيد": الغنيمة.

وعلى ذلك، كانت ولا زالت عدن في حسابات وتصورات هذه الذهنية، مدى واسعاً للاستباحة وتفلت كافة نزوات وغرائز النهب والثأر والقتل الجماعي، والترويع الجماعي، والإرهاب المتغطرس المحكوم بحالة سلطة تنتعش دوماً بقطع رأس أو رأسين (فوكو)، وتتأكد من وجودها وتطمئن عبر

إثارة مشاعر الذعر -حسب أبو بكر السقاف.

من هنا، كان إخضاع عدن والجنوب إلى "حكم عسكري يرقى إلى الأحكام العرفية الدائمة"، وتحويله إلى غنيمة بحجم وطن، ووطن بحجم غنيمة، والسطو على تاريخه وذاكرته وذكرياته وعلاماته بشراهة جهنمية متفاقمة ومضطردة تبعاً لمقتضيات ومعطيات الخط التصاعدي للحراك، حيث صار واضحاً أنه كلما تصاعد هذا الحراك وانتقل إلى أطوار متقدمة، سارعت السلطة إلى ممارسة أقصى درجات البطش، وعمدت إلى تحويل المهرجانات الجماهيرية الاحتجاجية إلى مهرجانات قتل جماعي ممشهد، وإذلال جماعي محفوف بالصخب.

وحتى عندما هتف الناس في عدن بالشعار الداعي لإسقاط النظام، على اعتبار أنه الأصل في كل البلايا والمصائب التي تعيشها البلاد شمالاً وجنوباً، ومن قبيل الاستجابة للواقع والإيقاع الموحد للحركة الجماهيرية الاحتجاجية التي عمت أرجاء اليمن، استنفرت السلطة كامل أدوات القتل والتنكيل الثقيلة والمتوسطة والخفيفة في عدن، وكشرت عن أنيابها الكلبية الضارية لتنهش العزل والأبرياء في عدن التي كانت ولا زالت في نظرها "دار حرب" وخيانة، واستمرأت مواجهتها من باب الاستعلاء بأكذوبة الوحدة المسلحة، وعلى اعتبار أن تلك المواجهة تدور زوراً وبهتاناً بين وحدويين و"انفصاليين مرتدين"، مع أن كافة الوقائع والشواهد تكذب ذلك الهراء، وتقول بأن المواجهة تدور بين "جباة غزاة" ومقهورين منهوبين مسلوبين يخوضون معترك استرداد حقوقهم.

والعجيب أن الكثيرين يتعجبون من أمر التعسف الاستثنائي الذي يتفشى في ممارسات السلطة وأجهزتها القمعية حتى عندما تقوم باعتقال قيادات الحراك والاحتجاج في عدن، وتحرص على نقلهم بالمروحيات وسيارات الطوارئ إلى سجون صنعاء، رغم أن مبدأ "فرق تسد" ليس حكراً على سلطات الاحتلال الأجنبي وحدها، ورغم أن هذا الذي يحدث يستحضر صورة "الأستانة" أو عاصمة دولة الخلافة والاحتلال العثماني، أو صورة عاصمة أية دولة احتلال أجنبي حين تقوم باعتقال القادة المعارضين الوطنيين في البلد المحتل.

وسوف نختم القول بسؤال: "ترى هل نستطيع أن نصنع وطناً في معترك التضامن ضد هذه السلطة المستبدة الفاسدة..؟!

● «النداء»، العدد ٢٦٨، الاثنين ٧ مارس ٢٠١١

نـــافـذة

مـنـصــور هـائــل

منطق الساحة والساعة 25

لو كان الحاكم في بلادنا يعلم أنه صار في السـاعة الـ٢٥ التي يفوت معها كل إنقاذ، لكان بمقدوره أن يتفهم ما تقتضيه هذه الساعة التي تدعوه إلى التقاط ذبذبات الانتفاضة الشبابية الشعبية من أول إشـارة، والتحلي بشـجاعة الحاكم الخبير والبعيد النظر والمسـارعة في اتخاذ قرار الفرار من لحظة اندلاع أول مظاهرة جديدة، وقبل أن تسفك قطرة دم واحدة.

ويقـول العفيـف الأخضر، وهو مفكر تونسـي اسـتخلص الكثير من العبر من ثـورة تونس، وخرج بالعديـد مـن الإرشـادات العمليـة لأي حاكم عربي في ضـوء التجربة المرة للديكتاتـور بن علي، وعلى إثـر فـراره من تونـس في ١٤ يناير الماضي: "القائد البعيد النظر هـو الذي يعرف كيف يمر من هزيمة محتومة للحد من الخسائر".

وثمـة توافق واسـع على أن المجازفة فـي مواجهة ثورة جموع المعتصمين والمتظاهرين السـلميين المجمعين على هدف بسـيط وداخلي وموجز بعبارة واحده: إسـقاط النظام وتحرير البلاد من الرئيس وعائلته وشلة الأزلام والمحاسيب الفاسدة، ثمة توافق على أن الظفر هو القدر المنتظر والمحتوم لهكذا ثـورة لا تطلـب مـن الحاكم أو الرئيس سـوى أن يتفهم أنهـا لا تريد منه غير تنـازل وحيد لا يزيد عن تخليه عن كرسي الرئاسة.

في هذا المنحى كان كاتب هذه السطور يتمنى على الرئيس أن يتفهم الواقع الجديد والإنسان الجديد والوطن الجديد الذي تخلق في السـاحات، ويتفهم أن ما يعتمل ويغتلي ويمور في سـاحات وميادين

الحرية والتحرر صار يمضي في طريق اللاعودة، وقد جاءت مجزرة السبت الدامي وما تلاها لتدفع بالأمور إلى نقطة اللاعودة المؤكدة على خلفية استفحال شعور شباب الثورة بفقدان المستحيل إلى الدرجة التي جعلتهم يردفون شعار "ارحل" بالتشديد على مطلب محاكمة الرئيس والقتلة والمجرمين الذين اقترفوا ويقترفون المذابح الشنيعة في ساحات التغيير بصنعاء وعدن وتعز والمكلا وغيرها، ويشيعون أجواء الفوضى العمياء، ويغذون انفلات آلة القتل المجنونة والضارية، بزيت البلاغات والبيانات الديماغوجية الكاذبة والعصبوية، وعبر التعويل على الميليشيات والعصبيات والعصابات المسلحة، والنزاعات الجهوية والتمردات القبلية والمناطقية والقروية.

وكأن الحاكم وأعوانه في هذه البلاد لم يفهموا الدرس، ولا يريدون أن يفهموا، وإلا لما تكررت نفس الاسطوانة المجسمة بالمبادرات المتأخرة، ولما تكررت تجربة الاستعانة بالقوة المفرطة والميليشيات المسلحة والمرتزقة والبلاطجة، ومحاكاة أسوأ وأقبح ما نجعت به آلة الفساد والاستبداد العائلي المافوي في تونس ومصر وليبيا.

وعوداً إلى بدء، يبقى الأمل معقوداً على هامش التراجع الحكيم إلى نقطة المساومة والتسوية على قاعدة تحقيق الانتقال السلمي للسلطة بأقل الخسائر، وبما يفتح الطريق لإنجاز مصالحة وطنية وتقاسم عادل للموارد والامتيازات بين النخب والطبقات والجهات.

وطبقاً للمنطق القائل بأن المستحيل يصبح ممكناً في زمن الثورات، يمكن الرهان على فرص الربع الساعة الأخير من الساعة الأخيرة.

● «النداء»، العدد ٢٦٩، الاثنين ١٤ مارس ٢٠١١

نـــافـذة

منـصــور هائـــل

رئيـس الوليمـة اليتيمـة

تعجبـت من حالة الشـاب المسـلح الذي كان يسـير حافياً على الرصيف البارد فـي وقت متأخر من ليل صنعاء، وساورتني الشفقة تجاهه، ووجدتني أدنو منه لألفت جنابه الكريم إلى المخاطر الصحية المتأتية عن ذلك، فضحك، وتعجب مني أكثر، وراح يتفحصني من رأسي إلى قدمي بتقطيبات المتسامح الفطن، وقال ما معناه أن ما قلته ينطبق على الكائنات الرخوة والهشة و... التي تولد في المدينة، وكان مقتضباً وشهماً في رده الذي لم يقصدني مباشرة!

فـي اليـوم التالي كان مع أصحابه على الرصيف إياه، وسـمعته يعيد رواية ما حدث بيننا، وكانوا يقهقهون بأصوات مرتفعة، وقد أغدقوا عليَّ بالابتسامات والسلامات، سامحهم الله.

وفـي وقـت لاحـق أخبرت صاحـب المكتبة التي تقـع على الرصيـف المقابل لمقر سـكني، بما حدث، فأخبرني بأنه وقع في نفس المطب، ولم يعد يحشر نفسه في شؤون الجماعات القبلية المسلحة الوافدة التي أقامت في مخيم كبير يقع على رأس الشارع.

ذات مسـاء، التقيت بصاحبي الحافي ومعه بعض أصدقائه المسـلحين الحفاة، في المقهى، وسمعت منه أنه جاء مع جماعته من أجل "حماية صنعاء"!

لم أنخرط معه في سجال عقيم، وكان ذلك هو حال معظم سكان الحي الذين صاروا أقلية، وأصبحوا يتفاهمون بالنظرات والإشارات والغمزات التفسيرية لتصرفات الوافدين.

والواقـع أن الوافدين المسـلحين بالبنـادق والهـراوات والخناجر، صاروا يتزاحمـون على المطعم والمقهـى والبقالـة، وينفقـون بسـخاء، وفي ذلك بركـة، وقد أصبحنا نـرى بعض المتسـولين المقيمين و"المجانين" المألوفين والمعروفين و"الأصدقاء" يتحلقون على موائد عامرة في رصيف الظهيرة، ويأكلون

"الكبسة" بفضل الوافدين الذين يغدقون عليهم بالفائض من الطعام في مخيمهم: "معسكرهم"!

ويقولون إن كل ذلك بفضل الرئيس. الرئيس طاغية الخراب الممتد والوليمة اليتيمة.

الرئيس الذي ادخرهم بجهلهم وعوزهم كألغام موقوتة، ولم يلتفت إلى شعبه (العظيم) هذا إلا عندما اهتزت أركان سلطانه تحت ضربات الثوار الشبان واحتجاجاتهم السلمية في ساحات التغيير والحرية، وصوتهم الهادر: ارحل.

الرئيس الذي يمعن في إهانة شعبه (العظيم)، ويحول الجماهير إلى دمى يحركها حينما يشاء، ويتظاهر بها ويقاتل ويستغل حاجتها إلى الغذاء والكساء بأبشع الصور.

الرئيس الذي يحتقر شعبه ويحوله إلى قنابل تتفجر في بعضها، ويجبر الجميع على الإقامة في الكابوس، وتحت رحمة جلاوزة الأمن وقطاع الطرق والمافيا، وكافة المجرمين المحترفين للنهب تحت غطاء حماية النظام والشرعية: الرئيس وعائلته وزمرته، فهو الوطن والنظام و"الشرعية" و...

الرئيس الذي لا يحترم حقوق الإنسان، ولا يحترم القوانين، ويقول الشيء ونقيضه في نفس الوقت، ويشار إليه بالبنان كلما انهدت عمارة أو تقاتلت قبيلة مع قبيلة، ويخطر على الأذهان كلما مرقت سيارة بسرعة شيطانية في الشارع وهي لا تحمل لوحة أو رقماً، أو سيارة ذات زجاج عاكس يراك من في داخلها ولا تراه، أو سيارة مخالفة لشارات المرور وتهرول في اليمين بدلاً عن الشمال والعكس، أو سيارة تتزين نوافذها الزجاجية الجانبية والخلفية بصور فخامته، وتستخدم نفير الطوارئ والإسعاف، وتروع السكان، أو سيارة يقودها صبي شقي أو أبله وسكران، وتنهب الطرقات وتدهس -في الغالب -براميل ورجال المرور والسابلة، وترتطم بالجدران، وتصرع أصحاب البسطة والعربيات من غير أن تلتفت لصرعاها وقتلاها.

الرئيس وسياراته وارتكاباته وفظائعه التي لا تنتهي عند حد تحشيد الكثير من أبناء القبائل الطيبين، وحشرهم في مخيمات، وتعبئتهم لمقاتلة حملة الوعد بخلاصهم وإعادة ابتكار شيء اسمه "وطن"، بعد أن صُوِّر وتغلف باسم كائن خرافي يدعى: الرئيس.

هذا الرئيس الذي جعل من شعبه كومة محتقرة من البشر، غير مرحب بهم في مطارات العالم، لأنهم من بلد لا يصدر غير الإرهاب المفخخ و"القاعدة".

هذا الرئيس الذي يستكثر على المتظاهرين السلميين حقهم في التطلع إلى الحرية واستعادة المصير، ويريد تأبيد إقامة اليمنيين في الكابوس، أصبح من الكائنات غير المرحب بها، وعليه أن يرحل بأقل قدر من العناد الإجرامي.

هذا الرئيس لا يستحق التحية إلا لأنه تمكن من تحريض عقلي على تمحيص فكرة أن أنزل إلى الشارع حافياً لألتقي بصاحبي القبيلي المسلح الحافي، وأناقشه في أمر تدبير صيغة أخرى لـ"حماية صنعاء"، انطلاقاً من اقتناعي بضرورة المناقشة الحافية.

● «النداء»، العدد ٢٧١، الاثنين ٤ أبريل ٢٠١١

نافذة

منصور هائل

يمن ما بعد الساحة

كنت أتمنى أن يستعين الرئيس صالح بخبرته ودهائه ليميز الفرق الذي تنطوي عليه عاصفة ثورة الشباب عن غيرها من العواصف السابقة التي طالما نجا منها بإسناد من مكر التاريخ والصدف والأقدار، أو بالانحناء يوم كان يتمتع برشاقة عود البرسيم.

ولأن التمنيات لا تساوي شيئاً في ميزان السياسة ولا يمكن أن تدرك أبداً، فقد شاءت الوقائع والشواهد أن تطالعنا بالعكس وتكشف لنا أن الرئيس لم يتمكن من التقاط ذبذبات العاصفة وهي في مطلع هبوبها عشية رحيل دكتاتور تونس زين العابدين بن علي وعائلته وحاشيته الفاسدة في ١٤ يناير، أو حين ارتفعت وتيرتها مع اندلاع الثورة الشبابية الشعبية في مصر يوم ٢٥ يناير وبلوغها مستويات قصوى من العنفوان وبالاحرى النقطة الفاصلة مع رحيل دكتاتور مصر حسني مبارك في ١١ فبراير.

في تلك الغضون كان واضحاً أن اليمن تنعطف بحدة نحو عهد جديد وهو مجهول إلى حد بعيد حتى بالنسبة لصانعيه في الساحات، وكان واضحاً، أيضاً، أن يمن ما قبل الساحة لن يكون مثل يمن ما بعد الساحة، ولن ترجع البلاد إلى ما كانت عليه حتى في الاحلام.

وكان بمقدوره أن يتخذ قرار الرحيل بصورة مشرفة، ويسهم في تجنيب اليمن مخاطر التفكيك بالعصابات المسلحة والمافيا والنزاع بين الجهات.

ولكن المؤسف والمحزن أن الرئيس لم «يفهم» ولو على طريقة بن علي، ولم يعتبر بما كان من أمر حسني مبارك، ولم يلتقط العديد من الفرص التي تهيأت لتساعده على حسم أمره في اتجاه الرحيل الآمن عبر القبول بترتيب عملية الانتقال السلس للسلطة قبل أن تسفك قطرة دم واحدة في ساحات

التغيير.

ووقع في المحذور عندما أعلن الحرب على الشباب والشعب، وهو إعلان أسهم في تجذر واتساع حركة الاحتجاج، وصار مفتوحاً على احتمالات كارثية يعلم الجميع أن مردها يكمن في إصرار الرئيس على التمسك بالعناد العصابي وشجاعة اليأس التي يمكن أن تضفي الشرعية على الشعارات والحركات الراديكالية والمتطرفة والعنيفة، وذلك ما نشهد أماراته وعلاماته في محافظة أبين اليوم وغيرها.

وليس ثمة ما هو أكبر من الكارثة إلا حينما تصبح -أي الكارثة- هي الوعد الوحيد الذي ينطق به الرئيس ويزف بشراه لليمنيين جهاراً نهاراً وفي كل حين.

وعلى الضد من إرادة الشعب وميول التاريخ صار لسان حال الرئيس يقول: «إما أنا أو لا أحد»، وذلك ما يعنيه عدم التفاته لمطالب الشعب أو لمبادرات الاشقاء والاصدقاء التي تلتقي، جميعها، حول نقطة تأمين الانتقال السلمي للسلطة: الرحيل.

المصيبة أن الرجل صار يتعامل على شاكلة القرصان المختطف للرهائن بقدر محير للأشقاء والأصدقاء المرتبكين أمام فداحة التحدي الذي يعنيه اختطاف ٢٤ مليون نسمة فقط أو تخليصهم من قبضة القرصان.

لعلها حقيقة عارية وصادمة في ذات الوقت، وينبغي أن تسترعي الكثير من الانتباه والحذر، كما يتوجب النظر إلى عبارات التهديد والوعيد حول تحول اليمن إلى أكثر من أربعة أشطار أو دفعها إلى براثن الفوضى العمياء على الطريقة الصومالية بوعي يقظ ومسؤول.

وفي السياق لا بأس من الالتفات لكل الإشارات والتصريحات والوقائع التي تعول عليها المقاومة اليائسة والمدمرة من قبل الرئيس وزمرته من زاوية حساب الكلفة وتدارك المخاطر أو الحد منها، خاصة وأن الرجل مازال يراهن على تدخل الخوارق والمعجزات وسقوط المطر وانقسام الساحات ونفاد صبرها، وعلى عامل الوقت قبل كل شيء وبعده، ويصر على عدم التقاط الفرق الذي يميز عاصفة ثورة الشباب عن سواها وعما قبلها، وهي عاصفة لن تهدأ إلا برحيله، وذلك ما لا يعيه ولا يريد أن يفهمه، فهو يعي أنه مازال قادراً على تفجير السفينة بما ومن فيها من رهائن، وفي أسوأ الاحوال، فإنه سوف يساوم على تسليم الرهائن بفدية أكبر من باهظة.

والخلاصة أن مشوار هذه الثورة الملحمية التي نشهد لن يتوقف، وسوف يمضي حافلاً بالمفاجآت، وفي توسيع الذهنية الجديدة والانسان الجديد، وهو ليس بالمشوار القصير، وعمر الثورات ما كانت نزهة أو كانت بلا ثمن، خاصة اذا كان مقصدها تخليص وطن وشعب من براثن اختطاف دام ٣٣ عاماً إلى الدرجة التي أصبح معها «الرئيس» على اعتقاد راسخ بأنه قد تملك البلاد والعباد معاً.

● «النداء»، العدد ٢٧٢، الاثنين ١١ أبريل ٢٠١١

نافذة

منصور هائل

الحاكم وظلُّه

سمعت قبل فترة أن قناة "الجزيرة" تهاتفت مع الزميل صلاح الدكاك إلى تعز واتفقت معه على معاودة الاتصال بعد خمس دقائق، وفي الأثناء كان هناك من يسترق السمع من عناصر الأمن القومي المختصين بالسهر على الحدود وما وراءها، والتنصت على مكالمات الناشطين، وقاموا باختطاف المكالمة وتحويلها على الرقم إياه إلى متحدث آخر -من الأمن القومي طبعاً- تحدث باسم صلاح الدكاك الذي كان ينتظر وهاله أن يسمع أحدهم وهو يتحدث باسمه ويصرح بكلام يناقض قناعته ورأيه، ويستفز ضميره ويثير جنونه بتمجيده للنظام وزعامته وتحقيره للشباب والثورة وساحات التغيير وميادين الحرية.

يومها ضحكنا كثيراً وتندرنا بلا حدود من القفزات التي تحرزها السلطة في مجال تقنية الاختطاف وتزوير الأصوات والإرادات، واعتقدنا أن الأمر لن يتكرر قط، فلكل شيء حدود، بما في ذلك الغباء نفسه.

وفي الأربعاء الماضي سمعت أن أحد المقربين من رأس النظام يتقمص دور القائد الميداني الثوري وتهاتف مع قناة "الجزيرة" ليحدثها بأنه من طلائع المظاهرة التي كانت متوجهة إلى مقر رئاسة الوزراء، وراح يحدثها أنه من المفرزة التي اقتحمت مقر الرئاسة وشاهد عشرات الجثث وأنهار الدماء، وقال إن "الطاغية" يستعد للهرب إن لم يكن قد هرب و...

انفضح أمر ذلك "الناطق"، لأن الخالق جل وعلا قد حباه بصوت لا نظير له في اليمن ولا في كوكب الأرض قاطبة، رغم أنه يخلق من الشبه أربعين، وتلك حكمته ونعمته على معشر اليمانيين.

وإزاء ما حدث كان أن انجرت معظم الكائنات الآدمية المحسوبة على "النخبة" المعارضة في هذه البلاد، كعادتها، إلى مهوى التعجب من إصرار ومثابرة رأس النظام، دائماً وأبدا، على اختيار أسوأ الناس وأرذل البشر وتعيينهم كمدراء ووزراء وناطقين بلسان: الحاكم.

وليس ثمة ما يثير العجب في هذا المقام أكثر من هؤلاء الذين يريدون إرغام الحاكم على أن يقفز فوق ظله، ويخون طبعه ومزاجه وطبيعته، ويقولون إنهم: معارضة!!

لا شك أن هذا الصنف من المعارضة يقوم بتغذية "الحاكم" بالكثير من الزاد والوقود على النحو الذي يجعل من صعود الفاسدين والأفاكين والمهرجين المبتذلين والسفلة إلى أعلى المناصب والمراتب، سياقاً منهجياً وعلامة تعريفية عنيدة للنظام "الحاكم" والمتحكم برقاب وأرزاق ومصائر العباد والبلاد عبر هذه الأدوات القذرة.

ويبدو أن هذا النوع من المعارضة هو الذي يخدم تلك الأدوات، بقصد أو بغيره. والشاهد على ذلك أنه كلما ارتفعت أصوات الشكوى والاحتجاج على أي بواق زنيم، بالغ "الحاكم" في تكريمه وتعظيم دوره نكاية بالرافضين، وانحدرت البلاد إلى ما دون الحضيض وما بعد الانحطاط.

ويحدث، في الغالب، ألا تلتفت القوى المعنية بصياغة وتشكيل الرأي العام إلى المصيبة الأعظم، الناتجة عن غياب القراءة المطلوبة لفساد النظام حين يختار الأسوأ، دوماً، في كل المواقع والمقاعد، من زاوية أن هذا النهج الكارثي يجسد أخطر وأفدح أشكال الفساد، فهو يهدر مقدرات البلاد وموارها وطاقاتها البشرية ومواهبها وعبقرياتها لصالح حفنة من الفاسدين والأدعياء وذوي الرغبات الهجامة في انتزاع ما ليس من حقها، واغتصاب كل وأي سلطة، والتطويح بكافة المعايير وتقنين الأخطاء والخطايا، وإفساد الحياة العامة، واستلاب المجتمع وإفراغه من قدرات التدبير والتفكير العقلانية وأدوات إصدار الأحكام الصحيحة وبناء التقديرات المعقولة، وإفقاد البلاد إمكانيات اكتشاف طاقاتها الإنسانية وكفاءاتها البشرية ومعاييرها الأخلاقية.

وأخيراً، لا بأس من القول إن هذا الذي يحدث يستدعي إلى الذهن ما كتبه الأستاذ القدير أحمد بهاء الدين -رحمه الله- ذات مرة عن المخابرات الأمريكية حين اصطادت شخصية قيادية كبيرة في المخابرات السوفييتية وكلفتها بمهمة واحد فقط، انحصرت في أن تقوم تلك الشخصية بتصعيد الأسوأ عند الترشيح للمناصب العامة، لأنها كانت تعتقد أن ذلك هو السبيل الأمثل لتقويض الخصم، ويبدو أن ذلك كان من الأسباب الرئيسة في زوال إمبراطورية كان اسمها: الاتحاد السوفييتي العظيم.

● «النداء»، العدد ٢٧٤، الاثنين ١٦ مايو ٢٠١١

المحتوى

«النداء».. حس التأسيس العالي	٣
حق الدابة في استعادة دهشتها	٩
نافذة: قطعة من «اللحس»*	١١
الملحوس بما قدَّس وعَبَد	١٣
٢ تساوي ١	١٥
يرحمكم الله!!	١٧
دفاعاً عن يهود(نا)	١٨
الرئيس أم السفير أم الحمير؟!	٢٠
تعالوا نفكِّك أبي «الرعوي»!	٢٢
نظام القارورة	٢٤
فساد «العائلة المقدسة»	٢٦
حـافــظ	٢٨
في ما يحول دون علاج اليمن في «الخارج»!	٣٠
انقلاب اليمن على خيانة الشام	٣٤
شيخ الليل.. أسواق صنعاء ومجتمعها	٣٦
في مهب الحنين لـ«رأس»!!	٣٩
ليس «شور وقول»	٤١
أمـــــل	٤٣
الـحـفـــرة	٤٥
في ما جمع خوري بالأحمر	٤٧
خسر زوجته ولم يكسب «الوطن»*	٤٩
أضـغـــاث	٥١

المحتوى

زفرة معتقل ٥٣
رسوب في الحضانة ٥٥
المستحيل «الأهبل» ٥٧
١٤ أكتوبر في عهدة عزرائيل يا.. «ويه»! ٥٩
يا «أعبوس».. ابترعوا! ٦٢
مصيبة أن تكون رئيساً! ٦٤
على خط البيعة من ١٩٣٤ - ١٩٩٤ ..... ٦٦
أحمر يرفض الإجماع..!! ٦٨
«المشترك» بين باجمال والمالكي ٧٠
ويقال أكاديميون وأدباء..! ٧٢
لوزير الداخلية.. الكهرباء ٧٤
زوج المرحلة وأطياف مانديلا ٧٦
استمطار الصواريخ ٧٨
أرق الكتابة ٨٠
حزب الله الشعبي العام ٨٢
في وداع أنمار ٨٤
السعودية (×) و لو كانت (√) .. لماذا؟ ٨٦
قواعد سلوك ٨٨
وسواس برقصة فرح ٩٠
مؤتمر + مشترك = (١) ٩٢
في ترجمة الحشد ٩٣
أبو حنيفة وهذا.. (المؤتمر)! ٩٥

المحتوى

بن شملان الفائز بحجم ما يراه ٩٧
التجار يناشدون الرئيس إنجاز وعده ٩٩
.. والمشترك سلطة «رجعية» أيضاً! ١٠١
تخليـــق* ١٠٤
لمحاكمة صدَّاماتنا! ١٠٦
الحاكم ١٠٨
تضامناً مع الزميل نصر ١١٠
مسابقة إعادة تعريف اليمن ١١٢
رقص الهاوية ١١٤
زعماء اللادولة ١١٦
مضروب بمس «الزعامة» ١١٨
كبـــش الكتابـــة ١٢٠
بـــلاد أخـــرى ١٢٢
مجنون بصورته - حفظه الله! ١٢٤
حضر.. موت ١٢٦
غواية كربلائية ١٢٨
عدن «الطيب» ١٣٠
مراهق المصادفات ١٣٣
حق الحذاء برصيف الكتابة! ١٣٥
اعترافات راسب في الحساب ١٣٧
من شارع «قهوة أمريكية» ١٣٩
العفيف.. عفواً! ١٤١

المحتوى

عن صناعة الحكومة وابتكار الوزراء! ١٤٣
صدقت الغباري.. كالعادة! ١٤٥
الاستحمار في عنف تكرار ١٤٧
في ما قذف بالقذافي إلى صعدة ١٤٩
«ما إلك» إلا ساركوزي! ١٥١
المحمول القاتل؟! ١٥٣
هؤلاء: الإنجازات ١٥٥
في تعالق البطالة بالبطولة ١٥٧
إنه العرق الدساس ١٥٩
شفرة شحتور ١٦١
مستوطنة الكمائن ١٦٣
ذبحـــة مؤجلـــــة ١٦٥
هدهد إلى ثلاثة رؤساء ١٦٧
هذا هو «الشارع»: محكمة ١٦٩
عدن بما هي مجنون يبيع بيته وهو ميت! ١٧١
الجريك ٧٢ صباحك سعيد ١٧٣
عدن بلا ميناء (١-٢) ١٧٥
عدن بلا ميناء (٢-٢) ١٧٧
والجنون ليس هكذا!! ١٧٩
دونالد «دحباش» من تكساس ١٨١
«جنة عدن».. حرام لذيذ ١٨٣
أبعد من «كوجاك» ١٨٥

المحتوى

يعلم بما تخفي الجيوب! ١٨٧
والحق أني أستحق الحرمان من الوحدة المباركة ونعمتها!! ١٨٩
لمن كل هذي البراميل؟ ١٩١
اليمن.. فيديو بلال ١٩٣
ما قبل الحدأ وبعد شرعب ١٩٥
اليمن حينما تعرف بقدميها وليس بقدامتها! ١٩٧
الامتداد الكارثي لـ١٣ يناير ١٩٩
إنه تشميل الجنوب والمجد للحمار! ٢٠١
في مديح العطالة ٢٠٣
سياسة تحت درجة الصفر ٢٠٥
مع «الأيام» ٢٠٧
أبين ضفيرة طوفان ٢٠٩
١- صحافة الجنازة ٢١١
«العربية» حدث ٢١٣
إشارة المحمدي.. أبعد من «أصابع إسرائيل» ٢١٥
كلُّه من عبده! ٢١٧
طريق الإجماع مقطوع ٢١٩
استنقاع ٢٢١
جعار الإمارة أم المستقبل/ المقتل؟ (١-٢) ٢٢٣
جعار الإمارة أم المستقبل/ المقتل؟ (٢-٢) ٢٢٥
نثرية متوحشة ٢٢٧
ديمقراطية بالتجزئة ٢٢٩

المحتوى

خارج نطاق التغطية ٢٣١
معنى أن نتنفس صعدة ٢٣٣
مشروع الرجل OPEL ٢٣٥
كتابة في أفق الانتظار ٢٣٧
هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (١) ٢٣٩
هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (٢) ٢٤١
هؤلاء الجيران: «صدمة المستقبل» (٣) ٢٤٣
الخراطيش ٢٤٥
ما كل مرة تسلم القبيلة! ٢٤٧
وقفت النار.. أوقفوا الحرب ٢٤٩
مش معقول! ٢٥١
بوتفليقة يمنياً ٢٥٣
في مآلات إبرام عقد الزواج بين رجلين! ٢٥٥
الإسلام المذعور من لمسة «نور»! ٢٥٧
رمضان كريم ٢٥٩
لمراجعة وصفة الكارثة ٢٦١
اليمن: كم الساعة؟ ٢٦٣
فرقاء «الورطة» ٢٦٥
من يجرؤ على السؤال؟! ٢٦٧
صفر على الشمال! ٢٦٩
فخ القرصنة ٢٧١
تدويل عدن؟! ٢٧٣

المحتوى

حق الشباب في الانتحار والاختطاف والانفجار ٢٧٥
ولكن لا حياة لمن..؟! ٢٧٧
ماركس وهذه المرأة المنتهكة ٢٧٨
محتالون ونصابون على ظهر غزة ٢٨٠
و«الخطيئة الأصلية» هنا! ٢٨٢
فرانكشتاين خاص بصنعاء ٢٨٤
المغلس.. سيد الابتسامة ٢٨٦
أغرب من الشيطان ٢٨٨
محاكمة الرئيس المتجبر: الهش ٢٩٠
ما الفرق بين المؤتمر والزهايمر! ٢٩٢
من جنوب القمر: «نجاح» ٢٩٤
باب النجار...!! ٢٩٦
على أي نغم ستكون الرقصة ٢٩٨
قوة ذكاء البصل وما وراء الربوة ٣٠٠
العاصمة القاصمة ٣٠٢
على كف ذاكرة! ٣٠٤
أشباح صدام ٣٠٦
الشعور بالخجل على الأقل ٣٠٨
٧/٧ و«موقعة البقعة»* ٣١٠
سيد الفتنة ٣١٢
الجاني: الرمز ٣١٤
والفتوى المضادة..؟ ٣١٦

المحتوى

أنت في اليمن يا حسن!! ٣١٨
إمارة صعدة وبعد.. ..... ٣٢٠
إنا لله يا صاحبي ٣٢٢
استنقاع ٣٢٤
الظلام هو الحل ٣٢٦
ضوء فاسد ٣٢٨
بالبكاء صار أكبر ٣٣٠
الولد الخرافي ٣٣٢
أيوب محبة ٣٣٤
اليمن.. إنها الحرب! ٣٣٧
ليس من حق الحراك ٣٣٩
إلى العقلاء في الجوار ٣٤١
الجرذ والصرصار ٣٤٣
المحنة في السلطة و.. الرئيس ٣٤٥
رامبوي.. إيه يا رامبوي ٣٤٧
شهقة الأنفاس الأخيرة ٣٤٩
صنعاء على هامش كابل ٣٥٢
اليمني الهارب حتى من نفسه ٣٥٤
مجنون طائرة الخليج والجزيرة..! ٣٥٦
اليمن: «أفغانستان على البحر» ٣٥٩
الغرب حين يتحكم بـ"رحم المرأة اليمنية" ٣٦١
وإلى قلع العيون وقطع الألسن و..! ٣٦٣

المحتوى

لا تراجع ٣٦٥
طريق برلين ٣٦٧
شيء من شيرين ٣٦٩
أن تكون عدن بلا "جنبية"! ٣٧١
كرمان بيك "المخلوع" كأنه..! ٣٧٣
عقابيل الطبيعة المؤذية لـ"النظام" ٣٧٥
بمناسبة "المؤتمر" الماضي ٣٧٧
كارثية اكتساء الحراك باللون الأحمر ٣٧٩
رواية بحاجة إلى قراءة إجبارية ٣٨١
الإشارات السابقة إلى هذا الانفجار ٣٨٣
سلطة القاعدة وقاعدة السلطة! ٣٨٥
يمن آخر لاستضافة خليجي ٢٠ ..... ٣٨٨
الحاكم حين يأكل نفسه ٣٩٠
لقد اتفقوا: إنها الحرب ٣٩٢
الوقائع تكذب القربي ميدانياً..! ٣٩٤
الانفصال وارد و.. مؤكد ٣٩٧
غليان الجنوب وأشباح الملهاة ٣٩٩
حين تجلس صنعاء على رأس حربة ٤٠٢
هذا الجوار الأليف.. المخيف! ٤٠٤
في ظلال "موناكو" ٤٠٦
الدراجة النارية أم تقنية الاغتيال الصاعق ٤٠٨
يا لهذا النظام القيامي..! ٤١٠

المحتوى

إنها مرحلة ما بعد "الطرود" ٤١٢
واليمن توشك أن تنفد! ٤١٤
في حق اليمنيين بـ"فريق"! ٤١٦
أمراء خبراء ولكن.. شركاء! ٤١٨
تعالوا نكسر الصندوق ٤٢٠
صبراً أيها الحالم الجميل ٤٢٢
أهو ملاك أم إبليس! ٤٢٤
بعض خلفيات الانفصال ٤٢٦
توكل كرمان تفضح الملك العريان ٤٢٨
المطلوب عاجلاً ٤٣٠
ارحـــــل ٤٣٢
ما حدث في المعلا يدخل في الباب السابع! ٤٣٤
في سؤال الضراوة الاستثنائية تجاه عدن! ٤٣٦
منطق الساحة والساعة 25 ..... ٤٣٨
رئيس الوليمة اليتيمة ٤٤٠
يمن ما بعد الساحة ٤٤٢
الحاكم وظلُّه ٤٤٤